

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«سورة الحج»

مقصودها الحث على التقوى الملية عن دركة الاستحقاق للحكم بالعدل إلى درجة استئصال^٢ الإنعام بالفضل، في يوم الجمع للفصل، وانسب ما فيها لذلك الحج وهو ظاهر ﴿بسم الله﴾ الذي اقتضت عظمته خضوع كل شيء ﴿الرحمن﴾ الذي عم برحمته [و-^٢] عدله ه كل موجود ﴿الرحيم ه﴾ الذي خص بفضله من شاء من ذوى عدله، لما ختمت التي قبلها بالترهيب من الفزع الأكبر، وطى السماء وإتيان ما بوعدون، والدينونة بما يستحقون، وكان أعظم ذلك يوم الدين، افتتحت هذه بالأمر بالتقوى المنجية من هول ذلك اليوم فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أى الذين تقدم أول تلك أنه اقرب لهم حسابهم ١٠ ﴿اتقوا ربكم ه﴾ أى [احذروا عقاب-^٢] المحسن إليكم بأنواع الإحسان بأن تجعلوا بينهم وبينه وقاية الطاعات^١

(١) الثانية و احشرون من سور القرآن، مدنية مع الاختلاف الدائر حول ذلك، وعدة آياتها ثمان وتسعون في الكوفي، وسبع وتسعون في الحمكي، وخمس وتسعون في البصري، وأربع وتسعون في الشامي - راجع روح المعاني ٥/٣٠٤ (٢) من ظ ومد وفي الأصل: اسهل، وبها مش ظ: أى التأهيل. (٣) زيد من ظ ومد (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: طاعة.

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما افتتحت سورة الانبياء بقوله تعالى " اقرب للناس حسابهم " وكان واردا في معرض التهديد ، و تكرر في مواضع منها كقوله تعالى " و الينا ترجعون " ، " ساوربكم ايتى فلا تستعجلون و يقولون متى هذا الوعد " ، " لو يعلم الذين كفروا حين يكفون عن وجوههم النار " ، " و لئن مستهم نفخة من عذاب ربك " ، " و نضع الموازين القسط ليوم القيامة " ، " و هم من الساعة مشفقون " ، " كل الينا رجعون " ، " و اقرب الوعد الحق " ، " انكم و ما تعبدون من دون الله حصب جهنم " ، " يوم نظوى السماء كطى السجل للكتب " إلى مما تخلل هذه الآى من التهديد ، و شديد الوعيد ، حتى لا تكاد نجد ١٠ أمثال هذه الآى فى المصحف و الإنذار بما فى الساعة و [ما - ٢] بعدها و ما بين يديها فى نظائر هذه السورة ، و قد ختمت من ذلك بمثل ما به ابتدئت ، اتصل بذلك ما يناسبه من الإعلام بهول / الساعة و عظيم أمرها ، فقال تعالى " يأتياها الناس اتقوا ربكم - إلى قوله : و لكن عذاب الله شديد " ثم اتبع هذا ببسط الدلالات على البعث الأخير ١٥ و إقامة البرهان " يأتياها الناس ان كنتم فى ريب من البعث " - الآيات ، ثم قال " ذلك بان الله هو الحق " أى اطرد هذا الحكم العجيب و وضع من تفليكم من حالة إلى حالة فى الأرحام [و - ٢] بعد خروجكم إلى

(١) من مد و القرآن الكريم آية ٣٥ ، و فى الأصل وظ : يرجعون (٢) من ظ و مد و القرآن الكريم آية ٣٩ ، و زيد فى الأصل : ان (٣) زيد من ظ و مد . (٤) فى مد : حتى (٥) من ظ و مد . و فى الأصل : اقام .

الدنيا و أنتم تعلمون ذلك من أنفسكم، و تشاهدون الأرض على صفة
من الهمود و الموت إلى حين نزول الماء 'فنجي و نخرج' أنواع النبات
& ضروب' الثمرات " يستقى بماء واحد ذلك بأن الله هو الحق و انه يحيي
الموتى " كما أحياكم أولا و أخرجكم من العدم إلى الوجود و أحياء الأرض
بعد موتها و همودها، كذلك تأتي الساعة من غير ريب و لا شك، و يبعثكم
لما وعدكم من حسابكم و جزائكم " فريق في الجنة و فريق في
السعير " - انتهى .

ولما أمرهم بالتقوى . علل ذلك مرهبا لهم " بقوله :
(ان زلزلة الساعة) [أى - '] التي تقدم التحذير منها في الانبياء
بدأ و ختما و ما بين ذلك ، أى شدة اضطرابها و تحركها العنيف [المزبل ١٠
للأشياء عن مقارها إزالة عظيمة - *] ، بما يحصل فيها من الأصوات المختلفة ،
و الحركات المزعجة المتصلة ، من النفخ في الصور ، و بعثرة القبور ، و ما
يتسبب عن ذلك من ' عجائب المقدور ، وقت القيام ، و اشتداد الزحام ،
و ذلك لأن ' زلزل ' مضاعف زل - إذا ' زال عن مقره بسرعة ، ضعف
لفظه لتضاعف معناه ؛ قال البغوي^٤ : الزلزلة و الزلزال : شدة الحركة على ١٥
الحال الهائلة - انتهى . و هو من إضافة المصدر إلى الفاعل أو المفعول فيه

(١-١) من ظ و مد ، و في الأصل : فيجي و يخرج (٢) من ظ و مد ، و في
الأصل : ضروب و بات (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : له (٤) زيد من مد .
(٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : معن (٧) من ظ
و مد ، و في الأصل : و (٨) راجع معالم التنزيل على هامش لآب التأويل ٥/٢ .

(شئ عظيم ٥) أى لا تحتمل العقول وصفه : قال ابن كثير : أى أمر كبير ، و خطب جليل ، و طارق مقطع ، و حادث هائل ، و كائن عجيب - انتهى . و هذا للزلزلة نفسها ، فكيف بجميع ٢ ما يحدث فى ذلك اليوم الذى لا بد لكم من الحشر فيه إلى الله ليجازيكم على ما كان منكم ، لا ينسى منه فقير ٣ و لا قاطمير ، و لا يخفى قليل و لا كثير ، مما تطير له ٤ القلوب ، و لا تثبت له النفوس ، فاعتدوا ٥ و جاهدوا أعداءكم من الأهل و الشياطين .

و لما كان المراد بالساعة القيام و ما والاه ٥ ، جعل ٦ مطروفاً لذلك اليوم الذى هو من ذلك الوقت إلى افراق الفريقين إلى دارى الإبعاد ١٠ و الإسعاد ، و الهوان و الغفران ، فقال تعالى : ﴿ يوم ترونها ﴾ أى الزلزلة أو كل مرضعة ، أضمرها قبل الذكر ، تهويلاً للامر و ترويعاً للنفس ﴿ تذهل ﴾ أى تنسى و تغفل حائرة مدهوشة ، [و هو العامل فى « يوم » و يجوز أن يكون عامله معنى الكلام ، أى تستعظمون جداً ذلك اليوم عند المعاينة و إن كنتم الآن تكذبون ، و يكون ما بعده استثناءً - ٧] ، ١٥ و دل بالسور ٨ على عموم تأثيره اشدّة عظمته [فقال - ٧] : ﴿ كل مرضعة ﴾

- (١) راجع تفسيره ٢٠٥/٣ (٢) من ظ و مد . وفى الأصل : يجتمع (٣) فى مد :
إليه (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : فاعتذروا (٥) بين سطرى ظ : أى وليه .
(٦) من ظ و مد . وفى الأصل : بفعل ٤ و بين سطرى ظ : أى القيامة و ما والاه .
(٧) زيد من مد (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : السؤال - كذا .
أى (١) ٤

'أى بالفعل' (عما أرضعت) من ولدها وغيره^٢، وهى من ماتت مع ابنها رضيعاً، قال البغوى^٣: يقال: مرضع، بلا هاء - إذا أريد [به -^٤] الصفة مثل حائض و حامل، فاذا أرادوا الفعل أدخلوا الهاء^٥ -
يعنى: فیدل حینئذ على أنها متلبسة^٦ به (وتضع كل ذات حمل حملها) -
أى تسقطه^٧ قبل التمام ربعا وفزعا، وهى من ماتت^٨ حاملا - والله
أعلم، / فان كل أحد يقوم على ما مات عليه، قال الحسن^٩: تذهل
المرضة عن ولدها بغير فطام، وتضع الحامل ما فى بطنها بغير تمام -
اتهى . ويؤيد^{١٠} أن هذه الزلزلة تكون^{١١} بعد البعث ما فى الصحيحين
وغيرهما: مسلم فى الإيمان^{١٢} وهذا لفظه، والبخارى^{١٣} عند تفسير هذه
الآية عن أنى سعيد الخدرى رضى الله عنه [رفعه -^{١٤}]: يقول الله ٩٠
عز وجل: يا آدم ابقول: لبيك وسعديك^{١٥} والخير فى يديك، قال:
يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من [كل -^{١٦}]
ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، فذلك حين يشيب الصغير، وتضع
كل ذات حمل حملها - الحديث . والآحاديث فى ذلك كثيرة، ومعارضها

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: غيرها .
(٣) راجع المعالم بهامش الباب ٥ / ٢ (٤) زيد من المعالم (٥) من ظ و مد
و المعالم، وفى الأصل: انها (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: متلبسة (٧) من
ظ و مد، وفى الأصل: يسقطه (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: مات (٩) زيد
بعده فى الأصل: هذا، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفناها (١٠) سقط
من ظ (١١) باب بيان كون هذه الأمة نصف أهل الجنة (١٢) ٦٩٣/٢ (١٣) زيد
من ظ و مد (١٤) زيد من الصحيحين .

ضعيف . و المناسب أيضا لما في آخر تلك من قوله " فاذا هي شاحصة
ابصار الذين كفروا " و ما تبعه أن هذه الزلزلة بعد القيام من القبور
" يوم نطوى السماء " " اذا السماء انفطرت - إلى قوله : علمت نفس ما
قدمت و اخرت " و يمكن أن يكون المراد هذا و ما قبله لأن يوم الساعة
طويل ، فنسبة الكل إليها على حد سواء .

و لما كان الناس كلهم يرون الزلزلة ، و لا يرى الإنسان السكر -
إلا من غيره^٢ قال في الزلزلة " ترونها " و [قال - ١] في " السكر " :
(و ترى الناس سكرى) [أى - ٢] لما هم فيه من الدهش و الحيرة
و البهت لما شاهدوا من حجاب العز و سلطان الجبروت و سراق الكبرياء ،
١٠ ثم دل على أن ذلك^٣ ليس على حقيقته^٤ بقوله ، نافيا لما يظن إثباته^٥
بالجملة الاولى : (و ما هم بسكرى) أى من الخمر .

و لما نفى أن يكونوا سكارى من الخمر ، أثبت ما أوجب لهم تلك
الحالة فقال : (ولكن عذاب الله)^٦ ذى العز^٧ و الجبروت (شديد)^٨
فهو الذى أوجب أن يظن بهم السكر ، لأنه أذهب خوفه حولهم^٩ ، و طير
١٥ هوله عقولهم .

و لما أفهم العطف الآتى^{١٠} أن الناس قسمان ، و " أن التقدير : فان

(١) بين سطرى ظ خبره المناسب (٢) سقط من مد (٣) زيدت الواو فى الأصل ،
و لم تكن فى ظ و مد فخذناها (٤) زيد من مد (٥) بهامش ظ : أى السكر .
(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : حقيقة (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : اثباتها .
(٨) العبارة من هنا إلى الجبروت « ساقطة من ظ (٩) فى مد : العزة (١٠) بهامش
ظ : قاموس : الحول - بالضم : العزة (١١ - ١٢) سقط ما بين الرقعين من ظ .

منكم من يؤمن فيتق^١ فينجو من شر ذلك اليوم^٢ الذى اقتضت الحكمة إظهار العظمة فيه إزداد حزب الله فرحا ، وحزب الشيطان غما و ترحا^٣ ، عطف عليه قوله : ﴿ ومن الناس ﴾ [أى - ٢]^٤ المذبذبين المضطربين ﴿ من ﴾ لا يسعى فى إعلاء نفسه وتهذيبها^٥ فيكذب فيوبق بسوء أعماله ، لأنه ﴿ يحادل فى الله ﴾ [أى - ٤]^٦ فى قدرة الملك الأعظم على ذلك اليوم ٥ و فى غير ذلك من شؤونه بعد أن جاءه العلم بها اجترأ على سلطانه العظيم ﴿ بغير علم ﴾ بل بالباطل الذى هو جهل صرف ، فيترك اتباع الهداة النصحاء ﴿ ويتبع ﴾ بغاية جهده^٧ فى جداله ﴿ كل شيطان ﴾ أى محترق بالشر^٨ مبعد باللعن^٩ .

ولما كان السياق لزم متبعه ، أشار إلى أنه لا قصد له فى اتباعه ١٠ إلا الشر ، لأنه لا لبس فى أمره بصيغة المبالغة كما مضى فى النساء و يأتى^{١١} فى الصفات ، فقال : ﴿ يريد^{١٢} ﴾ أى متجرد للفساد لا شغل له غيره ، / فهو فى غاية الضراوة عليه ؛ قال البيضاوى^{١٣} : وأصله العرى . ﴿ كتب ﴾ أى قضى و قدر^{١٤} على سبيل الحتم الذى لا بد منه^{١٥} ، [تعبير - ٤]^{١٦} باللازم عن الملزوم ﴿ عليه ﴾ أى على ذلك الشيطان ١٥

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : فيبقى (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ .
(٢) زيد من مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى الأصل بياض ملأناه من مد ،
و العبارة من هنا إلى بما فيها هذه الكلمة ساقطة فى ظ إلى «اللعن» (٦) من مد ،
فى الأصل : بالكفر (٧) بهامش ظ : أى يأتى فى الصفات أن المراد ليس
لزم المتبع (٨) راجع أنوار التنزيل ٤٣٩ .

(انه من تولاه) أى فعل معه فعل الولى مع وليه، باتباعه والإقبال على ما يزينه (فانه يضله) بما يبغيض إليه من الطاعات فيخطئ سبيل الخير .

ولما تقرر عن توليه باضلاله لأن الضلال مكروه إلى كل أحد،
 ٥ 'بين أنه إضلال' لا هدى معه أصلا فقال: (ويهديه) أى بما يزين له من الشهوات، الحاملة على الزلات، إعلاما بأنه إن كان له هدى إلى شيء فهو (إلى عذاب السعير) . ولما حذر الناس من ذلك اليوم، وأخبر أن منهم من [يكذب]، وعرف بمآله، فأنهم ذلك أن منهم من [٢] يصدق به فيكون له ضد حاله، وكان كثير من المصدقين^٩
 ١٠ يعملون عمل المكذبين، أقبل عليهم سبحانه إقبالا ثانيا رحمة لهم^{١٠}، منها على أنه ينبغي أن لا يكون عندهم نوع من الشك في ذلك اليوم لما عليه من الآيات في الآفاق وفي أنفسهم^{١١}، فقال دالا عليه بالأميرين: (يأتياها الناس) أى كافة، ويجوز أن يراد المنكر فقط، وعبر بالناس الذى هو من أسفل الأوصاف لذلك، وإشارة إلى أن المنكر والعامل ١٥ عمله - وإن كان مصدقا - هم أكثر الناس، وعبر بأداة الشك إشارة إلى أن الذى يقتضيه الحال جزمهم به فقال: (إن) وبين أنه ما

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: تقرر (٢-٢) من ظ و مد، وفي الأصل: من إن الضلال (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: للتصدقين (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: له (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: انفسكم (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: من .

عبر بها إلا للتويخ ، لا للشك في أمرهم . يجعل الشرط ماضيا ، ودل به
 "كان" وبالظرف على تمكن الريب منهم فقال : ﴿ كنتم في ريب ﴾
 أى شك [وتهمة وحاجة إلى البيان - ١] ﴿ من البعث ﴾ وهو قيام
 الأجسام بأرواحها كما كانت قبل مماتها سواء ، استعظاما لأن تقدر عليه
 ﴿ فانا خلقكم ﴾ بقدرتنا التي لا يتعاضدها شيء ﴿ من تراب ﴾ لم يسبق له
 اتصاف بالحياة ﴿ ثم من نطفة ﴾ حالها أبعد شيء عن حال التراب ،
 فانها يضاء^١ سائلة لزجة صافية كما قال "من ماء دافق" ، وأصلها الماء
 القليل - قاله البغوي^٢ . وأصل النطف الصب - قاله اليبضاوي^٣ .
 ﴿ ثم من علقه ﴾ أى قطعة دم حمراء جامدة ، ليس فيها أهلية للسيلان
 ﴿ ثم من مضغه ﴾ أى قطعة لحم صغيرة جدا تطورت إليها النطفة ١٠
 ﴿ مخلقة ﴾ بخلقه آدمي التمام ﴿ وغير مخلقة ﴾ أى أنشأناكم من تراب
 يكون هذا شأنه ، وهو أنا ننقله في هذه الأطوار إلى أن يصير مضغة ،
 فتارة يخلقها ويكون منها [آدميا - ١] ، وتارة لا يخلقها بل يخرجها من
 الرحم فاسدة ، أو تحرقها حرارته ، أو غير مخلقة تخليقا تاما بل ناقصة مع
 وجود الروح كشق^٤ الذى كان شق آدمي ، وسطيح الذى كان علوا ١٥
 'بلا سفل' ونحوهما ﴿ لنين لكم ﴾ كمال قدرتنا ، وتمام حكمتنا ، وأن
 (١) زيد من ظ ومد (٢) من ظ ومد ، وفي الأصل : بيضة (٣) راجع المعالم
 بهامش الباب ٣ / ٥ (٤) راجع أنوار التنزيل ٤٣٩ (٥) راجع لحديث شق
 و سطيح سيرة ابن هشام ٦/١ و الروض الأتق ١٨/١ وما بعدها (٦-٧) من
 ظ ومد ، وفي الأصل : بالاسفل .

ذلك ليس كائنا عن الطبيعة ، لأنه لو كان عنها لم يختلف ، فدل اختلافه
على أنه عن فاعل مختار ، قادر قهار ، وحذف المفعول إشارة إلى أنه
يدخل فيه / كل ما يمكن أن يحيط به العقول .

/ ٥٤٢

ولما كان التقدير : فتهض منه ما لا نشاء إتمامه ، عطف عليه
٥ قوله : ﴿ ونقر في الأرحام ﴾ أى من ذلك الذى خلقناه ﴿ ما نشاء ﴾
إتمامه ﴿ إلى آجل مسمى ﴾ قدرناه لإتمامه ما بين ستة أشهر إلى ما
نريد من الزيادة على ذلك ، بحسب قوة الأرحام وضعفها ، وقوة
المخلوقات وضعفها وكثرة ما تغذيه من الدماء وقلته ، وزكائه وخبثه ،
إلى غير ذلك من أحوال وشؤون لا يعلمها إلا بارئها ، جلت قدرته ،
١٠ وتعال عظمته ، وأما ما لم نشأ إتمامه فإن الأرحام تمج به بقدرتنا وتلقيه
دون التمام أو تحرقه فيضمحل ﴿ ثم نخرجكم ﴾ بعد ذلك ﴿ طفلاً ﴾
أى فى حال الطفولة من صغر الجثة وضعف البدن والسمع والبصر
وجميع الحواس ، لتلا تهلكتوا أمهاتكم بكبر أجرامكم ، وعظم أجسامكم ،
وهو يقع على الجمع ، وعبر به دونه للتساوى فى ضعف الظاهر والباطن .
١٥ ولما ذكر أضعف الضعف . ذكر أقوى القوة عاطفاً [له - ٨]

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : المخلوقات (٣) من ظ
و مد ، وفى الأصل : قلبه (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : « و » (٥) من
و ظ مد ، وفى الأصل : حالة (٦) فى ظ : الطفولية (٧) من ظ و مد ، وفى
الأصل : بكسر (٨) زيد من ظ و مد .

عليه

١٠

عليه لما بينهما من المهلة بأداة التراخي فقال: ﴿ثم﴾ أى 'مد أجلكم
 ﴿تبلغوا﴾ بالانتقال فى 'أسنان الأجسام فيما بين الرضاع، إلى حال
 اليفاع، إلى زمان الاحتلام، وقوة الشباب والتمام ﴿اشدكم﴾ أى 'أشركم
 نهاية كل شدة قدرناها لكل واحد منكم ﴿ومنكم من يتوفى﴾ قبل ما
 بعد ذلك من سن الشيخوخة ﴿ومنكم من يرد﴾ بالشيخوخة، وبناءه
 للجهول إشارة إلى سهولته عليه مع استبعاده لو لا تكرار المشاهدة عند
 الناظر لتلك القوة والنشاط وحسن التواصل بين أعضائه والارتباط
 ﴿إلى﴾ أرذل العمر وهو سن الهرم فيقص جميع قواه ﴿لكيلا يعلم﴾.
 ولما كان السياق للقدرة على البعث الذى هو التحويل من حال

الجمادية إلى ضده 'بغاية السرعة، أثبت 'من' الابتدائية للدلالة على قرب ١٠
 زمن الجهل من زمن العلم، فربما بات الإنسان فى غاية الاستحضار لما
 يعلم والحذق فيه فعاد فى صيغة ليلته أو بعد أيام يسيرة جدا من غير
 كبير تدرج لا يعلم شيئا، وأفهم إسقاط حرف الانتهاء أنه ربما عاد
 إليه علمه، وربما اتصل جهله بالموت بخلاف ما مضى فى النحل* فقال:

﴿من بعد علم﴾ كان أوتيه ﴿شيئا﴾ بل يصير كما كان طفلا فى ١٥
 ضعف الجواهر والأعراض، لتعلموا أن ذلك كله فعل الإله الواحد
 المختار، وأنه لو كان فعل الطبيعة لازداد بطول البقاء نموا فى جميع
 ذلك، وقد علم - بعود الإنسان فى ذهاب العلم وصغر الجسم إلى نحو

(١) سقط من مد (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: من (٣) فى مد: الى.

(٤) فى مد: شدة (٥) راجع آية ٧٠.

ما كان عليه في ابتداء الخلق - قطعاً أن الذي أعاده إلى ذلك قادر على
إعادته بعد الممات، والكون على حال الرفات .

ولما تم هذا الدليل على الساعة محكم المقدمات واضح / النتائج ، / ٥٤٣
وكان أول الإيجاد فيه غير مشاهد^١ فعبّر عنه بما يليق به ، أتبعه دليلاً
آخر محسوساً ، وعطفه على ما أرشد إليه التقدير من نحو قوله : تجدون أيها
الناس ما ذكرناه في أنفسكم ، فقال : ﴿ و ترى ﴾ فعبّر بالرؤية ﴿ الارض ﴾
[ولما كان في سياق البعث ، عبر بما هو أقرب إلى الموت فقال -^٢] :
﴿ هامة ﴾ أي يابسة مطمئنة ساكنة^٣ تسكون الميت ليس بها شيء من
نبت ، ولعله أفرد الضمير توجيهها إلى كل من يصلح أن يخاطب بذلك
١٠ ﴿ فاذا ﴾ [أي -^٤] فنزل^٥ عليها ماء من مكان لا يوجد فيه ثم ينزل
منه إلابقدرة عظيمة وقهر باهر ، فاذا ﴿ انزلنا ﴾^٦ بما لنا من العظمة^٧
﴿ عليها الماء اهتزت ﴾ أي تحركت بنجوم النبات^٨ اهتزاز الحى^٩ ،
وتأملت لإخراجه ؛ قال الرازي : و الاهتزاز : شدة الحركة في الجهات
المختلفة . ﴿ وربت ﴾ أي اتفخت ، وذلك أول ما يظهر منها للعين
١٥ وزادت ونمت بما يخرج منها من النبات الناشئ عن التراب والماء
﴿ وانبت ﴾ بتقديرنا ﴿ من كل زوج ﴾ أي صنف عادلناه بصنف
(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : مجاهد (٢) زيد من مد (٣) العبارة من
هنا إلى « من نبت » ساقطة من ظ (٤) في مد : فيها (٥) زيد من ظ و مد .
(٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : ترك - كذا (٧ - ٧) سقط ما بين الرقين
من ظ .

آخر جعلناه^١ تمام نفعه به (بهيج ه) أى مؤفق^٢ من أشات النباتات
 فى اختلاف ألوانها وطعومها ، وروائحها وأشكالها ، ومنافعها ومقاديرها
 راققة المناظر ، لاثقة فى العيون والبصار ، قال الرازى : فكما أن النبات
 يتوجه من نقص إلى كمال ، [فكذلك الآدمى يترقى من نقص إلى
 كمال^٣] ، ففى المعاد يصل إلى كماله الذى أعد له من البقاء والغنى^٤
 والعلم والصفاء والخلود ، أى السعيد منه فى دار السلام مبرأ عن
 عوارض هذا العالم - انتهى .

ولما قرر سبحانه هذين الدليلين ، رتب عليهما ما هو المطلوب
 والنتيجة فقال على طريق التعليل : (ذلك) أى الذى تقدم من الأمر^٥
 بالتقوى ، والرهيب من جلال الله بالحشر ، والاستدلال عليه بالتصرف^{١٠}
 فى تطوير الإنسان والنبات إلى ما فى تضاعيفه من أنواع الحكم وأصناف
 اللطائف (بان) أى بسبب أن تعلموا أن (الله) أى الجامع لأوصاف
 الكمال (هو) [أى وحده - ٢] (الحق) أى الثابت بآمر نبات ،
 بحيث يقتضى ذلك أنه يكون^٦ كل ما يريد ، فانه لا ثبات مع المعجز
 (وانه يحى الموتى) أى قادر على ذلك بأنه - كما سيأتى - هو العلى^{١٥}

- (١) من ظ و مد ، وفى الأصل : جعلنا (٢) من و ظ و مد ، وفى الأصل :
 موفقة (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : طريقة .
 (هـ-هـ) من ظ و مد ، وفى الأصل : بالامر (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل :
 على (٧) بين سطرى ظ : يوجد .

الكبير (وانه على كل شيء) من الخلق وغيره (قدير^١) ” انما امره اذا اراد شيئا ان يقول [له -^١] كن فيكون “ (وان الساعة) التي تقدم التحذير منها ، وهي^٢ وقت حشر الخلائق كلهم (انية لا ريب فيها^٣) بوجه من الوجوه لما دلى عليها بما لاسيل إلى إنكاره بقول من ’ لا مردا‘ لقوله ، وهو حكيم فلا يخلف ميعاده ، ولا يسوغ بوجه أن يترك عباده

بغير حساب (و ان الله) لما له من الجلال والحكم (يبعث) بالإحياء (من في القبور) لحضوره^٤ والفصل بينهم فيها في كل ما اختلفوا فيه لأن ذلك من العدل الذي أمر به^٥ وبه يظهر كثير من صفاته سبحانه أتم ظهور ، والحاصل أن المراد أنه سبحانه قال ما تقدم

١٠ / ٥٤٤ وفعل ما ذكر / من إيجاد الإنسان والنبات في هذه الاطوار ليعلم أنه

قادر على هذه الامور وعلى كل شيء (ومن) أي فني الناس الذين كانوا قد وقفوا عن الإيمان قبل هذا البيان من^٦ آمن عند سماع هذه القواطع ، [ومن -^١] (الناس) - [ومن -^٢] من اشتد تكاثف طبعه (من يجادل)^٣ أي بغاية جهده^٤ (في الله) أي في قدرته وما

(١) زيد من ظ و مد والقرآن الكريم سورة ٣٦ آية ٨٢ (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : الذي (٣) زيد في الأصل : في ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لخصائصها . (٤ - ٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : ذلك (٥) من مد ، وفي الأصل و ظ : من غير (٦ - ٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) من مد ، وفي الأصل و ظ : لحضورها (٨) في مد ، او ، والعبارة من هنا بما فيها الواو إلى اختلفوا فيه^٩ سائطة في ظ (٩) من ظ و مد ، وفي الأصل : ممن (١٠) زيد من ظ و مد .

يجمعه

يجمعه هذا الاسم الشريف من صفاته بعد هذا البيان الذى لا مثل له
 و لا خفاء فيه (بغير علم) أنه عن الله على لسان أحد من أصفائه أعم
 من أن يكون كتابا أو غيره (ولا هدى) أرشده إليه من عقله أعم
 من كونه بضرورة أو استدلال (ولا كذب منيرا) صح لديه أنه من
 عند الله ، و من المعلوم أنه بانتفاء هذه الثلاثة لا يكون جدا له إلا بالباطل ه
 (ثانياً عطفه) أى رضى البال معرضاً متكبراً مما تلا لاوباً عنه لذلك
 كما قال تعالى " وإذا تتلى عليه آيتناولى مستكبراً " و العطف فى الأصل
 الجانب و موضع الميل .

و لما دل السياق على أنه أكثف الأقسام طبعاً ، عبر عن قصده
 بقوله : (ليضل) أى غيره (عن سبيل الله) إيهاماً لذلك ، لأن ١٠
 هذا لا يقصده عاقل ، فالقسم الأول تابع ضال ، و هذا داع لأهل الضلال ،
 هذا على قراءة الضم للجمهور ، و على قراءة الفتح لابن كثير و أبى
 عمرو و رويس ، عن يعقوب بخلاف عنه من ضل ، تكون من باب
 التهمك كما تقدم غير مرة ، أى أنه من الخدق بحيث لا يذهب عليه أن
 هذا ضلال ، فواصل إليه إلا بقصده له .

١٥

و لما ذكر فعله و تمرته ، ذكر ما أعد له عليه فقال :
 (له فى الدنيا خزى) أى إهانة و ذل و إن طال زمن استدراج

- (١) سقط من مد (٢) سقط من ظ (٣) العبارة من هنا إلى « بخلاف عنه »
 ساقطة من ظ (٤) من مد و ثر الر جان ٤/٥٠١ ، وفى الأصل : درشى - كذاب .
 (٥) من مد ، وفى الأصل و ظ : عنه .

بتعظيمه ١ حق ١ على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا أوضعه ٢ (ونذيقه)
 ٢ أى بما لنا من العظمة ٣ (يوم القيامة) الذى يجمع فيه ٤ الخلاق بالإحياء
 بعد الموت (عذاب الحريق ٥) أى يجعله ٦ يحس بألم العذاب بالحريق كما
 يحس الذائق بالشئ ٧ كما أحرق قلوب المهتدين بحداله بالباطل ٨ ، ويقال
 ٩ حقيقة أو مجازا: (ذلك) [أى - ٩] العذاب العظيم (بما) أى
 بسبب ما (قدمت يدك) أى بعملك ١٠ ، ولكنه جرت عادة العرب
 إن تضيف الأعمال إلى اليد لأنها آلة أكثر العمل ١١ ، وإضافة ما يودى
 إليهما أنكأ ١٢ (وان) أى [و - ١٢] بسبب أن (الله) أى الذى له
 الكمال كله ١٣ (ليس بظلام) أى بسبب ظلم ما (للعبيد) ولو
 ١٤ ترككم بغير ذلك ١٥ لكان فى مجازى عاداتكم ظلما أولا بتسوية المحسن بالمسئىء .
 وثانيا بترك الانتصار للذين عادوك فيه وأذيتهم من أجله . [ويجوز أن
 تكون الصيغة للبالغة لتفهم أنه لو تركه لكان الظلم ، وذلك فى غاية البعد
 عن حكمته و ... نرى أصل الظلم من آياته الباهرة - ١٦] .

ولما بين قسمة المصارعين بالكفر الكفيف والآكثف صريحا .
 ١٥ و أفهم المؤمن المخلص ، عطف على ذلك المذبذب فقال : (ومن الناس)

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل ١ ، حقا ، والحديث أورده البخارى فى صحيحه
 باب التواضع كتاب الرقاق (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) سقط من
 مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : يجعله (٥) زيد من مد (٦) من ظ
 و مد ، وفى الأصل : بعملك (٧) زيد من ظ (٨ - ٨) من مد ، وفى الأصل
 و ظ : تركه بغير عذاب (٩) زيد من مد ، وموضع النقاط مطموس .

ولذلك

(٤)

ولذلك عبر بالناس الذي مدلوله الاضطراب والتردد 'دون أن يضمّر'

(من يعبد الله) أى يعمل على سبيل الاستمرار والتجدد بما أمر به

'الإله / الأعظم' من طاعته (على حرف ع) فهو منزل كزلزلة من ٥٤٥ /

يكون على حرف شفير أو جبل أو غيره، لا استقرار له، وكالذى على

طرف من العسكر، فإن رأى غنيمة قر، وإن توهم خوفاً طار و فر، هـ

أو ذلك معنى قوله: (فإن أصابه خير) أى من الدنيا (اطمان به ع)

أى بسببه. وثبت على ما هو عليه (وإن أصابته فتنة) أى مصيبة 'ولو

قلت - بما يشير إليه التأنيث - فى جسده أو معيشته يختبر بها ويظهر

خباءه للناس (انقلب على وجهه هـ) لتهيبه للانقلاب بكونه على شفا جرف

فسقط عن ذلك الطرف من الدين سقوطاً لا رجوع له بعده إليه ١٠

ولا حركة له معه، فإن الإنسان مطبوع على المدافعة بكل عضو من أعضائه

عن وجهه فلا يمكن منه إلا بعد نهاية العجز، والمعنى أنه رجع إلى الوجه

الذى كان عليه من الكفر أو الشك رجوعاً متمكناً، وهذا بخلاف

الراسخ فى إيمانه، فإنه إن أصابته سيرة شكر، وإن أصابته ضراء حمد

وصبر. فكل قضاء الله له خير ١٥

ولما كان انقلاب هذا مفسداً لآخرته بما ناله من الوزر، وغير

نافع له فى استدراك ما فاتته من الدنيا، كانت فذلكه ذلك قوله:

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) فى مد: طاعاته (٣) من مد، وفى

الأصل و ظ: البتة (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: من (٥) سقط من ظ.

(٦) فى الأصل بياض، ملائناه من ظ و مد.

(خسر الدنيا) أى بسبب ان ذلك لا يزد ما فاته منها و يكون سبب
التفتير عليه و ذهاب بركته " ولو انهم اقاموا التوراة و الانجيل و ما
انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم و من تحت ارجلهم " ، و إن
الرجل لبحرم الرزق بالذنب يصيبه ^١ (و الآخرة) بفوات أجر الصبر
و حصول إثم الجزع ، ثم عظم مصيبته بقوله : (ذلك) أى الأمر
العظيم (هو) ^٢ أى لا غير (الخسران المبين ^٣) روى البخارى فى
التفسير^٤ عن ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية قال : [كان - ^٥]
الرجل يقدم المدينة ، فان ولدت امرأته غلاما و نتجت خيله قال :
هذا دين صالح ، و إن لم تلد امرأته و لم تتج خيله قال : هذا دين سوء .
١٠ ثم بين هذا الخسران الذى رده إلى ما كان فيه قبل الإيمان الحرفى^٦
بقوله : (يدعوا) أى يعبد حقيقة أو مجازا مع التجدد والاستمرار
بالاعتماد على غير الله و منابذة " و اياك نستعين " . و لما كان [كل - ^٧]
ما سوى الله دونه ، نبه على ذلك بقوله : (من دون الله) أى عن أدنى
رتبة من رتب المستجمع لصفات الكمال .

١٥ و لما كان المقتضى للعبادة إنما هو الفعل بالاختيار ، و أما الفعل الذى
يقضيه الطبع و القسر عليه فلا عبرة به فى ذلك ، فانه لا قدرة على
الانفكاك عنه فلا حمد لفاعله ، نبه على ذلك بقوله : (ما لا يضره) أى بوجه

(١) راجع مسند الإمام أحمد ٢٧٧/٥ (٢-٣) سقط ما بين الرقین من ظ .

(٣) راجع الصحيح ٢/ ٦٩٤ (٤) زيد من الصحيح (٥) من ظ و مد ، و فى

الأصل : الترفى (٦) زيد من ظ و مد .

من الوجوه^١ حتى ولا يقطع النفع إن كان يتصور منه .

ولما قدم الضر لأنه من لأعذار المقبولة في ارتكاب الخطأ ، أتبعه

النفع قطعاً لكل مقال فقال : ﴿ وما لا ينفعه^٢ ﴾ بوجه من / الوجوه ٥٤٦ /

ولا يترك^٣ الضر إن وجد منه ، ولو أسقطت " ما " من الثاني لظن أن

الذم يشترط فيه انتفاء الضر و النفع معا حتى أن من ادعى ما اتقى عنه ٥

أحدهما لم يذم^٤ ﴿ ذلك ﴾ أى الفعل الدال على أعظم السفه و هو دعاء

شئ اتقى عنه القدرة على النفع ، أو شئ اتقى عه القدرة على الضر^٥ ﴿ هو ﴾

[أى - ٦] وحده ﴿ الضلل البعيد ﴾ عن الحق و الرشاد الذى أوصل

إلى فياف^٦ مجاهل لا يتأتى الرجوع منها ، و ذلك لأن^٧ الأول لو ترك

عبادته ما قدر على منع إحسانه ، و الثانى لو تقاداه^٨ ما وصل إلى نفعه ١٠

ولا يترك ضره ، فعبادتهما عبث ، لأنه استوى فعلها وتركها .

ولما كان الإحسان جالبا للإنسان ، من غير نظر إلى مؤرده ، لأن

القلوب جبلت على حب من أحسن إليها ، بين أن ما قيل فى جانب

النفع إنما هو على سبيل الفرض فقال : ﴿ يدعوا ﴾ ولما كان ما فرض

أو لا فيما عبر عنه بـ " ما " قد يكون غير عاقل ، فيكون ما صدر منه لعدمه^٩ ١٥

(١ - ١) فى مد : ولا يقطع (٢) فى مد : لا يترك (٣ - ٣) وقع ما بين الرقين فى

الأصل قبل « ولو أسقطت » مع التقديم و التأخير ، و الترتيب من ظ و مد .

(٤) زيد من مد (٥) يامش ظ : جمع فيفاء : صحراء (٦) من ظ و مد ، وفى

الأصل : إن (٧) فى ظ : غاداه (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : لعدم .

العقل ، أزال هذا الإيهام بقوله : ﴿ لمن ﴾ 'أى زاعما' أن من
﴿ ضرة ﴾ ولو بعبادته الموجبة لأعظم الشقاء ﴿ اقرب من نفعه ﴾ - الذى
يتوقع منه - إله^٢ .

و لما كانت الولاية الكاملة لا تنفى إلا لمن يكون توقع النفع منه
٥ و الضر على حد سواء ، لقدرة على كل منها باختياره ، وكان العشير
لا يصلح إلا إن كان مأمون العاقبة ، وكان هذا المدعو إن نظر إليه فى
جانب الضر وجد غير قادر عليه ، أو فى جانب النفع فكذلك ، وإن
فرض توقع نفعه أو ضره كان 'خوف ضره' أقرب من رجاء نفعه^٣ ،
استحق غاية الذم ، فلذلك استأنف تعالى وصفه بقوله معبرا فى ذمه
١٠ بالأداة الموضوعة لمجامع الذم : ﴿ لبئس المولى ﴾ لكونه ليس مرجو
النفع كما هو مخشى الضر ﴿ و لبئس العشير ﴾ لكونه ليس مأمون الضر
فهو غير صالح لولاية و لا لعشرة بوجه .

و لما أفهم ما تقدم أن هذا الإله المدعو إليه قادر على كل من
النفع و الضر بالاختيار . و أن تجوز الوقوع لكل منهما منه على حد سواء ،
١٥ نه على ذلك بقوله مستأنفا : ﴿ ان الله ﴾ أى الحائز لجميع صفات الكمال
المنزّه عن جميع شوائب النقص ﴿ يدخل الذين آمنوا ﴾ برسله و ما
دعت إليه من شأنه ﴿ و عملوا ﴾ تصديقا لإيمانهم ﴿ الصلحت ﴾ الخالصة

(١) العبارة من هنا إلى « أن من » - حاقطة من ظ (٢) من مد ، وفى الأصل :
على (٣) - قط من ظ ؛ و هو خبر « أن » (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل « و » .
(٥ - ٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : خونه ضر (٦) من ظ و مد ، وفى
الأصل : خونه .

الشاهدة بقاتهم في الإيمان بعد ما حرّم في الدنيا بأنواع المعاييب ، تطهيراً لهم
بما اقترفوه من الزلات ، وأهوتهم إليه^١ المفوات (جنت تجري من تحتها)
أى من أى مكان [أردت -^٢] من أرضها (الأنهر^٣) ، ولما كان هذا
أمراً بامراً دل على سهولته بقوله ، تهرباً بما أفهمه السياق من وصف
الاختيار: (ان الله)^٤ أى المحيط بكل شئ قدرة وعلماً^٥ (يفعل ما يريد) هـ
من كل نفع وضرر .

و لما أتم الدليل على خسران هذا المتقلب و ربح الثابت ، وكان
هذا مفهماً لأن من رجاء لما وعد به بادر الإقبال عليه و لم ينفع إلا نفسه ،
و من لم يرج^١ / ذلك أعرض عن الله سبحانه متقلباً على وجهه فلم يضر
إلا نفسه ، ترجم عن حال هذا الثانى العابد على حرف بقوله : ١٠
(من كان يظن) أى من أصابته فتنة (ان لن ينصره الله) ذو الجلال
و الإكرام فى حال^٢ من أحواله (فى الدنيا و الآخرة) فأعرض عنه
انقلاباً على وجهه فانه لا يضر إلا نفسه و إن ظن^٣ أنه لا يضرها^٤
(فليمدد بسبب) أى جبل^٥ أو شئ من الأشياء الموصلة^٦ له (الى السماء)
التي يريدّها من سقف أو سحاب أو غيرها .

١٥

و لما كان مده ذلك متعسراً أو متعذراً ، عبر عما يتفرع عليه بأداة

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : اليهم (٢) زيد من ظ و مد (٣ - ٢) سقط
ما بين الرقين من ظ (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : لم يرم (٥) من ظ
و مد ، وفى الأصل : حالة (٦ - ٦) فى ظ : غير ذلك ، وفى مد : لا غيره .

الترأخي فقال: (ثم ليقطع) أى ليوحد منه وصل و قطع، أى لينذل
جهده فى دفع القضاء و القدر عنه، 'و هى لآيم أشر عند من حركها
بالكسر إنهما لشدة الحركة فى المزاولة^٢ للذهاب إلى السفل الدال على
عدم العقل، و هم أبو عمرو و ابن عامر و ورثن عن نافع و رويس عن
يعقوب، أو أسكنها و هم الباقون (فلينظر) يضره و بصيرته
(هل يذهبن) و إن اجتهد (كيدته ما يغيظه) أى شيئاً يحصل له
منه غيظ، أو يكون المعنى: فليفعل ما يفعله من بلغ منه الغيظ بأن يربط
حبلًا بسقف بيته ثم ليربطه فى عنقه ثم ليقطع ما بين رجله و بين
الأرض ليختنق، و هذا كما يقال لمن أدير عنه^٣ أمر فجزع^٤: اضرب
١٠ برأسك الجدار إن لم ترض هذا، مت غيظًا - و نحو ذلك، و الحاصل
أنه إن لم يصبر على المصائب لله طوعاً صبر عليها كرها مع ما ناله من
أسباب الشقاء .

و لما بين سبحانه هذه الآيات المرتبة^٥، فى هذه الأساليب العلية،
هذا البيان الشافى الهادى^٦ باعجاز حكمه^٧، بين أنه معجز أيضاً بنظمه،
١٥ فقال: (و كذلك) أى و مثل ما بينا هذه الآيات المرتبة التى^٨ أنزلنا
كلامنا لبيان حكمها و إظهار^٩ أسرارها (أنزلناه) أى الكلام كله بما لنا
١ (١) العبارة من هنا إلى «الباقون» ساقطة من ظ (٢) من مد، و فى الأصل:
الداوالة (٣ - ٣) من ظ و مد، و فى الأصل: مر محرج (٤) من ظ و مد،
و فى الأصل: المرتبة (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الهادى (٦) من ظ و مد،
و فى الأصل: محكمة (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: الذى (٨) فى مد: بيان .

من العظمة الباهرة ('أنت يئنت لا ') معجزا نظمها ، كما كانت معجزا حكمها .

ولما كان الكلام بينا في أن التقدير: ليعلم إذا ضل ضال مع هذا البيان أن الله يضل من يريد ، عطف عليه قوله : (و إن) أى و ليعلم أن (الله) أى الموصوف بالإكرام ، كما هو موصوف بالانتقام (يهدى) .
أى بآياته (من يريده) أى لتبين قدرته واختياره إزاحة لغم من يقول : إذا كانت الآيات المرئية والمسموعة في هذا الحد من البيان فما لاكثر الناس على ضلالهم يتخلف^٢ فيهم المسيات عن أسبابها .

ولما كان ذلك موجبا للسؤال ، عن حال الفريقين : المهدي والضال ، أجب عن ذلك بيان جميع فرق الضلال ، لأن لهذه [السورة - ٤] أم ١٠ نظر إلى يوم الجمع الذى هو * مقصود السورة التى قبلها ، فقصده إلى استيعاب الفرق تصويرا لذلك اليوم بألق صورة ، و قرن بكل من فريق أهل الكتاب موافقة فى معناه فقال : (ان الذين آمنوا) أى من أى فرقة كانوا ، وعبر بالفعل ليشمل الإقرار باللسان ، الذى هو أدنى وجوه الإيمان (والذين هادوا) أى اتحلوا اليهودية . على أى حال كانوا من ١٥ إيمان أو كفران .

ولما كان اليهود / قد عبدوا الأصنام متقربين بها إلى النجوم ٥٤٨ /

- (١) من ظ و مد ، وفى الأصل : يبين (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : السموع .
(٣) فى مد : تتخلف (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيد فى الأصل : معه ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فلذا نأخا (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : و .

كما مضى [في المائة - ']، أتبعهم من شابهوه فقال: (و الصابئين)
ثم تلا بثاني فريق أهل الكتاب قال: (و النضرى) ثم أتبعهم من
أشبهه بعض فرقهم في قولهم بالهين^١ اثنين فقال: (و المجوس) [و - ']
ثم عبدة النار، ثم ختم بأعم الكل في الضلال كما فتح بأعمهم في الهدى
• فقال: (و الذين أشركوا^٢) لشموله^٣ كل شرك حتى الأصغر من الرب
و غيره (ان الله) أى الملك الأعظم الذى له الملك كله و هو أحكم
الحاكمين (يفصل بينهم يوم القيمة^٤) فيجازى كلا بعمله على ما يقتضيه
في مجارى عاداتكم، و يقتص لبعضهم من بعض، و يميز الخبيث منهم
من الطيب، ثم علل ذلك بقوله: (ان الله) أى الجامع لجميع صفات
١٠ الكمال (على كل شيء) من الأشياء كلها (شهيد) فلا شيء إلا و هو
به علم، فهو [لذلك - '] على كل شيء قدير، كما مضى بيانه في "وسح
كل شيء علما" في ظه، و قال الحرالى في شرح الاسماء الحسنی: الشهادة
رؤية خبرة بطيئة الشيء و دخلته ممن له غنى في أمره، فلا شهادة إلا
بخبرة و غنى ممن له اعتدال في نفسه بأن لا يحيف على غيره، فيكون
١٥ ميزان عدل بينه و بين غيره، فيحق له أن يكون ميزانا بين كل متداعين
من يحيط بخبرة أمرهما "و كذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء
على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا" و بحسب إحاطة علم الشهيد
(١) زيد من ظ و مد (٢) في مد: الهين (٣) زيد في الأصل: في، ولم
تكن الزيادة في ظ و مد لخذفها (٤) من مد، و في الأصل و ظ: بظنه.
(٥) في مد: تحيط.

زهد شهادة ، و لذلك أُرهب [شهادة -^٩] شهادة الله على خلقه " قل
أى شيء أكثر شهادة قل الله " . و لما كان آيما الإحاطة و الخبرة
و الرقة^٩ لله كان بالحقيقة لا شهيد إلا^٩ هو - [انتهى -^٩] .

و لما كان جميع ما تقدم في هذه السورة دالا على أنه على كل
شيء قدير ، و أنه يفعل ما يريد ، و ختم ذلك بأنه " بكل شيء عليم " .
لم يغب و لا يغب شيء عنه ، فاقضى ذلك قيومته ، و كان بحيث يستعظم
لكثرة الخلاق فكيف بأحوالهم ، قرر ذلك في جواب من كأنه سأل
فهي^٩ في معنى العلة ، قال : (الم تر أن الله) أى^٩ الحائز لجميع الكمال
المبرأ عن كل نقص (يسجد له) أى يخضع منقادا لأمره مسخرا لما
يريد منه تسخير من هو في غاية الاجتهاد في العبادة و الإخلاص فيها .
(من في السموات) .

و لما كان السياق مقتضيا للإبلاغ في صفة القيومية بشهادة ذكر
الفصل بين جميع الفرق ، أكد بإعادة الموصول فقال : (و من في الأرض)
إن أدخلت غير العاقل فبالغلب ، و إن خصصت فبالعاقل أفهم خضوع
غيره من باب الأولى . و لما ذكر ما يعم العاقل و غيره ، أتبعه بأشرف ١٥

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : الرغبة (٣) تكرر
في الأصل فقط (٤) زيد من مد (٥) زيد في الأصل : احاط ، و لم تكن الزيادة
في ظ و مد لحدوثها (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : علما (٧) من مد ، و في
الأصل و ظ : و هو (٨) سقط من ظ و مد (٩-٩) سقط ما بين الرقين من ظ .

ما ذكر عما لا يعقل لأن كلا منهما^١ عبد من دين الله أو عبد شيء منه
 فقال: (و الشمس والقمر والتجوم) من الأجرام العلوية فعبد الشمس
 حمير، والقمر كنانة، والديوان تميم، والشعري لحم^٢. والقرياطى
 و عطاردا أسد، والمرزم^٣ ربيعة - قاله أبو حيان. ثم أتبع ذلك أعلام
 الذات السفلية فقال: (و الجبال) أى التى تحت منها الأصنام
 (و الشجر) التى عبد بعضها (و الدواب) التى عبد منها البقر، كل
 هذه الأشياء تنقاد لأمر الله، ومن المعلوم -/ لكون هذه لا تعقل - أن
 أمره لها هو مراده منها.

/ ٥٤٩

ولما كان العقلاء من المكلفين قد دخلوا فى قوله "و من فى
 ١٠ الأرض" دخولاً أولياً، [وكان السجود الممدوحون عليه إنما هو
 الموافق للأمر، لا الموافق للإرادة المجردة عن الأمر -^٦]. قال دالا على
 إرادته هنا بتكريرهم و تقسيمهم بعد إدخالهم فى سجود الإرادة و تعميمهم:
 (و كثير من الناس) أى يسجد سجوداً هو منه عبادة شرعية لحق له
 الثواب (و كثير) أى منهم (حق عليه العذاب) بقيام الحجة عليه
 ١٥ بكونه لم يسجد، فجحد الأمر الذى^٧ من جحده كان كافراً وإن كان
 ساجداً عابداً بالمعنى اللغوى الذى هو الجرى مع المراد،^٨ و على القول بأن^٩

(١) فى ظ: منها (٢) من ظ و مد و لبحر المحيط ٣٥٩/٦، و فى الأصل: لحم،
 و زيد بعده فى البحر: و قريش (٣) بهامش ظ: قاموس: مرزم كني (٤) من
 ظ و مد، و فى الأصل: قال (٥) فى مد: الى (٦) زيد من ظ و مد (٧) زيد
 فى الأصل: هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد لخصفها (٨-٨) فى ظ و مد.

هذا

هذا في تقدير عامل من لفظ الأولي بغير معناه [هو -] قريب من الاستخدام الذي يعاد فيه ضمير على لفظ مراد منه معنى آخر، والآية من الاحتباك: إثبات السجود في الأول دليل على انتفاءه في الثاني، وذكر العذاب في الثاني دليل على حذف الثواب في الأول.

ولما علم بهذا أن الكل جادون مع الإرادة بنقادون أتم انقيادهم تحت طوع المشيئة، وأنه إنما جعل الأمر والنهي للكافرين سبباً للإسعاد السعيد منهم وإشقاء الشقي، لإقامة الحجة عليهم على ما يتعارفونه من أخوالهم فيما بينهم، كان المعنى: فمن يكرم الله بتوفيقه لامثال أمره فإنه من مهين، فعطف عليه: (و من يهن الله) أى الذى له الأمر كله بمنازعة أمره^٢ (فإنه من مكرم^١) لأنه لا قدرة لغيره أصلاً، ولعله ١٠ إنما ذكره وطوى الأول؛ لأن السياق لإظهار القدرة، وإظهارها في الإهانة أتم، مع أن أصل السياق للتهديد؛ ثم علل أن الفعل له لا لغيره بقوله: (إن الله) أى الملك الأعظم (يفعل ما يشاءه) أى كفه، فلو جاز أن يمانه غيره ولو في لحظة لم يكن فاعلاً لما يشاء، فصح أنه لأفعل لغيره، قال ابن كثير^٣: قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن ١٥ شيبان الرملى نا القداح عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي رضي الله عنه

(١) زيد من مد (٢) سقط من ظ (٣) من مذ، وفي الأصل وظ: الأمر.

(٤) من ظ ومد، وفي الأصل: الأصل (هـ-ه) من ظ ومد، وفي الأصل: لن

يكن (٦-٦) من ظ ومد. وفي الأصل: ابن أبي كثير - خطأ، وراجع

تفسيره ٢/٢١١.

أنه قيل له: إن ههنا زجلاً يتكلم في المشية. فقال له علي: يا عبد الله^٢ أطلقك الله - كما شاء^٣ أو كما شئت؟ قال: بل: كما شاء^٤، قال: فيمضرك إذا شاء أو إذا شئت؟ قال: بل إذا شاء، قال: فيشفيك^٥ إذا شاء أو إذا شئت؟ قال: بل إذا شاء، قال: فيدخلك حيث شئت أو حيث يشاء^٦؟ قال: بل حيث يشاء، قال: والله لو قلبت غير ذلك لضربت الذي فيه عينك بالسيف. وقد مر في سورة يوسف عند "إن الحكم [الا-]"^٧ لله عليه توكلت ما ينفع هنا.

ولما قسم الناس إلى مخالف وموافق، أتبعه جزاءهم بما يرغب المؤالف ويرهب المخالف على وجه موجب للأمر، بالمعروف الذي من ١٠ جملة الجهاد لوجهه خالصاً فقال: (هذه) أي الساجد والمجاهد من جميع الفرق (خصمن) لا يمكن منها المسألة الكاملة إذ كل منهما في طرف. [ولما أشار بالتثنية إلى أن كل فرقة منهم صارت - مع كثرتها و انتشارها باتحاد الكلمة في العقيدة - كالجسد الواحد، صرح بكثرتهم بالتعبير بالجمع فقال -^٨]: (اختصموا) أي أوقعوا الخصومة ١٥ بغاية الجهد، ولما كانت الفرق المذكورة كلها مثبتة^٩ وقد جحد أكثرهم

(١) من مد، وفي الأصل وظ وانتفسير: يشاء (٢) من التفسير، وفي النسخ: يشاء (٣) من ظ ومد والتفسير: وفي الأصل: بل يشفيك (٤) في التفسير: شاء. (٥) زيد من ظ ومد والقرآن الكريم آية ٦٧ (٦) زيد في الأصل: لوجهه، ولم تكن الزيادة في ظ ومد فحذفناها (٧-٧) تكرر ما بين الرقنين في الأصل فقط. (٨) زيد من مد (٩-٩) سقط ما بين الرقنين من ظ (١٠) بهامش ظ: أي غير معطلة للاح.

۵۵۰ / النعمة ، قال : / (في ربههم) أى الذى هم باحسانه إليهم معترفون ، لم يختصوا بسبب غيره أصلاً ، وحزة [بن - ١] عبد المطلب أسد الله و أسد رسوله و عبيدة بن الحارث و على بن أبى طالب - [الذين - ١] هم أول من برز للخاصمة بحضرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم و رضى عنهم - للكفرة من بنى عمهم : عتبة بن ربيعة و شيبة بن ربيعة و الوليد بن عتبة ، هـ في غزوة بدر - أولى الناس بهذه الآية لما روى في الصحيح ^٢ عن أبى ذر رضى الله عنه أنه كان يقسم أنها نزلت فيهم ، و لذلك قال على رضى الله عنه : أنا أول من يخو بين يدى الرحمن عز وجل يوم القيامة للخصومة - أخرجه البخارى في صحيحه ^٢ ، ^٤ و لعله رضى الله عنه أول الثلاثة ، قام لمناذرتهم النبي صلى الله عليه وسلم لذلك ، فانه كان أشبههم ١٠٠ و لما ذكر خصومتهم و شرطها ، ذكر جزاءهم عليها في فصل الامر الذى قدم ذكره ، وبدأ بالترهيب لان الإنسان إليه أحوج فقال : (فالذين كفروا) منابذين لآمر ربههم (قطعت) ^١ تقطيعاً لا يعلم كثرتة إلا الله ، بأيسر أمر من لا أمر لغيره (لهم) الآن و هيئت وإن وافقوا مراد ربههم بمخالفتهم أمره (ثياب من نار) ^١ نحيط ١٥ بهم و هى على مقاديرهم سابقة عليهم كما كانوا يسبلون الثياب في الدنيا

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد في الأصل فقط : عبد - خطأ (٣) راجع ٢/ ٦٩٤ .
 (٤) العبارة من هنا إلى « أشبههم » سائطة من ظ (هـ - هـ) من مد ، و في الأصل :
 لانه (٦ - ٦) - فقط ما بين الرفين من ظ .

تعاظما و تكبرا^١ حال كونهم ﴿ يصب ﴾ [إذا دخلوها -^٢]
 ﴿ من فوق رموسهم الحميم^٣ ﴾ أى الماء الحار حرارة لا يدري مقدارها
 إلا بالذوق - أعاذنا الله منه ، و استأنف الإخبار عنه بقوله : ﴿ يصهر ﴾
 أى يذاب ، و أصله المخالطة الشديدة ﴿ به ﴾ من شدة حرارته
 ٥ ﴿ ما فى بطونهم ﴾ من شحم و غيره ﴿ والجلود^٤ ﴾ فيكون أثره فى الباطن
 و الظاهر سواء ﴿ و لهم مقامع ﴾ جمع مقمعة بكسر ثم فتح ، و هى
 عمود حديد يضرب به الرأس و الوجه ليرد المضروب عن مراده ردا عنيفا ،
 سم نقي^٥ المجاز بقوله : ﴿ من حديده ﴾ أى يقمعون بها ﴿ كلما أرادوا ﴾
 أى كلهم فالبعض بطريق الأولى^٦ ﴿ ان يخرجوا منها ﴾ أى من تلك
 ١٠ الثياب أو [من -^٧] النار .

[و لما كان السياق لخصومة أولياء الله المتصفين بما هو مقصود
 السورة من التقوى للكفار ، المناهذين لها بكل اعتبار ، اقتضى ذلك
 - بشارة الأولياء و نذارة للاعداء - قوله زيادة على ما فى السجدة -^٨ :
 [﴿ من غم ﴾ عظيم لا يعلم قدر عظمه إلا الله ﴿ اعيدوا ﴾ -^٩] ، [كل
 ١٥ آمن ﴿ فيها ﴾ -^{١٠}] كأنهم^{١١} يضربون بلهب النار فيرفعهم حتى إذا كانوا
 فى أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا - قاله الحسن^{١٢} ،
 أو أنهم يضطربون^{١٣} فى تلك الثياب المقطعة من النار^{١٤} إلى أن يكادوا

(١) زيد فى الأصل : أى مقدرة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
 (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : يقي (٤ - ٥) سقط ما بين
 الرقيين من ظ (٥) زيد من ظ و مد (٦) سقط من ظ (٧) راجع الكشف
 ٩٠٣/٢ (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : يضربون (٩-١٠) وقع فى الأصل قيل
 * لهب النار * و الترتيب من ظ و مد .

أن ينفصلوا منها وهم في النار ثم يردون كما كانوا ، وذلك أشد في العذاب ، 'مقولا لهم : ارجعوا صاغرين [مقاسين انعمومها - ٢] (و ذوقوا عذاب الحريق) أي العذاب البالغ في الإحراق .

و لما ذكر ما لاحد الخصمين وهم الكافرون ، أتبعه ما للآخر وهم المؤمنون ، وغيز السياق بالتأكيد لمن كأنه سأل عنه ، معظما له بآيات ه الاسم العلم الجامع إيذانا بالاهتمام فقال : (ان الله) أي الذي له الأمر كله (يدخل الذين آمنوا) عبر في الإيمان بالماضي ترغيبا في المبادرة إلى إيقاعه (و عملوا الصالحات) تصديقا لإيمانهم ، [و - ٢] عبر بالماضي إشارة إلى أن من عمل الصالح انكشف له ما كان محجوبا عنه من / حسنه ٥٥١ / فأجبه ولم ينفك عنه (جنت تجري) أي دائما (من تحتها الأنهر) ١٠ أي المياه الواسعة ، أينما أردت من أرضها جرى لك نهر في مقابلة ما يجري من فوق رؤس أهل النار (يحلون فيها) في مقابلة ما يزال من بواطن الكفرة و ظواهرهم (من أساور) .

٥ ولما كان مقصودها الحث على التقوى المعلية ٤ إلى الإنعام بالفضل ، شوق إليه بأعلى ما نعرف من الحلية فقال : (من ذهب ولؤلؤ) ١٥ وقراءة نافع وعاهم ٥ بنصبه دليل على عطفه بالجر على " أساور " (و لباسهم فيها حرير) في مقابلة ثياب الكفار كما كان لباس الكفار

(١) زيد في ظ : و ذوقوا أي (٢) زيد من مد (٣) زيد من ظ و مد . (٤) زيد في الأصل : العمل ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (هـ-هـ) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : من (٧) العبارة من هنا إلى : الحلية فقال : حافظة من ظ (٨) من مد ، وفي الأصل : العلوية (٩) راجع نر المرجان ٤ / ٤٦٤ .

في الدنيا حريراً ، و لباس المؤمنين دون ذلك ، و قد ورد في الصحيحين^١
 [عن عبد الله بن الزبير عن عمر رضى الله عنهم -^٢] أن النبي صلى الله
 عليه وسلم قال : لا تلبسوا الحرير فان من لبسه في الدنيا لم يلبسه في
 الآخرة . قال ابن كثير^٣: قال عبد الله بن الزبير : و من لم يلبس الحرير
 ه في الآخرة لم يدخل الجنة ، قال الله تعالى ” و لباسهم فيها حرير “ -
 انتهى .^٤ و ذلك أن في الصحيحين^٥ و غيرهما عن عمر رضى الله عنه أن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال : إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة .
 فيوشك - لتشبهه بالكفار في لباسهم - أن يلحقه الله بهم فلا يموت
 مسلماً - والله الهادي^٦ ﴿ وهدوا ﴾ أى [بأسهل أمر -^٧] بهداية الله
 ١٠ أعم من أن يكون السبب القريب لذلك العقل وحده أو مع الرسول
 أو الكتاب أو غير ذلك [و هو -^٢] حال من ” الذين آمنوا “ ، و ما بعدها
 ختم به لئلا يطول الفصل بين الفعل و مفعوله و لتكون محاسنهم محيطة بذكر
 دخولهم الجنة إشارة إلى دوامها ﴿ الى الطيب من القول ﴾^٨ [فلم يزالوا
 في حال حسن -^٢] ﴿ وهدوا ﴾ [و بنى الفعل أيضاً للفعل إشارة إلى سهولة
 ١٥ الهداية لهم و الاتقياء منهم ، و لذلك لم يذكر العزة ، و اكتفى بذكر الحمد
 فقيل -^٢] : ﴿ الى صراط الحميد ه ﴾ الذى وفقهم السلوك ما يحمدون عليه

(١) راجع صحيح البخارى ٨٦٧/٦ و الصحيح لمسلم ١٩١/٢ و اللفظ له (٢) زيد
 من ظ و مد (٣) راجع التفسير ٢١٣/٣ (٤ - ٤) من ظ و مد ، و فى الأصل :
 فذلك (ه) نفس الإحالة التى أسلفنا الآن ذكرها (٦) العبارة من هنا إلى «دوامها»
 واقعة فى الأصل بين تقدم و تأخر (٧) زيد من مد (٨) من ظ و مد ، و فى
 الأصل : تكون (٩ - ٩) تقدم - مع «وهدوا» - فى الأصل عن «السبب القريب»
 س ١٠ ، و الترتيب من ظ و مد (١٠) من ظ ، و فى الأصل و مد : واقفهم .

فيحمدون عاقبة، فكان فعلهم حسنا كما كان قولهم حسنا، فدخلوا الجنة التي هي أشرف دار عند خير جار و حلوا فيها أشرف الحلى كما تحلوا في الدنيا بأشرف الطرائق، هذا بعد أن حازوا أشرف الذكر في الدنيا عكس حال الكفار في إقتراف ما أدخلهم ما كلما أرادوا الخروج منه أعيدوا فيه، مع ما نالهم من سوء الذكر، بأقبالهم كالبهايم على الفاني مع خسته ٥ لحضوره، و إعراضهم عن الباقي مع شرفه لغيبه.

ولما بين [ما - '] للفريقين، [و تضمن ما للفريق - '] الثاني بيان أعمالهم الدالة على صدق إيمانهم، كرر ذكر ' الفريق الأول لبيان ما يدل على استمرار كفرهم، و يؤكد بيان جزائهم، فقال: ﴿ان الذين كفروا﴾ أى أوقعوا هذا الفعل الخبيث. و لما كان المضارع ١٠ قد لا يلحظ منه زمان معين من حال أو استقبال، بل يكون المقصود منه الدلالة على مجرد الاستمرار كقولهم: فلان يعطى و يمنح، قال عاطفاً له على الماضى: ﴿ويصدون﴾ أى ويديمون الصد ﴿عن سبيل الله﴾ أى الملك الأعظم، باقتسامهم طرق مكة، و قول بعضهم لمن يمر به: خرج فينا ساحر، و آخر يقول: شاعر، و آخر: كاهن، فلا تسموا ١٥ منه، فانه يريد أن يردكم عن دينكم؛ قال بعض من أسلم: لم يزالوا بي حتى جعلت في اذني الكرسف مخافة أن أسمع شيئا من كلامهم. و كانوا يؤذون من أسلم - إلى غير ذلك من أعمالهم، و لعله إنما عبر بالمضارع رحمة منه [لهم - '] ليكون كالشرط في الكفر فيدل على

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و في الأصل: ذلك (٣) من ظ و مد، و في الأصل: عطا (٤) سقط من مد (٥) من ظ و مد، و في الأصل: الكوسف (٦) زيد من مد.

أن من ترك / الصد زال عنه الكفر وإن طال ذلك منه (و) يصدون
 عن (المسجد الحرام) أن تقام شعاره من الطواف فيه بالبيت والصلاة
 والحج والاعتبار بمن هو أهل ذلك من أوليائنا . ثم وصفه بما بين
 شديد ظلمهم في الصد عنه فقال : (الذى جعلته) 'بما لنا من العظيمة'
 ٥ (لناس) أى كلهم ؛ ثم بين جعله لهم بقوله : (سواء) (العالكف فيه)
 أى المقيم (والباد) أى الزائر له من البادية ؛ قال الرازى فى اللوامع :
 "سواء" رفع بالابتداء ، "و العالكف" خبره ، و صلح من تنكيره
 للابتداء ، لأنه كالجنس فى إفادة العموم الذى هو أحسن العهد .

ولما ذكر الكفار و دليل كفرهم بما استعطفهم ، و زاد فى
 الاستعطاف بحذف الخبر عنهم ، و دل آخر الآية على أنه يذيقهم العذاب
 الآليم ، عطف عليه ما ينفر عن وصفهم فقال : (و من يرد فيه) أى
 شيئاً من أفعال الكفار من الصد المذكور و غيره ، أى 'يقع منه إرادة
 لشيء من ذلك' (بالحاد) [أى 'مصابة تلك الإرادة و ملتبسة'
 بحجور عن الأمر المعروف - ٢] و ميل و اعوجاج . ولما كان ذلك يقع
 ١٥ على مطلق هذا المعنى ، بين المراد بقوله : (بظلم) أى فى غير موضعه ،
 و أما صد الكفار عنه فانه بحق ، لأنهم 'نجس لا ينبغي قربانهم المحال
 المقدسة' ، و كذا صد الحائض و الجنب و الخائن (نذقه) و لما كان
 المشروط نوعاً من الإلحاد ، لا الإلحاد [الكامل - ٢] ، عبر بقوله :

(١ - ١) - سقط ما بين الرقین من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل و مد : او .
 (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لانه (٥) من ظ و مد ،
 و فى الأصل : القدسية (٦) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد
 فخذناها (٧) زيد من مد .

(من عذاب اليم) ودل هذا الخبر 'عن' أراد شيئا مما فعله الكفار'
أن الخبر عن الكفار الفاعلين لما^٢ رتب هذا الجزاء على إرادته
ما^٣ قدرته .

ولما ذكر الفريقين و جزاء كل و ختمه بذكر البيت ، أتبعه التذكير
به و بحجه ، لما فيه من التذكير بالقيامة الحاملة على التقوى التي هي مقصد ه
السورة ، بما فيه من الوفاة على الله ، مع التجرد من الخيط ، و الخضوع
للرب ، و الاجتماع في المشاعر موقفا في أثر موقف ، و لما فيه من الحث
على التسنن بآيهم الأعظم إبراهيم عليه السلام فقال ، مقرعا و موجبا
لمن أشرك في نفعه ، أسست على التوحيد من ' أول يوم ، عطفنا على
قوله أول السورة " اتقوا " : (و اذ) أي و اذكروا ' إذ (بوانا) ١٠
[بما لنا من العظمة ، و لما لم يجعله سبحانه سكنه بنفسه ، قصر الفعل عن
التعدي إلى مفعوله الأول فقال - ٧] : (لابرهم) ^٨ أي قدرنا له ^٩
(مكان البيت) أي الكعبة و جعلناه له مباءة ، أي منزلا يبوء إليه أي
يرجع . لأنه - لما نودعته فيه من اللطائف - أهل لأن يرجع إليه من
فارقه و يحزن إليه ، و يشاق من باعده و ينقطع إليه بعض ذريته ، من ١٥

(١ - ١) تقدم ما بين الرقین فی الأصل علی « نذته » و الترتیب من ظ و مد ،
و موضع ما بین الرقین هنا بیاض فی الأصل (٢) بهامش ظ : اللام فی « لما رتب »
للتعدي فافهم (٣) بهامش ظ : خبر « أن الخبر عن الكفار » (٤) من مد ،
و فی الأصل : و بین ، و فی ظ : فی (٥) من ظ و مد ، و فی الأصل : اذ كر .
(٦ - ٦) سقط ما بین الرقین من ظ (٧) زيد من ظ و مد (٨ - ٨) وقع فی
الأصل قبل « لابرهم » و الترتیب من ظ و مد (٩) من ظ و مد ، و فی
الأصل : بوعد .

المائة بمعنى المنزل ، و بواه إياه و بواه له ، أى أنزله ، قال فى ترتيب المحكم :
 و قيل : هياته و مكنت له [فيه - ١] . و يدل على أن إبراهيم عليه السلام
 أول إن لليت^٢ ما فى الصحيح^٣ عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قلت :
 يا رسول الله ! أى مسجد وضع أول^٤ قال : المسجد الحرام . قلت :
 ثم أى^٥ ؟ قال : بيت المقدس . قلت : كم بينهما ؟ قال : أربعون سنة . و لما
 كان إبراهيم عليه الصلاة السلام نبيا . كان من المعلوم أن نبوته له
 لاجل العبادة ، فكان المعنى : قلنا له : أنزل أهلك^٦ ههنا و تردد إلى هذا
 المكان للعبادة . فلذلك فسرهُ بقوله : { ان لا تشرك بى شيئا } فابتدأ
 بأس العبادة و رأسها ، و عطف على النهى قوله : { و طهر يتي } عن
 ١٠ / ٥٥٣ كل ما لا يليق به من قدر / حسى و معنوى من شرك و وثن و طواف
 عريان به . كما كانت العرب تفعل { للطائفين }^٧ به .

و لما تقدم العكوف فاستغنى عن إعادته ، قال : { و القائمى }
 أى حوله تعظيما لى كما يفعل حول عرشى ، أو فى الصلاة ، [و لأن
 العكوف بالقيام أقرب إلى مقصود السورة - ٧] . { و الركع } و لما
 ١٥ كان كل من الطواف و القيام عبادة برأسه ، و لم يكن الركوع و السجود
 كذلك . عطف ذاك ، و أتبع هذا لما بينهما من كمال الاتصال ، إذ^٨

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد فى الأصل : عى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد
 فخذناها (٣) ١ / ٤٧٧ (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : اهليك (٥) زيد فى
 الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فخذناها (٦) فى ظ و مد : قيل .
 (٧) زيد من مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : اى .

لا ينفك أحدهما عن الآخر في الصلاة فقال: ﴿ السجوده ﴾ أى المصلين
 'صلاة أهل الإسلام الأكل' ﴿ و اذن في الناس ﴾ أى أعلمهم و ناد
 فيهم ﴿ بالحج ﴾ و هو قصد البيت 'على سبيل التكرار' للعبادة المخصوصة
 بالمشاعر المخصوصة ﴿ ياتوك ﴾ أى يأتوا بيتك الذى نبته لذلك ، مجيبين
 لصوتك باذنا سامعين طائعين^٢ محبتين خاشعين من أقطار الأرض كما ه
 يحيون صوت الداعى من قبلنا إذا دعاهم 'بمثل ذلك بعد الموت' ﴿ رجالا ﴾
 أى مشاة على أرجلهم ﴿ و على كل ضامر ﴾ أى هزيل من طول السير
 من الإبل لبعث الشقة^٣ و عظم المشقة^٤ .

'و لما كان الضامر يطلق على كل من الذكر و الأنثى من الجمال ،
 وكانت الأنثى أضعف النوعين ، فكان الحكم عليها بالإتيان المذكور حكما ١٠
 على الذكر الذى هو أشد بطريق الأبل ، أسند إلى ضميرها فقال معبرا
 بما يدل على التجدد و الاستمرار ، واصفا الضوامر التى أفهمتها "كل"^٥ :
 ﴿ ياتين ﴾ أى الضوامر ﴿ من كل فج ﴾ أى طريق واسع بين جبلين
 ﴿ عميق ﴾ أى بعيد منخفض بالنسبة إلى علو جباله . قال أبو حيان^٦ :
 و أصله البعد سفلا - انتهى^٧ . حفاة عراة . يتقلون من مشعر من مشاعر ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : بالمشاعرة .
 (٣) من ط و مد ، وفى الأصل : مطيعين (٤-٤) فى ظ و مد : بعد الموت بمثل
 ذلك (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : الشقة (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل :
 المسافة (٧-٧) من مد ، وفى الأصل و ظ : ثم وصف الضوامر بما يقتضى
 التجدد و الاستمرار فقال (٨) البحر المحيط ٧/٣٤٧ (٩) سقط من ظ .

الحج إلى مشعر ، و من مشهد إلى مشهد ، مجموعين بالدعوة ، خاشعين للهية ، خائفين من السطوة ، راجين للغفرة ، ثم يتفرقون إلى مواطنهم ، ويتوجهون إلى مساكنهم ، كالسائرين إلى مواقف الحشر ، يوم البعث والنشور ، المتفرقين إلى داري النعيم والجحيم ، فيا أيها المصدقون بأن خليلنا إبراهيم عليه السلام نادى بالحج فأجابته بقدرتنا كرامة له من أراد الله حجه على بعد أقطارهم ، و تنأى ديارهم ، ممن كان موجودا في ذلك الزمان ، و ممن كان في ظهور الآباء الأقرين أو الأبعدين ! صدقوا أن الداعي من قبلنا بالنفخ في الصور يحيه كل من كان على ظهرها من حفظنا له جسده . أو سلطنا عليه الأرض فزقناه حتى صار رابا ، و ما بين ذلك ، لأن الكل علينا يسير .

و لما كان الإنسان ميالا إلى الفوائد ، مستشرفا إلى جميل العوائد ، علل الإتيان بما يرغبه ميحا من فضله ما يقصده من أمر المعاش فقال : ﴿ ليشهدوا ﴾ أى يحضروا حضورا تاما ﴿ منافع لهم ﴾ أى [لا -] للعبود ، دينية ، و دنيوية ، فانه كما جعل سبحانه تلك المواطن ماحية للذنوب ، جالبة للقلوب ، جعلها جالبة للفوائد ، جارية على أحسن العوائد ، سالمة للفقير ، جابرة للكسر . و لما كانت المنافع لا تطيب و تشمر إلا بالتقوى ، و كان الحامل على التقوى الذكر ، قال : ﴿ ويذكروا اسم الله ﴾ أى الجامع لجميع الكمالات / بالتكبير و غيره عند الذبح و غيره ، إعلاما

/ ٥٥٤

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : من .
(٣) ريد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : دينه (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : الكمال .

بأنه المقصود الذى يتبعه جميع المقاصد 'إلا ما جمعهم على ما فيه من تلك الأرض الغراء و إلا ما كن الغبراء إلا هو بقدرته الكاملة، وقوته الشاملة'.
 لا اسم شيء من الأصنام كما كانت الجاهلية تفعل (فى أيام معلومت) [أى علم - ٢] أنها أول عشر فى ذى الحجة الذى يوافق اسمه مسماه،
 لا ما سموه به و مسماه غيره على ما حكم به النسيء، وفى هذا إشارة إلى ٥
 أن المراد به الإكثار إذ مطلق الذكر مندوب إليه فى كل وقت. وفى
 التعبير بالعلم إشارة إلى وجوب استفراغ الجهد بعد القطع بأن الشهر
 ذو الحجة اسما ومسمى فى تحرير أوله، وأما أيام التشريق فأنها لما كانت
 مبنية على العلم بأمر الشهر الذى أمر به هنا، فأنتج العلم بيوم العيد ٢،
 لم يحتاج فى أمرها إلى غير العدد فلذا 'عبر عنها به دون العلم'. ١٠
 ولما كانت النعم أجل أموالهم، قال تعال مرغباً لهم ومرهباً:
 (على) 'أى مبركين بذكره وحامدين على' (ما رزقهم) ولوشاء محقه
 (من بهيمة) ولما كانت البهيمة مهمة فى كل ذات أربع فى البر والبحر،
 بينها بقوله: (الانعام ج) من الإبل والقر [والغنم - ٣] بالتكبير عند رؤيته،
 ثم عند ذبحه، وفيه حث على التقرب بالضحايا والهدايا، ولذلك انتفت إلى ١٥
 الإقبال عليهم، وتركيب 'نعم' يدور على الاستعجام والخفاء والانتقال
 وعدم التمييز، وتركيب 'نعم' على الرفاهية والحفض والدعة ١.

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد،
 وفى الأصل: العلم (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: فكذا (٥) زيد من ظ
 و مد.

ولما ذكر سبحانه العبادة فحاطب بها لإبراهيم عليه الصلاة والسلام،
 تنبيها على أنها لعظم المعبود لا يقوم بها على وجهها إلا الخالص، أقبل
 على العابدين كلهم بالإذن في [ما يسرهم من منحة -^١] التمتع، تنبيها
 على النعمة، حثا على الشكر، فقال مينا عما اندرج في ذلك من الذبح:
 ٥ ﴿ فكلوا منها ﴾ أي إن شئتم إذا تطوعتم^٢ بها ولا تمتنعوا كأهل الجاهلية،
 فالأكل من المتطوع به لا يخرج منه عن كونه قربانا في^٣ هذه الحنيفة السمحة
 منه على أهلها، تشريفا لنبيها صلى الله عليه وسلم، والأكل من الواجب
 لا يجوز لمن وجب عليه، لأنه إذا أكل منه لم يكن مخرجاً بل وجب عليه
 بكاله ﴿ واطعموا البائس ﴾ أي [الذي -^٤] اشتدت حاجته، من يش
 ١٠ [كسمع -^٥] "إذا ساءت حاله وإفقر"، وبين أنه من ذلك ولا من
 بؤس - ككرم الذي معناه: اشتد في الحرب، بقوله: ﴿ الفقير ﴾
 وأكد هذا الحث ونفى عنه الريب بعوده إلى الأسلوب الأول في قوله:
 ﴿ ثم ليقضوا ﴾ أي يقطعوا وينهوا يوم النحر بعد طول الإحرام
 ﴿ تفثهم ﴾ أي شعثهم بالغسل وقص الأظفار والشارب وحلق العانة
 ١٥ ونحو ذلك ﴿ وايوفوا نذرهم ﴾ أخذاً من الفراغ من الأمر والخروج
 من كل واجب ﴿ وليطوقوا ﴾ فيكون ذلك آخر أعمالهم، وحث
 (١) زيد من مد (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: تطوعتم (٣) من مد،
 وفي الأصل: من، و العبارة من هنا بما فيه هذه الكلمة إلى « وسلم » ساقطة
 من ظ (٤) زيد من ظ و مد (هـ-هـ) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) العبارة
 من هنا إلى « الإسكان » ساقطة من ظ .

على الإكثار منه و الاجتهاد فيه بصيغة التفعّل ، و على الإخلاص بالإخفاء بحسب الطاقة بالإدغام ، و اللام إن كسرت - كما هي ' قراءة أبي عمرو و ابن عامر و ورش [عن نافع و قبل عن ابن كثير و رويس - ٢] عن يعقوب في " ليقضوا ٢ " و قراءة ابن ذكوان عن ابن عامر وحده في " ليوفوا و ليطوفوا ١ " - يصح أن تكون للعلة عطفًا على " ليشهدوا " ٥

و يكون / عطفها بأداة التراخي لطول المدة على ما هو مفهومها مع الإشارة ٥٥٥ / إلى التعظيم في الرتبة ، و يصح أن تكون للأمر كقراءة الباقيين بالإسكان، و قوله : ﴿ بالبيت ﴾ أي من ورائه ، ليعمّ الحجر ، ٦ و متى نقص عن إكمال الدوران حوله أدنى جزء لم يصح لأنه لم يوقع ٧ مسمى الطواف ، فلا تعلق بالباء في التبعض ؛ و وصفه [بقوله - ٨] : ﴿ العتيق ٥ ﴾ ١٠ [إشارة إلى استحقاقه للتعظيم بالقدم و العتق من كل سوء ، ثم أشار إلى تعظيم الحج و أفعاله هذه بقوله - ٨] : ﴿ ذلك ق ﴾ أي الأمر الجليل العظيم الكبير ١١ المنافع دنیا و أخرى ذلك . و لما كان التقدير : فمن فعله سعد ، و من اتهمك شيئاً منه شقي ، عطف عليه قوله : ﴿ و من يعظم ﴾ ١٢ أي بغاية جهده ١٣ ﴿ حرمت الله ﴾ [أي ذى الجلال و الإكرام - ٢] كلها من هذا ١٥ و من غيره ، و هي الأمور التي جعلها له فحث على فعلها أو تركها ﴿ فهو ﴾

- (١) من مد ، و في الأصل : هو في (٢) زيد من مد (٣) راجع نثر المرجان ٤/٤٧١ .
 (٤) راجع نثر المرجان ٤/٤٧٢ (٥) بين سطرى ظ خبر « قوله » (٦) العبارة من هنا إلى « التبعض » يساقطه من ظ (٧) من مد ، و في الأصل : لم يرفع (٨) زيد من ظ و مد (٩) وقع في الأصل بعد « بالبيت » و الترتيب من ظ و مد .
 (١٠) في مد : الكثير (١١-١٢) سقط ما بين الرقيين من ظ .

نظم الدرر (سورة الحج ٢٢ : ٣٠ و ٣١) ج - ١٣

أى التعظيم الحامل له على امثال الامر فيها على وجهه واجتتاب المنهى
عنه كالطواف عريانا و الذبح بذكر اسم غير الله (خير) كأن
(له عند ربه^١) الذى أسدى [إليه -^٢] كل ما هو فيه من النعم فوجب
عليه شكره فان ذلك يدل على تقوى قلبه ، لأن تعظيمها من تقوى
القلوب ، و تعظيمها لجلال الله ،^٣ و انتهاكها شر عليه عند ربه^٤ .

و لما كان التقدير : فقد حرمت عليكم أشياء أن تفعلوها ، و أشياء
أن تتركوها ، عطف عليه قوله يانا لأن الإحرام لم يؤثر فيها كما أثر
فى الصيد : (و احلت لكم الانعام) و هى الإبل و البقر و الغنم كلها
(الا ما يتلى)^٥ أى على سبيل التجديد مستمرا^٦ (عليكم) تحريمه من
الميتة و الدم و ما أهل لغير الله به ، خلافا للكفار فى افترائهم على الله
بالتعبد بتحريم الوصيلة و البحيرة و السائبة و الحامى و إحلال الميتة و الدم .
و لما أفهم ذلك حل السواحب و ما معها و تحريم المذبوح للأضباب ،
و كان سبب ذلك كله الاوثان ، سبب عنه قوله : (فاجتنبوا) أى بغاية
الجهد اقتداءً بالآب الأعظم إبراهيم عليه الصلاة و السلام الذى تقدم
الإيصاء له بمثل ذلك عند جعل^٧ البيت له مباءة^٨ (الرجس) أى القذر
الذى من حقه أن يحتجب من غير أمر ؛ ثم بينه و ميزه بقوله :
(من الاوثان)^٩ أى القذر الذى من حقه أن يحتجب من غير أمر^{١٠} ،
فانه إذا اجتنب السبب اجتنب المسبب .

(١) سقط من ظ (٢) زيد من مد (٣-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) من
ظ و مد ، و فى الأصل : فعل (٥) فى مد : مثابة .

و لما

ولما كان ذلك كله [من - ١] الزور ، أتبعه النهى عن جميع الزور ،
و زاد فى تبشيعه و تظليظه إذ عدله - كما قال النبي صلى الله عليه و سلم -
بالشرك فقال : ﴿ و اجتنبوا ﴾ ٢ أى بكل اعتبار ٣ ﴿ قول الزور ٤ ﴾ أى
جميعه ، و هو الانحراف عن الدليل كالشرك المؤدى إلى لزوم عجز الإله
و تحريم ما لم ينزل الله به سلطانا من السائبة و ما معها ، و تحليل الميتة ٥
و نحوها مما قام الدليل [السمعى على تحريمه كما أن الحنف الميل مع
الدليل - ١] ، و لذلك أتبعه قوله : ﴿ حنفاء لله ﴾ الذى له الكمال
كله ، فلا ميل فى شيء من فعله ، و إنما كانا كذلك مع اجتماعهما فى
مطلق الميل ، لأن الزور تدور مادته على القوة و الوعورة ، و الحنف -
كما مضى فى البقرة - على الرقة و السهولة ، فكان ذو الزور معرضا عن ١٠
الدليل بما فيه من الكثافة و الحنيفة مقبلا على الدليل بما له من اللطافة .
ولما أفهم ذلك التوحيد ، أكد ٥ بقوله : ﴿ غير مشركين به ٦ ﴾
أى شيئا من إشراك ، بل ٦ مخلصين له الدين ، و دل على عظمة التوحيد
و علوه ، و فظاعة الشرك و سفوله ، بقوله زاجرا عنه عاطفا على ما
تقديره : فمن امثل ذلك أعلاه اعتداله إلى الرفيق الأعلى : / ﴿ و من يشرك ﴾ ١٥ / ٥٥٦
أى يوقع شيئا من الشرك ٧ ﴿ بالله ﴾ ٨ [١ - أى ٨ الذى له العظمة كلها ، لشيء ٩]

(١) زيد من ظ و مد (٢) راجع روح المعانى ٤٣٢/٥ (٣-٣) سقط ما بين الرقين
من ظ (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : فهم (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل
أنهم (٦) سقط من ظ (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٨) سقط من مد .
(٩) فى ظ : شيئا .

من الأشياء في وقت من الأوقات ﴿ فكانما خر من السماء ﴾
 لعل ما كان فيه من أوج التوحيد و سفول ما انحط إليه من حضيض
 الإشراك .

و لما كان الساقط من هذا العلو متقطعا لا محالة إما بسباع الطير
 ه أو بالوقوع على جلد ، عبر عن ذلك بقوله : ﴿ فتخطفه الطير ﴾ أى
 'قطعا بينها' ، وهو نازل في الهواء [قبل أن يصل إلى الأرض - ٢]
 ٣ ﴿ او تهوى به الريح ﴾ أى حيث لم يجد في الهواء ما يهلكه ﴿ في مكان ﴾
 'من الأرض' ﴿ محقق * ﴾ أى بعيد في السفول ، 'فيتقطع حال وصوله
 إلى الأرض بقوة السقطة و شدة الضغطة لبعد المحل الذى خر منه و زل
 ١٠ عنه ، فالآية من الاحتباك : خطف الطير الملزوم للتقطع أولا دال على
 حذف التقطع ثانيا ، و المكان السحيق الملزوم لبلوغ الأرض ثانيا دليل
 على حذف ضده أولا ؛ ثم عظم ما تقدم من التوحيد و ما هو مسبب عنه
 بالإشارة بأداة البعد فقال : ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العظيم الكبير [ذلك - ٣] ،
 فن راعاه فاز ، و من حاد عنه خاب ؛ ثم عطف عليه ما هو أعم من
 ١٥ هذا المقدر فقال : ﴿ و من ﴾ 'و يجوز أن يكون حالا ، أى أشير إلى
 الأمر العظيم و الحال أنه من ' ﴿ يعظم شعائر الله ﴾ أى معالم دين الملك
 (١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) العبارة من هنا
 إلى « في السفول » وقعت في الأصل و ظ بعد : حذف ضده أولا ، س ١٢ ،
 و الترتيب من مد (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : عطف على .

الاعظم التي^١ ندب إليها وأمر بالقيام بها في الحج، جمع شعيرة وهي المنسك والعلامة في الحج، والشعيرة أيضا: البدنة المهداة إلى البيت الحرام، قال البغوي^٢: وأصلها من الإشعار وهو إعلامها ليعرف أنها هدى - انتهى - ولعله مأخوذ من الشعر لأنها إذا جرحت^٣ قطع شيء من شعرها أو أزيل عن محل الجرح، فيكون من الإزالة، وتعظيمها ه استحسانها، فتعظيمها خير له لدلالته على تقوى قلبه (فانها) أى تعظيمها (من) أى مبتدئ من (تقوى القلوب ه) التى من شأنها الشعور بما هو أهل لأن يعظم، فمعظمها متق، وقد علم بما ذكرته أنه حذف من هذه جملة الخير [و-^٤] من قوله "ومن يعظم حرمات الله" سبب كونه خيرا له، وهو التقوى، ودل على إرادته هناك بذكره هنا، [وحذف ١٠ هنا كون التعظيم خيرا، ودل عليه بذكره هناك -^٥]، فقد ذكر في كل جملة ما دل على ما حذف^٦ من الأخرى كما تقدم في "قد كان لكم آية في قتين" في آل عمران، وأنه يسمى الاحتباك، وتفسيرى للشعار بما ذكرته من الأمر العام جائز الإرادة، ويكون إعادة الضمير على نوع منه^٧ نوعا من الاستخدام، فقلوه: (لكم فيها) معناه^٨: البدن ١٥ أو النعم المهداة أو مطلقا (منافع) بالدر والنسل والظهر ونحوه،

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: الذى (٢) راجع المعالم على هامش الباب ١٤/هـ.
 (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: خرجت (٤) زيد من ظ ومد (هـ) من ظ ومد،
 وفي الأصل: خذ - كذا (٦) بين سطرى ظ: وهو البدن (٧) زيد في ظ: أى.

فكلما كانت سميحة حسنة كانت منافعها أكثر دينا و دينا ﴿ الى اجل مسمى ﴾
 و هو الموت الذى قدرناه على كل نفس ، أو النحر إن كانت مهداة ،
 أو غير ذلك ، و هذا تعليل للجملة التى قبله ، فان المنافع 'حاملة لذوى'
 البصار/ على التفكير فيها لاسيما مع تفاوتها ، و التفكير فيها موصل إلى
 ٥ / ٥٥٧ لتقوى بمعرفة أنها من الله ، و أنه قادر على ما يريد ، [و أنه - ٢]
 لا شريك له .

و لما كانت هذه المنافع دنيوية ، و كانت منفعة نحرها إذا أهديت
 دينية ، أشار إلى تعظيم الثأى بأداة التراخي فقال : ﴿ ثم محلها ﴾ أى
 وقت حلول نحرها بانتهاءكم بها ﴿ الى البيت العتيق ﴾ أى إلى فائه و هو
 ١٠ الحرم كما قال تعالى "هديا بلغ الكعبة" .

و لما كان التقدير : جعل لكم سبحانه هذه الأشياء مناسك ، عطف
 عليه قوله : ﴿ و لكل أمة ﴾ أى من الأمم السالفة و غيرها ﴿ جعلنا ﴾
 بعظمتنا التى لا يصح أن تخالف ﴿ منسكا ﴾ أى عبادة أو موضع عبادة
 أو قربانا ، فانه يكون مصدر نسك - كنصر و كرم - نسكا [و - ٢]
 ١٥ منسكا ، و يكون بمعنى الموضع الذى يعبد فيه ، و الذى يذبح فيه النسك
 و هو الهدى ، و قال ابن كثير : و لم يزل ذبح المناسك و إراقة الدماء

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل : حاصلة الذى (٢) فى مد : الفكر .
 (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : نحوها (٥) من ظ
 و مد ، و فى الأصل : الامور (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : أى (٧) راجع

تفسيره ٢٢١/٣ .

على اسم الله مشرّعا في جميع الملل . ثم أتبع هذا الجعل علته بيانا لأنه ليس مقصودا في نفسه فقال : ﴿ لذكروا ﴾ ^١ ولما كان الدين سهلا سمحا ذا يسر ، رضى بالدخول فيه بالظاهر فقال : ﴿ اسم الله ﴾ أى الملك الأعلى وحده ، على ذبائحهم وقرابينهم وعبادتهم كلها ، لأنه الرازق لهم وحده ؛ ثم علل الذكر بالنعمة تنبيها على التفكير فيها فقال : هـ ﴿ على ما رزقهم ﴾ فوجب شكره [به - ^٢] عليهم ﴿ من بهيمة الانعام ﴾ . ولما علم أن الشارع لجميع الشرائع الحققة واحد ، وأن علة ^٣ نصبه لها ذكره وحده ، تسبب عنه قوله : ﴿ فالتكلم ﴾ أى الذى شرع هذه المناسك كلها . ^٤ ولما كان الإله ما يحق له الإلهية بما تقرر من أوصافه ، لا ما سمي إلها ، قال : ﴿ اله ﴾ ^٥ ووصفه بقوله : ﴿ واحد ﴾ [أى - ^٦] ١٠ وإن اختلفت فروع شرائعه ونسخ بعضها بعضا ، ولو اقتصر على " واحد " لربما قال متعنتهم : إن المراد اقتصارنا على واحد بما نعبده . والتفت إلى الخطاب لأنه أصرح ^٧ وأجدر بالقبول . ولما ثبت ^٨ كونه واحدا ، وجب اختصاصه بالعبادة ، فلذا قال :

﴿ فله ﴾ أى وحده ﴿ اسلموا ﴾ أى انقادوا بجميع ^٩ ظواهركم وبواطنكم ^{١٠} ١٥

(١ - ١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : عليه (٤) العبارة من هنا إلى « إلها قال » ساقطة من ظ (٥) من مد ، وفي الأصل : تحقق (٦) العبارة من هنا إلى « بقوله » ساقطة من ظ (٧) من مد ، وفي الأصل : وصله (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : أثبت (٩) من ظ و مد ، وفي الأصل : واحد (١٠ - ١٠٠) من ظ و مد ، وفي الأصل : ظواهرهم وبواطنهم .

نظم الدرر (سورة الحج ٢٢ : ٢٤ - ٢٦) ج - ١٣

في كل ما أمر به أو نهى عنه ناسخا كان أو لا وإن لم تفهموا معناه
كغالب مناسك الحج .

ولما أمر بالإسلام من يحتاج إلى ذلك لإيجادا أو تكيلا أو إدامة،
وكان الإسلام هو سهولة الانقياد من غير كبر ولا شناعة، وكان
منشأ الطمأنينة^١ والتواضع للذين هما^٢ أنسب شيء لحال^٣ الحاج
المتجرد من الخيط المكشوف الرأس الطالب لوضع أوزاره،

وتخفيف آصاره، لستر عوارده، أقبل سبحانه وتعالى على الرأس من^٤
المأمورين، الحائز لما يمكن المخلوقين أن يصلوا إليه من رتب الكمال،
وخلال الجمال والجلال، إشارة إلى أنه لا يلحقه أحد في ذلك فقال:
(وبشر المحبتين^٥) أى المتواضعين، المنكسرين، من الحبث - الارض

/ ٥٥٨

١٠ المنخفضة الصالحة الاستطراق وغيره من المنافع، ثم بين علاماتهم فقال:

(الذين إذا ذكر الله) أى الذى له الجلال والجمال^٦ (وجلّت)
أى خافت خوفا مزعجا (قلوبهم) .

ولما كان في ذكر الحج، وكان ذلك مظنة لكثرة الخلطة الموجبة

لكثرة الانكاد [و-^٧] لاسيما وقد كان أكثر المخالطين مشركين،

١٥ لأن السورة مكية، قال [عاطفا غير مُتَّبِع، إيدانا بالرسوخ في

الأوصاف-^٨]: (والصبرين)^٩ الذين صار الصبر عادتهم^{١٠} (على ما أصابهم)

(١) في الأصل بياض ملائنه من ظ و مد (٢) زيد في الأصل: من، ولم تكن

الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: بحال (٤) من

ظ و مد، وفي الأصل: على (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: الكمال (٦) زيد

من ظ و مد (٧) زيد من مد (٨-٨) سقط ما بين الرقنين من ظ .

كائنا

(١٢)

٤٨

'كأثما ما كان' .

ولما كان ذلك شاغلا عن الصلاة ، قال : (و المقيمي الصلوة ^١)
 أى وإن حصل لهم من المشاق بأفعال الحج وغيره ما عسى أن يحصل ،
 [ولذلك عبر بالوصف دون الفعل إشارة إلى أنه لا يقيمها على الوجه
 المشروع مع ذلك المشاق و الشواغل إلا الأراسخ في حبها ، فهم - لا ه
 تمكن من حبها في قلوبهم و الخوف من الغفلة عنها - كأنهم دائما
 في صلاة - ^٢] .

ولما كان ما يحصل فيه من زيادة النفقة ربما كان مقعدا عنه ،
 رغب فيه بقوله : (و عما رزقهم) فهم ^٣ لكونه نعمة منا لا ييخلون به ،
 و لأجل عظمتنا يحسنون ظن الخلف (ينفقون ^٤) أى يحددون بذله ١٠
 على الاستمرار ، بالهدايا التى يغالون فى أثمانها و غير ذلك ، إحسانا إلى
 خلق الله ، أمثالا لأمره كالخبث الباذل لما يودعه تعالى فيه من
 الماء و المرعى .

ولما قدم سبحانه الحث على التقرب بالانعام كلها ، وكانت الإبل
 أعظمها خلقا ، و أجلها فى أنفسهم أمرا ، خصها بالذكر فى سياق تكون ١٥
 فيه مذكورة مرتين 'معبرا بالاسم الدال على عظمتها ، أو أنه خصها لأنه
 خص العرب بها دون الأمم الماضية ' ، فقال عاطفا على قوله " جعلنا
 منسكا " ، أو يكون ^٥ التقدير - و الله أعلم : فأشركناكم مع الأمم الماضية

(١ - ١) تقدم ما بين الرقین فی الأصل علی « و الصبرین » و الترتیب من مد ،
 و سقط من ظ (٢) زيد من مد (٣) سقط من مد (٤) من مد ، و فی الأصل
 و ظ : كالجلب (٥ - ٥) سقط ما بین الرقین من مد (٦ - ٦) فی ظ : منسكا فكان .

في البقر والغنم (والبذن) أى الإبل [أى المعروفة بعظم الإبدان -^١]
 (جعلناها) أى بعظمتنا ، وزاد في التذكير بالقطعة بذكر الاسم العلم
 فقال: (لكم من شعائر الله) أى أعلام دين الملك الأعظم ومناسكه
 التى شرعها لكم وشرع فيها الإشعار ، وهو أن يطن بحديده في
 سنامها ، تميزا لما يكون منها هديا عن غيره .

ولما نبه^٢ على ما فيها من النفع الدنيى ، نبه على ما هو أعم
 منه فقال: (لكم فيها خير ط) بالتسخير الذى هو من منافع الدنيا ،
 والتقريب الذى هو من منافع الآخرة ؛ روى الترمذى^٣ وحسنه وابن
 ماجه^٤ عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ما
 عمل ابن آدم يوم النحر عملا أحب إلى الله من هراقة الدم ، وأنه
 ليؤتى يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها ، وأن الدم ليقع من الله
 بمكان قبل أن يقع من^٥ الأرض فطيبوا^٦ بها نفسا . والدارقطنى^٧ فى السنن
 عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 ما أتفتت الورق^٨ فى شئ أفضل من نحره فى يوم عيد .

ولما ذكر ما فيها ، سبب عنه الشكر فقال : (فاذكروا اسم الله)
 أى الذى لا سى له (عليها) أى على ذبحها بالتكبير ، حال كونها

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : كان (٣) ١ / ١٩١ .
 (٤) ٢٣٢ (٥) فى مسد : الى ، وساقط من سنن ابن ماجه (٦) من ظ و مسد
 والجامع والسنن . وفى الأصل : وطيبوا (٧) والحديث أورده ابن كثير عن
 الدارقطنى فى تفسيره ٢٢٢ / ٣ (٨) من ظ و مد والتفسير ، وفى الأصل : الرزق .
 صراف

(صوآف ج) قياما معلقة^١ الايدى اليسرى، [فلولا تعظيمه بامثال شرائعه،
ما شرع لكم ذبحها و سلطكم عليها مع أنها أعظم منكم جرما و أقوى -^٢
(فاذا وجبت جنوبها) أى سقطت سقوطا بردت به بزوال أرواحها
فلا حركة لها أصلا، قال ابن كثير^٣ : و قد جاء فى حديث مرفوع
« ولا تسجلوا النفوس أن تزحق » و قد رواه الثورى فى جامعه عن أيوب ه
عن يحيى بن أبى كثير عن فراضه / الحنفى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه
٥٥٩ / أنه قال ذلك .

ولما كان ربما ظن أنه يحرم الأكل منها للأمر بتفريبها لله
تعالى، قال نافيا لذلك : (فكلوا منها) إذا كانت تطوعا إن شئتم
الأكل، فان ذلك لا يخرجها عن كونها قريبا (و اطعموا القانع) أى ١٠
المتعرض للسؤال بخضوع و انكسار (والمعتر) أى السائل، و قيل :
بالعكس، و هو قول الشافعى رحمه الله، [قال -^٢] فى كتاب اختلاف
الحديث : و القانع هو السائل، و المعتر هو الزائر و المار، قال الرازى
فى اللوامع : و أصله فى اللغة أن القاف و النون و العين تدل على الإقبال
على الشئ، ثم تختلف معانيه مع اتفاق القياس، فالقانع : السائل، لإقباله ١٥
على من يسأله، و القانع : الراضى الذى لا يسأل . كأنه مقبل على الشئ
الذى هو راض به .

ولما كان تسخيرها لمثل هذا القتل على هذه الكيفية مع قوتها

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : معلقة (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى تفسيره

و كبرها أمرا باهرا للعقل عند التأمل ، به عليه بالتحريك السؤال عما
هو أعظم منه فقال: ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا التسخير العظيم المقدار
﴿ سخرنهما ﴾ بعظمتنا التى لولاهما ما كان ذلك ﴿ لكم ﴾ وذلكنا ليلا
ونهارا مع عظمها^١ وقوتها ، ولو شغنا جعلناها وحشية ﴿ لعلمكم تشكرون^٢ ﴾
• أى لتأملوا ذلك فتعرفوا أنه ما قادها لكم إلا الله فيكون [حاكم^٣]
حال من يرجى شكره ، فتوقعوا الشكر بأن لا تحرموا منها إلا ما حرم ،
ولا تحلوا إلا ما أحل ، و تشهدوا منها ما حث^٤ على إهدائه ، و تصرفوا
فيها بحسب ما أمركم .

ولما حث على التقرب بها مذكورا اسمه عليها ، و كان ذلك من
١٠ مكارم الأخلاق ، و كان أكثرهم يفعله^٥ ، و كانوا ينضحون البيت ونحوه
بدماء قرابينهم ، و يشرحون اللحم ، و يضعونه حوله ، زاعمين أن ذلك
قربة ، و قد كان بعض ذلك شرعا قديما ، به سبحانه على نسخ ذلك
بأن به على أن المقصود منه روحه لا صورته فقال^٦ : ﴿ لن ينال ﴾ أى
يصيب^٧ و يبلغ و يدرك .

١٥ ولما كان السياق للحث على التقرب له سبحانه ، كان تقديم^٨
اسمه على الفاعل أنسب للاسراع^٩ بنى ما قد يتوهم من لحاق تقع أضر ،
(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : عظمتها (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ
و مد ، و فى الأصل : حدث (٤) فى ظ : يفعل ذلك (٥) سقط من ظ .
(٦) العبارة من هنا إلى « بكل اعتبار » ساقطة من ظ (٧) من مد ، و فى
الأصل : يقدم (٨) من مد ، و فى الأصل : الاسراع .

فقال معبرا بالاسم العلم الذى حمى عن الشركة بكل اعتبار : (الله)
 أى رضا الملك الذى له صفات الكمال فلا يلحقه نفع ولا ضرر (لحومها)
 المأكولة (ولا دماؤها) المهرقة (ولكن يناله التقوى) [أى عمل القلب
 وهى الصفة المقصود بها أن تبقى صاحبها مخطئ الله، وهى التى استولت
 على قلبه حتى حملته على امثال الآوارم التى هى نهايات لذلك -^١]، هـ
 الكاتبة (منكم^٢) الحاملة على التقرب التى بها يكون له روح القبول،
 المحصلة للأموال؛ قال الرازى فى اللوامع : وهذا دليل على أن النية الخالصة
 خير من الأعمال الموظفة - انتهى . فإذا ناله سبحانه نية قبل العمل
 فلتقى اللقمة «فرباها كما يربى أحدهم فلوه حتى تكون مثل الجبل،
 «ووقع الدم منه بمكان، فالتقى لصورة لا روح لها [و-^٣] الإنبات ١٠
 لذات الروح، [فقد تفيد النية من غير عمل كما قال صلى الله عليه
 وسلم فى غزوة تبوك ما معناه أن بالمدينة رجالا ما نزلنا منزلا ولا قطعنا
 واديا إلا كانوا فيه حبسهم العذر، ولا يفيد العمل بغير نية، والنية هى
 التى تفيد الجزاء سرمد -^٤] - والله الموفق؛ ثم كرر التنبيه على عظيم
 تسخيرها منبها على ما أوجب عليهم به فقال : / (كذلك) [أى التسخير ١٥ / ٥٦٠
 العظيم -^٥] (سخرها) [أى الله الجامع لصفات الكمال -^٦] (لكم)
 بعظمته وغناه عنكم (لتكبروا) .

ولما ذكر التكبير، صورته بالاسم الأعظم فقال : (الله) وضمن

التكبير فعل^٢ الشكر، فكان التقدير^٣ : شاكرين له (على ما هدنكم^٤)

(١) زيد ما بين الحاجزين من مد (٢) زيد من ظ ومد (٣) من مد، وفى
 الأصل و ظ : بمعنى (٤-٥) فى ظ : «فقال : على، لى» .

أى على هدايتكم [له - ١] و^١ الأمور العظيمة التى هداكم إليها .
 ٢ ولما كان الدين لا يقوم إلا بالندارة والبشارة ، وكان السياق
 - لاجل ما تقدم من شعائر الحج ، و معالم الحج و الثج - بالبشارة ألقى ،
 ذكرها مشيراً إلى الندارة بواو العطف ليؤذن أن التقدير^٢ : فأنذر^٢ أيها
 ٥ الداعى المسيئين : ﴿ وبشر المحسنين ٥ ﴾ أى^٣ الذين أوجدوا الإحسان^٤
 لأفعالهم صورة و معنى .

و لما ذكر سبحانه الحج المذكور^٥ للهاجرين بأوطانهم^٦ بعد المخاصمة
 التى أنزلت فى غزوة بدر ، و ذكر ما يفعل فيه من القربات ، عظم اشتياق
 النفوس إلى ذلك و تذكرت علو المشركين الذين يصدون عن سبيل الله
 ١٠ و المسجد الحرام و ظهورهم و منعهم لمن أراد هذه الأفعال ، على هذه
 الأوصاف الخالصة ، و الأحوال الصالحة ، و فتنهم له ، فأجابها سبحانه
 عن هذا السؤال بقوله : ﴿ ان الله ﴾ [أى الذى لا كفوء له - ٩]
 ﴿ يدفع عن الذين آمنوا^٧ ﴾ [٩ - لأنهم بدخولهم فى الإيمان لم يكونوا
 مبالغين فى الخيانة ولا فى الكفر فهو يحبهم ، فكيف بالمحسنين الذين
 ١٥ ختمت بهم الآية السالفة ، أى فيظهرهم على عدوهم^٨ هذا فى قراءة ابن كثير - ١]

(١) زيد ما بين الحাজرين من مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : او .
 (٣ - ٢) موضع ما بين الرقيين فى ظ : و لما كان التقدير : فاشكروا الله على ما أنعم
 عليكم و هداكم او (٤) زيد فى الأصل : به ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
 (٥) زيد فى ظ : عطف عليه قوله (٦ - ٦) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) من
 مد ، و فى الأصل و ظ : المذكور (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : او طانهم .
 (٩) زيد من ظ و مد .

['وَأَبَى عَمْرُو وَيَقُوبُ بِغَيْرِ أَلْفٍ، وَفِي قِرَاءَةِ الْبَاقِيْنَ مِبَالِغَةً بِإِخْرَاجِ الْفِعْلِ عَلَى الْمِغَالَةِ'، فَكَأَنَّهُ قَالَ: بَشَرَمُ أَنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنْهُمْ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى أَظْهَرَ الْأَوْصَافَ لِفَهْمِ أَنَّهَا مَنَاطُ الْأَحْكَامِ وَالتَّعْبِيرِ، فَغَيْرُ بِالْفِعْلِ الْمَاضِي تَرْغِيًا، أَيْ كُلِّ مَنْ أَوْقَعَ هَذَا الْوَصْفَ فِي الْخَارِجِ إِيقَاعًا مَا دَفَعَ عَنْهُ؛ ثُمَّ عَلَّلَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ - [٢]: (إِنْ اللَّهَ) أَيْ 'الَّذِي لَهُ صِفَاتٌ هِ الْكَمَالِ (لَا يَجِبُ) أَيْ لَا يَكْرَهُ كَمَا يَفْعَلُ الْمَحَبُّ (كُلِّ خَوَانٍ) فِي أَمَاتِهِ، مَانِعٌ لِعِبَادِهِ مِنْ بَيْتِهِ الَّذِي هُوَ لِلنَّاسِ سِوَاهِ الْعَاكِفِ فِيهِ وَالْبَادِي (كَفُورٍ) لِنَعْمَتِهِ بِالتَّقَرُّبِ' إِلَى غَيْرِهِ، فَهُوَ يَفْعَلُ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ صُورَةً لَيْسَ فِيهَا مَعْنَى أَصْلًا، لَا يَصَحُّهَا بِذِكْرِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَلَا يَحْمِلُهَا بِالْإِحْسَانِ، وَآتَى بِالصَّفَتَيْنِ عَلَى صِيْغَةِ الْمِبَالِغَةِ لِأَنَّ قَائِصَ الْإِنْسَانِ لَا يُمْكِنُهُ ١٠ أَنْ يَفْعَلَهَا خَالِيَةً عَنِ الْمِبَالِغَةِ، لِأَنَّهُ يَخُونُ نَفْسَهُ بِالْعَزْمِ أَوَّلًا، وَالْفِعْلَ ثَانِيًا، وَغَيْرِهِ مِنَ الْخَلْقِ ثَالِثًا، وَكَذَا يَخُونُ رَبَّهُ سَبْحَانَهُ [وَهَكَذَا فِي الْكُفْرِ وَغَيْرِهِ - ٢]، وَلَمَّا كَانَتِ الْخِيَانَةُ مُنْبِغًا ١١ النَّقَائِصِ، كَانَتِ الْمِبَالِغَةُ فِيهَا أَكْثَرَ.

وَلَمَّا كَانَ كَأَنَّهُ [قَدْ - ٢] قِيلَ: كَيْفَ تَكُونُ الْمُدَافَعَةُ ١٢ وَبِمَنْ؟ ١٥

(١ - ١) سَقَطَ مَا بَيْنَ الرَّقِيقَيْنِ مِنْ ظ (٢) زَيْدٌ مِنْ ظ وَمَد (٣) مِنْ ظ وَمَد، وَفِي الْأَصْلِ: إِنْ (٤) مِنْ ظ وَمَد، وَفِي الْأَصْلِ: الْبَادِ (٥) مِنْ ظ وَمَد، وَفِي الْأَصْلِ: بِالتَّقْرِيبِ (٦) مِنْ ظ وَمَد، وَفِي الْأَصْلِ: لَا يُمْكِنُ (٧) مِنْ ظ وَمَد، وَفِي الْأَصْلِ: تَتَبَعَ (٨) زَيْدٌ مِنْ مَد (٩) زَيْدٌ بَعْدَهُ فِي الْأَصْلِ: وَفِي الْمُدَافَعَةِ، وَلَمْ تَكُنِ الزِّيَادَةُ فِي ظ وَمَد فَخَذَفْنَا هَا.

نظم الدرر (سورة الحج ٢٢: ٩ - ٣٩ و ٤٠) ج - ١٣

ف قيل : بعباده المؤمنين ، عبر عن ذلك بقوله : ﴿ اذن ﴾ ' أو أشار بقراءة
من بناء للجهول^٢ إلى سهولة ذلك عليه سبحانه ﴿ للذين يقتلون ﴾ أى
للذين فيهم قوة المدافعة ، فى المدافعة بالقتال بعد أن كانوا يمتنعون منه
بمكة و يؤمرون بالصفح ؛ ثم ذكر^٣ سبب الإذن فقال : ﴿ بانهم ظلوا^٤ ﴾
هـ أى وقع ظلم الظالمين لهم^٥ بالإخراج من الديار ، و الأذى بغير حق .
و لما كان التقدير : فان الله أراد إظهار دينه بهم^٦ ، عطف عليه
قوله : ﴿ وان الله ﴾ أى الذى هو الملك الأعلى ، و كل شيء فى قبضته ،
و يجوز عطفه^٧ على قوله " ان الله يدفع " أى بأذنه لهم فى القتال
و أنه ﴿ على نصرهم ﴾ و أبلغ فى التأكيد لاستبعاد النصرة^٨ إذ ذاك
١٠ بالكفار من الكثرة و القوة ، و للمؤمنين من الضعف و القلة ، قال :
﴿ لتدبر^٩ ﴾ ثم وصفهم بما بين مظلوميتهم على وجه يجمعهم و يؤثقتهم
بالله فقال : ﴿ الذين اخرجوا من ديارهم ﴾ إلى الشعب و الحبيشة و المدينة
﴿ بغير حق ﴾ أوجب ذلك ﴿ إلا ان يقولوا ﴾ أى غير قولهم ، أو لإقوالهم :
﴿ ربنا الله^{١٠} ﴾ المحيط بصفات الكمال / ، الموجب لإقارهم فى ديارهم ،
١٥ و حبهم و مدحهم^{١١} و اقتفاء آثارهم ، فهو " من باب " :

/ ٥٦١

(١) العبارة من هنا إلى «عليه سبحانه» ساقطة من ظ (٢) و هم نافع و أبو جعفر
و أبو عمرو و يعقوب و عاصم - راجع نثر المرجان ٤/ ٤٨٢ (٣) من ظ و مد ،
و فى الأصل : كرر (٤ - ٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) سقط من مد .
(٦) سقط من ظ (٧) زيد فى ظ : على «بانهم ظلوا» (٨) من ظ و مد ، و فى
الأصل : بالنصرة (٩ - ٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : مدحهم و حبهم (١٠) بهامش
ظ : أى فجعل للاستثناء مراتب المدح يشبه انهم (١١) قد مر البيت غير مرة .
ولا عيب (١٤) ٥٦

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بين فلول من قراع الكتاب
وفي سوق ذلك مساق الاستثناء 'عند من يجعله منقطعا' إشارة إلى أن
من أخلص لله، صوب الناس إليه سهام مكرم، ولم يدعوا في أذاه
شيئا من جهدهم .

ولما ذكر مدافسته، و ذكر أنها بالمؤمنين، بين سرها عموما ليفهم ٥
منها هذا الخاص، و صورها تقريبا لفهمها، فقال عاطفا على ما تقديره:
فلولا إذن الله لهم^٢ لاستمر الشرك ظاهرا^١، و الباطل - باستيلاء الجهلة على
مواطن الحج - قاهرا: (ولو لا دفع الله) أى المحيط بكل شيء عنا قدرة
في كل شريعة، وفي زمن كل نبي أرسله (الناس) أى عموما
(بعضهم ببعض) أى بتسليط بعضهم على بعض (لهدمت صوامع) ١٠
وهي معابد صغار مرقعة للربان (وبيع) للتصاري (و صلوات)
أى كنائس لليهود (و مسجد) أى للسليين، أخرها لتكون بعيدة
من الهدم قرية من الذكر (يذكر فيها اسم الله) أى الملك الذى لا ملك
غيره، و لعل العدول عن الإضمار إلى الإظهار للإشارة إلى اختلاف
ذكره تعالى فى الأماكن المذكورة بالإخلاص وغيره (كثيرا) لأن ١٥
كل فرقة تريد هدم ما للآخرى، بل ربما أراد بعض أهل 'ملة إخراج'

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من مد، و فى الأصل: من، و العبارة
من هنا بما فيها الواو ساقطة إلى « قاهرا » فى ظ غير « فقال » (٣ - ٢) من مد،
و فى الأصل: لا يتمر الشكر ظاهر (٤) العبارة من هنا إلى « الذكر » ساقطة من
ظ (٥) زبدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى مد فحذفناها (٦ - ٦) من ظ
و مد، و فى الأصل: ماصه اغراب - كذا .

نظم الدرر (سورة الحج ٢٢ : ٤٠ و ٤١) ج - ١٣

بعض معابد أهل ملته ، فبدفعه الله بمن يريد من عباده ، وإذا تأملت^١
ذلك وجدت فيه من الأصرار . ما يدق عن الأفكار ، فانه تعالى لما
أراد بأكثر الناس الفساد^٢ ، نصب لهم من الأضداد ، ما يخفف كثيرا
من العناد .

٥ ولما كان التقدير : ولكن لم تهدم^٣ المذكورات ، لأن الله دفع
بعضهم ببعض ، وجعل بعضهم في نحور^٤ بعض ، عطف عليه^٥ أو على
قوله "أذن"^٦ [قوله -^٧] : ﴿ ولينصرن الله ﴾ أى الملك الأعظم ، وأظهر
ولم يضمّر تعميما وتعليقا للحكم بالوصف فقال^٨ : ﴿ من ينصره^٩ ﴾ كأننا
من كان منهم ومن غيرهم ، بما يهي^{١٠} له من الأسباب ، إجراء له على
١٠ الأمر المعتاد ، وبغير أسباب خرقا للعادة ، كما وقع في كثير من الفتوحات^{١١} ،
كنخوض العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه البحر الملح إلى جوائا بالبحرين ،
واقترام^{١٢} سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الدجلة^{١٣} مع عظمها في ذلك
العام وطموها ، وزيادتها وعلوها^{١٤} . وزلزلة أسوار^{١٥} حمص بالتكبير و تهدم
كثير^{١٦} من بيوتها ، [على إتقان بانيها ، وإحكام قواعدها وأركانها -^{١٧}]

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : قامت (٢) زيدت الواو في الأصل ، ولم
تكن في ظ و مد فخذناها (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : لم يهدم (٤) زيد
في الأصل : بعضهم ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فخذناها (٥ - ٥) سقط ما
بين الرفبين من ظ (٦) زيد من مد (٧) راجع لأكثر ما يأتي أواخر الخصائص
الكبرى للسيوطي و قد مر بعض ما هنا فيما تقدم (٨) في ظ : خوض (٩) من
ظ و مد ، وفي الأصل : أسوان (١٠) من مد ، وفي الأصل : ظ : كثيرا .

و نحو ذلك؛ ثم علل نصره وإن ضعف المنصور ، بقوله : ﴿ ان الله ﴾
 أى الذى لا كفوء له ﴿ لقوى * ﴾ أى على ما يريد ﴿ عزيزه ﴾
 لا يقدر أحد على مغالته ، و من كان ناصره فهو المنصور ، و عدوه
 المقهور ، و لقد صدق سبحانه فيما وعده به ، فأذل بأنصار دينه - رضى الله
 عنهم - جبارة أهل الأرض و ملوكهم ، و من أصدق من الله حديثاً . ٥
 و لما وصف نفسه سبحانه بما يقتضى تمكين منصوره الذى ينصره ،
 و صفهم بما يبين أن قتالهم له ، لا لهم ، بعد أن وصفهم بأنهم اودوا
 / بالإخراج من الديار الذى يعادل القتل ، فقال : ﴿ الذين ﴾ و لما كان
 [وقت - ٢] النصره مبهما آخره يوم الفصل ، عبر بأداة الشك ليكون
 ذلك أدل على إخلاص المخلص فى القتال : ﴿ ان مكنتهم ﴾ بما لنا من ١٠
 العظمة ﴿ فى الارض ﴾ بإعلانهم على أعدائهم ٢ ﴿ اقاموا الصلوة ﴾
 [أى - ٣] التى هى عماد الدين ، الدالة على المراقبة و الإعراض عن تحصيل
 الفانى ﴿ و اتوا الزكوة ﴾ المؤذنة بالزهد فى الحاصل منه ، المؤذن بعمل
 النفس للرجل ٤ ﴿ و امروا بالمعروف ﴾ و هو ما عرفه الشرع و أجازه
 ﴿ و نهوا عن المنكر ٥ ﴾ المعروف ٦ بانه لا أنس لهم إلا به سبحانه ، ١٥
 و لا خوف لهم إلا منه ، و لارجاء إلا فيه . و الآية دالة على صحة خلافة
 الأئمة الأربعة .

(١) فى ظ : امكان (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : و صفه (٣) زيد من ظ
 و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : أعدائهم (٥) زيد من مد (٦) من ظ
 و مد ، و فى الأصل : للرجل (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : المعروف .

نظم الدور (سورة الحج ٢٢ : ٤١ - ٤٤) ج - ١٣

و لما كان هذا ابتداء الأمر بالجهاد ، وكان عقب ما آذى أعداؤه
أولياؤه ، فطال أدام لهم ، فكان التقدير كما أرشد إليه العطف على
غير مذكور ، عطفاً على " ولولا دفع " : فله بادئة الأمور ، عطف
عليه قوله : ﴿ والله ﴾ [أى - '] الملك الأعلى المحيط بكل شيء
هـ ﴿ عاقبة الأمور ﴾ فتمكينهم كأن لا محالة ، لكن ذكره للعاقبة وطيه
للبادئة منه على أنه تعالى يجعل لليطان - كما هو المشاهد^٢ في الأغلب -
حظاً في البادئة ، ليتبين الصادق من الكاذب ، والمزحل من الثابت ، وأما
العاقبة فهي متمحضة له إلى أن يكون آخر ذلك القيامة التي لا يكون
لأحد فيها أمر ، حتى أنه لا ينطق أحد إلا بأذن خاص . ولما كان في
١٠ ترغيب هذه الآيات و ترهيبها ما يعطف العاقل ، و يقصف الجاهل ، طوى
حكم العاقل لفهمه مما سبق ، وهو : فان يؤمنوا بك مكنام في الأرض ،
و دل عليه بعطف حكم الجاهل على غير مذكور في سياق يسلي به نبيه
صلى الله عليه وسلم ويعزيه ، ويؤنسه ويواسيه ، فقال : ﴿ وان يكذبوك ﴾
أى أخذتهم وإن كانوا أمكن الناس ، فقد فعلت بمن قبلهم ذلك ، فلا
١٥ يحزنك أمرهم ﴿ فقد كذبت ﴾ و أتى سبحانه بتاء التأنيث تحقيراً للكاذبين
في قدرته . وإن كانوا أشد الناس .

و لما كانت هذه الأمم لعظمتهم^٢ و تمدى أزمانهم كأنهم^٣ قد
استغرقوا الزمان كله ، لم يأت بالجار فقال : ﴿ قبلهم قوم نوح ﴾ و كانوا

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : مشاهد (٣) من ظ و مد ،
وفي الأصل : بعظمتهم (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : كانوا .

أطول الناس أعماراً، وأشدّهم اقتداراً؛ ولما لم يتعلق في هذا السياق غرض بالمخالفة في ترتيبهم، ساقهم على حسب ترتيبهم في الوجود فقال: (و عاد) أى ذوّ الأبدان الشداد (و ثموداً) أو لو الأبنية الطوال، في السهول والجبال (و قوم ابرهيم) المتجبرون المتكبرون (و قوم لوطاً) الأنجاس، بما لم يسبقهم إليه أحد من الناس [(و اصحب مدين ج) ٥ أرباب الأموال، المجموعة من خزائن الضلال - ٢] .

ولما كان موسى عليه السلام قد أتى من الآيات المرئية ثم المسموعة بما لم يأت بمثله^٢ أحد من تقدمه، فكان تكذيبه في غاية من البعد، غير سبحانه الأسلوب تنبيهاً على ذلك، وعلى أن الذين أطبقوا على تكذيبه القبط، وأما قومه فما كذبهم إلا ناس / يسير، فقال: (و كذب موسى) ١٠ / ٥٦٣ وفي ذلك أيضاً تعظيم للناسية و تفخيم للتسليّة (فاملت للكافرين) أى^٣ فتعقب عن تكذيبهم أنى^٤ أمهلتهم بتأخير عقوبتهم إلى الوقت الذى ضربته لهم، وعبر عن طول الإملاء بأداة^٥ التراخي لزيادة^٦ الناسية فقال: (ثم اخذتهم ج) و به سبحانه وتعالى على أنه كان في أخذهم عبر و عجائب، و أهوال و غرائب، بالاستفهام [فى - ٢] قوله: ١٥ (فكيف كان نكيره) أى إنكارى لأفعالهم، فليحذر هؤلاء الذين أتيتهم بأعظم ما أتى به رسول قومه مثل ذلك .

ولما كانت هذه الأمم السبعة أكثر أهل الأرض، بل كانت أمة

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: ذو (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ: به .

(٤-٤) سقط ما بين الرقین من ظ (٥-٥) تكرر ما بين الرقین في الأصل فقط .

منهم أهل الأرض - كما مضى [يانه - ١] في الأعراف ، فكيف بمن
 عدام من كان في أزمانهم و بعدهم ، و أخير ٢ سبحانه و تعالى أن عادته
 فيهم الإملاء ثم الإهلاك ، تسبب عن ذلك تهويل الإخبار عنهم و تكثيرهم ،
 فقال تعالى شارحا للأخذ و الإمهال على طريق النشر المشوش :
 ٥ (فكأين من قرية أهلكناها) كهؤلاء المذكورين و غيرهم ، و في قراءة
 الجماعة ٢ غير أبي عمرو بالنون إظهارا للعظمة ٣ (و هي) أى و الحال
 أنها (ظالة فهي) أى ٤ قسبب عن إهلاكها أنها (خاوية) أى
 مهتمة ٥ ساقطة أى جدرانها (على عروشها) أى سقوفها ، بأن نقصت
 الأخشاب ولا من كثرة الأمطار ، و غير ذلك من الأسرار ، فسقطت
 ١٠ ثم سقطت عليها الجدران ، أو ٦ المعنى : خالية ، قد ذهبت أرواحها بذهاب
 سكانها على بقاء سقوفها ، ليست محتاجة إلى غير السكان (و) كم من
 (بئر معطلة) من أهلها مع بقاء بناتها ، و فوران مائها (و قصر مشيد ٧)
 أى عال متقن [محصص - ٩] لأنه لا يشيد - أى يحصص - إلا الذى
 يقصد رفعه ، نخلت القصور من أربابها ، و أقفرت موحشة من جميع
 ١٥ أصحابها ، بعد كثرة التضام فى نواديها ٨ ، و عطلت الآبار من ورادها ٩

- (١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : آخر (٣) راجع نثر
 المرجان ٤/ ٤٨٨ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : العظمة (٥) سقط من مد .
 (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : مهتمة (٧) من ظ ، و فى الأصل و مد
 و ٨ (٨) فى ظ : بنيانها (٩) زيد من مد (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل :
 بوادتها (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : واردها .

بعد الازدحام بين رانحها وغاديهما ، دانية ونائية ، حاضرة و بادية ؛
ولما كان خراب المشيد يوهى من أركانه ، و يخلق من جدرانه ، لم يحسن
التشديد في وصف القصر ، كما حسن في وصف البئر .

ولما كان هذا واعظا لمن له استبصار ، و عاطفا له إلى العزيز
الغفار ، تسبب عنه الإنكار عليهم في عدم الاعتبار ، فقد أسفارم - التي ه
كانوا يرون فيها هذه القرى على الوجه الذى أخبر به سبحانه لما كانت
على غير ذلك الوجه - عدما ، فقال تعالى : ﴿ افلم يسيروا فى الارض ﴾
أى وهم بصراء ينظرون بأعينهم ما يمرون عليه ، من الآيات المرئية من
القرى الظالة المهلكة ، وغيرها ، و قرينة الحث على السير دل على البصر .

ولما كان الجواب منصوبا ، علم أنه منفي لأنه مسبب عن همزة ١٠

الإنكار التى معناها النفي ، و قد دخلت على نفي السير [ففته - '] ،

فأثبتت السير عريا عما أفاده الجواب ، و هو قوله : ﴿ فتكون ﴾

أى فيتسبب / عن سيرهم أن تكون ﴿ لهم قلوب ﴾ واعية ﴿ يعقلون بها ﴾ ٥٦٤/

ما رآه بأبصارهم فى الآيات المراتب من الدلالة على وحدانية الله تعالى

وقدرته على الإحياء و الإماتة متى^٢ أراد [فيعتبروا به - '] ، فاتفاه القلوب ١٥

الموصوفة متوقف على نفي^٢ السير الذى هو إثبات السير ، و كذا الكلام

فى الآذان من^٢ قوله : ﴿ او ﴾ أى أو تكون^٢ لهم إن كانوا عى الأبصار

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و مد (٣) من ظ

و مد ، وفى الأصل : انتفاء (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : فى (هـ) من ظ

و مد ، وفى الأصل : يكون .

كما دل عليه جعل هذا قسيما ('اذان يسمعون بها') الآيات المسموعة المترجمة^١ عن تلك القرى وغيرها^٢ سواء ساروا أو لم يسيروا^٣، إن كانت بصائرهم غير نافذة الفهم بمجرد الرؤية فيتدبروها بقلوبهم، فانه لا يضرم فقد الابصار عند وجود البصائر .

٥ ولما كان الضرر للانسان إنما هو عى البصائر دون الابصار، نعى العمى أصلا عن الابصار لعدم ضرره مع إنارة^٤ البصائر، [وخصه بالبصائر -^٥] لوجود الضرر به ولو وجدت الابصار، مسيا عما مضى مع ما أرشد إليه من التقدير، فقال: (فانها لا تعمى الابصار) أى لعدم الضرر بعمائها^٦ المستنير البصيرة^٧ (ولكن تعمى القلوب) وأكد ١٠ المعنى بقوله: (التى فى الصدور) لوجود الضرر بعمائها [المبطل لمنفعة صاحبها -^٨] وإن كان البصر^٩ موجودا، فاحتيج فى تصوير عمائها إلى زيادة تعيين لما تعرف [من -^{١٠}] أن العمى إنما هو للبصر، [علاما بأن القلوب ما ذكرت غلطا، بل عمدا، تنبيها على أن عى البصر عدم بالنسبة إلى عمائها، والمراد بالقلب لطيفة ربانية روحانية مودعة فى اللحم الصنوبرى ١٥ المودع فى الجانب الأيسر من الصدر، لديه تعلق... عقول الأكثر فى أنه يضاهى تعلق العرض بالجسم، أو الصفة بالموصوف، أو المتمكن بمكان

(١) بياض فى الأصل ملأناه من ظ و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمن من مد (٣) من ظ و مد، وفى الأصل وظ: اقادة (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) من ظ و مد، وفى الأصل: وإن كان البصر موجودا (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: الضرر .

و هذه اللطيفة على حقيقة الإنسان سميت قلبا للجاورة و التعلق ، و هي كالفارس و البدن كله كالفرس ، و عى الفارس أضرب على الفارس من عى الفرس ، بل لانسبة لاحد الضررين بالآخر ، فلذلك نعى الإبصار أصلا و رأسا ، فلا شىء ضرره بالنسبة إلى عى البصائر - ١] .

و لما قدم سبحانه أن الضال المضل له خزى فى الدنيا ، و قدم أنه ه يدفع عن الذين آمنوا و ينصرهم ، و ساق الدليل الشهودى على ذلك لمن كان جامد الفهم ، مقيدا بالوهم ، بالقرى الظلمة التى أنجز هلاكها ، و ختم بانكار عمائم عن ظاهر الآيات البينات ، قال عاطفا على ” و من الناس من يجادل “ معجبا منهم و موضحا لعمائم : (و يستعجلونك) و يجوز - و هو أحسن - أن تكون هذه الجملة حالا من فاعل ” يسيروا “ فىكون ١٠ ما ٢ أسكر عليهم (بالعذاب) الذى ١ تتوعدهم به تكذيبا و استهزاء ، (و) الحال أنه (لن يخلف الله) الذى لا كفوء له (و عده ١) [فلا بد من وقوعه - ٥] ، لكن الطويل عندهم من الزمن قصير عنده ٦ ، و قد ينجز الوعد و قد يؤخره بعد الوعيد إلى حين يوم ٧ أو أقل أو أكثر ٨ ، لأن قضاءه سبق أنه لا يكون إلا فيه ٩ الحكم يظهرها لمن يشاء من عباده ١٥ (و ان يوما) أى واحدا (عند ربك) أى المحسن إليك بتأخير

(١) زيد ما بين الحاجزين من مد (٢) زيد فى الأصل بعده : فى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) زيد فى الأصل بعده : كما ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : التى (٥) زيد من ظ و مد (٦) فى مد : عندهم (٧ - ٧) بياض فى الأصل ملأناه من ظ و مد (٨ - ٨) سقط ما بين الرقين

العذاب عنهم إكراماً لك ﴿كألف سنة﴾ [ولما كان المقصود هنا
التطويل . فعبر بالسنة تنبيهاً عليه -١-] ؛ ولما كانت السنون [قد -١-]
تختلف قال : ﴿مما تعدون﴾ لأن أيامكم تناسب أوهامكم ، وأزمانكم
تناسب شأنكم ، وهو حليم لا يستطيل الزمان ، وقادر لا يخاف القوت .
ولما دل على نصر أوليائه ، وقصر أعدائه ، بشهادة تلك القرى ،
وختم بالتعجب من استعجالهم ، مع ما شاهدوا من إهلاك أمثالهم ،
وأعلمهم ما هو عليه من الأناة ، واتساع العظمة ، وكبر المقدار ، عطف
على " فكانين " محذرا من نكاله ، بعد طويل^٢ إمهاله ، قوله :
﴿وكانين / من قرية﴾ [أى -١-] من أهلها ﴿أملت لها﴾ أى أهلتها
١٠ كما أهلتكم ﴿وهى ظالة﴾ كظلمكم بالاستعجال وغيره ﴿ثم اخذتها﴾
أى بالعذاب ﴿والى المصير﴾ بانقطاع كل حكم دون حكمى ، كما كان
من البدء ، فلم يقدر أحد أن يمنع من خلق ما أردت خلقه ، ولا أن
يخلق ما لم أرد خلقه ، فلا تغفروا بالإمهال ، وإن تمدت الأيام والليالي ،
واحذروا عواقب الوبال ، وإن بلغتم ما أردتم من الآمال ، ولعله
١٥ إنما طوى ذكر البدء ، لأنه احتجب فيه بالأسباب فغلب فيه اسمه الباطن ،
ولذلك ضل فى هذه الدار أكثر الخلق وقوفاً مع الأسباب .

ولما كان الاستعجال بالأفعال لا يطلب من الرسول ، وكان الإخبار
باستهزائهم وشدة عمام ربما أفهم الإذن^٣ فى الإعراض^٤ عنهم أصلاً
(١) زيد من مد (٢) العبارة من هنا إلى " تختلف قال " سابقة من ظ (٣) من
ظ و مد ، وفى الأصل : طول (٤) زيد من ظ و مد (هـ - هـ) من ظ و مد ،
وفى الأصل : بالإعراض .

و رأساً. قال سبحانه و تعالى مزبلاً لذلك منها على أن مثله إنما يطلب من المرسل ، لا من الرسول : ﴿ قل ﴾ أى لهم ، و لا يصدك عن دعائهم ما أخبرناك به من عمام ﴿ يتاياها الناس ﴾ أى جميعاً من قولى و غيرهم ﴿ إنما أنا لكم نذير ﴾ أى و بشير ، و إنما طواه لأن المقام للتخويف ، و يلزم منه الأمن للتهى فتأتى البشارة ،^١ و لأن النذارة هى المقصود ه الأعظم من الدعوة ، لأنه لا يقدم عليها إلا المؤيدون بروح من الله ﴿ مبین ﴾ أى لكل ما ينفعكم لتلزموه ، و يضركم فتتركوه ، لا إله ، أعجل لكم العذاب^٢ ، ثم تسبب عن كونه مبيناً^٣ العلم بأن وصف البشارة مراد و إن طوى ،^٤ فدل [عليه -^٥] سبحانه بقوله ، تفضيلاً لأهل البشارة و النذارة : ﴿ فالذين آمنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان ﴿ و عملوا ﴾ أى تصديقا^٦ ١٠ لدعواهم ذلك^٧ ﴿ الصلحت لهم مغفرة ﴾ لما فرط منهم من التقصير^٨ لأنه لن^٩ يقدر أحد أن يقدر الله حق قدره .

و لما كان هذا أول الإذن فى القتال ، الموجب لمنايذة الكفار ، و مهاجرة الأهل و الأموال و الديار ، و كان ذلك - مع كونه فى غاية الشدة - موجبا للفقر عادة ، قال محققاً [له -^{١٠}] و منها على أنه سبب ١٥ الرزق : ﴿ و رزق ﴾ أى فى الدنيا بالغنائم و غيرها ، و الآخرة بما^{١١}

- (١-) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ : بالعذاب .
(٣-٢) فى ظ : قوله موضعاً لأن (٤) العبارة من هنا إلى « النذارة » ساقطة من ظ (٥) زيد من مد (٦) بين سطرى ظ : أى الإيمان (٧) العبارة من هنا إلى « قدره » ساقطة من ظ (٨) من مد ، وفى الأصل : لا (٩) زيد من ظ و مد .
(١٠) فى الأصل يابض ، ملأه من ظ و مد .

لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ﴿ كريم ﴾
 لآخسة^١ فيه ولا دناءة بانقطاع ولا غيره أصلا ما داموا على الاتصاف
 بذلك ، هذا فعل ربههم بهم^٢ عكس ما وصف به^٣ مدعو الكفار^٤ من
 أن ضره أقرب من نفعه .

٥ ولما كان في سياق الإنذار ، قال معبرا بالماضي زيادة في التخويف :

﴿ والذين سعوا ﴾ أى أوقعوا السعى ولو مرة واحدة بشبهة من الشبه
 ونحوها ﴿ فى آياتنا ﴾ [أى -^٥] التى نصبتها للدلالة علينا مرئية أو مسموعة
 ﴿ معجزين ﴾ أى مبالغين فى فعل ما يلزم - فى زعمهم - منه معجزنا ،
 ومعجزين ، أى مقدرين أنهم يعجزوننا باخفائهم آياتنا ، وإضلال الناس
 ١٠ و صدم عنها بالقاء الشبه والجدال ، اتباعا للشيطان المريد ، من غير علم

ولا هدى ولا كتاب منير^٦ كشبه الاتحادية الذين راج أمرهم على
 كثير من الناس ، مع أنه لا شئ أوهى من شبههم ولا أظهر بطلانا ،
 ولذلك راج أمرها على أهل الغباوة ، فان الداعية منهم يقول لمن يغره : هذا

/ ٥٦٦

الظاهر من الكلام لا يقول [به -^٧] عاقل ، فالمراد به أسرار دقيقة ، وراء
 ١٥ طور العقل ، لا يوصل إليه^٨ إلا بالرياضة والكشف ، وما درى^٩ المغرور
 أن أباطالب كان أعقل من هذا الذى ينسب^{١٠} إليه ذلك الكفر الظاهر ،

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : خشية (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل «و»

(٣ - ٢) من ظ و مد ، وفى الأصل «مدعوا للكفار» (٤) زيد من مد .

(٥) العبارة من هنا إلى «ظهور سلطانها» ص ٦٩ س ١٠ ساقطة من ظ .

(٦) من مد ، وفى الأصل : إليها (٧) من مد ، وفى الأصل : ارد (٨) من مد ،

وفى الأصل : ينسبه .

فان شعره أحسن من شعره، و بديته أعظم من بديته، و رؤيته أحكم^١ من رؤيته، و قدم رأى من الآيات من النبي صلى الله عليه و سلم ما لا مزيد عليه، مع أن له من القرابة ما هو معروف، و من المحبة ما يفوت الحصر، و مع ذلك فقد أصّر من الضلال ما لا يرضاه حمار لو نطق، على أن هذا المفعول قد لزمه - بتحسين الظن بهؤلاء الكفرة^٢ - إساءة الظن بأشرف^٣ الخلق: النبي صلى الله عليه و سلم في قوله: من رأى منكم^٤ منكرا - الحديث الذى فى بعض رواياته: و ليس وراء ذلك - [أى -^٥] الإنكار بالقلب - مثقال حبة من إيمان. و قد أفردت لبيان ضلالهم كتبنا لما استطار^٦ من شرهم، و مس من ضرهم، منها المطول و المختصر، لا مزيد على بيانها و ظهور سلطانها (أو لك) [البعداء البغضاء -^٧] (اصحب الجحيم) (أى -^٨ ١٠ استحقاقا بما سعوا، فان شاء تاب عليهم، وإن شاء كبهم فيها، ليعلموا أنهم [م -^٩] العاجزون، هذا فى الآخرة، و سيظهر سبحانه فى الدنيا أيضا عجزم، بكشف شبههم، و مع القلوب النيرة لها، مع ذلهم و انكسارهم، و هوانهم و صغارهم، حتى لا يقدرُوا أن ينطقوا من ذلك^{١٠} بيئت شفة^{١١}، علما منهم أن مثلها لا يقوله عاقل.

١٥

ولما لاح من ذلك أن الشيطان ألقى للكفار شبها، يعاجزون بها بجدالهم فى دين الله الذى أمر رسوله محمدا صلى الله عليه و سلم باظهاره،

- (١) من مد، و فى الأصل: اعظم (٢) فى مد: الكفار (٣) سقط من مد، و الحديث مشهور (٤) زيد من مد (٥) من مد، و فى الأصل: استطارهم. (٦) سقط من مد (٧) زيد من ظ و مد (٨) بهامش ظ: أى بكلمة من الشبه. (٩ - ١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: نسب سفة.

و تقريره و إشتهاره^١ ، عطف عليه تسليّة له صلى الله عليه و سلم قوله :
 (و ما أرسلنا) أى بعظمتنا (من قبلك) ثم أكد الاستغراق بقوله :
 (من رسول) أى من ملك أو بشر بشريعة جديدة يدعو إليها
 (ولا نبى) [سواء كان رسولا أو لا -^٢] ، مقرر^٣ بالحفظ اشريعة
 ه سابقة - كذا قال البيضاوى^٤ وغيره [فى الرسول -^٥] و هو منقوض^٦
 بأنبياء بنى إسرائيل الذين بين موسى و عيسى عليهم الصلاة و السلام ،
 فان الله تعالى سبّهم رسلا فى غير آية منها ” و لقد اتينا موسى الكتب
 و قفينا من بعده بالرسل “ فالصواب أن يقال : النبى إنسان أوحى إليه
 بشرع جديد أو مقرر ، فان أمر بالتبليغ فرسول أيضا ، و التقيد بشرع
 ١٠ لإخراج مريم و غيرها من الأولياء (الآ اذا تمى^٧) أى تلا على الناس
 ما أمره الله به أو حدثهم به و انتهى فى نفسه أن يقبلوه حرصا منه
 على إيمانهم شفقة عليهم (الذى الشيطان فى - امنيته^٨) أى ما تلاه أو حدث
 به و انتهى أن يقبل ، من الشبه و التخيلات ما يتلقفه منه أولياؤه
 فيجادلون^٩ به أهل الطاعة ليضلّوهم ” و ان الشيطان لبوحون الى اوليئهم
 ١٥ / ٥٦٥ ليجادلوكم “ . ” و كذلك جعلنا لكل نبى عدوا / شيطان الانس و الجن
 يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا “ كما يفعل هؤلاء فيما

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اشتهاره^١ ، و زيدت الواو فى الأصل ، و لم
 تكن فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : او (٣) زيد من
 مد (٤) فى مد : مقرر (٥) راجع تفسيره ٤٤٧ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل :
 مدخول (٧) فى ظ و مد « و » (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيجادلوا .
 يغيرون

يغيرون به في وجه الشريعة أصولاً وفروعاً من قولهم: إن القرآن شعر
وسحر وكهانة، وقولهم "لو شاء الله ما أشركنا" وقولهم "هؤلاء
شفعاؤنا عند الله" وقولهم: إن ما قتله الله بالموت حُتِفَ الله أولى
بالأكل مما ذبح، وقولهم: نحن أهل الله وسكان حرمه، لانخرج من
الحرم فنقف في الحج بالمسعر الحرام ويقف الناس بعرفة، ونحن نطوف
في ثيابنا وكذا من ولدناه، وأما غيرنا فلا يطوف إلا عريانا ذكراً كان
أو أنثى إلا أن يعطيه أحد منا ما يلبسه، ونحو ذلك مما يريدون أن
يطلقوا به نور الله، أو كذا تأويلات الباطنية والاتحادية وأنظارهم التي
ألحدوا فيها، يضل بها من يشاء الله ثم يمحوها من أراد من عباده وما
أراد من أمره (فينسخ) أي فيتسبب عن إلقائه أنه ينسخ (الله) أي ١٠
المحيط بكل شيء قدرة وعلماً (ما يلقى الشيطان) فيطله* بإيضاح أمره
ومج القلوب له .

ولما كان إبطاله سبحانه للشبه إبطالا محكما، لا يتطرق إليه
- لعلو رتبة بيانه - شبهة أصلاً، عبر بأداة التراخي فقال: (ثم يحكم الله)
أي الملك الذي لا كفوء له (أيته) أي يجعلها جلية فيما أريد منها، ١٥
وأدل دليل على أن هذا هو المراد - مع الافتتاح بالمعجزة في الآيات -
الختام بقوله [عظفاً على ما تقديره: فالله على ما يشاء قدير - ٦]:

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: يريدو.
(٣) العبارة من هنا إلى «من أمره» ساقطة من ظ (٤) من مد، وفي الأصل:
تأويل (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: يطله (٦) زيد من مد .

(والله) أى الذى له الأمر كله (عليم) أى بنى الشبه (حكيم)
 بإبراه الكلام على وجه لا تؤثر^١ فيه عند^٢ من له أدنى بصيرة ، وكذا
 ما مضى فى السورة و يأتى من ذكر الجدل .

و لما ذكر سبحانه ما حكم به من تمكين الشيطان من هذا الإلقاء ،
 ٥ ذكر العلة فى ذلك فقال : (ليجعل ما يلقى الشيطان) أى فى المتلو أو^٣
 المحدث به من تلك الشبه فى قلوب أوليائه (فتنة) أى اختبارا
 و امتحانا (للذين فى قلوبهم مرض) لسفولها عن حد الاعتدال من^٤
 اللين حتى صارت مائتته تقبل كل صورة و لا يثبت فيها صورة ، و هم
 أهل النفاق المتلقفون للشبه الملقون لها (و القاسية قلوبهم^٥) عن فهم
 ١٠ الآيات ، و هم من علت قلوبهم عن ذلك الجدالى^٦ أن صارت حجرية ،
 و هم المصارحون بالعداوة ، فهم فى ريب من أمرهم و جدال المؤمنين ،
 ٦ قد انتقشت فيها الشبه ، فصارت^٧ أبعد شيء عن الزوال . [و لما كان
 التقدير : فانهم حزب الشيطان ، و أعداء الرحمن ، عطف عليه قوله : و إنهم
 - هكذا الأصل - ^٨] ، ولكنه أظهر تنديها على وصفهم فقال :
 ١٥ (و ان الظالمين) أى الواضعين لأقوالهم و أفعالهم فى غير مواضعها
 كفعل من هو فى الظلام (لى شقاق) أى خلاف بكونهم فى شق
 (١) أى الشبه (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : عنه (٣) فى ظ و مد و .
 (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : ماء (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الجدل .
 (٦) العبارة من هنا إلى « الزوال » ساقطة من ظ (٧) من مد ، و فى الأصل :
 و صارت (٨) زيد من مد ، و فى ظ : و انهم - ققط .

غير شق حزب الله بمجازتهم في الآيات بتلك الشبه التي تلقوها من
الشیطان ، و جادلوا بها أولياء الرحمن ﴿ بعيداً ﴾ عن الصواب "و لتصفی"
إليه افئدة الذين لا يؤمنون بالأخرة و ليرضوه و ليقترفوا ما هم مقترفون"
﴿ و ليعلم الذين اتوا العلم ﴾ باتقان حججه ، و إحكام براهينه ، و ضعف
شبه المعاجزين ، و بنى / فعله للجهول تعظيماً لثمرته في حد ذاته لا بالنسبة ٥ / ٥٦٨
إلى معطٍ معين ﴿ انه ﴾ أى الشيء الذى تلوته أو حدثت به ﴿ الحق ﴾
أى الثابت الذى لا يمكن زواله ﴿ من ربك ﴾ أى المحسن إليك بتعليمك
إياه ، فان الحق كلما جودل أهله ظهرت حججه^٢ ، و أسفرت وجوهه ،
و وضحت براهينه ، و غمرت لججه ، كما قال تعالى "يضل به كثيراً
و يهدى به كثيراً" ﴿ فيؤمنوا به ﴾ لما ظهر لهم من صحته بما ظهر من ضعف ١٠
تلك الشبه ﴿ فتخبت ﴾ أى تطمئن و تخضع ﴿ له قلوبهم^٣ ﴾ و تسكن
[به -^٤] قلوبهم ، فان الله جعل فيها السكينة لجعلها زجاجة صلبة صافية
رقيقة بين المائية و الحجرية ، نافعة بفهم العلم و حفظه و الهداية به لمن
يقبل عنهم من الضالين كما ينفع الخبث بقبول طائفة [منه -^٥] لطائفة
من الماء ، و إنبات ما يقدره الله من الكلاء و غيره و حفظ طائفة أخرى ١٥
لطائفة أخرى منه لشرب الحيوان ﴿ و ان الله ﴾ بجلاله و عظمته لهاديهم ،
و لكنه أظهر تنبيهها على سبب العلم فقال : ﴿ لهاد الذين آمنوا ﴾ في

(١) من مد ، و في الأصل : باتفاق ، و في ظ : بإيقان (٢) من ظ و مد ، و في
الأصل : احدثت (٣) من مد ، و في الأصل و ظ : حجة (٤) زيد
من ظ و مد .

جميع ما يلقيه أولياء الشيطان ﴿ الى صراط مستقيم ٥ ﴾ يصلون به إلى
 معرفة بطلانه ، فيوصلهم ذلك إلى سعادة الدارين ﴿ ولا يزال الذين كفروا ﴾
 أى وجد منهم الكفر و طبعوا عليه ﴿ فى مرية ﴾ أى شك ' يطلبون
 السكون إليه ' ﴿ منه ﴾ أى من أجل إلقاء الشيطان و ما ألقاه ، أو مبتدئ
 ٥ منه ﴿ حتى تأتيهم الساعة ﴾ أى الموت أو القيامة ﴿ بغتة ﴾ أى فجأة
 بموتهم ختف الأنف ' ﴿ او يأتيهم عذاب يوم عقيم ٥ ﴾ يقتل فيه جميع
 أبنائه منهم و لا يكون لهم فيه شيء مما يترجونه ' من نصر أو غيره كما
 سعوا بحمد لهم و إلقاء الضلالات فى إعدام الآيات ، فاذا انكشف لهم
 الغطاء بالساعة أو بالعذاب الموصل إلى حد الفرغرة آمنوا دأب البهائم
 ١٠ التى لا ترى إلا الجزئيات ، فلم ينفعهم ذلك لقوات شرطه ، و قد زالت
 بحمد الله عن هذه الآية - بما قررته - الشكوك ، و انقضت مخيلات
 الشبه ، و انقضت مضلات الفتن . من قصة الفرائق ' و ما شاكلها مما
 يتعالى عنه ذلك الجنب الرفيع ، و الحى العظيم المنيع ، و لم يصح شيء
 من ذلك ، كما صرح به ' الحافظ عماد الدين ' ابن كثير ' و غيره ' ،
 ١٥ وكيف و قد منع الشيطان من مثاله ' صلى الله عليه و سلم فى المنام ،
 (١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لانف .
 (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : ثقل (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل :
 يترجون (٥) راجع رواية سعيد بن جبيرة فى تفسير ابن كثير ٣ / ٢٢٩ (٦) من
 ظ و مد ، و فى الأصل : يتعل (٧) راجع تفسيره ٣ / ٢٢٩ (٨) مثلاً القاضى
 عياض فى الشفاء (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : امثاله .

كما قال صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الشيخان ' عن أبي هريرة رضى الله عنه
 'من رآنى فى المام فقد رآنى فان الشيطان لا يتمثل بى' . وقد تولى الله
 سبحانه حفظ الذكر الحكيم ' بحراسة السماوات وغيرها " انا نحن نزلنا
 الذكر وانا له لحفظون " " الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين
 يديه ومن خلفه رصدا ليعلم ان قد بلغوا رسالت ربهم " . ٥

ولما كانوا من الكثرة ' أو القوة ' بمكان ، كان كانه قيل : كيف
 يغلبون ؟ فقال جوابا عن / ذلك : ﴿ الملك يومئذ ﴾ أى يوم إذ ' يأتيهم
 ذلك . إما فى القيامة أو فى الدنيا ﴿ الله ' ﴾ أى المحيط بجميع صفات الكمال
 وحده ، بتغليب اسمه الظاهر ، بأن يجرى أمره فيه على غير الاسباب
 التى تعرفونها . ١٠

ولما كان كانه قيل : ما معنى اختصاصه به و كل الأيام له ؟ قيل :
 ﴿ يحكم بينهم ' ﴾ أى [بين - ٧] المؤمنين والكافرين بالأمر الفصيل ،
 لاحكم فيه ظاهرا ولا باطنا لغيره ، كما ترونه الآن ، بل يمشى فيه الأمر
 على أتم قوانين العدل ، ولذلك سبب ظهور العدل ' عنه قوله مفصلا
 بادئا . [إظهارا لتفرده بالحكم باكرام من كانوا قاطعين بهوانهم فى الدارين ١٥

(١) رواه البخارى فى عدة المناسبات و مسلم فى الرؤيا (٢) فى مد : العظيم .

(٣-٣) سقط ما بين الرقین من مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : ان

(٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : لجميع (٦) من مد ، وفى الأصل و ظ : نقيض .

(٧) زيد من ظ (٨) من و ظ مد ، وفى الأصل : الحكم (٩) سقط من ظ .

نظم الدرر (سورة الحج ٢٢: ٥٦-٥٩) ج - ١٣

مع أن تقديمهم أوفق لمقصود السورة - ١ : ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا﴾
أى وصدقوا دعواهم الإيمان بأن عملوا ﴿الصَّالِحَاتِ﴾ وهى ما أمرهم
الله به .

ولما كانت إثابته تعالى لأهل طاعته^٢ تفضلا منه ، نبه على ذلك
بأعراء الخبر عن الفاء السببية بخلاف ما يأتى فى حق الكفار فقال :
﴿فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ فى الدنيا مجازا ، لئلاهم إليهم مع ما يجدونه من
لذة المناجاة و استشعار القرب ، وفى الآخرة حقيقة بما رحمهم الله به
من توفيقهم للأعمال الصالحة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أى غطوا ما أعطيتهم
من المعرفة بالأدلة على وحدانيتنا ﴿وَكَذَبُوا بآيَاتِنَا﴾ ساعين - بما
أعطيتهم من الفهم - فى تعجزها^٣ بالمجادلة بما يوحى إليهم أولياؤهم من
الشياطين من الشبه ، وقرن الخبر بالفاء إيذانا بأنه مسبب عن كفرهم
فقال : ﴿فَاُولَٰئِكَ﴾ أى البعداء عن أسباب الكرم ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾
بسبب ما سعوا فى إهانة آياتنا مردين إعزاز أنفسهم بمغالبتها والتكبر
عن اتباعها .

ولما كان المشركون يمتنعون بهذه الشبه وغيرها كثيرا من الناس
الإيمان ، وكانوا لا يتمكنون بها إلا من يخاطبهم ، رغب سبحانه فى الهجرة
فقال : ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ أى أوقعوا هجرة ديارهم وأهلهم
﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أى طريق ذى الجلال والإكرام التى شرعها ، فكانت^٤
(١) ما بين الحاجزين زيد من ظ ومد (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : طاعة .
(٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : يعجزها (٤) زيد فى الأصل : جعلها ، ولم تكن
الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : وكانت .

ظرفا لمهاجرتهم ، فلم يكن لهم بها غرض آخر . ولما كان أكثر ما يخاف من الهجرة القتل . لقصد الأعداء للمهاجر بالمصادمة ، عند تحقق المصادمة ، قال معبرا بأداة التراخي إشارة إلى طول العمر وعلو الرتبة بسبب الهجرة : ﴿ ثم قتلوا ﴾ أى بعد الهجرة ، وألحق به مطلق الموت فضلا منه فقال : ﴿ أو ماتوا ﴾ [أى - ٢] من غير قتل ﴿ ليرزقهم الله ﴾ ٥

أى الملك الأعلى ﴿ رزقا حسنا ﴾ من حين تفارق أرواحهم أشباحهم لأنهم أحياء عند ربهم ، وذلك لأنهم أرضوا الله بما أخلعوا منه مما أثلوه طول أعمارهم ، ' وأثله آباؤهم ' من قبلهم ، وأموالهم ' وأهلهم وديارهم .

ولما كان التقدير : فإن الله فعال لما يريد من إحيائهم ورزقهم وغيره ، عطف عليه قوله : ﴿ وإن الله ﴾ أى الجامع لصفات الكمال بعظمته ١٠ و قدرته على الإحياء كما قدر على الإمامة ﴿ لهو خير الرزقين ﴾ ٥ يرزق الخلق عامة البر منهم و الفاجر ، فكيف بمن هاجر إليه ! ويعطى عطاء لا يدخله عد ، ولا يحويه حد ، وكما دلت الآية على تسوية من مات في سبيل الله برباط أو غيره في الرزق بالشهيد ، دلت السنة أيضا / من حديث ٥٧٠ / سليمان وغيره رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ١٥ من مات مرباطا أجرى عليه الرزق وأمن الفتانين .

ولما كان الرزق لا يتم إلا بحسن الدار ، وكان ذلك من أفضل

(١) - سقط من مد (٢) زيد في الأصل : التى شرعها ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحدوثها (٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : وهم (٥) من مد ، وفي الأصل و ظ : قتالهم (٦) بين سطرى ظ : عطف على " ما أثلوه " (٧) راجع سنن ابن ماجه كتاب الجهاد باب فضل الرباط في سبيل الله (٨) في ابن ماجه : الفتان .

نظم الدرر (سورة الحج ٢٢ : ٥٩ و ٦٠) ج - ١٣

الرزق، قال دالا على ختام التي قبل: ﴿لبدخلنهم مدخلا﴾ أى دخولا
و مكان دخول على قراءة نافع [وأبى جعفر بفتح الميم -^١]، وإدخلا
و مكان إدخال على قراءة الباقيين ﴿يرضونه^٢﴾ لايفون به بدلا، بما
أرضوه به مما خرجوا منه .

و لما كان التقدير: فان الله لشكور حيد، وكان من المعلوم قطعاً
أنه لا يقدر أحد أن يقدر الله حق قدره وإن اجتهد، لأن الإنسان
محل الخطأ والنسيان، فلو أخذ^٣ بذلك هلك، وكان ربما ظن ظان
أنه لو علم ما قصرُوا فيه لغضب عليهم، عطف على ما قدرته قوله:
﴿وان الله﴾ أى الذى عمت رحمته وتمت عظمته ﴿لعليم﴾ [أى -^٢]
١٠ بمقاصدم و ما عملوا بما يرضيه و غيره ﴿حليمه﴾ عما قصرُوا فيه من
طاعته، و ما فرطوا فى جنبه سبحانه .

و لما ختم هذه الآيات - التى فيها لإلاذن للظالمين فى القتال
للاظالمين - بصفة الحلم^٤، فكان ذلك مخيلة لوجوب العفو عن حقوق
العباد كما فى شريعة عيسى عليه الصلاة و السلام، نفي ذلك بقوله إذا
١٥ لاجهارين فيمن أخرجهم من ديارهم أن يخرجوه من دياره و يذيقوه
بعض ما توعده^٥ الله به من العذاب [المهين -^٢]: ﴿ذلك ج﴾ أى الأمر
المقرر من صفة الله تعالى [ذلك -^٦] ﴿و من عاقب﴾ من العباد بأن

(١) زيد من مد، و راجع أيضا نثر المرجان ٤/ ٥٠٠ (٢) من ظ و مد، و فى
الأصل: أخذ (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ: مما (٥) من ظ و مد، و فى
الأصل: الحكم (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: توعده (٧) زيد من مد .
أصاب

أصاب خصمه ، لمصيبة^١ يرجو فيها العاقبة ﴿ بمثل ما عوقب ﴾ أى عولج
علاج من يطلب حسن العاقبة ﴿ به ﴾ [من أى معاقب كان -^٢] فلم
يتجاوز إلى ظلم ﴿ ثم بغى ﴾ أى من أى باغ كان ﴿ عليه ﴾ بالعود
إلى خصومته لأخذه^٣ حقه .

و لما كان ما يحصل للبغى عليه بالكسر عودا على بدء من الذل ٥
والهوان مبعدا لأن ينجر ، أكد وعده فقال : ﴿ لينصرنه الله^٤ ﴾ أى
الذى لا كفوء له .

و لما قيد ذلك بالمثلية ، و كان [ذلك -^٥] أمرا خفيا ، لا يكاد
يوقف عليه ، فكان ربما وقعت المجاوزة خطأ ، فظن عدم النصرة لذلك ،
أنهم تعالى أن المواخذة إنما هى بالعمد ، بقوله ؛ و يجوز أن يكون ١٠
التقدير ندبا إلى العفو بعد ضمان النصرة : "إن الله^٦ لعزیز حكيم ، و من
عفا و أصلح فقد تعرض لعفو الله عن تقصيره ، و مغفرته لذنوبه ، فهو^٧
احتباك : ذكر النصرة دليل العزة^٨ و الحكمة ، و ذكر العفو منه سبحانه
دليل^٩ حذف العفو من^٩ العبد ﴿ ان الله ﴾ أى الذى أحاط بكل
شئ قدرة و علما ﴿ لعفو ﴾ أى عن^{١٠} اقتص من ظلمه أول مرة ﴿ غفوره ﴾ ١٥
لمن اقتص من بغى عليه .

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بمصيبة (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد ،
و فى الأصل : بأخذه (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) فى مد : انه (٦) من ظ و مد ،
و فى الأصل : و (٧) تكرر فى الأصل فقط (٨) زيد فى الأصل : على ، و لم
تكن الزيادة فى ظ و مد لخلافها (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : فى (١٠) فى
ظ : لمن .

ولما ختم بهذين الوصفين ، ذكر من الدليل عليهما أمرا جامعا
للمصالح ، عاما للخلائق ، يكون فيه وبه الإحسان بالخلق والرزق فقال :
(ذلك) أى معرفة اتصافه سبحانه بهذين الوصفين (بأن الله)
المتصف بجميع صفات الكمال (بولج) لأجل مصالح العباد المسوء
و المحسن (اليل فى النهار) فيمحو ظلامه بضياءه . ولو شاء مؤاخذه
الناس / لجعله سرمدا فتعطلت^١ مصالح النهار (و بولج النهار فى اليل)
فينسخ^٢ ضياءه بظلامه ، ولولا^٣ ذلك لتعطلت مصالح الليل ،
أو يطول أحدهما حيث يراد استيلاء ما طبع عليه على ضد ما طبع عليه
الآخر لما يراد من المصالح التى جعل ذلك لأجلها (وان الله) بجلاله
١٠ وعظمته (سميع) لما يمكن أن يسمع (بصير) أى مبصر عالم لما
يمكن أن يبصر دائم الاتصاف بذلك ، فهو غير محتاج إلى سكون الليل
ليسمع ، ولا لضياء النهار ليبصر ، لانه منزه عن الاعراض ، وهو تمام
قدرته وعلمه لا يخاف فى عفوه غائلة ، ولا يمكن أن يفوته أمر ،
أو يكون التقدير : ذلك النصر والعفو بأنه قادر وبأنه عالم .

١٥ ولما وصف نفسه سبحانه [بما ليس لغيره فبان بذلك تقرير ما
سواه بفعله -]^٤ الله بقوله : (ذلك) أى الاتصاف بتمام القدرة وشمول
العلم (بأن الله) الحادى لصفات الكمال ، القادر على إخراج المعدوم
(١) فى مد : الكلمات (٢) فى ظ : فتعاطت (٣) زيد فى مد : به (٤) من ظ
و مد ، وفى الأصل : لو (٥) زيد من ظ و مد .

وتجديد ما فات ، من نشر الاموات وغيره (هو) وحده (الحق)
 أى الواجب الوجود (وان ما يدعون) [أى دعاء عبادة وم
 لا يسمعون - '] .

٢ ' ولما كان سبحانه فوق كل شيء يقهره و سلطانه ، قال محقرا لهم :
 (من دونه) [أى - '] من هذه الاصنام وغيرها ، [ولم يتقدم هنا ه
 من الدليل على بطلان الاوثان مثل ما ذكره في لقمان ٢ لداعى الحال
 إلى التأكيد بضمير الفصل فقال - '] : (هو الباطل) لأنه يمكن وجوده
 وعدمه ، فليس له من ذاته إلا العدم كغيره من الممكنات (وان الله)
 لكونه هو الحق الذى لا كفوه له [(هو) وحده - '] (العلى الكبيره)
 وكل ما سواه سافل حقير ، تحت قهره وأمره ، فهو يحيى الموتى كما ١٠
 تقدم أول السورة .

ولما دل ما تضمنه رزقه سبحانه للبت في سبيله بقتل أو غيره على
 إحيائه له ، و دل سبحانه على ذلك ١ و على أنه خير الرازقين بما له من
 العظمة ، و ختم بهذين الوصفين ، أتبعه دليلا آخر على ذلك كله بآية
 مشاهدة جامعة بين العالم العلوى والسفلى ، قاضية بعلوه وكبره ، فقال : ١٥
 (الم تر) أى أيها المخاطب (ان الله) أى المحيط قدرة وعلما
 (انزل من السماء ماء ٢) بأن يرسل رياحا فتثير سحابا فيمطر على
 الأرض المساء .

(١) زيد من مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ ، و وقع في الأصل بعد
 « الواجب الوجود » س ٢ والترتيب من مد (٣) آية ٣٠ (٤) بين سطرى ظ : أى
 الإحياء .

ولما كان هذا الاستفهام المتلو بالنفي في معنى الإثبات لرؤية الإنزال
 لكونه فيه معنى الإنكار، عطف 'على' "إنزل" "معقباً له" [على حسب
 العادة - ٣] قوله، معبراً بالمضارع تنديها على عظمة النعمة بطول زمان أثر
 المطر وتجدد نفعه: ﴿قصبغ الأرض﴾ أى بعد أن كانت مسودة^١ يابسة،
 مينة مأمدة ﴿مخضرة^٢﴾ حية بانعة، مهتزة نامية، بما فيه رزق العباد،
 وعمارة البلاد، ولم ينصب على أنه جوابه لئلا يفيد نفي الاخضرار،
 وذلك لأن الاستفهام من حيث^٣ فيه معنى الإنكار نفي لنفي رؤية الإنزال
 الذى هو إثبات الرؤية، فيكون ما جعل جواباً له متفياً، لأن الجواب
 متوقف على ما هو جوابه، فإذا نفي ما عليه التوقف اتنى المتوقف عليه،
 ١٠ أى إذا نفي الملزوم اتنى اللازم، وإذا^٤ نفي السبب اتنى المسبب - كما
 تقدم في "فكون لهم قلوب^٥"، فلو نصب "يصبح" على أنه جواب
 الاستفهام لكان المعنى أن عدم الاخضرار متوقف على نفي النفي للأنزال
 [الذى - ٢] هو إثبات الإنزال، وهو واضح الفساد - أفاده شيخنا
 الإمام أبو الفضل^٦ رحمه الله .

١٥ ولما كان هذا إنتاجاً للأشياء^٧ من أضعافها. لأن كلا من الماء في

(١ - ١) في ظ : عليه، وزيد بعده في الأصل : عليه، ولم تكن الزيادة في ظ
 ومد لحذفها (٢ - ٢) في ظ : مسيباً عنه (٣) زيد من مد (٤) سقط من ظ .
 (٥) زيد في الأصل : هو، ولم تكن الزيادة في ظ ومد لحذفها (٦) من ظ ومد،
 وفي الأصل : ان (٧) آية ٤٦ (٨) ابن حجر العسقلاني (٩) من ظ ومد، وفي
 الأصل : لك شيئاً - كذا .

٥٧٢ /

رقته و ميوعة / و التراب في كثافته و جوده في غاية البعد عن النبات في تنوعه و خضرته ، و نموه و بهجته ، قال سبحانه و تعالى منها على ذلك :
 ﴿ ان الله ﴾ أى ' الذى له تمام العز و كمال العلم ﴾ لطيف ﴾ أى يسبب الأشياء عن أصدادها ﴾ خير ﴾ أى مطلع على السرائر و إن دقت ، فلا يستبعد عليه إحياء من أراد بعد موته ، و الإحسان في رزقه .

و لما اقتضى ذلك أنهى التصرف ، لأنه لا بد بعد اختلاط الماء بالتراب من أمور ينشأ عنها النبات ، على تلك الهيئات الغريبة المختلفة ، فأوجب ذلك أن يكون هو المالك المطلق . قال : ﴿ له ما في السموات ﴾ أى التى أنزل منها الماء ؛^١ و لما كان السباق لإثبات البعث و الانفرد بالملك و الدلالة على ذلك ، اقتضى الحال التأكيد بإعادة الموصول فقال^٢ : ١٠ :
 ﴿ وما في الارض ﴾ [أى -^٢] التى استقر فيها ، و ذلك يقتضى ملك السماوات و الارضين ، فإن ' كل واحدة منها ' فى التى فوقها حتى ينتهى الأمر إلى عرشه سبحانه الذى لا يحوز أصلا أن يكون لغيره .

و لما كان من المألوف عندنا أن المالك فقير إلى ما فى يده ، مذموم على إمساكه بالتقتير ، و على بذله بالتبذير ، بين أنه بخلاف ذلك ١٥ فقال : ﴿ وان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة التامة ﴾ لهو ﴾ أى وحده ﴾ الغنى ﴾ أى عنهما و عما فيهما ، ما خلق شيئا منهما أو فيها حاجة له إليه بل لحاجتكم أنتم إليه ﴾ الحميد ﴾ فى كل ما يعطيه أو يمنعه ، لما فى

(١) سقط من مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) زيد من مد (٤) فى ظ و مد : لان .

ذلك من الحكم الخفية والجلية؛ ثم استدل على ذلك بقوله تعالى :
 ﴿الم تر﴾ أى أيها المخاطب ﴿ان الله﴾ أى الحائز لصفات الكمال ،
 من الجلال والجمال ﴿سخر لكم﴾ فضلا منه ﴿ما فى الارض﴾ [كله -^١]
 من مسالكها وفجاجها وما فيها من حيوان وجماد ، وزروع وثمار ،
 هـ فلم أنه غير محتاج إلى^٢ شئ منه .

ولما كان تسخير السلوك فى البحر من أعجب العجب ، قال :
 ﴿والفلك﴾ أى و^٣سخرها لكم^٢ موسقة بما تريدون من البضائع . ثم
 بين تسخيرها بقوله : ﴿تجرى فى البحر﴾ أى العجاج ، المتلاطم بالأمواج ،
 بريح طيبة على لطف و تودة .

١٠ ولما كان الراكب فيها - مع حثيث السير وسرعة المر - مستقرا
 كأنه على الأرض ، عظم الشأن فى سيرها بقوله : ﴿بامرء﴾ ولما
 كان إمساكها على وجه الماء مع لطافته عن الغرق أمرا غريبا كامساك
 السماء على متن الهواء عن الوقوع ، أتبعه قوله : ﴿و يمسك السماء﴾ ثم
 فسر ذلك بقوله مبذلا^٥ : ﴿ان تقع﴾ أى^٦ مع علوها وعظمتها وكونها
 ١٥ بغير عماد ﴿على الأرض﴾ التى هى تحتها .

ولما اقتضى السياق أنه لا بد أن تقع لانحلاله إلى^٧ أن يمنع^٧

(١) تأخر فى الأصل عن « ما فيها » والترتيب من ظ و مد (٢) من ظ
 و مد ، وفى الأصل : التى (٣-٣) فى ظ : سخر الفلك (٤) من ظ و مد ، وفى
 الأصل : شرعة (٥) - سقط من ظ (٦) سقط من مد (٧-٧) فى ظ : تمسك ،
 وفى مد : يمنع - كذا .

وقوعها لأنها ' جسم كثيف عظيم ، ليس له من طبعه إلا ' السفل ، أشار إلى ذلك بقوله : (' إلا باذنه ') [أى فيقع إذا أذن فى وقوعها حين يريد طى هذا العالم و إيجاد عالم البقاء . و لما كان هذا الجود الأعظم و التدبير المحكم محض كرم من غير حاجة أصلا ، أشار إليه بقوله - ' : (ان الله) [أى - '] الذى له الخلق و الأمر .

٥

و لما كانت الجماد كله متاعا ' للحيوان ، اقتضى تقديم قوله : (بالناس) أى على ظلمهم (لرموف) أى [بما - '] يحفظ من سرائرهم عن الزيغ بارسال الرسل ، و إنزال الكتب ، و نصب المناسك ، التى يجمع معظمها البيت الذى بوأه لإبراهيم عليه السلام ، و هو التوحيد و الصلاة و الحج الحامل على التقوى التى بنيت عليها السورة ، فان الرأفة ١٠

٥٧٣ /

كما / قال الحارثى : أطف الرحمة و أبلغها ، فالرموف به تقيمه غاية الرأفة حتى تحفظ ' بمسراها فى سره ظهور ما يستدعى العفو ، و تارة يكون هذا الحفظ بالقوة بنصب الأدلة ، و تارة يضم إلى ذلك الفعل بخلق الهداية فى القلب ، ' و هذا خاص بمن له بالمنعم نوع وصلة ' . (رجم ه) بما ثبت لهم عموما ' من الدرجات على ما منحهم [به - '] من ثمرات ١٥

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : لانه (٢) زيد فى الأصل : به ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لخذناها (٣ - ٢) تقدم ما بين الرقين على «أشارة» س ١ و الترتيب من ظ و مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) العبارة من هنا إلى «تقديم قوله» ساقطة من ظ (٦) من مد ، وفى الأصل : متاع (٧) بين سطرى ظ : أى الرأفة (٨ - ٨) سقط ما بين الرقين من ظ (٩) سقط من ظ .

ذلك الحفظ من ' الأعمال المرضية لما تقدم في الفاتحة من أن الرحيم خاص [الرحمة - ٢] بما رضىه الإلهية ، ٢ و تقدم في البقرة تحقيق هذا الموضع ٢ .

ولما بين سبحانه جملا من أمهات الدين ، و أتبعها الإعانة لاهله على المعتدين ، و ختم بما بعد الموت للمهاجرين ، ترغيبا في منابذة الكافرين ، و عرف بما له من تمام العلم و شمول القدرة ، و مثل ذلك بأنواع من التصرف في خلق السماوات و الأرضين ، و أنها ' بالدلالة على أنه كله لنفع ' الآدميين نعمة منه ، تلا ذلك بما هو أكبر منه نعمة عليهم فقال : (وهو) أى وحده (الذى أحياكم) أى ' عن المجادية بعد أن أوجدكم ١٠ من العدم بعد أن لم تكونوا شيئا ، منة منه عليكم مستقلة ، لزم منها المنة بما تقدم [ذكره من المنافع الدنيوية لتستمر حياتكم أولا ، و الديفة - ٢] ليتنفعوا ٦ بالبقاء ثانيا (ثم يميتكم) ليكون الموت واعظا لأولى البصائر منكم ، و زاجرا ٧ لهم عما طبعوا عليه من الأخلاق المذمومة (ثم يحييكم) للتحلى بفصل القضاء و إظهار العدل في الجزاء .

١٥ ولما علم أن كل ما في الوجود من جوهر و عرض نعمة على

(١) بيان لذلك الحفظ (٢) زيد من ظ و مد (٣ - ٣) سقط ما بين الرقين من ظ (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : انها (٥) زيد في الأصل : المسكين ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٦) من مد ، و في الأصل و ظ : ليتنفعوا . (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : زواجرا .

الإنسان حتى الحياة والموت ، و كان من أجل الأشياء ، وكانت أفعاله معرضة عن رب هذه النعم بالعبادة لغيره ، أو التقصير في حقه على عموم فضله وخيره ، ختم الآية سبحانه بقوله : (أن الإنسان لكفور) أي بليغ الكفر حيث لم يشكر على هذه النعم المحيطة به .

ولما تقدم ذكر المناسك ، وكان لكثرة الكفار قد يقع في النفس ه أن إقامتها معجوز عنها ، وكشف سبحانه غم [هذا - ١] السؤال بآية " أن الله يدفع عن الذين آمنوا " وما بعدها ، فأتج ذلك علنا بتصرفه التام بقدرته الباهرة ، و عليه الشامل المقتضى لإقبال العباد إليه ، واجتماعهم كلهم عليه ، فمن شك في قدرته على إظهار دينه بمدافعة عن أهله ، أو نازع فيه فهو كفور ، ذكر بإظهار^٢ أول هذا الخطاب بآخر ذلك ١٠ الخطاب^٣ مؤكدا لما أجاب به عن ذلك السؤال من^٤ تمام القدرة وشمول العلم^٥ أنه هو الذي مكن لكل قوم ما هم فيه من^٦ المناسك التي بها انتظام الحياة ، فإن وافقت الأمر الإلهي كانت سببا للحياة الأبدية ، وإلا كانت سببا للهلاك الدائم ، وهو سبحانه الذي نصب من الشرائع لكل قوم ما يلائمهم ، لأنه بتغيير الزمان بإيلاج الليل في النهار على مر الأيام ، ١٥ و توالي الشهور والأعوام ، يسبب من الأسباب - لأجل امتحان العباد ، وإظهار ما خبا في جلبة كل منهم من طاعة وعصيان ، وشكر وكفران

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : نافلا - كذا .
 (٣) سقط من مد (٤ - ٤) في مد : شمول العلم و تمام القدرة (٥) بين سطرى
 ظ : مفعول ذكر (٦) زيد في ظ : تمام .

- ما يصير الفعل / مصلحة بما يقتضيه من الأسباب بعد أن كان مفسدة
وبالعكس ، لاقتداره على كل شيء وإظهار اقتداره كما قال تعالى عند
أول ذكره للنسخ " ألم تعلم ان الله على كل شيء قدير " - الآيات ،
فلم أن منازعتهم فيه كفر ، فلذلك أتبع هذا قوله من غير عاطف
ه لا بينهما من تمام الاتصال : (لكل امة) أى فى كل زمان (جعلنا)
أى بما لنا من العظمة (مفسكا) أى شرعا لاجتماعهم به على خالقهم
حيث وافق أمره ، ول اجتماعهم على أهوائهم إذا لم يوافق ، وعن ابن
جرير^٢ أن أصل المنسك^١ فى كلام العرب هو الموضع الذى يعتاده الإنسان
و يتردد إليه إما لخير أو لشر .

١٠ و لما كان بحيث أن ما أرواه سبحانه كان لا محالة ، قال :
(هم ناسكوه) أى متعبدون به ، لأننا ندافع عنهم من يعاديهم فيه حتى
يستقيم لهم أمره ، لإسعادهم به أو إشقايتهم ، فن شك فى قدرتنا على
تمكينهم^٣ منه فهو كفور ، فان وافق الامر كان ربما وإيمانا ، وإن خالفه
كان كفرا وخسرانا .

١٥ و لما كان قد حكم باظهار دينه على الدين كله ، وبأن الكفار على
كثرتهم يغلبون بعد ما هم فيه من البطر ، أعلم بذلك بالتعبير بصيغة
الزجر لهم بقوله مسيئا عن هذه العظمة : (فلا يتازعك فى الامر)

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : اذ .
(٣) راجع جامع البيان ١٧ / ١٢٥ (٤) من ظ و مد والجامع ، وفى الأصل :
للفسك (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : تمكنتهم (٦) فى مد : تسييا ، والعبارة
من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة فى ظ إلى « العظمة » .

أى بما يلقى الشيطان إليهم من الشبه ليجادلوا به ، من طعنهم في دينك بالنسخ بقولهم : لو كان من عند الله لما أمر اليوم بشيء ونهى عنه غدا . لأنه يلزم منه البدء ، فليس الأمر كما زعموا ، بل هو دال على العلم بالعواقب و الاقدار التام على شرع المذاهب ، و غير ذلك من الشبه كما مضت الإشارة إليه ، فلا يلتفت إليهم في شيء فزعوا فيه كآثنا ما ه كان ، و روى أنها نزلت بسبب جدال الكفار بديل بن ورقاء و بشر ابن سفيان الخزاعيين و غيرهما في الذباح ، و قولهم للؤمنين : تأكلون ما فيكم وهو من قتلكم ، و لا تأكلون ما قتل الله - يعنون الميتة .

و لما كان النهى عن المنازعة في الحقيقة له صلى الله عليه وسلم إلهابا و تهيجا إلى الإعراض عنهم لأنهم أهل لذلك ، لأن كيدهم في ١٠ تضليل ، و الإقبال على شأته ، و كان التعبير بما تقدم من تحويله إليهم لتأكيد الأمر مع دلالة على إجلاله صلى الله عليه وسلم عن المواجهة بالنهى ، عطف عليه قوله : (و ادع) * أى أوقع الدعوة لجميع الخلق (إلى ربك) [أى - ١] المحسن إليك بارسالك ، بالحمل [لهم - ٦] على كل ما أمرك به متى ما أمرك ، و لا يهولئك قولهم ، فانهم مغلوبون ١٥

لا محالة ، و لا تتأمل عاقبة من العواقب ، بل أقدم على الأمر و إن ظن

(١) راجع البحر المحيط ٢٨٧/٦ (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : بعنوان .
 (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : بأن (٤) سقط من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين
 الرقبتين من ظ (٦) زيد من مد (٧ - ٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : منى .

أن فيه الهلاك ، فانه ليس عليك إلا ذلك ، و أما نظم ' الامور على نهج
الساد في إظهار الدين ، و قهر المعاندين ، فالى الذى أمرك بتلك الأوامر ،
و أحكم ' الشأن فى جميع الزواجر ؛ ثم علل ذلك بقوله : (انك)
مؤكدًا له بحسب ما / عندهم من الإنكار (لعل هدى مستقيم) فانه تأصيل
العلم ' القدير و إن طرقة التغيير .

/٥٧٥

ولما أمره بالإقبال على ما يهيمه ، و الإعراض عن منازعتهم ،
فى صيغة نهيم عن منازعته ، عليه الجواب إن ارتكبوا منه بعد
الاجتهاد فى دفعهم ، لما لهم من اللجاج و العتو ، فقال : (و ان جدلوك)
أى فى شىء من دينك بشىء مما تقدم من أقوالهم السفسافة أو بغيره
١٠ (قل) معرضا عن عيب دينهم الذى لا أبين فسادا منه : (الله) أى
الملك المحيط بالعرز و العلم (اعلم بما تعملون) مهديا لهم بذلك ، مذكرا
لنفسك بقدرة ' ربك ، قاطعا بذلك الممازعة من حيث رقب ، متوكلا
على الذى أمرك بذلك فى حسن تدبيرك و المدافعة عنك و مجازاتهم
بما سبق عليه به مما يستحقونه ؛ قال الرازى فى اللوامع : و ينبغى أن
١٥ يتأدب ' بهذا كل أحد ، فان أهل الجدل قوم جاوزوا حد العوام
بتحذلقهم ، و لم يبلغوا درجة الخواص الذين عرفوا الأشياء على ما هى
عليه ، فالعوام منقادون للشريعة . و الخواص يعرفون أسرارها و حقائقها ،
و أهل الجدل قوم فى قلوبهم اضطراب و انزعاج .

- (١) من ظ و مد . وفى الأصل : تعلم (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : حكم .
(٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : قدره (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : يثاب .

و لما

ولما أمره بالإعراض عنهم ، وكان ذلك شديداً على النفس لتشوفها
إلى النصرة ، رجاء 'في ذلك بقوله' ، مستأنفاً [مبدلاً من مقول الجزء - ٣]
تحذيراً لهم : (الله) أى الذى لا كفوء له (يحكم بينكم) أى بينك مع
أتباعك وبينهم (يوم القيامة) الذى هو يوم التغابن (فيما كنتم) أى
بما [هو - ٥] لكم كالجبل^٦ (فيه) أى خاصة^٧ (تختلفون) فى أمره
الدين ، ومن نصر ذلك اليوم لم يبال بما حل به قبله "وسيعلم الذين ظلموا
أى منقلب ينقلبون" قال البغوى^٨ : والاختلاف ذهاب كل واحد من
الخصمين إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر .

ولما كان حفظ ما يقع بينهم^٩ على كثرتهم فى طول الأزمان
أمراً هائلاً ، أتبعه قوله : (الم تعلم ان الله) بجلال عزه وعظيم سلطانه ١٠
(يعلم ما فى^{١٠}) ولما كان السياق لحفظ أحوال الثقلين للحكم بينهم ،
[و - ١١] كان أكثر ما يتخيل أن بعض الجن يبلغ استراق السمع من
السما الدنيا ، لم تدع حاجة إلى ذكر أكثر منها ، فأفرد معبراً بما يشمل
- لكونه جنساً - الكثير أيضاً فقال : (السماء والارض^{١١}) مما يتفق^{١٢}

- (١-١) من ظ و مد ، وفى الأصل : بذلك فى قوله (٢) سقط من ظ (٣) زيد
من ظ (٤) العبارة من هنا إلى «كالجبل» ساقطة من ظ (٥) زيد من مد (٦) من
مد ، وفى الأصل : فى الجبل (٧ - ٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٨) راجع
معالم التنزيل بهامش الباب ٢٢/٤ (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : منهم .
(١٠) تأخر فى الأصل و ظ عن «أيضاً قال» س ١٤ و الترتيب من مد .
(١١) زيد من ظ و مد (١٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : تنفق .

منهم ومن غيرهم من جميع الخلائق الحيوانات وغيرها .

ولما كان الإنسان محل النسيان ، لا يحفظ الأمور إلا بالكتاب ،

خاطبه بما يعرف ، مع ما فيه من عجب القدرة ، فقال : (ان ذلك)

'أى الأمر العظيم' (فى كتيب ') كتب فيه كل شيء حكم بوقوعه

قبل وقوعه وكتب جزاءه ؛ ولما كان جمع ذلك فى كتاب أمرا

بالنسبة إلى الإنسان متعذرا ، أتبعه التعريف بسهولة عنده فقال : (ان ذلك)

أى 'علم ذلك الأمر العظيم' بلا كتاب ، وجمعه فى كتاب قبل كونه

وبعد (على الله) أى الذى لا [حد -] لعظمته ، وحده (يسيره) .

ولما أخبر سبحانه أن الشك لا يزال ظرفا لهم - لما يلقى الشيطان

١٠ من شبهه فى قلوبهم القابلة^٢ لذلك بما لها من المرض وما فيها من الفساد

- إلى إتيان الساعة ، وعقب ذلك بما ذكر من الحكم المفصلة ، والإحكام

المشرفة المفصلة ، إلى أن ختم بأنه وحده الحكم فى الساعة ، مرها من

تمام عليه / وشمول قدرته ، قال معجبا من^٣ لا ينفعه الموعظة ولا يجوز

٥٧٦ /

الواجب وهو يوجب الحال ، عاطفا على " ولا يزال " : (ويعبدون)

١٥ 'أى على سبيل التجديد والاستمرار' (من دون الله) 'أى من

أدنى رتبة من رتب' الذى قامت جميع الدلائل على احتوائه على جميع

صفات الكمال ، وتنزهه عن شوائب النقص (ما لم ينزل به سلطانا)

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢-٢) فى ظ : علمه (٣) زيد من ظ ومد .

(٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : المقابلة (٥) من ظ ، وفى الأصل ومد : ما .

أى حجة واحدة من الحجج .

و لما كان قد يتوهم أن عدم إزال السلطان لا يفييه ، قال مزبلا
لهذا الوم : (وما ليس لهم به علم) أى أصلا (وما) أى و الحال
أنهم ما لهم ، ولكنه أظهر إشارة إلى الوصف الذى استحقوا به الهلاك
فقال : (للظلمين) أى الذين وضعوا التعبد فى غير موضعه بارتكابهم •
لهذا الأمر العظيم الخطر ؛ وأكد النفى [واستغرق المنفى - ١] بأثبات
الجار فقال : (من نصيره) [أى - ١] ينصرهم من الله ، لا بما أشركوه به
ولا من غيره ، لا فى مدافعة عنهم ولا فى إثبات حجة لمذاهبهم ، ففى
أن يكون أحد يمكنه أن يأتى بنصرة تبلغ القصد بأن [يغلب - ٢] المنصور
عليه ، وأما مطلق نصر لا يفيد بما تقدم من شبه [الشيطان - ٢] فلا . ١٠
و لما ذكر اعترافهم بما لا يعرف [بنقل ولا عقل - ٢] ، ذكر إنكارهم
بما لا يصح أن ينكر فقال : (واذا تتلى) أى على سبيل التجديد
و المتابعة من أى تالى كان (عليهم 'ايتنا) أى المسموعة على ما لها
من العظمة والعلو^٢ ، حال كونها (بينت) لا خفاء بها عند من له بصيرة
فى شىء مما دعت إليه من الأصول و الفروع (تعرف) بالقراسة فى ١٥
وجوههم - هكذا كان الأصل ، ولكنه أبدل الضمير بظاهر يدل
على عنادهم فقال : (فى وجوه الذين كفروا) أى تلبسوا بالكفر
(المنكر^٢) أى الإنكار الذى هو منكر فى نفسه لما حصل لهم من

(١) زيد من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ .

الغيظ؛ ثم بين 'ما لاح' في وجوههم فقال: (يكادون يسطون)
 أى يوقعون السطوة بالبطش والعنف (بالذين يتلون عليهم 'أينتنا')
 أى 'الدالة على أسمائنا الحسنى، وصفاتنا العلى، القاضية بوحدايتنا، مع
 كونها يينات في غاية الوضوح في أنها كلامنا، لما فيها من الحكم والبلاغة
 التى عجزوا عنها .

و لما استحقوا - بانكارهم [و - ٢] ما أرادوه من الاذى
 لأولياء الله - النكال، تسبب عنه إعلامهم بما استحقوه، فقال مؤذنا
 بالغضب بالإعراض عنهم، أمراله صلى الله عليه وسلم بتهديدهم:
 (قل افاينكم) أى اتعنون^١ فأخبركم خبراً عظيماً (بشر من ذلكم)
 ١٠ الامر الكبير من الشر الذى أردتموه بعباد الله التالين^٢ عليكم للآيات
 و ما حصل لكم من الضجر من ذلك، فكأنه قيل: ما هو؟ قيل:
 (النار^٣) ثم استأنف قوله متهمكاً^٤ بهم بذكر الوعد: (وعدها الله)
 العظيم الجليل (الذين كفروا^٥) جزاء لهم على مهمهم هذا، فبئس الموعد
 هى (وبئس المصير^٦) .

١٥ و لما أخبر تعالى عن أنه لاجحة لعابد غيره، وهدد من عاتده،
 أتبعه بأن الحجة قائمة على أن ذلك الغير في غاية الحقارة، ولا قدرة

(١-١) من ظ و مد، وفي الأصل: كاح (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ
 و مد (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: عنهما (٥) من الوعى (٦) زيد في الأصل:
 اى، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: التالين .
 (٨) من ظ و مد، وفي الأصل: تهكاً (٩) من ظ و مد، وفي الأصل: عانه .

له على دفع ما تهدد به عابده و لا على غيره، فكيف بالصلاحية لتلك^١
الرتبة الشريفة، و الحطة العالية المتينة، فقال مناديا أهل العقل متنبها تنبها
/ عاما: ﴿يتاياها الناس﴾.

٥٧٧ /

٢ و لما كان المقصود من المثل تعقله^٢ لا قائله، بنى للفعول قوله:
﴿ضرب مثل﴾ حاصله أن من عبدتموه أمثالكم، بل هم أحقر منكم •
﴿فاستمعوا﴾ أى أنصتوا متدبرين ﴿له^٣﴾ ثم فسر به بقوله:
﴿ان الذين تدعون﴾ أى فى حوائجكم، و يجعلونهم آلهة ﴿من دون الله﴾
أى الملك الاعلى من هذه الاصنام التى أتم بها مقفرون، و لما تدعون
فيها مقفرون^٤، لأن سلب القدرة عنها يبين أنها فى^٥ أدنى المراتب
﴿لن يخلقوا ذبابا﴾ أى لا قدرة لهم على ذلك الآن، و لا يتجدد لهم ١٠
هذا الوصف أصلا فى شيء من الأزمان، على حال من الأحوال، مع
صغره، فكيف بما هو أكبر منه ﴿و لو اجتمعوا﴾ [أى الذين زعموهم
شركاء -^٦] ﴿له^٧﴾ أى الخلق، فهم فى هذا أمثالكم ﴿و ان﴾ أى و ابلغ
من هذا أنهم عاجزون عن^٨ مقاومة^٩ الذباب فإنه إن ﴿يسلبهم الذباب﴾
أى الذى تقدم أنه لا قدرة لهم على خلقه و هو فى [غاية -^{١٠}] الحقارة ١٥

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: فذلك (٢) العبارة من هنا إلى «للفعول قوله»
ساقطة من ظ (٣) من مد، و فى الأصل: معقله (٤) زيد فى مد: أى (٥) من
ظ و مد، و فى الأصل: هى (٦) العبارة من هنا إلى «المراتب» ساقطة من
ظ (٧) من مد، و فى الأصل: من (٨) زيد من مد (٩) سقط من مد (١٠) من
ظ و مد، و فى الأصل: مقارنة (١١) زيد من ظ و مد.

(شيئاً) من الأشياء جل أو قل بما تطلبونهم^١ به من الطيب أو تضعونه بين أيديهم من الأكل أو غيره (لا يستنقذوه) أى يوجدوا خلاصه أو^٢ يطلبوه (منه^٣) فهم فى هذا أحقر منكم^٤ ، وجهه التمثيل به فى الاستلاب الوقاحة ، ولهذا يجوز عند الإبلاغ فى الذب ، فلو كانت وقاحته^٥ فى الأسد لم ينتج منه أحد ، ولكن^٦ اقتضت الحكمة أن تصحب^٧ قوة الأسد النفرة ، ووقاحة الذباب الضعف ، [وهو واحد لا جمع ، فى الجمع بين العباب والمحكم أن ابن عبيدة قال : إنه الصواب ، ثم قال : وفى كتاب ما تلحن فيه العامة ، لآبى عثمان المازنى : ويقال : هذا ذباب واحد ، وثلاثة أدبة ، لأقل العدد ولاكثره ذباب ، وقول الناس : ذبابة ١٠ - خطأ ، فلا تقله -^٨] .

[ولما كان هذا ربما أفهم قوة الذباب -^٩] ، عرف أن المقصود غير ذلك بقوله ، فذلكم للكلام من^{١٠} أوله : (ضعف الطالب) أى للاستنقاذ من الذباب ، وهو الأصنام وعابدوها (والمطلوب^{١١}) أى الذباب والأصنام ، اجتمعوا فى الضعف وإن كان الأصنام أضعف ١٥ بدرجات^{١٢} .

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : تطلبونهم (٢) فى ظ : يستخلصوه ، والعبرة فيه من بعده إلى « يطلبوه » ساقطة (٣) من مد ، وفى الأصل « و » . (٤) العبارة من هنا إلى « الذباب الضعف » ساقطة من ظ (٥) من مد ، وفى الأصل : راحته (٦) من مد ، وفى الأصل : لكنها (٧) من مد ، وفى الأصل : يصحف (٨) زيد من مد (٩) زيد من ظ ومد (١٠) من ظ ومد ، وفى الأصل : فى (١١) سقط من ظ .

ولما أتج هذا جهلهم بالله ، عبر عنه بقوله : ﴿ ما قدروا الله ﴾
 أى الذى له الكمال كله ﴿ حق قدره ^١ ﴾ فى وصفهم بصفته غيره كأننا
 منزه كان ، فكيف وهو أحقر الأشياء . ولما كان كأنه قيل : ما قدره ؟
 قال : ﴿ ان الله ﴾ أى الجامع لصفات الكمال ﴿ لقوى ﴾ على خلق كل
 ممكن ﴿ عزيزه ﴾ لا يغلبه شيء ، وهو يغلب كل شيء بخلاف
 أصنامهم وغيرها .

ولما نصب الدليل على أن ما دعوه لا يصلح أن يكون شيء منه
 إلها بعد أن أخبر أنه لم ينزل إليهم حجة بعبادتهم لهم ، وختم بما له
 سبحانه من وصفى القوة والعزة بعد أن أثبت أن له الملك كله ، تلا
 ذلك بدلية الذى تقتضيه سعة الملك وقوة السلطان من إنزال الحجج ١٠
 على أئمة الرسل بأوامره ونواهيهِ الموجب^٢ لإخلاص العباداة [له - ^٣]
 المقضى لتعذيب تاركها ، فقال : ﴿ الله ﴾ أى الملك الأعلى ﴿ بصطفى ﴾
 أى يختار^٤ ويخلص^٥ ﴿ من الملائكة رسلا ﴾ إلى ما يتبغى الإرسال فيه
 من العذاب والرحمة ، فلا يقدر أحد على صدم عما أرسلوا له ، ولا شك
 أن قوة الرسول من قوة المرسل ﴿ ومن الناس ^٦ ﴾ أيضا رسلا يأتون ١٥
 عن^٧ الله بما يشرعونه لعباده ، لتقوم عليهم بذلك حجة النقل ، مضمومة^٨
 إلى سلطان العقل . فمن عاداهم خسر وإن طال استدراجه . ولما كان
 ذلك لا يكون إلا بالعلم ، قال : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له^٩ الجلال والجمال^{١٠}

(١) فى ظ : يقتضيه (٢) بين سطرى ظ : أى الدليل (٣) زيد من مد (٤-٤) سقط
 ما بين الرقین من ظ (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : عند (٦) من ظ و مد ،
 وفى الأصل : مضمونه (٧-٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : الجمال والجمال .

(سمیع) ای لا یکن أن یسمع من الرسول و غیره (بصیر) ای
 مبصر عالم بكل ما یمكن عقلا أن یبصر و یعلم ، بخلاف أصنامهم .
 و لما كان المتصف بذلك قد یكون وصفه مقصورا علی / بعض
 الأشياء ، أخبر أن صفاته محیطة فقال : (یعلم ما بین یدیه) ای
 ۵ الرسل (و ما خلفهم) ای علیه محیط ^۲ بما هم مطلعون علیہ و بما غاب
 عنهم ^۳ ، فلا یفعلون شیئا إلا بأذنه ، فانه یسلک من بین یدیه و من
 خلفهم رسدا لیعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم و إن ظن الجاهلون غیر
 ذلك ، لاحتجابه سبحانه و تعالی فی الاسباب ، فلا یقع فی فکر أصلا
 أن المحيط ^۴ علما بكل شیء ^۵ الشامل القدرة لكل شیء یكل رسولا ^۶ من
 ۱۰ رسله إلى نفسه ، فیتکلم بشیء لم یرسله به ، و لا أنه یمكن شیطانا أو غیره
 أن یتکلم علی لسانه بشیء ، بل کل ^۷ منهم محفوظ فی نفسه " لا ینطق
 عن الهوى ان هو الا وحی یوحى " محفوظ عن تلیس غیره " انا نحن
 نزلنا الذکر و انا له لحفظون " (والی الله) ای الذی لا کفو له ، وحده
 (ترجع) ^۸ ای بغایة السهولة بوعده فصل لا بد منه ^۹ (الاموره) يوم
 ۱۵ یتجلی ^{۱۰} لفصل القضاء ، فیکون أمره ^{۱۱} ظاهرا لاخفاء فیہ ، و لا یصدر ^{۱۲}

(۱) زید فی الأصل : هو ، و لم تکن الزیادة فی ظ و مد لحذفها (۲-۲) فی ظ :
 بهم (۳-۳) من ظ و مد ، و فی الأصل : بكل شیء علما (۴) من ظ و مد ،
 و فی الأصل : رسول (۵) من ظ و مد ، و فی الأصل : کان (۶-۶) سقط
 ما بین الرقیین من ظ (۷) من ظ و مد ، و فی الأصل : یتجلی (۸) من ظ و مد ،
 و فی الأصل : انه (۹) من ظ و مد ، و فی الأصل : یعتذر .

شيء من الأشياء إلا على وجه العدل الظاهر لكل أحد أنه منه . ولا يكون لأحد التفات إلى غيره ، والذي [هو - ١] بهذه الصفة له أن يشرع ما يشاء ، و يفسخ من الشروع ما يشاء ، و يحكم بما يريد .
ولما أثبت سبحانه أن الملك و الأمر له وحده ، وأنه قد أحكم شرعه ، و حفظ رسله ، وأنه يمكن لمن يشاء أى دين شاء ، و ختم ذلك بما يصلح للترغيب و التهيب ، وكانت العادة جارية بأن الملك إذا برزت أوامره و انبثت دعائه ، أقبل إليه مقلون ، خاطب المقلبين إلى دينه ، و هم الخلق من الناس ، فقال : ﴿ يتاياها الذين امنوا ﴾ أى قالوا : آمنا ﴿ اركعوا ﴾ تصديقا لقولكم ﴿ و اسجدوا ﴾ أى صلوا الصلاة التى شرعتها للآدميين ، فانها رأس العبادة ، لتكون دليلا على صدقكم فى الإقرار بالإيمان ، ١٠ و خص هذين الركنين فى التعبير عن الصلاة بهما ، لأنهما - لمخالفتها الهيئات المعتادة - هما الدالان على الخضوع ، فحسن التعبير بهما عنها جدا فى السورة التى جمعت جميع الفرق الذين [فيهم - ١] من يستقيم - لما غلب عليه من العتو - بعض الهيئات الدالة على ذلك .^١

ولما خص أشرف^٢ العبادة ، عم بقوله : ﴿ و اعبدوا ﴾ أى بأنواع ١٥

-
- (١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : ما (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : ان (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : اثبت (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : كانوا (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : عنهما (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : لم (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : ذلك (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : اعرف (١٠) العبارة من هنا إلى « بلانية فقال » ساقطة من مد .

العبادة (ربكم) المحسن إليكم بكل نعمة دنيوية و دينية . ولما ذكر عموم العبادة ، أتبعها ما قد يكون أعم منها بما صورته صورتها ، وقد يكون بلائية ، فقال : (وافعلوا الخير) أى كلة من القرب كصلة الأرحام وعبادة المرضى ونحو ذلك ، من معالى الأخلاق بنية و بغير نية ، حتى يكون 'ذلك لكم' عادة فيخفف^١ عليكم عمله لله ، وهو قريب منه أبكوا . فان لم تبكوا فباكوا^٢ ، قال أبو حيان^٣ : بدأ يخاص ثم بعام ثم بأعم . (لعلكم تفلحون) أى ليكون حالكم حال من يرجو الفلاح ، وهو الفوز بالمطلوب ؛ قال ابن القطاع^٤ : أفلح الرجل : فاز بنعيم الآخرة ، و فلاح أيضا لغة فيه . وفي الجمع بين العباب و المحكم : الفلاح و الفلاح : الفوز و البقاء . / ، وفي التنزيل "قد أفلح المؤمنون" أى نالوا البقاء الدائم ، وفي الخبر^٥ : أفلح الرجل : ظفر . ويقال لكل من أصاب خيرا : مفلح .

/ ٥٧٩

ولما كان الجهاد أساس العبادة ، وهو - مع كونه حقيقة في قتال الكفار - صالح^٦ لأن يعم كل أمر معروف ونهى عن منكر بالمال ١٥ والنفس بالقول والفعل بالسيف وغيره ، وكل اجتهاد^٧ في تهذيب

(١ - ١) في مد : لكم ذلك ، وفي ظ : لكم (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : فيخفف (٣) والحديث رواه ابن ماجه في مناسبات الإقامة والزهد (٤) راجع البحر المحيط ٦ / ٣٩١ (٥) في كتاب الأفعال ٢ / ٣٩١ (٦) زيدت الواو في الأصل ، ولم تكن في ظ ومد فحذفناها ، والحديث رواه البخاري في غير موضع . (٧) في ظ : صالحا (٨) زيدت الواو في الأصل ، ولم تكن في ظ ومد فحذفناها .

النفس و إخلاص العمل ، ختم به فقال : ﴿ وجاهدوا في الله ﴾ أى
 الملك الأعظم الذى لا كفوء له فى كل ما ينسب إليه سبحانه ، لا يخرج
 منه شيء عندنا ، كما لا يخرج شيء من المظروف عن الظرف ﴿ حق جهاده ﴾
 باستفراغ الطاقة فى إيقاع كل [ما ° -] أمر به من جهاد العدو
 و النفس على الوجه الذى أمر به من الحج و الغزو و غيرهما جهادا يليق
 بما أفهمته الإضافة إلى ضميره سبحانه من الإخلاص و القوة ، فانه يهلك
 جميع من يصنكم عن شيء منه .

وبما أمر سبحانه بهذه الأوامر ، أتبعها بعض ما يجب به شكره ،
 و هو كالتعليل لما قبله ، فقال : ﴿ هو اجتنبكم ﴾ أى اختاركم لجعل
 الرسالة فيكم و الرسول منكم وجعله أشرف الرسل ، و دينه أكرم الأديان ، ١٠
 و كتابه أعظم الكتب ، و جعلكم - لكونكم أتباعه - خير الأمم
 ﴿ و ما جعل عليكم فى الدين ﴾ الذى اختاره لكم ﴿ من حرج ﴾ أى ضيق
 يكون به ١١ نوع عذر لمن تولى فى الجهاد الأصغر و الأكبر كما جعل على
 من كان قبلكم كما تقدم ذكر بعضه فى ١٢ البقرة و غيرها ، أعنى (ملة) .

(١) زيد فى الأصل : سبيل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٢) بين
 سطرى ظ : أى الجهاد (٣) بين سطرى ظ : أى عن الله (٤-٤) من ظ و مد ،
 و فى الأصل : بإيقاع (٥) زيد من ظ و مد (٦) يماض فى الأصل ملأناه من ظ
 و مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بها اشد - كذا (٨) من ظ و مد ، و فى
 الأصل : أتبعه (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : يجعل (١٠) من ظ و مد ، و فى
 الأصل : جعل (١١) سقط من مد (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : و .

ولما كان أول مخاطب بهذا قريشا، ثم مصر، وكانوا كلهم أولاد إبراهيم عليه الصلاة والسلام حقيقة، قال: ﴿ ايسم ابراهيم ﴾ أي الذي ترك عبادة الأصنام وتهي عنها، ووجد الله "و أمر بتوحيده"، يامن تقيذوا بتقليد الآباء فالزموا دينه لكونه أباً. ولكونه أمرت به، وهو أب لبعض المخاطبين من الأمة حقيقة، وبعضهم مجازاً بالاخترام والتعظيم، فيعم الخطاب الجنيح، "و لذلك حثهم غلي عليه بالتعليل بقوله: ﴿ هو ﴾ أي إبراهيم عليه السلام ﴿ ستكم المسلمين ﴾ في الازمان المتقدمة ﴿ من قبل ﴾ أي قبل إزال هذا القرآن، فتوه بذكركم وثناء عليكم في سالف الدهر و قديم الزمان فكتب ثناءه في كتب الانبياء ١٠. يتل على الاحبار و الرهبان، و سماكم ايضا مسلمين ﴿ و في هذا ﴾ الكتاب الذي أنزل عليكم من بعد إزال تلك الكتب كما أخبركم عن دعوته في قوله "و من ذريقنا امة متبلة لك" - لانه باتقاء الحرج يطابق الاسم المسى، و يجوز - ولعله أحسن - أن يكون " هو ستكم" تعليلا للأمر بحق الجهاد بقوله "هو اجقبكم" فيكون الضمير لله ١٥ تعالى، و يشهد له بالحسن قراءة أبي رضى الله عنه بالجلالة عوضا عن الضمير، أي أن كل أمة تسمت باسم من تلقاه نفسها، والله تعالى خصكم باسم الإسلام مشتقا له من اسمه "السلام" مع ما خصكم به من

(١) ليس في الأصل فقط (٢-٢) من ظ و مد، وفي الأصل: كما مر.

(٢-٣) في ظ: ثم (٤) في ظ: الكتب (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ.

(٦) من ظ و مد، وفي الأصل: تعليل.

اسم الإيمان اشتقاقاً من اسمه المؤمن ، فأثبت لكم هذا الاسم في كتبه ،
و اجتباكم لاتباع رسوله ..

و لما كان الاسم إذا كان ناشئاً عن الله تعالى سواء كان بواسطة
نبي من أنبيائه أو بغير واسطة يكون مخبراً عن كيان المسمى ، وكان
التقدير : رفع عنكم الحرج و سماكم بالإسلام / لتكونوا أشد الأمم انقياداً ٥ / ٥٨٠
لتكونوا خيرهم ، علل هذا المعنى بقوله : ﴿ ليسكون الرسول ﴾ يوم القيامة
﴿ شهيديا عليكم ﴾ لأنه خيركم ، و الشهيد يكون خيراً ٢ و لمكون السياق
لإثبات مطلق وصف الإسلام فقط ، لم يقتض الحال تقديم الطرف
بخلاف آية البقرة ٥ ، فانها لإثبات ما هو أخص منه ﴿ و تكونوا ﴾ [بل
في جلاتكم من الخير - ١] ﴿ شهداء على الناس ﴾ بأن رسلكم بلغتهم ١٠
رسالات ربهم ، لأنكم قدرتم الرسل حق قدرهم ، و لم ٢ تفرقوا بين أحد
منهم ، و علمتم أخبارهم من كتابكم على لسان رسواكم صلى الله عليه و سلم ،
فذلك [كله - ٨] صرتم خيرهم ، فأهلتم للشهادة و صحت شهادتكم و قبلكم
الحكم العدل ٩ ، و قد دل [هذا - ١] على أن شهادة غير المسلم ليست مقبولة .
و لما نذبههم لأن ١ يكونوا خير الناس ، تسبب عنه قوله : ﴿ فاقموا ﴾ ١٥

(١ - ١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) العبارة من من هنا إلى « أخص منه »
ساقطة من ظ (٣) من مد ، و في الأصل : ليسكون (٤) من مد ، و في الأصل :
تقدم (٥) ١٤٣ (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : لا (٨) زيد
من ظ و مد (٩) العبارة من هنا إلى « عنه قوله » ساقطة من ظ (١٠) من
مد ، و في الأصل : ان (١١) من مد ، و في الأصل : بقوله .

أى قسب عن إنعامي عليكم بهذه النعم وإقامتي لكم في هذا المقام الشريف أنى أقول لكم: أقيموا ﴿الصلوة﴾ التى هى زكاة قلوبكم، وصلة ما بينكم وبين ربكم ﴿واتوا الزكاة﴾ التى هى طهارة أبدانكم، وصلة ما بينكم وبين إخوانكم ﴿واعصموا بالله﴾ [أى - ١] المحيط بجميع صفات الكمال، فى جميع ما أمركم به، من المناسك التى تقدمت وغيرها لتكونوا متقين، فيذب عنكم من يريد أن يحول بينكم وبين شيء منها و يقيكم هول الساعة؛ ثم علل أهليه لاعتصامهم به بقوله: ﴿هو﴾ أى وحده ﴿مولكم﴾ أى المتولى لجميع أموركم، فهو ينصركم على كل من يعادىكم، بحيث تتمكنون من إظهار هذا الدين من مناسك الحج ١٤ وغيرها؛ ثم علل الأمر بالاعتصام أو توحده بالولاية بقوله: ﴿فتم المولى﴾ أى هو ﴿ونعم النصير﴾ لأنه إذا تولى أحدا كفاه كل ما أمه، وإذا نصر أحدا أعلاه على كل من خصمه، ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته، - الحديث، - فإنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت، [و - ١] هذا نتيجة التقوى، وما قبله من ١٥ أفعال الطاعة دليلها. فقد انطبق آخر السورة على أولها، ورد مقطعها على مطلعها - والله أعلم بمراده وأسرار كتابه وهو الهادى للصواب^{١٠}.

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: طهارة (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: الذى (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: يتمكنون (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: الناسك (٦-٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: أحد (٨-٨) فى ظ: الهادى للصواب، وفى مد: الهادى.

سورة المؤمنين

مقصودها اختصاص المؤمنين بالفلاح ، واسمها واضح الدلالة على ذلك ﴿ بسم الله ﴾ الذى له الامر كله ، فلا راد لامره ﴿ الرحمن ﴾ الذى من عموم رحمته الإبلاغ فى البيان ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص من أراد بالإيمان .

لما حُتِمت الحج بندا^١ "الذين آمنوا" وأمرهم بأمر الدين خاصة وعامة ، وختم بالصلاة والزكاة والعصمة به سبحانه موضوعا بما ذكر ، أوجب ذلك توقع النادين كل خير ، فابتدأت هذه بما يشترى الاعتصام به سبحانه فى الصلاة وغيرها من خلال الدين فى الدارين ، فقال تعالى مفتتحا بحرف التوقع : ﴿ قد ﴾ وهى نقيضة لما ثبت التوقع^٢ و تقرب ١٠
الماضى من الحال ولما تنفيه ﴿ افلح ﴾ أى فاز و ظفر الآن بكل ما يريد ، ونال البقاء الدائم فى الخير ﴿ المؤمنون لا ﴾ و عبر بالاسم إشارة إلى أن من أقر بالإيمان وعمل بما أمر به فى آخر آتى قبلها ، استحق الوصف / الثابت^٣ لأنه اتقى وأتقى بما رزق فأفلاح "و من يوق شح نفسه فأولئك هم

٥٨١ /

المفلحون" ؛ ثم قديم بما يلزم من الصدق فى الإيمان فقال : ﴿ الذين هم ﴾ ١٥
أى بضائرهم وظواهرهم ﴿ فى صلاتهم ﴾ أضيفت إليهم ترغيبا لهم فى

(١) الثالثة والعشرون من سور القرآن ، مكية ، وهى مائة وثمان عشرة آية فى الكوفى ، ومائة وسبع عشرة آية فى الباقى (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : مبدا (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : التوقع (٤) العبارة من هنا إلى " المفلحون " ساقطة من ظ (٥) من مد ، وفى الأصل : بما .

حفظها . لأنها بينهم وبين الله تعالى . وهو غنى عنها ، فهم المتقون بها
 ﴿عاشعون﴾ أي أذلاء ساكنون متواضعون مطيعون قاصرون بوطئهم
 بظواهرهم^١ على ما هم فيه ؛ قال الرازي : خائفون خوفاً مملأ القلب
 حرمة ، والأخلاق تهدياً ، والأطراف تأدياً ، أي خشية أن يرد عليهم
 صلاتهم ، ومن ذلك خفض الصر إلى موضع السجود . قال الرازي :
 فالعبد إذا دخل في الصلاة رفع الحجاب ، وإذا التفت أرخى ، قال :
 وهو خوفٌ ممزوج بيقظ واستبكانة . ثم قد يكون في المعاملة إثارة
 ومجاملة وإنصافاً ومعدلة ، وفي الخدمة حضوراً واستبكانة . وفي السر
 تعظيماً وحياءً وحرمة ، والخشوع في الصلاة يجمع المهمة لها ، والإعراض
 عما سواها ، وذلك بحضور القلب والفهم والتعظيم والهيبة والرجاء
 والحياء ، وإذا كان هذا حالهم في الصلاة التي هي أقرب القربات .
 فهم به فيما سواها أولى . قال ابن كثير : والخشوع في الصلاة إنما
 يحصل لمن فرغ قلبه لها ، واشتغل بها عما عداها ، واثرها على غيرها ،
 وحينئذ تكون راحة له وقرّة عين^٢ ، وجعلت قرّة عين في الصلاة .
 ١٥ رواه أحمد [والفسائي عن انس رضي الله عنه ، يابلال لثخن بالصلاة -
 رواه أحمد - ٤] عن رجل من أسلم رضي الله عنه .

(١) سقط من مد (٢-٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : ظواهرهم وبوطئهم .
 (٢) زيد في الأصل و ظ : من ، ولم تكن الزيادة فدمد لخدائها (٤) العبارة
 من هنا إلى « الخشوع في الصلاة » ساقطة من مد (٥) راجع تفسيره ٣/٣٣٨ .
 (٦) من ظ و مد والتفسير ، وفي الأصل : من (٧) سقط من مد (٨) زيد من
 ظ و مد والتفسير خلاصة ما

ولما كان كل من الصلاة والخشوع صادًا عن اللغو، أتبعه قوله: (والذين هم) 'ضاهرم' التي تبعها ظواهرهم (عن اللغو) أي مما لا يعينهم، وهو كل ما يستحق أن يسقط ويلغى (معرضوناه) أي تاركون عمداً. فصاروا جامعين فعل ما يعي وترك ما لا يعي.

ولما جمع بين قاعدتي بناء التكليف: فعل الخشوع وترك اللغو،^٥ وكانه الإنسان محل المعجز ومركز التقصير، فهو لا يكاد يخلو عما لا يعينه، وكانه الماله مكفراً بما يقصده من الإيمان فضلاً عما ذكر منها على سبيل اللغو، فكان مكفراً للغو في غير اليقين من باب الأولى. "خذ من أموالهم صدقة تطهروهم وتزكّيهم بها" أتبعه قوله: (والذين هم) وإثبت اللهم^٦ تقوية لاسم الفاعل فقال: (وللزكاة) أي الزكية،^٧ وهي لإخراج الزكاة، أو لإدائه الزكاة التي هي أعظم مصدق للإيمان (فاعلمون) ليجمعوا في طهارة الدين بين القلب والقلب والمال؛ قاله ابن كثير: هذه مكية، وإنما فرضت [الزكاة -^٨] بالمدينة [في سنة اثنتين من الهجرة، والظاهر أن التي فرضت بالمدينة -^٩] إنما هي ذات النصب، وأن أصل الزكاة^{١٠} كان واجباً بمكة كما قال تعالى في سورة الانعام "واتوا حقه يوم حصاده".

(١) العبارة من هنا إلى "ظواهرهم" ساقطة من ظ (٢) من مد، وفي الأصل: الذي (٣) زيد في الأصل: وصل، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها. (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: الكلام. (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: الزكية (٦) راجع تفسيره ٢٣٨/٣ (٧) زيد من ظ و مد والتفسير (٨) في ظ: الذي.

ولما أشار إلى أن بذل المال على وجهه طهرة، وأن حبسه عن ذلك تلقى، أتبعه الإيماء إلى أن بذل الفرج في غير وجهه نجاسة، وحفظه طهرة. فقال: ﴿والذين هم لفروجهم﴾ في الجماع وما دافاه^٢ بالظاهر والباطن^٣ ﴿حفظون﴾ أي دائماً لا يقيمونها شهوتها، بل هم قائمون عليها ٥٨٢ / ٥- يذلونها / ويضبطونها، وذكرها بعد اللغو الداعي إليها وبذل المال الذي هو من أعظم أسبابها عظيم المناسبة؛ ثم استثنى من ذلك فقال: ﴿إلا على أزواجهم﴾ اللاتي ملكوا أعضائهن بعقد^٤ النكاح، ولعلو الذكر عبر به على، ﴿أو ما ملكت إيمانهم﴾ رقابته^٥ من السراري، وعبر به ما لقربهن مما لا يعقل لتقصهن عن الحرائر الناقصات عن الذكور ١٠. ﴿فانهم غير ملومين﴾ أي على بذل الفرج في ذلك إذا كان على وجهه. ولما كان من لم يكتف بالحلال مكلفاً نفسه طلب ما يضره، سبب عن ذلك قوله مخبراً بما يفهم العلاج: ﴿فمن ابتغى﴾ أي تطلب متعبداً ﴿ورآه ذلك﴾ [العظيم المنفعة - ١] الذي وقع استثنائه بزنا أو لواط أو استمناء يد أو بهيمة أو غيرها ﴿فاولئك﴾ البعيدون من الفلاح ١٥ ﴿هم الغدور﴾ أي المبالغون في تعدى الحدود، لما يورث ذلك من اختلاط الانساب، وإتھاك لأعراض. وإتلاف الأموال، وإيقاد الشر بين العباد.

- (١) من ظ و مد، وفي الأصل: ابدال (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ .
 (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: عقد (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: وقابة .
 (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: يطلب (٦) زيد من مد .

و لما كان ذلك من الأمانات العظيمة ، أتبعه عمومها فقال :
 ﴿ و الذين هم لانتهم ﴾ أى فى الفروج و غيرها ، سواء كانت بينهم
 و بين الله كالصلاة و الصيام و غيرها ، أو فى المعانى الباطنة كالإخلاص
 و الصدق ، أو بينهم و بين الخلق كالودائع و البضائع ، فعلى العبد الوفاء
 بجميعها - [قاله الرازى - '] . و لما كان العهد أعظم أمانة ، تلاها به تنديها ٥
 على عظمه فقال : ﴿ و عهدهم راعون ﴾ أى حافظون بالقيام
 و الرعاية و الإصلاح .

و لما كانت الصلاة أجل ما عهد فيه من أمر الدين و آكد ، و هى
 من الأمور الخفية التى وقع الائتمان عليها ، لما خفف الله فيها على هذه
 الأمة بإيساع زمانها و مكانها ، قال : ﴿ و الذين هم على صلواتهم ﴾ التى ١٠
 وصفوا بالخشوع فيها ﴿ يحافظون ﴾ أى يجددون تعهداتها بغاية جدهم ،
 لا يتركون شيئاً من مفروضاتها و لامسئولياتها ، و يجتهدون فى
 كالاتها ، و تحدث فى قراءة حمزة و الكسائى للجنس ، و جمعت عند الجماعة
 إشارة إلى أعدادها و أنواعها ، و لا يخفى ما فى افتتاح هذه الأوصاف
 و اختتامها بالصلاة من التعظيم لها ، كما قال صلى الله عليه و سلم : و اعلوها ١٥
 أن خير أعمالكم الصلاة .

و لما ذكر مجموع هذه الأوصاف العظيمة ، نغم جزاءهم فقال :
 ﴿ اولئك ﴾ أى البالغون من الإحسان أعلى مكان ﴿ هم ﴾ خاصة

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعهدا (٣) من ظ
 و مد ، و فى الأصل : جهدهم (٤) راجع نثر المرجان ٤/ ٥٢١ (٥) راجع أبواب
 الطهارة من سنن ابن ماجه (٦) سقط من ظ .

(الوارثون لا) أى المستحقون لهذا الوصف المشعر ببقائهم بعد أعدائهم^١ فيرثون دار الله لقربهم منه و اختصاصهم به بعد إرثهم أرض الدنيا التي قارعوا عليها على قلتهم وضعفهم أعداءنا الكفار على كثرتهم وقوتهم، فكانت العاقبة فيها لهم كما كتبنا في الزبور "ان الارض يرثها عبادى الصالحون" "لتهلكن الظالمين و لنسكنكنكم الارض من بعدهم"

(الذين يرثون الفردوس^٢) التى هى أعلى الجنة، وهى [فى الأصل -^٣] البستان العظيم الواسع، يجمع بحسن النبات و الأشجار من العنب و ما ضاهاه من كل ما يكون [فى البساتين و الاودية التى تجمع ضروبا من النبات -^٤]: فيحوزون منها بعد البعث ما أعد الله لهم فيها من المنازل

١٠ / ٥٨٣ و ما كان أعد للكفار لو آمنوا / أو لو لم يخرجوا بخروج أبيهم من الجنة (هم) خاصة (فيها) أى لا فى غير ما (تخلدون) و هذه الآيات

أجمع ما ذكر فى وصف المؤمنين، روى الإمام أحمد فى مسنده و الترمذى فى التفسير^٥ من^٦ جامع عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: كان إذا نزل على رسول الله صلى الله عليه و سلم الوحي يسمع^٧ عند وجهه^٨ كدوى النحل^٩ فنزل عليه يوما^{١٠} فكشأ ساعة^{١١} فاستقبل^{١٢} القبلة

(١) من ظ و مد، و الأصل: اعدائهم (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: العاقبة. (٣) زيد من ظ و مد (٤) من مد، و فى الأصل وظ «و» (٥) سقط من مد، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة إلى «غيرها» ساقطة من ظ (٦) ٣٨٦/٢ (٧) من مد، و فى الأصل وظ: فى (٨) فى مد: فيسمع، و فى الجامع: سمع (٩) زيد فى المسند: دوى (١٠-١١) ليس ما بين الرقين فى المسند، و فى الجامع: فانزل عليه يوما (١٢) زيد فى الجامع: فسرى عنه (١٣) من ظ و مد و المسند و الجامع، و فى الأصل: و استقبل.

'ورفع' يديه فقال: اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا،
وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا،^٢ وأرض عنا وأرضنا،^٣
ثم قال: "لقد أنزلت^٤ على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة، ثم قرأ
"قد افلح المؤمنون" حتى ختم العشر - ورواه النسائي في الصلاة وقال:
منكر لا يعرف أحد رواه غير يونس بن سليم و يونس لانعرفه، وعزى ه
أبو حيان آخر الحديث للحاكم في المستدرک .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: فصل في افتتاحها ما أجمل في
قوله تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا
الْخَيْرَ" وأعلم بما ينبغي للراكم و الساجد التزامه من الخشوع، و الالتحام^٥
الكلامين ما ورد الاول أمرا و الثاني مدحة و تعريفا بما به كمال ١٠
الحال، و كأنه لما أمر المؤمنين، و أطمع بالفلاح جزاء لامثاله، كان
مظنة لسؤاله عن تفصيل ما أمر به من العبادة و فعل الخير الذي^٦ به
يكمل^٧ فلاحه فقيل له: المفلح من التزم كذا و كذا، و ذكر سبعة
أضرب من العبادة هي أصول لما وراءها [و-^٧] مستتبعة سائر التكليف،
و قد بسط حكم كل عبادة منها و ما يتعلق بها في الكتاب و السنة؛ ١٥
و لما كانت المحافظة على الصلاة منافرة لإتيان المآثم جملة "ان الصلوة

(١-١) من ظ و مد و السند و الجامع، و في الأصل: فرفع (٢-٢) في الجامع:
أرضنا و أرض عنا (٣-٣) في الجامع: أنزل (٤) من ظ و مد، و في الأصل:
وصل (٥) من ظ و مد، و في الأصل: الالتحام (٦-٦) من ظ و مد،
و في الأصل: يكمل به (٧) زيد من ظ و مد .

تتهى عن الفحشاء والمنكر“ لذلك ما ختمت بها هذه العبادات بعد التنبه^١ على محل الصلاة من هذه العبادة بذكر الخشوع فيها أولا ، و اتبعت هذه الضروب السبعة بذكر أطوار سبعة يتقلب فيها الإنسان قبل خروجه إلى الدنيا فقال تعالى ” ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين - إلى قوله : ثم انشأناه خلقا آخر فتبورك الله أحسن الخلقين “ ه

و كأن قد قيل له : إنما كل خلقك و خروجك إلى الدنيا بعد هذه التقلبات السبعة . و إنما تتخلص من دنياك بالتزام هذه العبادات السبع ، و قد وقع [عقب - ٢] هذه الآيات قوله تعالى ” ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق “ و لعل ذلك مما يقرر هذا الاعتبار [و - ٢] و ارد لمناسبتة -

١٠ و الله أعلم ، و كما أن صدر هذه السورة مفسر لما أجمل في الآيات قبلها فكذا الآيات بعد مفصلة لمجمل ما تقدم في قوله تعالى ” يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنٰكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نَّظْفَةٍ “ - الآية ، و هذا كاف في التمام السورتين و الله سبحانه المستعان - انتهى .

و لما ذكر سبحانه الجنة المتضمن ذكرها للبعث ، استدل على القدرة ٥٨٤ / ١٥ / عليه بابتداء الخلق للإنسان ، ثم لما هو أكبر منه من الأكوان ، و ما فيها من المنافع ، فلما ثبت ذلك شرع يهدد من استكبر عنه باهلاك الماضين . و ابتداء بقصة نوح عليه الصلاة و السلام لأنه أول ، و لأن^٢ نجاته كانت في الفلك المختوم به الآية التي قلها ، و في ذلك تذكير بنعمة النجاة

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : الشبيه (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : لانه .

فيه^١ لأن الكل من نسله ، فلما ثبت بالتهديد باملاك الماضين القدرة التامة بالاختيار ، خوف العرب مثل ذلك العذاب ، فلما تم زاجر الإنذار بالنقم^٢ شرع في الاستعطاف إلى الشكر بالنعم ، بتمييز الإنسان على سائر الحيوان ونحو ذلك ، ثم عاد إلى دلائل القدرة على البعث بالوحدانية والتنزه^٣ عن الشريك والولد - إلى آخرها ، ثم ذكر^٤ في أول التي بعدها هـ على ما ذكر هنا من صون الفروج ، فذكر حكم^٥ من لم يصن فرجه وأتبعه ما يناسبه من توابه .

ولما كان التقدير : فلقد حكمتنا يبعث جميع العباد^٦ بعد الممات ، فريقاً منهم إلى النعيم ، وفريقاً إلى الجحيم ، فانا قادرون على الإعادة [و إن تمزقم و صرتم تراباً فانه تراب له أصل في الحياة -^٧] ، كما ١٠ قدرنا على البداءة [فلقد خلقنا أباكم آدم من تراب الأرض قبل أن يكون للتراب أصل في الحياة -^٨] ، عطف عليه قوله ، دلالة على هذا المقدر^٩ واستدلالاً على البعث مظهراله في مقام العظمة ، مؤكداً إقامة لهم بانكارهم للبعث^{١٠} مقام المنكرين : (ولقد خلقنا الانسان) أى هذا النوع الذى تشاهدونه أنسا بنفسه مسروراً بفعله وحسه (من سلالة) ١٥

- (١) من ظ و مد ، وفي الأصل : منه (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : بالنعم .
 (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : لعو (٤) في مد : كره (٥) من ظ و مد ،
 وفي الأصل : كم (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : العبد (٧) زيد من مد .
 (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : المقدور (٩) العبارة من هنا إلى « المنكرين »
 ساقطة من ظ (١٠) سقط من مد .

نظم الدرر (سورة المؤمنون ٢٣ : ١٢ - ١٤) ج - ١٣

أى شيء قليل ، بما تدل عليه الصيغة كالقلامة والقمامة ، انزعاه واستخلصناه
برقى ، فكان على نهاية الاعتدال ، وهى طينة آدم عليه الصلاة والسلام ،
سلها - بما له من اللطف - (من طين^٤) أى جنس طين الأرض ،
روى الإمام أحمد^١ وأبو داود^٢ والترمذى^٣ عن أبى موسى رضى الله عنه
٥ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله خلق آدم عن قبضة قبضها
من جميع الأرض . فجاء بنو آدم [على - °] قدر الأرض ، جاء منهم
الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك ، والحديث والطيب وبين ذلك .
ولما ذكر سبحانه أصل الآدمى الأول الذى هو الطين الذى شرفه
به لجمعه الطهورين ، وعبر فيه بالخلق لما فيه من الخلط ، لأن الخلق -
١٠ كما مر عن الحرالى فى أول البقرة : تقدير أشاج ما يراد إظهاره بعد
الامتزاج والتركيب صورة ، مع أنه ليس بما يجرى على حكمة التسبيب^٦
التي نعهد^٨ أن يكون من الطين إنسان ، أتبعه سبحانه أصله الثانى الذى
هو أطهر الطهورين : الماء الذى منه كل شيء حى ، معبرا^٩ عنه بالجعل^{١٠}
لأنه كما مر أيضا إظهار أمر عن سبب و تصيير ، " وما هو من الطين
١ (١) فى مسنده ٤٠٠/٤ و ٤٠٢ (٢) فى أبواب السنة من صفته (٣) فى أبواب
التفسير من جامعه (٤) من ظ و مد و السند ، وفى الأصل : ان (٥) زيد من
ظ و مد و السند (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : عما (٧) من مد ،
وفى الأصل و ظ : التسبيب (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : بعدها (٩) من
ظ و مد ، وفى الأصل جمعوا (١٠) من ظ و مد ، وفى الأصل : بالجهل .
(١١) زيد فى ظ : و الطين .

نما يتسبب عنه من^١ الماء و يستجلب منه^٢ و هو^٣ بسيط لا خلط فيه فلا
تخليق له ، [و -^٤] عبر بأداة التراخي^٥ لأن^٦ جعل الطين ماءا مستبعد
جدا فقال : (ثم جعلته) أى الطين أو هذا النوع المسلول [من -^٧]
المخلوق من الطين بتطوير أفراد^٨ه يديع الصنع و لطيف الوضع^٩ (نظفة)
أى ماء دافقا^{١٠} لا أثر للطين^{١١} فيه (فى قرار) أى [من -^{١٢}] الصلب ه
و الترائب ثم الرحم ، مصدر جعل اسما^{١٣} للوضع (مكين^{١٤}) أى مانع من
الاشياء المفسدة .

/ و لما كان تصير^{١٥} الماء دما أمرا بالغا خارجا عن التسبب^{١٦} ، وكانت
النظفة التى هى مبدأ^{١٧} الآدمى تقسد تارة و تأخذ فى التكون أخرى ،
عبر بالخلق لما يخطئها به عما تكتسبه من الرحم عند التحمير^{١٨} و قرنه ١٠
بأداة التراخي فقال : (ثم) أى بعد تراخ فى الزمان و علو فى الرتبة
و العظمة (خلقنا) أى بما لنا من العظمة (النظفة) أى البيضاء جدا
(علقه) حمراء دما عبيطا شديد الحرارة جامدا غليظا .

(١) سقط من ظ (٢-٢) سقط من مد (٣) زيد من مد (٤) العبارة من هنا إلى
« جدا » وقعت فى الأصل بعد « أفراد » و الترتيب من ظ و مد (٥) فى ظ :
لما كان (٦) زيد من ظ و مد (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ و تقدم فى
الأصل على « فقال » و الترتيب من مد (٨-٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : لا أثر
الطين (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : اسم (١٠) من ظ و مد ، وفى الأصل :
تفسير (١١) من مد ، وفى الأصل و ظ : التسبب (١٢) من ظ و مد ، وفى
الأصل : جهة (١٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : التحمر .

نظم الدرر (سورة المؤمنون ٢٣ : ١٤ - ١٦) ج - ١٣

ولما كان ما بعد العلقه من الأطوار المتصاعدة مسيا كل واحد
منه عما قبله بتقدير "العزیز العليم الذى اختص به من غير تراخ، وليس
تسيه من العادة التى يقدر عليها" غيره سبحانه^٢، عبر بالفاء والخلق فقال:
(خلقنا العلقه مضغة) أى قطعة لحم صغيرة لاشكل فيها ولا تخطيط
٥ (خلقنا المضغة) يتصفيتها وتصليها بما سينالها من الحرارة والأمور
اللطيفة الغامضة (عظما) من رأس ورجلين وما بينهما (فكسونا)
بما لنا من قدرة الاختراع، تلك (العظم لحما) بما ولدنا منها رجينا
لحالمها قبل كونها عظما، فسترنا تلك العظام وقويناها وشددناها
بالروابط والأعصاب.

١٠ ولما كان التصوير ونفخ الروح من الجلالة بمكان أى مكان،
أشار إليه بقوله: (ثم انشأه) أى هذا المحدث عنه بعظمتنا (خلقنا آخر)
أى عظيما جليلا متحركا ناطقا خصيا مينا بعيدا من الطين جدا؛ قال
الرازى: وأصل^٢ النون والشين والهمزة يدل على ارتفاع
شيء وسموه.

١٥ ولما كان هذا التفصيل لتطوير الإنسان سيا لتعظيم الخالق قال:
(فتبرك) أى ثبت ثباتا لم يثبت عليه شيء، بأن حاز جميع صفات الكمال،
وتزه عن كل شائبة نقص، فكان قادرا على كل شيء، ولو دانه
(١) العبارة من هنا إلى « والخلق فقال » ساقطة من ظ (٢-٢) من مد، وفى
الأصل: سبحانه غيره (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: الأصل فى (٤) من
ظ و مد. وفى الأصل: تدل.

شيء من عجز لم يكن تام الثبات ، ولذلك قال : ﴿ الله ﴾ فعبّر بالاسم العلم الجامع لجميع الاسماء الحسنى ؛ وأشار إلى جمال الإنسان بقوله : ﴿ احسن الخالقين ٥ ﴾ أى المقدرين ، أى قدر هذا الخلق العجيب هذا التقدير ، ثم طوره فى أطواره ما بين طفل رضيع ، و محتلم شديد ، و شاب نشيط ، و كهل عظيم ، و شيخ هرم - إلى ما بين ذلك من شؤون لا يحيط ٥ بها إلا اللطيف الخبير .

و لما كانت إمامته ما صار هكذا - بعد القوة العظيمة والإدراك التام - من الغرائب ، و كان وجودها فيه و تكررها عليه فى كل وقت قد صيرها ١ أمراً مألوفاً ، و شيئاً ظاهراً مكشوفاً ، و كان عتو الإنسان على خالقه و تمرده و مخالفته لأمره ٢ نسياناً لهذا المألوف كالإنكار له ، ١٠ أشار إلى ذلك كله بقوله تعالى مسيياً ٣ مبالغاً فى التأكيد : ﴿ ثم انكم ﴾ ٤ و لما كان الممكن ليس له من ذاته إلا العدم ، نزع الجار فقال : ﴿ بعد ذلك ﴾ أى الأمر العظيم من ٥ الوصف بالحياة ٦ و المد فى العمر [فى آجال متفاوتة - ٧] ﴿ لميتون ٥ ﴾ ٨ وأشار ٩ بهذا التعت إلى أن الموت أمر ثابت للإنسان حتى فى حال حياته ٩ لازم له ٩ بل ليس لممكن من ذاته / إلا العدم . ٥٨٦ / ١٥

و لما تقرر بذلك القدرة على البعث تقرر ١٠ لا يشك فيه عاقل ،

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : صدرها (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : لامر (٣) سقط من مد (٤-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) من مد ، وفى الأصل : فى ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة إلى « فى العمر » ساقطة من ظ . (٦) من مد ، وفى الأصل : فى الحياة (٧) زيد من ظ و مد (٨-٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : فأشار (٩) فى ظ : لهم (١٠) من ظ و مد ، وفى الأصل : مقرر .

نظم الدرر (سورة المؤمنون ٢٣: ١٦ و ١٧) ج - ١٣

قال 'نافيا ما يوهمه إعراء الظرف من الجار: (ثم انكم) وعين البعث
 الأكبر التام، الذي هو محط الثواب والعقاب، لأن من أفر
 [به أفر - ٢] بما هو دونه من الحياة في القبر وغيرها، فقال: (يوم القيمة)
 [أى - ٢] الذي يجمع فيه جميع الخلائق (تبعثون) فتقصه^٢ عن
 تأكيد الموت تنبيها على ظهوره، ولم يخله عن التأكيد لكونه على
 خلاف العادة، وليس في ذكر هذا نفي للحياة في القبر عند السؤال.
 ولما بين لهم أن فكرهم فيهم يكفيهم، ولا اعتقاد البعث عندهم،
 أتبعه دليلا آخر بالتذكير بخلق ما هو أكبر منهم، وتبديهم بخلقه
 وخلق ما فيه من المنافع لاستبقائهم، فقال: (ولقد خلقنا فوقكم)
 ١٠ 'في جميع جهة فوق' في ارتفاع لا تدركونه حق الإدراك (سبع)
 [ولارادة التعظيم أضاف إلى جمع كثرة فقال - ٥]: (طرائق^٣)
 أى سماوات لا تتغير عن حالتها^٤ التى دبرناها عليها إلى أن نريد، وبعضها
 فوق بعض متطابقة، وكل واحدة منها على طريقة تخصها، وفيها طرق
 لكوالكبها؛ قال الإمام عبد الحق الاشيلي في كتابه الواعى: سميت طرائق
 ١٥ لأنها مطارقة بعضها فى أثر بعض - انتهى. وهذا من قولهم: فلان على
 طريقة - أى حالة - واحدة، وهذا مطراق هذا، أى تلوه ونظيره،
 ورش طراق - إذا كان بعضه فوق بعض. وقال ابن القطائع^٥:

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد،
 وفي الأصل: منقصه (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: مكرهم (٥) زيد من
 مد (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: حالها (٧) راجع كتاب الأفعال ٢/ ٢٨٨.
 وأطرق

و أطرق^١ جناح الطائر - أى مبنيًا للجهول : البس الرش الأعلى الأسفل .
 وقال أبو عبيد الهروي : و أطرق جناح الطير - إذا وقعت ريشة على التي
 تحتها فألبستها ، وفي ريشه طرق - إذا ركب^٢ بعضه بعضاً . وقال الصغاني
 في مجمع البحرين : و الطرق أيضاً بالتحريك في الرش أن يكون بعضها
 فوق بعض ، وقال ابن الأثير في النهاية^٣ : طارق النعل - إذا صيرها ه
 طاقاً فوق طاق^٤ و ركب بعضها على بعض ، و في القاموس : و الطراق -
 ككتاب : كل^٥ خصفة ينخسف بها النعل و تكون حذوها سواء و أن
 يقور جلد على مقدار الترس فيلوق بالترس ، وقال القزاز : يقال : ترس
 مطرق^٦ - إذا جعل له ذلك ، وقال الصغاني في المجمع : و المجان المطرقة
 التي يطرق بعضها على بعض كالنعل المطرقة - أى المخصوصة بعضها على ١٠
 بعض ، و يقال : أطرقت بالجلد و العصب ، أى^٧ ألبست ، و قال أبو عبيد :
 طارق النعل - إذا صير خصفاً فوق خصف ، و قال في الخصف : هو
 إطباق طاق على طاق ، و أصل الخصف : الضم و الجمع ، و قال القزاز :
 [و -^٨] طارقت بين النعلين و التوين : جعلت أحدهما فوق الآخر -
 انتهى . و أصل لطرقت الضرب ، و مع كون السهات مطارقة بعضها ١٥
 فوق بعض فهي طرق لللائكة يتنزلون فيها بأوامره سبحانه و تعالى .

- (١) من ظ و مد و كتاب الأفعال ، و في الأصل : اطراق (٢ - ٢) من ظ
 و مد ، و في الأصل : بعضها بعض (٣) ٤٠/٣ (٤-٤) من ظ و مد و النهاية ،
 و في الأصل : طارقات فوق طارق (٥) من ظ و مد و القاموس ، و في الأصل : على .
 (٦) في مد : منطرقت (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : او (٨) زيد من ظ و مد .

و لما كان إهمال الشيء بعد إيجاده غفلة عنه ، وكان البعث إحداث
تدبير لم يكن كما أن الموت كذلك ، بين أن مثل تلك 'الافعال الشريفة'
عادته سبحانه إظهارا للقدرة و تنزهها عن العجز و الغفلة فقال : (وما كنا)
'أى على ما لنا من العظمة ' (عن الخلق) أى الذى خلقناه و فرغنا
من إيجاده و عن إحداث / ما لم يكن ، بقدرتنا التامة و علمنا الشامل
٥ / ٥٨٧ (غفلين ٥) بل دبرناه تدبيرا محكما ربطناه بأسباب تنشأ عنها مسيات
يكون بها صلاحه ، و جعلنا فى كل سماء ما ينبغي أن يكون فيها من
المنافع ، و فى كل أرض كذلك ، و حفظناه من الفساد إلى الوقت الذى
نريد فيه طي هذا العالم و إبراز غيره ، و نحن مع ذلك كل يوم فى شأن ،
١٠ و إظهار برهان ، نعلم ما يلج فى الأرض و ما يخرج منها ، و ما ينزل
من السماء و ما يعرج فيها ، إذا شئنا أنفذنا السبب [فنشأ عنه السبب - ٢] ،
و إذا شئنا منعه مما هبى له ، فلا يكون شيء من ذلك إلا بخلق جديد ،
فكيف يظن بنا أنا نترك الخلق بعد موتهم سدى ، مع أن فيهم المطيع
الذى لم نوفه ثوابه ، و العاصى الذى لم ننزل به عقابه ، أم كيف لا نقدر على
١٥ إعادتهم إلى ما كانوا عليه بعد ما قدرنا على إبداعهم و لم يكونوا شيئا .
و لما ساق سبحانه هذين الدليلين على القدرة على البعث ، أتبعهما
بما هو من جنسهما و مشاكل للأول منهما ، و هو مع ذلك دليل على
ختام الثانى من * أنه من أجل النعم التى يجب شكرها ، فقال : (و أنزلنا)
١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) فى مد : ينشأ (٣) زيد من ظ و مد .
(٤) تكررت فى الأصل ققط (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : مع .
أى (٢٠) ١٢٠

أى بعظمتنا (من السماء) أى من جهتها (ماء بقدر) لعله - والله أعلم - بقدر ما يسقى^١ الزرع^٢ و الأشجار، ويحيى اليرارى و القفار، وما تحتاج إليه البحار، مما تصب فيها الأنهار، إذ لو كان فوق ذلك لاغرقت البحار الاقطار، و لو كان دون ذلك لآدى إلى جفاف النبات و الأشجار (فاسكتته) بعظمتنا^٣ (فى الارض عليه) بعضه على ظهرها^٥ و بعضه فى^٤ بطنها، و لم نعمها بالذى على ظهرها و لم نفور^٦ ما فى بطنها^٧ ليعم نفعه و ليسهل الوصول إليه (و انا) على ما لنا من العظمة^٨ (على ذهاب به) أى على إذهابه بأنواع الإذهاب بكل طريق بالإفساد و الرفع و التخيير و غير ذلك،^٩ مع إذهاب البركة التى تكون لمن كنا معه^{١٠} (لقدرونا) قدرة هى فى نهاية العظمة. فأياكم و التعرض ١٠
لما يسخطنا.

و لا ذكر إزاله، سبب^{١١} عنه الدليل الأقرب على البعث فقال :
(فانشانا) أى فأخرجنا و أحيينا (لكم) خاصة، لا لنا^{١٢} (به) أى بذلك الماء الذى جعلنا منه كل شئ حي (جنت) أى بساتين تيجن - أى تستر - داخلها بما فيها (من نخيل و اعناب) صرح بهذين الصنفين ١٥
لشرفهما، و لأنهما أكثر ما عند العرب من الثمار،^{١٣} سعى الأول باسم

- (١) من ظ و مد، و فى الأصل : تسقى (٢) فى مد : الزرع (٣) سقط من ظ.
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل : على (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : لم يقدر.
(٦) زيد فى الأصل : الا الله، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها.
(٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٨) فى مد : تسبب (٩) العبارة من هنا إلى
« من شجرته » ص ١٢٢ س ٢ ساقطة من ظ.

نظم الدرر (سورة المؤمنون ٢٣ : ١٩ و ٢٠) ج - ١٣

شجرته^١ لكثرة ما فيها من المنافع المقصودة بخلاف الثاني فانه المقصود من شجرته^٢ وأشار إلى غيرهما بقوله: (لكم)^٣ أى خاصة^٤ (فيها)^٥ أى الجنات (فواكه كثيرة)^٦ و لكم فيها غير ذلك^٧.

و لما كان التقدير: منها - وهى طرية - تفكّهون ، عطف عليه^٨
 هـ [قوله - '] : (ومنها) [أى - °] بعد اليبس والمصر (تاكلون^٩)^{١٠} أى
 يتجدد لكم الأكل بالادخار ، ولعله^{١١} تقدم الظرف تعظيماً للامتتان بها^{١٢}.
 و لما ذكر سبحانه ما إذا عصر كان ماء لا ينفع للاصطباح^{١٣} ، أتبعه
 ما إذا عصر^{١٤} كان دهناً يعم الاصطباح والاصطباغ ، وفصله عنه لأنه
 أدل على القدرة فقال : (وشجرة)^{١٥} أى وأنشأنا به شجرة ، أى زيتونة
 ١٠ (تخرج من طور)^{١٦}.

و لما كان السياق للامداد^{١٧} بالنعم ، ناسبه المد فقال : (سيناء)^{١٨} قال
 الحافظ عماد الدين ابن كثير^{١٩} : وهو طور سينين ، وهو الجبل الذى
 كلم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام وما حوله / من الجبال التى
 فيها شجر الزيتون. وقال صاحب القاموس^{٢٠} : والطور : الجبل ، وجبل

/ ٥٨٨

(١) زيدت الواو فى الأصل ، ولم تكن فى مد لحذفها (٢ - ٢) حقت ما بين
 الرقيين من ظ (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : عليها (٤) زيد من مد .
 (٥) زيد من ظ و مد (٦ - ٦) بياض فى الأصل ملأناه من مد (٧) من ظ و مد ،
 وفى الأصل : للاستصباح (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : حصر (٩) من ظ
 و مد ، وفى الأصل : لامداه (١٠) راجع تفسيره ٢/ ٢٤٣ (١١) راجع ١/ ٧٨ .

قرب

قرب آيلة يضاف إلى سيناء و [سينين، و جبل بالشام، و قيل: هو المضاف إلى سيناء، و -] [جبل بالقدس عن يمين المسجد، و آخر عن قبله، [به -] قبر هارون عليه السلام، و جبل برأس العين، - و آخر مطلق على طبرية - انتهى . و هو اسم مركب من الاسمين، و قيل: بل هو مضاف إلى سيناء، [و معنى سيناء -] [الحسن، و قيل: المبارك، و قيل: ه هو حجارة معروفة، و قيل: شجر، و لعله خصه من بين الأطوار لقربه من المخاطين أولا بهذا القرآن، و هم العرب، و لغرابية^١ نبت الزيتون به^٢ لأنه في بلاد الحر و الزيتون من نبات الأرض الباردة، و لتمحضه لأن يكون نبتة مما أنزل من السماء من الماء لعلوه جدا، و بعده من أن يدعى أن ما فيه من النداة من الماء من البحر لأن الإمام ١٠ أبا العباس أحمد ابن القاص^٣ من قدماء أصحاب الشافعي حكى في كتابه أدلة القبل أنه يصعد إلى أعلاه في ستة آلاف مرقة و ستمائة و [ست و -] ستين مرقة، قال: و هي مثل الدرج من الصخر، فإذا انتهى إلى مقدار النصف من الطريق يصير إلى مستواه من الأرض فيها أشجار و ماء عذب، و في هذا الموضع كنيسة على اسم ايليا النبي عليه السلام، و فيه مزار، ١٥ و يقال: إن ايليا عليه السلام لما هرب من إزقيل^٤ الملك اختفى فيه؛ ثم يصعد من هذا الموضع في الدرج حتى ينتهي إلى قلة الجبل،

(١) زيحسن مد و القاموس (٢) زيد من القاموس (٣) زيد من ظ و مد .

(٤) من ظ و مد، و في الأصل: هي (ه) من مد، و في الأصل و ظ: كاته .

(٦) من ظ و مد، و في الأصل: لقراية (٧) سقط من مد (٨) من ظ و مد،

و في الأصل: او (٩) الوفيات ٥١/١ (١٠) من ظ و مد، و في الأصل: ارض

و في قلبه كنيسة بنيت على اسم موسى عليه السلام بأساطين رخام ،
 أبوابها من الصفر والحديد ، و سقفها من خشب الصنوبر ، و أعلى
 يسقفوها أطباق رصاص قد أحكمت بقاية الإحكام ، وليس [فيها - ١]
 إلا رجل راهب يصلى ويدخن و يسرج قناديلها ، و لا يمكن أحدا أن
 ٥ ينام فيها البتة ، و قد اتخذ هذا الراهب لنفسه خارجا من الكنيسة بيتا
 صغيرا يأوى فيه ، و هذه الكنيسة بنيت في المكان الذى كلم الله فيه
 موسى عليه الصلاة و السلام ، و حواله - أى حوالى الجبل - من أسفله
 ستة آلاف ما بين دير و صومعة للربان و المتعبدين ، كان يحمل إليهم
 خراج مصر في أيام ملك الروم للنفقة على الديارات و غيرها ، و ليس
 ١٠ اليوم بها إلا مقدار سبعين راهبا يأون [في] الدير الذى داخل الحصن ، و في
 أكثرها يأوى أعراب بنى رمادة . و على الجبل مائة صومعة ، و أشجار
 هذا الجبل اللوز و السرو ، و إذا هبطت من الطور أشرفت على عقبة
 تهبط منها ففسير خطوات فتنهى إلى دير^٢ النصراني : مُحَصِّن عليه سور
 من حجارة منحوتة ذات شرف^٣ عليه بابان من حديد ، و في جوف هذا
 ١٥ الدير عين ماء عذب ، و على هذه العين درابزين من نحاس لثلاث يسقط
 في العين أحد . و قد هيء براج رصاص يجرى فيها الماء إلى كروم لهم
 حول الدير ، و يقال : إن هذا الدير هو الموضع الذى رأى موسى عليه
 السلام فيه النار في شجرة العليق . [و قبله - ١] من بها در الكعبة ، و فيه

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : بر (٣) زيدت الواو
 في الأصل ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحدها .

يقول القائل :

عجب الطور من ثباتك موسى حين نأجالك بالكلام الجليل
 و الطور من جملة كور مصر! منه إلى بلد قلزم على البر مسيرة أربعة أيام،
 ومنه إلى فسطاط مصر مسيرة سبعة أيام - انتهى كلام ابن القاص،
 وسألت أنا من له خبرة بالجليل المذكور: هل به أشجار الزيتون؟ فأخبرني ه
 أنه لم يره شيئاً منها، وإنما رآها فيما حوله في قرار الأرض، وهي
 كثيفة وزيتونها مع كبره أطيب من غيره. فان كان ذلك كذلك فهو
 أغرب مما لو كانت به، لانه لعلوه أبرد مما سفلى من الأرض، فهو بها
 أولى، وظهر لى - والله أعلم - أن حكمة تقدير الله تعالى أن يكون
 عدد الدرج ما ذكر مواقة زمان الإيجاد الأول لمكان الإبقاء الأول، ١٠
 وذلك أن الله تعالى خلق السماوات والأرض في ستة أيام وهو الإيجاد
 الأول، وكلم موسى عليه الصلاة والسلام، وكتب له الألواح في
 هذا الجبل، ثم أتم له التوراة وهي أعظم الكتب بعد القرآن،
 وبالكتب السماوية والشرائع الربانية انتظام البقاء الأول، كما سلف في
 الفاتحة والأنعام والكهف. ١٥
 ولما ذكر سبحانه إنشاء هذه الشجرة بهذا الجبل البعيد عن مياه
 البحار لعلوه وصلابته أو بما حوله من الأرض الحارة، ذكر تميزها عن
 (١) من ظ و مد، وفي الأصل: تياها (٢) زيدت الواو في الأصل و ظ، ولم
 تكن في مد فخذناها (٣) سقط من مد (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: زمن.
 (هـ) زيد في الأصل: الله، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فخذناها.

نظم الدرر (سورة المؤمنون ٢٣: ٢٠ و ٢١) ج - ١٢

عامة الأشجار بوجه آخر عجيب فقال: (تبت) أى بالماء الذى لا دهن فيه أصلاً، نباتاً على قراءة الجمهور^١، أو^٢ إنباتاً على^٣ قراءة ابن كثير^٤ وأبى عمرو وورش^٥ [عن يعقوب بنم الفوقانية -^٦]، ملتبساً ثمره (بالدهن) وهو فى الأصل مانع لزج خفيف يتقطع^٧ ولا يختلط بالماء الذى هو أصله فيسرج و يدهن به. وكأنه عزة لأنه أجلّ الأدهان و أكلها. و لما كان المأكول منها الدهن و الزيتون قبل العصر، عطف إشعاراً بالتمكن فقال: (و صبغ) أى و تبت بشئ يصبغ - أى يلون - الخبز^٨ إذا غمس فيه أو أكل به (الأكليين) و كأنه نكرة لأن فى الإدام ما هو أشرف منه و ألد و إن كانت بركتته مشهورة: روى الإمام أحمد^٩ عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي الانصارى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كلوا الزيت و ادهنوا [به -^{١٠}] فإنه من شجرة مباركة. و للترمذى^{١١} و ابن ماجه^{١٢} و عبد بن حميد فى مسنده و تفسيره كما نقله "ابن كثير عن" ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اتدوموا بالزيت و ادهنوا به فإنه يخرج من

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل «و». (٣) من مد، و فى الأصل: فى، و العبارة من هنا إلى «ورش» ساقطة من ظ (٤) من مد، و فى الأصل: عرش (٥) زيد من مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: تقطع (٧) فى الأصل بياض، ملأناه من ظ و مد (٨) فى مسنده ٤٩٧/٣ (٩) زيد من ظ و مد و السند (١٠) فى أبواب الأطعمة. (١١ - ١١) سقط ما بين الرقيين من ظ، و راجع ابن كثير ٢٤٣/٢.

شجرة مباركة . و قال أبو حيان^١ : و خص هذه الأنواع الثلاثة من النخل و العنب و الزيتون لأنها أكرم الشجر و أجمعها للنافع .

و [لا -^٢] دل سبحانه و تعالى على قدرته بما أحيا بالماء [حياة -^٣] قاصرة عن الروح ، أتبعه ما أفاض عليه به حياة كاملة فقال :

(و ان لكم في الانعام) و هي الإبل و البقر و الغنم (لعبرة^٤) تعبرون هـ

بها من ظاهر أمرها إلى باطنه بما له سبحانه فيها من القدرة التامة على

البعث و غيره ؛ ثم استأنف تفصيل ما فيها من العبرة قائلا : (تسقيكم)

و لا - كان الانعام مفردا لكونه اسم جمع . و لم يذكر ما يسقى منه ،

أن الضمير بحسب المعنى و علم أن المراد ما يكون منه اللبن خاصة

و هو الإناث ، [فهو استخدام -^٥] لأنه لو أريد جميع^٦ ما يقع عليه ١٠

الاسم لذكر / الضمير . فذلك قال : (بما في بطونها) أى^٧ نجعله لكم ٥٩٠ /

شرايا [نافعا للبدن موافقا للشهوة -^٨] تلتذون به مع خروجه من بين

الفرث و الدم كما مضى في التحل (و لكم فيها) أى في^٩ جماعة^{١٠}

الانعام ، و قدم الجار^{١١} تعظيما لمنافعها حتى كأن غيرها عدم^{١٢}

(١) في البحر المحيط ٤٠٠/٦ (٢) زيد من ظ و مد (٣-٢) سقط ما بين الرقين

من مد (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : نسقى (٥) زيد من مد (٦) زيد قبله

في الأصل الواو ، ولم تكن في ظ و مد فحذفنا (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل :

جمع (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : ان (٩) سقط من مد (١٠) زيد في

الأصل : منها ، ولم تكن ان زيادة في ظ و مد فحذفنا (١١ - ١٢) في الأصل

يباض ملائمه من مد .

(منافع كثيرة) باستسلامها لما يراد منها^١ بما لا يتيسر من أصغر منها^٢،
و بأولادها و أصوافها و أوبارها، و غير ذلك من آثارها .
و لما كان التقدير : تصرفونها في تلك المنافع ، عطف عليه مقدما
للجار تعظيما لما كوله^٣ فقال : (و منها تاكلون^٤) بسهولة من غير إمتناع
٥ ما عن شيء من ذلك، و لو شاء لمنعها [من ذلك -^٥] و سألها عليكم،
و لو شاء لجعل لحمها لا ينضج ، أو جعله قدرا لا يؤكل ، ولكنه بقدرته
و علمه هيأها لما ذكر و ذللها له .

و لما كانت المفاوطة بين الحيوانات في القوى و سهولة الانقياد
[دالة على -^٦] كمال القدرة ، و كان الحمل للنفس و المتاع عليها و على
١٠ غيرها من الحيوان من أجل المنافع بحيث لولا هو لتعطلت أكثر المصالح،
ذكره فيها مذكرا بغيرها^٧ في البر تلويعا، و ذاكرا^٨ لمحمل البحر تصرححا،
فقال مقدما للجار عدأ حمل غيرها بالنسبة إلى حملها^٩ العظيم وقعه^{١٠} عدما :
(و عليها) أى الأنعام الصالحة للحمل من الإبل و البقر في البر
(و على الفلك) في البحر . و لما كان من المعلوم^{١١} من تذليلها على
١٥ كبرها^{١٢} و قوتها و امتناع غيرها على صغره و ضعفه أنه لا فاعل لذلك

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : فيها (٢) في ظ : لمنافعها (٣) زيد من ظ .
(٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : إلى غيرها (٦) من
ظ و مد ، وفي الأصل : ذكر (٧-٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : العظيم
رفعه (٨) العبارة من هنا إلى « للفعول قوله » ساقطة من ظ (٩) من
مد ، وفي الأصل : كبر .

إلا الله مع أن الممتن به نفس الحمل لا بالنظر إلى شيء آخر، بنى للفعول قوله: (تحمّلون ع) بانعامه عليكم بذلك، ولو شاء لمنعه، فتذكروا عظيم قدرته وكال صنّعه، وعظموه حق تعظيمه، واشكروه على ما أولاكم من تلك النعم، وأخلصوا له الدين، لتفلحوا فتكونوا من الوارثين.

ولما كان التقدير: فلقد حملنا نوحاً ومن أردنا بمن آمن به من أولاده وأهله وغيرهم على الفلك، وأغرقنا من عاذه من أهل الأرض قاطبة بقدرتنا، ونصرناه عليهم بعد ضعفه عنهم بأيدينا وقوتنا، وجعلناه وذريته هم الوارثين، وكنتم ذرية في أصلابهم، وكثرناهم حتى ملأنا منهم الأرض، دلالة على ما قدمنا من تفردنا كما أجرينا عادة هذا الكتاب الكريم بذكر عظيم البطش بعد أدلة التوحيد، وأتبعنا بعده ١٠ الرسل الذين سمعتم بهم، وعرفتم بعض أخبارهم، يا من أنكر الآن رسالة البشر لإنكار رسالة هذا النبي الكريم! عطف عليه يهدد: باهلاك الماضين، للرجوع عن الكفر، ويذكر بنعمة النجاة للقبال على الشكر، ويسلّي هذا النبي الكريم ومن معه من المؤمنين لمن كذب قبله من النبين وأودى من اتباعهم، ويدل على أنه يفضل من عباده من يشاء بالرسالة، ١٥ كما فضل طينة الإنسان على سائر الطين، وعلى أن الفلاح بالارث والحياة الطيبة في الدارين مخصوص بالمؤمنين كما ذكر أول السورة، فذكر نوحاً

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: من (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: جرينا (٣) من مد، وفي الأصل: تهدداً، وفي ظ: تهدد (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: يسبل (٥) من مد، وفي الأصل و ظ: ارضق.

لأن قصته أشهر القصص ، ولأن قومه كانوا ملء الأرض ، ولم تكن عنهم
 كثرتهم ولا نفعتهم قوتهم ، ولأنه الأب الثاني بعد [الأب - ١] الأول
 المشار إليه بالطين ، ولأن نجاته ونجاة المؤمنين / معه كانت بالفلك المحتوم
 به الآية قبله ، فقال : ﴿ ولقد أرسلنا ﴾ إشارة بصيغة العظمة إلى زيادة
 التسلية بأنه « أتاه من الآيات ما مثله آمن عليه البشر » ، وقام هو صلى الله
 عليه وسلم بذلك حق القيام ﴿ نوحا ﴾ أى وهو الأب الثاني بعد آدم
 عليهما السلام ﴿ الى قومه ﴾ وم^٢ جميع أهل الأرض لتواصل ما بينهم
 لكونهم على لغة واحدة ﴿ فقال ﴾ أى فتسبب عن ذلك أن قال :
 ﴿ يقوم ﴾ [ترفقا بهم - ٤] ﴿ اعبدوا الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى
 لا كفو له ، وحده ، لأنه إلهكم وحده لاستحقاقه لجميع خلال الكمال ؛
 واستأنف على سبيل التعليل قوله : ﴿ ما لكم ﴾ وأعرق فى النفي بما هو
 حق العبادة فقال : ﴿ من اله ﴾ أى معبود^٢ بحق ﴿ غيره^١ ﴾ فلا
 تعبدوا سواه .

ولما كانت أدلة الوحدانية والعظمة باعطاء الثواب وإحلال
 العقاب فى غاية الظهور لا تحتاج^٥ إلى كبير تأمل ، تسبب عن ذلك إنكاره
 لآمنهم من مكره ، والخوف من ضره ، فقال : ﴿ افلا تتقون ؟ ﴾ [أى
 تخافون - ٦] ما^٧ ينبغى الخوف منه^٤ فتجعلوا لكم وقاية من عذابه^٤ فعملوا

(١) زيد من ظ و مد (٢) اقتباس من الحديث ومر غير مرة (٣) من ظ و مد ،
 وفى الأصل : هو (٤) زيد من مد (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : لا يحتاج .
 (٦) زيد من ظ و مد غير أن فى ظ : تخافونه (٧) من مد ، وفى الأصل : بما ،
 والعبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة إلى والخوف منه ، فى ظ (٨-٨) من
 ظ و مد ، وفى الأصل : لتخافوا معطوفة .

بما تقتضيه التقوى من إفراده بالعبادة خوفاً من ضرركم ورجاء لنفعكم
 ﴿ فقال ﴾ ^١ أى قسب عن ذلك أن كذبوه فقال: ﴿ الملوأ ﴾ [أى
 الاشراف الذين تملأ رؤيتهم الصدور عظمة . ولما كان أهل الإيمان
 كلهم إذ ذاك قبيلة واحدة لاجتماعهم فى لسان واحد قدم قوله - ^٢] :
 ﴿ الذين كفروا ﴾ [أى بالله لأن التسليّة بيان التكذيب أتم ، والصلة هنا هـ
 قصيرة لا يحصل بها لبس ولا ضعف فى النظم بخلاف ما يأتى ، وكان
 أخاذهم ^٣ كانت متميزة فزاد فى الشناعة عليهم بأن عرف أنهم من أقرب
 الناس إليه بقوله - ^٢] : ﴿ من قومه ما هذا ﴾ أى نوح عليه الصلاة
 والسلام ﴿ الا بشر مثلكم لا ﴾ أى فلا يعلم ما لا تعلمون ، فأنكروا أن
 يكون بعض البشر نبياً ، ولم ينكروا أن يكون بعض الطين إنساناً ، وبعض
 الماء علقه ، وبعض العلقه مضغة - إلى آخره ، فكأنه قيل : فما حمله على
 ذلك ؟ فقالوا : ﴿ يريد ان تفضل ﴾ أى يتكلف الفضل بادعاء مثل هذا
 ﴿ عليكم ﴾ لتكونوا أتباعاً له ، ولا خصوصية له به دونكم .

ولما كان التقدير : فلم يرسله الله كما ادعى ، عطف عليه قولهم :
 ﴿ ولو شاء الله ﴾ أى الملك الأعلى الإرسال إليكم وعدم عبادة غيره ١٥
 ﴿ لا نزل ﴾ لذلك ﴿ ملئكم ﴾ وما علموا أن القادر على [تفضيل - ^٢] بعض
 الجواهر بجعلها ملائكة قادر على تفضيل ما شاء [ومن شاء - ^٢] بما
 (١-١) وقع فى الأصل بعد «من قومه» والترتيب من ظ و مد إلا أن فى الأصل :
 بان قال - موضع : فقال (٢) زيد من ظ و مد (٣) جمع نخذ : حى الرجل .

يشاء من الملائكة وغيرها .

٢ ولما كان هذا متضمنا لإنكار رسالة البشر ، صرحوا به في قولهم
كذبا^٢ و بهتاناً كما كذب فرعون وآله حين^٣ قالوا مثل هذا القول^٤
وكذبهم المؤمن برسالة يوسف عليه الصلاة والسلام : ﴿ ما سمعنا بهذا ﴾
٥ أى بارسال نبي من البشر يمنع أن يعبد غير الله بقصد التقريب إليه ،
فجعلوا الإله حجرا ، وأحالوا كون النبي بشرا ﴿ فى آياتنا الاولين ﴾
ولا سمعناه بما دعا إليه من التوحيد .

ولما نقوا عنه الرسالة و حصروا أمره فى قصد السيادة ، وكانت
سيادته لهم بمثل هذا عندهم من المحال ، قالوا : ﴿ ان ﴾ أى ما
١٠ : ﴿ هو الا رجل به جنة ﴾ أى جنون فى قصده التفضل بما يورث بغضه
وهضمه [و - ١] لا نعرف له وجهاً مخصصاً به ، فلا نطيع له فيه أبداً
﴿ فربصوا به ﴾ أى قسب عن الحكم بجنونه أنا نأمركم بالكف عنه
لأنه لاخرج على مجنون ﴿ حتى ﴾ أى إلى^٥ ﴿ حين ٥ ﴾ لعله يفيق
أويموت ، فكأنه قيل : فما قال ؟ فقيل : ﴿ قال ﴾ عند ما أيس من
١٥ فلاحهم : ﴿ رب انصرنى ﴾ أى أعنى عليهم ﴿ بما كذبون ٥ ﴾ أى بسبب
تكذيبهم لى ، فان تكذيب الرسول استخفاف^٦ بالمرسل ﴿ فارجئنا ﴾

/٥٩٢

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : غيرهم (٢-٢) وقع فى الأصل بعدد و الصلاة
و السلام ، والترتيب من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : غيره .
(٤) سقط من مد (٥) زيد فى الأصل : بهذا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد
لحذفها (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : التى (٨) من
ظ و مد ، وفى الأصل : استخفافا .

أى قسب عن دعائه^١ أنا أوحينا (إليه ان اصتغ الفلك)
 ٢ أى السفينة .

ولما كان يخاف من أذاهم له في عمله بالإفساد وغيره قال : (باعتنا)
 أى أنه لا يغيب عنا شيء [من أمرك ولامن أمرهم و أنت تعرف قدرتنا
 عليهم ٣] فثق بحفظنا ولا تخف شيئا من أمرهم . ولما كان لا يعلم تلك
 الصنعة، قال : (ووحينا) ثم حقق له هلاكهم وقربه بقوله :
 (فاذا جاء امرنا) أى بالهلاك عقب فراغك منه (وفار التور)
 قال ابن عباس رضى الله عنهما : وجه الأرض . وفي القاموس : التور :
 الكانون يخبز فيه ، ووجه الأرض ، وكل مفجر ماء ، وجبل قرب المصيصة
 - [انتهى . و الأليق بهذا الأمر صرفه إلى ما يخبز فيه ليكون آية في آية] ١٠
 (فاسلك) أى فادخل (فيها) أى السفينة (من كل زوجين)
 من الحيوان (اثنين) ذكرا وأنثى (واهلك) من أولادك وغيرهم
 (إلا من سبق عليه) لاله (القول منهم) بالهلاك لقطع ما بينك
 وبينه من الوصلة بالكفر .

ولما كان التقدير : فلا تحمله معك ولا تعطف عليه لظله ، عطف ١٥
 عليه قوله : (ولا تخاطبني) أى بالسؤال في النجاة (في الذين ظلموا)
 عامة : ثم علل ذلك بقوله : (انهم مغرقون) أى قد ختم القضاء عليهم ،
 ونحن نكرمك عن سؤال لا يقبل .

(١) في مد : وقاية (٢-٢) - قط ما بين الرقنين من مد (٣) زيد من ظ و مد .
 (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : لهم (٥) راجع الكشاف ١/ ٩٩٢ (٦) راجع
 ١/ ٣٧٧ (٧) زيد من مد .

ولما قدم ذلك ، لأن دوره المفسد - بالنهي عما لا يرضى - أولى من جلب المصالح ، أتبعه الأمر بالشكر فقال : ﴿ فاذا استويتم ﴾ أى اعتدلت ﴿ أنت و من معك ﴾ أى من البشر وغيرهم ﴿ على الفلك ﴾ ففرغت من امتثال الأمر بالحلل ^١ ﴿ فقل ﴾ لأن علمك بالله ليس كعلم غيرك فاحمد منك آمم ، وإذا قلت أتبعك من معك ، فانك قدوتهم وهم في غاية الطاعة لك ، ولهذا أفرد في الجزاء بعد العموم في الضرر ﴿ الحمد ﴾ أى الإحاطة بأوصاف الكمال في الإيجاد والإعدام ﴿ لله ﴾ أى الذى لا كفوء له لأنه المختص بصفات الحمد ﴿ الذى نجمنه ﴾ بحملنا فيه ﴿ من القوم ﴾ الأشداء الاعتياء ﴿ الظالمين ﴾ الذين حالهم ١٠ - لوضعهم الأشياء في غير مواضعها - حال من يمشى في الظلام ، فلك الحمد بعد إفنائهم كما كان [لك - ٢] الحمد في حال إبدائهم وإبقائهم ، والحمد في هذه السورة المفتحة بأعظم شعيرة بها الإبقاء الأول ، وهى الصلاة الموصوفة بالخشوع كالحمد في سورة الإيجاد الأول : الانتقام بقوله تعالى " فقطع دابر القوم الذين ظلموا و الحمد لله رب العالمين " .

١٥ ولما أشار له بهذا القول إلى السلامة بالحلل ، أتبعه الإشارة إلى الوعد باسكان الأرض فقال : ﴿ و قل رب انزلى ﴾ فى الفلك ^٣ ثم فى الأرض وفى كل منزل تنزلى به و تورثى لياه ﴿ منزلا ﴾ موضع نزول ، أو إنزالا ﴿ مباركاً ﴾ أى أهلاً لأن يثبت فيه أوبه . ولما كان

(١) من مد ، وفى الأصل وظ : فى الجمل (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : الذى (٣) زيد من مد (٤) آية ٥٤ (٥) فى مد : الملك .

الثناء أعظم مهيج^١ على إجابة الدعاء، وكان التقدير، فأنت خير الحاملين،
عطف عليه قوله: (وأنت خير المنزلين) لأنك تكفي نزيلك^٢ كل
علم، وتعطية كل مراد،

ولما كانت هذه القصة من أغرب القصص، حدث على تذييرها
بقوله: (أن في ذلك) أي الأمر العظيم الذي ذكر من أمر نوح ه
وقومه وكننا ما هو مهاده (لايت) أي علامات دالات على
صدق الأنبياء في أن المؤمنين هم المفلحون، وأنهم الوارثون للأرض
بعد الظالمين وإن عظمت شوكتهم، واشتدت صولتهم (وإن) أي
وإنما بما لنا من العظمة^٣ (كنا) بما لنا من الوصف الثابت الدال
على تمام القدرة (لمبتلين) أي فاعلين فعل المختبر لعبادنا بإرسال الرسل ١٠
ليظهر في عالم الشهادة الصالح منهم من غيرهم، ثم نبلي الصالحين منهم
بما يزيد حسناتهم، وينقص سيئاتهم، ويعلي درجاتهم، ثم نجعل لهم
العاقبة فبلى بهم الظالمين بما يوجب دمارهم، ويخرب ديارهم، ويمحو
آثارهم، هذه عادتنا المستمرة إلى أن ترث الأرض ومن عليها فيكون
البلاء المبين .

١٥

ولما بين سبحانه وتعالى تكذيبهم وما عذبهم به، وكان القياس
موجبا لأن من يأتي بعدهم يخشى مثل^٤ مصرعهم، فيسلك غير سبيلهم،
(١) من ظ و مد، وفي الأصل: مبيح (٢) من ظ و مد، وفي الأصل:
بذلك (٣) في مد: أعظم (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) العبارة من
ها إلى « القدرة » ساقطة من ظ (٦) من مد، وفي الأصل: أتمام (٧) من ظ
و مد، وفي الأصل: علم (٨) سقط من مد .

نظم الدرر (سورة المؤمنون ٢٣: ٣١ و ٣٢) ج - ١٣

و يقول غير قليلهم ، بين أنه لم تنفعهم العبرة ، فارتكبوا مثل أحوالهم^١ ،
وزادوا على أقوالهم وأفعالهم ، لإرادة ذلك من الفاعل المختار ، الواحد
القهار ، وأيضاً فإنه لما كان المقصود - مع التهديد - الدلالة على القدرة
والاختيار - الدلالة على تخصيص المؤمنين بالفلاح والبقاء بعد الأعداء ،
٥ وكان إهلاك المترفين أدل على ذلك ، اقتصر على ذكرهم ؛ وأهمهم ليصح
تنزيل قصتهم على كل من ادعى فيهم^٢ الإirاف من الكفرة ، ويرجح
إرادة عاد لما أعطوا مع ذلك من قوة الأبدان وعظم الأجسام ،
وبذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما^٣ ، وإرادة ثمود لما في الشعراء
والقمر مما يشابه بعض قولهم هنا ، وللتعبير عن عذابهم بالصيحة ولموافقتهم^٤
١٠ لقوم نوح في تعليل ردهم بكونه بشراً ، وطوى^٥ الإخبار عن^٦ بعدهم
بغير التكذيب والإهلاك لعدم^٧ الحاجة إلى ذكر شيء غيره ، فقال :
(ثم انشأنا) أي أحدثنا وأحيينا ورينا^٨ بما لنا من العظمة^٩ . ولما
لم يستغرقوا زمان البعد ، أتى بالجار فقال : (من بعدهم قرناً) أي
[أمة -^{١٠}] "و جيلاً . ولما كان ربما ظن أنهم فرقة من المهلكين
١٥ نجوا من عذاب سائرهم كما يكون في حروب سائر الملوك ، عبر عن

- (١) من ظ و مد ، وفي الأصل : أموالهم (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل :
منهم (٣) راجع روح المعاني ٤٩٩/٥ (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : لمواتهم .
(٥-٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : يطوى (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل :
عن (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : لقدم (٨-٨) سقط ما بين الرقيين من ظ .
(٩) زيد من ظ و مد (١٠) العبادة من هنا إلى « بعدهم فقال » ساقطة من ظ .

إنجائهم^١ بإنشائهم، حقق أنهم أحدثوا [بعدم-^٢] فقال: ﴿آخرين^٣ فارسلنا﴾
أى فتعقب إنشاءنا لهم^٤ أو تسبب عنه^٥ أن أرسلنا.

ولما كان المقصود الإبلاغ في التسلية، عدى الفعل بـ «في»، دلالة
على أنه عنهم بالإبلاغ^٦ كما يعم المظروف الظرف، حتى لم يدع واحدا
[منهم-^٧] إلا أبلغ في أمره فقال: ﴿فيهم رسولا منهم﴾ فكان^٨
القياس [يقتضى-^٩] مبادرتهم لاتباعه أعلمهم بما حل بمن قبلهم لأجل
التكذيب، ولعرفتهم غاية المعرفة لكون النبي منهم، بما جعلناه عليه
من المحاسن، وما زينا به من الفضائل، ولأن «عزه عزهم^{١٠}». ولدعائه
لهم إلى ما لا يخفى حسنه على عاقل، ولا ياباه منصف؛ ثم بين ما أرسل
به بقوله: ﴿ان اعبدوا الله﴾ أى وحده لأنه لا مكافئ له، وإذا حفظ ١٠
اسمه فكان لا سمي له^{١١}؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ما لكم﴾ و دل على
الاستغراق بقوله: ﴿من الـه غيره^{١٢}﴾.

ولما كانت المثالات قد خلت من قبلهم في المكذبين، وأناخت
صروفها بالظالمين، فتسبب عن علمهم بذلك / إنكار قلة مبالاتهم في عدم
تحوزهم من مثل مصارعهم، قال: ﴿افلا تتقون^{١٣}﴾ [أى تجعلون ١٥
٥٩٤/

(١) من مد، وفي الأصل: إيجابهم (٢) زيد من مد (٣-٣) - سقط ما بين الرقين
من ظ (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: بابلاغ (٥) زيد من ظ و مد.
(٦) - سقط من مد (٧-٧) من ظ و مد، وفي الأصل: عزهم غيره (٨) من
ظ و مد، وفي الأصل: بانه (٩) من مد، وفي الأصل: كذا (١٠) العبارة
من «و لذا» إلى هنا ساقطة من ظ.

نظم الدرر (سورة المؤمنون ٢٢: ٢٣-٢٧) ج- ١٢

لكم وقاية مما ينبغي الخوف منه فتجعلوا وقاية تحول بينكم وبين سخط الله - ١ .

ولما كان التقدير: فلم يؤمنوا ولم يتقوا دأب قوم نوح، عطف عليه قوله: (وقال الملا) أى الأشراف [الذين تملأ رؤيتهم الصدور، فكان ما اقترن بالواو أعظم فى التسلية عما خلا منها على تقدير سؤال دلالة هذا على ما عطف عليه - ٢] . ولما كانت القبائل قد تفرقت بفرق الألسن، قدم قوله: (من قومه) اهتماماً وتخصيصاً للإبلاغ فى التسلية [ولأنه لو آخر لكان بعد تمام الصلة وهى طويلة - ١]: ثم بين الملا بقوله: (الذين كفروا) أى غطوا ما يعرفون من أدلة التوحيد والانتقام من المشركين (وكذبوا بقاء الآخرة) لتكذيبهم بالبعث .

ولما كان من لازم الشرف الترف، صرح به إشارة إلى أنه - لظن كونه سعادة فى الدنيا - قاطع فى الغالب عن سعادة الآخرة، لكونه حاملاً على الأشرار والبطور والتكبر حتى على المنعم، فقال: ١٥ (واترفقهم) أى والحال أنا - بما لنا وعلى ما لنا من العظمة - نعمناهم (فى الحياة الدنيا) أى الدانية الدنيئة °، بالأموال والأولاد وكثرة السرور، يخاطبون أتباعهم: (ما هذا) أشاروا [إليه - ٢] تحقيراً له عند المخاطبين (الابشر مثلكم) أى فى الخلق والحال؛ ثم

(١) زيد من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: الأشد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقنين من ظ (٥) سقط من مد .

وصفوه بما يوم المساواة في كل وصف فقالوا: ﴿ياكل بما تاكلون منه﴾
من طعام الدنيا ﴿و يشرب بما تشربون لاس﴾ أى منه من شرابها فكيف
يكون رسولا دونكم!

ولما كان التقدير: فلئن اتبعتموه^١ إنكم اضالون ، عطف عليه:
﴿ولئن اطعمتم بشرا مثلكم﴾ في جميع ما ترون ﴿انكم اذا﴾ أى إذا أطعتموه
﴿لنخسرون﴾ أى مغبونون لكونكم فضلتم مثلكم عليكم بما يدعيه مما نحن
له منكرون؛ ثم بينوا إنكارهم بقولهم: ﴿ايحكم انكم اذا متم﴾ فقارقت
أرواحكم أجسادكم ﴿و كنتم﴾ أى وكانت أجسادكم ﴿ترابا﴾ باستيلاء
التراب على ما دون عظامها^٢ ﴿و عظاما﴾ مجردة؛ ثم بين الموعود به
بعد أن حرك النفوس إليه ، و بعث بما قدمه آثم بعث عليه ، فقال [مبدلا ١٠
من "أنكم" الاولى إيضاها للنفى - ٢]: ﴿أنكم مخرجون لاس﴾ أى من تلك
الحالة التى صرتم إليها ، فراجعون إلى ما كنتم [عليه - ٤] من الحياة
على ما كان لكم من الاجسام؛ ثم استأنفوا التصريح بما دل عليه الكلام
من استبعادهم ذلك فقالوا: ﴿هيهات هيهات﴾ أى بعد بعد جدا بحيث
صار ممتعا ، ولم يرفع ما بعده به بل قطع عنه تفخيما له ، فكان كأنه ١٥
قيل: لآى شىء هذا الاستبعاد؟ فقيل: ﴿لما توعدون لاس﴾ .

ولما كانوا بهذا التأكيد في التباعد كأنهم قالوا: إنا لانبعث أصلا ،
اتصل به: ﴿ان هي﴾ أى الحالة التى لا يمكن لنا سواها ﴿الاحياتنا الدنيا﴾

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل: اتبعتموهم (٢) فى مد: عظاما (٣) زيد من
مد (٤) زيد من ظ و مد .

أى التى هى أقرب الأشياء إلينا وهى ما نحن فيها ، ثم فسروها بقولهم :
 (نموت ونحيا) أى يموت منا من هو موجود ، وينشأ آخرون بعدهم
 (وما نحن بمبعوثين^١) 'بعد الموت ، فكأنه قيل : فما هذا الكلام الذى
 يقوله ؟ فقيل : كذب ؛ ثم حصروا أمره^٢ فى الكذب فقالوا : (إن)
 ٥ أى ما (هو الا) وألوه على ترك [مثل - ٢] ما خاطبهم به بقولهم :
 (رجل اقترى) أى تعمد (على الله) أى الملك الأعلى (كذبا)
 والرجل لا ينبغي له مثل ذلك ، 'أو هو واحد وحده ، أى لا يلتفت إليه'
 (وما نحن / له بمؤمنين^٣) أى بمصدقين فيما يخبرنا به من البعث والرسالة ؛
 ١٠ ثم استأنف قوله : (قال رب) أى أيها المحسن إلى^٤ بارسالى إليهم
 وغيره من أنواع الترية (انصرني) [عليهم - ٥] أى أوقع^٥ لى النصر
 (بما كذبون^٦) فأجابه ربه بأن (قال عما قليل) أى 'من الزمن'.
 [وأكد قلته بزيادة 'ما - ٢'] (ليصبحن ثمدمين^٧) على تخلفهم
 عن اتباعك .

/ ٥٩٥

ولما تسبب عن دعائه^{١١} أن تعقب هلاكهم ، وعد الله له بذلك ،
 ١٥ قال تعالى : (فاخذتهم الصيحة) أى التى كأنها لقوتها لا صيحة إلا هى ،
 (١) زيد فى الأصل : اى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٢) فى الأصل
 بياض ملأناه من ظ و مد (٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) سقط ما بين الرقين
 من ظ (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : بما (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل :
 لى (٧) زيد من ظ (٨) من مد ، وفى الأصل : ارفع (٩) العبارة من 'أى
 أوقع ، إلى هنا ساقطة من ظ (١٠-١٠) فى ظ : زمن (١١) فى مد : ادعائه .
 ١٤٠ (٣٥) ويمكن

ويمكن أن تكون على بابها فتكون صيحة جبريل عليه الصلاة والسلام
ويكون القوم ثمود، ويمكن أن تكون ' مجازا عن العذاب الهائل
(بالحق) أى بالامر الثابت من العذاب الذى أوجب لهم الذى لا تمكن
مدافعتهم ولم ولا لأحد غير الله، ولا يكون كذلك إلا وهو عدل
(فجعلهم) بعظمتنا التى لا تدانيها عظمة، بسبب الصيحة (غناه) هـ
كانهم أعجاز نخل خاوية، جاثمين أمواتا يطرحون كما يطرح الغناء، وهو
ما يحمله السيل من نبات ونحوه فيسود ويلى فيصير^١ بحيث لا ينفع
به، ونجينا رسولهم ومن معه من المؤمنين، نخاب الكافرون، وأفلح
المؤمنون، وكانوا هم^٢ الوارثين للأرض^٣ من بعدهم.

ولما كان ملاكهم على هذا الوجه سببا لهوانهم، عبر عنه بقوله: ١٠
(فبعدا) أى هلاكا وطردا. ولما كان كأنه قيل: لمن؟ قيل: لهم
ولكنه أظهر الضمير تعميما وتعليقا للحكم بالوصف تحذيرا لكل من
تلبس به فقال: (للقوم) أى الأقوياء الذين لا عذر لهم فى التخلف
عن اتباع الرسل والمدافعة عنهم (الظلمين) الذين وضعوا قوتهم التى
كان يجب عليهم بذلها فى نصر الرسل فى خذلانهم.

ولما كانت عادة المكذبين أن يقولوا تكذيبا: هذا تعريض لنا ١٥
بالحلاك، فصرح ولا تدع^٤ جهدا فى إحلاله [بنا - °] والتعجيل به

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: يكون (٢) سقط من ظ (٣ - ٢) من ظ
ومد، وفى الأصل: الوارثون الارض (٤) من ظ و مد، وفى
الأصل: لا تجد (٥) زيد من ظ و مد.

إلينا ، فانا لا ندع ما نحن عليه لشيء ، و كان العرب أيضا قد ادعوا
 أن العادة بموتهم و إنشاء من بعدهم شيئا فشيئا لا تنخرم ، قال تعالى رادعا
 لهم : ﴿ ثم انشأنا ﴾ أى بعظمتنا التى لا يضرها تقديم و لا تأخير ،
 و أثبت الجار لما تقدم فقال : ﴿ من بعدهم ﴾ أى [من - '] بعد من ؟
 ه قدمنا ذكره من نوح و القرن الذى بعده ﴿ قرونا ﴾ اخرين ه ثم أخبر
 بأنه لم يجعل على أحد منهم قبل الأجل الذى حده له بقوله : ﴿ ما تسبق ﴾
 و لعله عبر بالمضارع إشارة إلى أنه ما كان شيء من ذلك و لا يكون ،
 و أشار إلى الاستغراق بقوله : ﴿ من أمة أجلها ﴾ أى الذى قدرناه
 هلاكها ﴿ و ما يستأخرون ه ﴾ عنه ، و كلهم أسفرت عاقبته عن خيبة
 ١٠ المكذبين و إفلاح المصدقين ، و جعلهم بعدهم الوارثين ، [و عكس هذا
 الترتيب فى غيرها من الآيات فقدم الاستخار لانه فرض هناك مجيء
 الأجل فلا يكون حيثنظ نظر إلا إلى التأخير - '] .

و لما كان قد أملى لكل قوم حتى طال عليهم الزمن ، فلما لم يهدم
 عقولهم لما نصب لهم من الأدلة ، و أسبغ عليهم من النعم ، و أحل
 ١٥ بالمكذبين قبلهم من النقم ، أرسل فيهم رسولا ، دل على ذلك بأداة التراخي
 فقال : ﴿ ثم أرسلنا ﴾ / أى بعد إنشاء كل قرن منهم و طول إمهالنا له ،

/ ٥٩٦

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ما (٣) من ظ و مد ، و فى
 الأصل : القرون (٤) من ظ و مد و القرآن الكريم ، و فى الأصل : قوما .
 (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : حد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : من .
 (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الزمان .

و من

و من هنا يعلم أن بين كل رسولين فترة^١، و أضاف الرسل إليه لأنه في مقام العظمة و زيادة في التسلية فقال: ﴿ رسلنا تراء^٢ ﴾ أى واحدا بعد واحد؛ قال الرازى: من وتر القوس لاتصاله . و قال البغوى^٣: و اترت الخبر: أتبع بعضه بعضا و بين الخبرين هنيهة^٤ . و قال الاصبهاني: و الاصل: وترى، فقلبت الواو تاء كما قلبوها في التقوى . فجاء كل رسول إلى أمته قائلا: اعبدوا الله ما لكم من إله غيره.

و لما كان كأنه قيل: فكان ما ذا؟ قيل: ﴿ كلما جاء أمة^٥ ﴾ و لما كان في بيان التكذيب^٦، أضاف الرسول^٧ إليهم^٨، ذما لهم لأن يخلصوا بالكرامة فيأبوها و لقصد التسلية أيضا فقال: ﴿ رسولها ﴾ أى بما أمرناه [به -^٩] من التوحيد .

و لما كان الأكثر من كل أمة مكذبا، أسند الفعل إلى الكل فقال: ﴿ كذبوه ﴾ أى كما فعل هؤلاء بك لما أمرتهم بذلك ﴿ فاتبعنا ﴾ القرون بسبب تكذيبهم ﴿ بعضهم بعضا ﴾ في الإهلاك، فكنا نهلك الأمة كلها في آن واحد، بعضهم بالصيحة، و بعضهم بالرجفة، و بعضهم بالخسف، و بعضهم بغير ذلك، فدل أخذنا لهم على غير العادة - من إهلاكنا لهم ١٥

(١) من ظ و مد، و في الأصل: فوتره، و العبارة في ظ من بعده إلى «فقال» - ساقطة (٢) نقلا عن الأصمعي - راجع المعالم على هامش الباب ٣١/٥ (٣) في المعالم: مهلة (٤-٤) في ظ: مقام العظمة (٥-٥) من ظ و مد، و في الأصل: اضافته (٦) في ظ: إليه (٧) زيد من مد .

نظم الدرر (سورة المؤمنون ٢٣ : ٤٤ - ٤٦) ج - ١٣

جميعا و إنجاء الرسل و من صدقهم و المخالفة بينهم في نوع العذاب -
أنا نحن الفاعلون بهم ذلك باختيارنا لا^١ الدهر ، و أنا ما فعلنا ذلك إلا بسبب
التكذيب .

و لما كانوا قد ذهبوا لم يبق عند الناس منهم إلا أخبارهم ، جعلوا
٥ إياها ، فقال : (و جعلتهم احاديث ج) أى أخبارا يسمر بها و يتعجب
منها ليكونوا عظة للمستبصرين فعملوا أنه لا يفلح الكافرون و لا يخيب
المؤمنون ، و ما أحسن قول القائل :

ولا شيء يدوم فكن حديثا جميل الذكر فالدينا حديث
و لما تسبب عن تكذيبهم هلاكهم المقتضى لبعدهم فقال ،
١٠ (فبعدا لقوم) أى أقوياء على ما يطلب منهم (لا يؤمنون *)^٢ أى
لا يتجدد^٣ منهم إيمان و إن جرت عليهم الفصول الأربعة ، لأنه لا مزاج
لهم معتدل .

و لما كان آل فرعون قد أنكروا الإيمان لبشر مثلهم كما قال من
تقدم ذكره من قوم نوح و القرن الذى بعدهم^٤ ، و كانوا آتف أهل
١٥ زمانهم ، و أعظمهم قوة ، و أكثرهم عدة ، و كانوا يستعبدون بنى إسرائيل ،
و كان قد نقل إلينا من الآيات التى أظهر رسولهم ما لم ينقل إلينا مثله
لمن تقدمه ، صرح سبحانه بهم ، و كأن الرسالة إليهم كانت بعد فترة
طويلة ، فدل عليها بحرف التراخي فقال : (ثم ارسلنا)^٥ أى بما لنا

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : الا (٢) العبارة من هنا إلى « لهم معتدل » ساقطة
من ظ (٣) من مد ، وفي الأصل : لا يجدد (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل :
بعد (٥) العبارة من هنا إلى « العظمة » ساقطة من ظ .

من العظمة (موسى) و زاد في التسلية بقوله: (و اخله هرون لا) أي عاضدا له^٢ و يانا لأن إهلاك فرعون وآله جميعا مع إنجلاء الرماة معا و من آمن بها لإرادة الواحد القهار لإفلاح المؤمنين و تخيئة الكافرين (بنايتنا) [أى - ٢] المعجزات ، بعظمتها^٣ - لمن ياربها^٤ (وسلطن مين لا) أى حجة ملزمة عظيمة^٥ واضحة، و هى حراسته و هو، ٥٥ وحده، و أعلاه على كل من ناواه و هم مع قوتهم ملوك الأرض و عجزهم عن كل ما يرومونه من كيد، و هذه و إن كانت من جملة الآيات لكنها أعظمها /، و هى وحدها كافية فى إيجاب التصديق (الى فرعون و ملائكة) ٥٩٧ / أى و قومه^٦.

و لما^٧ كان الأطراف لا يخالفون. الأشراف ، عديم عدما، و من، ١٠ الواضح أن التقدير: أن اعبدوا الله، ملائكم من إله غيره، و أشار بقوله: (فاستكبروا^٨) إلى أنهم أوجدوا الكثير عن الاتباع فيما دعوا إليه. عقب الإبلاغ من غير تأمل و لا تثبيت [و طلبوا أن لا يكونوا تحت: أمر من دعاهم - ٢]، و أشار بالكون إلى فساد جبلتهم فقال: (و كانوا قوما) أى أقوياء (عالمين ج) على جميع من يناوهم من أمثالهم. ٥٥

- (١) وقع فى الأصل بعد ارسلا - و الترتيب من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل: لهم (٣) زيد من مد (٤) فى مد : بعظمتها، و ساقطة من ظ (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل: يادهم بها (٦) سقط من ظ (٧) زيد فى الأصل: أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفنا (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل: لكن ، (٩) ليس فى الأصل نقط .

نظم الدرر (سورة المؤمنون ٢٣ : ٤٧ - ٤٩) ج - ١٣

ولما تسبب عن استكبارهم وعلوم إنكارهم للاتباع قال :
 (فقالوا اتؤمن) أى بالله مصدقين (لبشرين) ولما كان ' مثل '
 و'غير' قد يوصف بهما المذكر والمؤنث والمثنى والجمع 'دون تغيير'،
 ولم تدع حاجة إلى التثنية قال : (مثلنا) أى ' فى البشرية والمأكل
 = والمشرّب وغيرهما بما يعترى البشر كما قال من تقدمهم (وقومهما)
 أى والحال أن قومهما (لنا عبدون) أى فى غاية الذل والانقياد
 كالعبيد فنحن أعلى منهما بهذا ، ويا ليت شعرى ما لهم لما جعلوا هذا
 شبهة لم يجعلوا عجزهم عن إهلاك الرسل وعمّا يأتون به من المعجزات
 ، فرقانا وما جوابهم عن أن من الناس الجاهل الذى لا يهتدى لشيء
 ١٠. والعالم الذى يفوق الوصف من قاتل بينهما ؟ وإذ جاز التفاوت
 بينهما فى ذلك فلم لا يجوز فى غيره ؟ . ولما تسبب عن هذا الإنكار
 التكذيب ، فتسبب عنه الهلاك ، قال : (فكذبوهما) أى فرعون
 وملاؤه موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام (فكانوا) أى فرعون
 وآله ، [ونبه بصيغة المفعول على عظيم القدرة فقال -] : (من المهلكين)
 ١٥ باغراقنا لهم على تكذيبهم إشارة إلى أنهم لم يهلكوا بأنفسهم من غير
 مهلك مختار بدليل إغراقهم كلهم بما كان سبب إنجاء بنى إسرائيل كلهم
 ولم تنقذهم قوتهم فى أنفسهم ثم قوتهم على خصوص بنى إسرائيل
 (١) سقط من ظ (٢ - ٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : ماص ، مع البياض
 قبل الكلمة وبعدها (٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : التنبيه (٤) من ظ ومد ،
 وفى الأصل : اهلل (٥) زيد من مد .

باستعبادهم إياهم، ولا ضر بني إسرائيل ضعفهم عن دفاعهم، ولا ذلهم لهم وصغارهم في أيديهم .

ولما كان ضلال قومها الذين استغفناهم من عبودية فرعون وقومه أعجب، وكان السامع متشوقاً إلى ما كان من أمرهم بعد نصرهم، ذكر ذلك مبتدئاً له بحرف التوقع مشيراً إلى حالهم في ضلالهم تسلياً للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿ ولقد آتينا ﴾ [أى - ٢] بعظمتنا ﴿ موسى الكتيب ﴾ [أى - ٢] الناظم لمصالح البقاء الأول بل والثاني . ولما كان كتابهم لم ينزل إلا بعد هلاك فرعون كما هو واضح لمن تأمل أشأت قصتهم في القرآن، وكان حال هلاك القبط معروفاً أن الكتاب لبني إسرائيل، اكتفى بضميرهم فقال: ﴿ لعلمهم ﴾ أى قوم موسى وهارون ١٠ عليها السلام ﴿ يهتدون ﴾ أى ليكون حالهم عند^٢ من لا يعلم العواقب حال من ترجى هدايته، فأفهم جعلهم في ذلك في مقام الترجى أن فيهم من لم يهتد؛ قال ابن كثير: وبعد أن أنزل التوراة لم تهلك أمة بعامة بل أمر المؤمنين بقتال الكافرين - انتهى . ولا يبعد على هذا أن يكون

الضمير في "لعلمهم" للقرون الحادثة المدلول / عليها^١ بقوله "قرونا" ١٥ / ٥٩٨ وربما^٢ أرشد إلى ذلك قوله تعالى "ولقد آتينا موسى الكتيب من بعد

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: متشرفاً (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: عن (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: يرجى (٥) راجع تفسيره: ٢/ ٢٤٥ (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: عليهما (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: لا .

نظم الدرر (سورة المؤمنون ٢٣ : ٥٠ و ٥١) ج - ١٣

ما اهلكنا القرون الاولى بصائر للناس و هدى و رحمة لعلهم يتذكرون
و قد ختم الهلاك العام بالإغراق كما فتح به ، و النيان اللذان وقع
ذلك لهما دعا كل منهما على من عصاه ، و كلاهما مثله النبي صلى الله
عليه و سلم في غزوة بدر في الشدة على العصاة بعمر رضى الله عنه الذي
أطاعه النيل و أطاع جيشه الدجلة .

[و لما كان من ذكر كلهم قد ردوا من جاءهم لإشعارهم استبعادهم
لأن -] يكون الرسل بشرا ، و كان بنو إسرائيل [الذين -]
أعزم الله و نصرهم على عدوم و أوضح لهم الطريق بالكتاب قد اتخذوا
عيسى - مع كونه بشرا - إلها ، أتبع ذلك ذكره تعجيا من حال المكذبين
١٠ في هذا الصعود بعد ذلك النزول في أمر من أرسلوا إليهم ، و جرت
على أيديهم الآيات لهدايتهم ، فقال : (وجعلنا) أي بعظمتنا (ابن مريم)
نسبه إليها تحقيقا لكونه لا أب له ، و كونه بشرا محمولا في البطن مولودا
لا يصلح لرتبة الإلهية ؛ و زاد في تحقيق ذلك بقوله : (و أمه) [و -]
قال : (آية) إشارة إلى ظهور الخوارق على أيديهما حتى كأنهما نفس
١٥ الآية ، فلا يرى منها شيء إلا و هو آية ، و لو قال : آيتين ، لكان ربما
ظن أنه يراد حقيقة هذا العدد ، و لعل في ذلك إشارة إلى أنه تكلمت
به آية القدرة على إيجاد الإنسان بكل اعتبار من غير ذكر و لا أنثى

(١) في مد : بالإهلاك (٢-٣) بياض في الأصل ، ملأناه من ظ و مد (٣) راجع
أواخر الخصائص الكبرى للسيوطي (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيدت الوار
في الأصل ، و لم تكن في ظ و مد فخذناها (٦) في ظ : الإيجاد
كادم (٢٧) ١٤٨

كآدم عليه السلام ، ومن ذكر بلا أنثى كحواء عليها السلام ، ومن أنثى بلا ذكر كعميسى عليه السلام ، ومن الزوجين كبقية الناس ، والمراد أن نبي إسرائيل - مع^١ الكتاب الذى هو آية مسموعة و النبي الذى هو آية مرئية - لم يهتد أكثرهم :

ولما كان أهل^٢ الغلو فى عيسى وأمه عليهما الصلاة والسلام ربما هـ تشبثوا من هذه العبارة بشئ^٣، حقق بشريتهما واحتياجهما المنافى لرتبة الإلهية فقال : ﴿ وَاُونَهُمَا ﴾ [أى -^٢] بعظمتنا لما قصد ملوك البلاد الشامية إهلا كهما ﴿ ال رهوة ﴾ أى مكان عال^٤ من الأرض^٥ ، وأحسن ما يكون النبات فى الأماكن المرتفعة ، والظاهر أن المراد بها عين شمس فى بلاد مصر ؛ قال ابن كثير^٦ : قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ١٠ ليس الربى إلا بمصر والماء حين يرسل^٧ تكون الربى عليها القرى ، ولو لا الربى^٨ غرقت القرى ، وروى عن وهب بن منبه نحو هذا - انتهى . ﴿ ذات قرار ﴾ [أى -^٢] منبسط صالح لأن^٩ يستقر فيه لما فيه من المرافق ﴿ ومعين^٤ ﴾ أى ماء ظاهر للعين ، ونافع كاللآعون ، فرع اشتق من أصلين ، ولم يقدر من خالفه من الملوك وغيرهم على كثرتهم وقوتهم ١٥ على قتله^{١٠} لا فى حال صفوه ، ولا فى حال كبره ، كما مضى نقله عن

(١) من ظا ومد ، وفى الأصل : من (٢) فى مد : أكثر (٣) زيد من مد . (٤-٤) سقط ما بين الرقین من ظ (٥) راجع تفسيره : ٢٤٦/٣ (٦) فى التفسير : يسيل (٧) من ظ ومدو التفسير ، وفى الأصل : الذى (٨) من ظ ومد ، وفى الأصل : لا (٩) فى ظ : قتله .

الإنجيل و صدقه عليه القرآن ، مع كونه مظنة لتأهى الضعف بكونه^١
 من أنثى فقط ولا ناصر له إلا الله ، ومع ذلك فأنجح الله أمره وأمر
 من اتبعه ، وخيب^٢ به الكافرين ، ورفع له إليه ليؤيد به هذا الدين في
 آخر الزمان ، ويكون^٣ للمؤمنين حيثذ فلاح لم يتقدمه مثله ، وكان
 ذلك من إحسان خالقه ونعمته عليه^٤ .

ذكر شيء من دلائل^٥ [كونه -^٦] آية من الإنجيل :

قال يوحنا^٦ أحد المترجمين للإنجيل وأغلب السياق لى فاني خلطت
 كلام المترجمين الأربعة : ولما قرب عيد المظال قال إخوة يسوع
 - أى الاتقى عشر تلميذا - له : تحول من ههنا إلى يهودا ليرى تلاميذك
 ١٠. الأعمال التى تعمل [لانه ليس أحد يعمل شيئاً سراً فيجب أن يكون
 علانية إذ كنت تعمل -^٧] هذه الأشياء فأظهر نفسك للعالم ، فقال لهم
 يسوع^٨ : أما وقى فلم يبلغ ، وأما وقتكم فانه^٩ مستعد في كل حين ،
 لم يقدر للعالم أن يبغضكم وهم يبغضونى لأنى أشهد عليهم^{١٠} أن أعمالهم
 شريرة^{١١} ، اصعدوا أنتم إلى هذا العيد ، فاني لا أصعد الآن ، ثم قال^{١٢} :
 ١٥. ولما انتصف أيام العيد صعد يسوع^{١٣} إلى الهيكل فبدأ يعلم ، وكان اليهود

(١) فى ظ : من كونه (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقين
 من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : دلايله (٥) زيد من ظ و مد .
 (٦) راجع آية ٢ فما بعدها من الأصحاح السابع (٧) زيد من ظ و مد
 والإنجيل (٨) فى مد : يشوع (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : قانا .
 (١٠) فى ظ : عليكم (١١) من ظ و مد ، وفى الأصل : سريره (١٢) راجع
 آية ١٤ فما بعدها من الأصحاح السابع .

يتعجبون ويقولون: كيف يحسن هذا الكتاب ولم يعلمه أحد، فقال: تعليمي ليس هولي، بل للذي أرسلني، فمن أحب أن يعمل مرضاته فهو يعرف تعليمي هل هو من الله أو من عندى؟ من يتكلم من عنده إنما يطلب المجد لنفسه،^٢ وأما^٣ الذي يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم، أليس موسى^٤ أعطاكم الناموس وليس فيكم أحد يعمل^٥ بالناموس؟ ثم^٦ قال: وفي اليوم العظيم الذي هو آخر العيد كان يسوع قائما ينادي: كل من يؤمن بي كما قالت الكتب تجرى من بطنه أنهار ماء الحياة، وإن الجمع الكثير سمعوا كلامه فقالوا: هذا نبى حقا، وآخرون قالوا: هذا هو المسيح، [وآخرون قالوا: ألهل المسيح -^٧] من الجليل يأتي؟ أليس قد قال الكتاب: إنه من نسل داود، من بيت لحم قرية^٨ داود خاصة يأتي المسيح، فوقع بين الجمع خوف من أجله. قال متى: حيثئذ جاء إلى يسوع من يروشلیم كتبه وفريسيون قائلين: لما ذا تلاميذك يتعدون^٩ وصية المشيخة إذ لا يغسلون أيديهم عند أكلهم؛ وقال مرقس: ثم اجتمع إليه الفريسيون وبعض الذين جاؤا من يروشلیم فظفروا إلى تلاميذه يأكلون الطعام بغير غسل أيديهم، لأن الفريسيين^{١٠}

(١) من ظ و مد و الإنجيل، وفي الأصل: ان (٢ - ٢) من مد و الإنجيل، وفي الأصل و ظ: فاما (٣) سقط من مد (٤) راجع آية ٣٧ فما بعدها من الأصحاح السابع (٥) زيد من ظ و مد و الإنجيل (٦) راجع آية ١ و ٢ من الأصحاح الخامس عشر (٧) من ظ و مد و الإنجيل، وفي الأصل: يتعدون. (٨) راجع آية، فما بعدها من الأصحاح السابع.

و كل اليهود لا يأكلون إلا بغسل أيديهم تمسكا بتعليم شيوخهم و الذين
 يشترونه من الأسواق إن لم يغسلوه^١ لا يأكلونه، و أشياء أخر كثيرة
 تمسكوا بها من غسل كؤوس و أواني و مصاع^٢ و أسرة^٣، و ماله الكتب
 و الفريسيون : لم تلاميذك لا يسرون^٤ [على -^٥] ما وصت به المشيخة
 ٥ قال متى^٦ : فأجابهم [و قال -^٧] : لما ذا أنتم تتعدون^٨ وصية الله من
 أجل سننكم، ألم يقل الله : أكرم أباك و أمك، و الذي يقول كلاما
 رديئا في أبيه و أمه يستأصل^٩ بالموت، و أنتم تقولون : من^{١٠} قال لأبيه
 أو لأمه . [إن -^{١١}] القربان شيء ينفع به، [فلا يكرم أباه و أمه -^{١٢}]،
 فأبطلتم كلام الله من تلقاء روايتكم؛ قال مرقس^{١٣} : و تفعلون^{١٤} كثيرا
 ١٠ مثل هذا - انتهى . يا مراؤن^{١٥} حسنا يثنى^{١٦} - و قال مرقس^{١٧} : نعم
^{١٨} يثنى عليكم^{١٩} أشعيا قائلا^{٢٠} : إن هذا الشعب قرب مني و يكرمني بشفتيه،

(١) من ظ و مد، و في الأصل : لم يغسلوه، و في الإنجيل : لم يغسلوا (٢) في
 ظ : مصاع (٣) زيد في الأصل : و كتبه، و لم تكن الزيادة في ظ و مد و الإنجيل
 لحذفها (٤) من ظ و مد و الإنجيل معنى، و في الأصل : لا يشترون (٥) زيد
 من مد (٦) راجع آية ٣ فابعداها من الأصحاح الخامس عشر (٧) زيد من
 ظ و مد و الإنجيل (٨) من ظ و مد و الإنجيل، و في الأصل : تبعدون - كذا.
 (٩) من ظ و مد و الإنجيل معنى، و في الأصل : يستاهل (١٠) في ظ : ما .
 (١١) زيد من الإنجيل (١٢) راجع آية ١٣ من الأصحاح السابع (١٣) من ظ
 و مد و الإنجيل، و في الأصل : يفعلون (١٤) من ظ و مد و إنجيل متى آية ٧،
 و في الأصل : مروان (١٥) في الإنجيل : تنبأ عنكم (١٦) راجع آية ٦ من
 الأصحاح السابع (١٧-١٨) في الإنجيل : تنبأ عنكم (١٨) من ظ و مد و الإنجيل،
 و في الأصل : قال .

و قلبه بعيد عني، يعبدونني باطلا و يعلمون تعليم وصايا الناس . و دعا
الجمع / و قال لهم^١: اسمعوا و افهموا، ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان،
لكن الذي يخرج من الفم ينجس الإنسان. حيثئذ جاء إليه تلاميذه
و قالوا: اعلم^٢ أن الفريسيين لما سمعوا الكلام شكوا، فأجابهم و قال: كل
غرس لا يغرسه أبي السماوي يقطع، دعوهم فانهم عميان يقودهم [عميان - ٢]، هـ
أجابه بطرس و قال: فسر لنا المثل فقال: حتى أنتم لا تفهمون؟ أما
تعلمون أن كل ما يدخل إلى الفم يصل إلى البطن و ينطرد إلى الخارج،
فأما الذي يخرج من^٣ الفم فهو يخرج من القلب، هذا الذي ينجس
الإنسان، لأنه يخرج من القلب الفكر الشرير: القتل الزنا الفسق^٤ السرقة
و شهادة الزور التخديف^٥، هذا هو الذي ينجس الإنسان،^٦ و أما^٧ الاكل بغير^٨
غسل [الأيدي - ٩] و فليس ينجس الإنسان، و قال مرقس^{١٠}: إن كل ما كان
خارجا يدخل إلى فم الإنسان لا يقدر أن ينجسه لأنه لا يصل إلى القلب،
بل إلى الجوف و يذهب إلى خارج، و الذي يخرج من^{١١} الإنسان هو الذي
ينجس الإنسان، لأنه من داخل تخرج أفكار سوء: فجور زنا قتل سرقة
(١) من الإنجيل، و في الأصول: نعم (٢) في الإنجيل: أتعلم (٣) زيد من مد
و الإنجيل (٤) زيد في الأصل: أنتم، و لم تكن الزيادة في ظ و مد و الإنجيل
لحذفها (٥) في مد: الى (٦) من ظ و مد و الإنجيل، و في الأصل: العيسق .
(٧) من ظ و مد و الإنجيل، و في الأصل: التخديف (٨ - ٨) من ظ و مد
و الإنجيل، و في الأصل: فانما (٩) زيد بناء على الإنجيل (١٠) راجع آية ١٨ فما
بعدها من الأصحاح السابع (١١) زيد في الأصول: فم، و لم تكن الزيادة في
الإنجيل لحذفها .

نظم الدرر (سورة المؤمنون ٢٣ : ٥١ و ٥٢) ج - ١٣

شره شر غش فسق عين شريرة تحذيف^١ تعاظم جهل، هذا كله شر من
داخل يخرج^٢ وينجس^٣ الإنسان - [انتهى . وفيه مما لا يجوز إطلاقه
في شرعنا: الآب - كما تقدم غير مرة -]^٤ .

ولما بين أن عيسى عليه السلام على منهاج إخوانه من الرسل في
هـ الأكل و العبادة، و جميع الأحوال، زاد في تحقيق ذلك بيانا لمن ضل
بأن اعتقد فيه ما لا يليق به . فقال مخاطبا لجميعهم بعد إهلاك من عاندهم
من قومهم على وجه يشمل ما قبل ذلك ردا لمن جعله موجبا لإنكار
الرسالة، و تبكيئا لمن ابتدع الرهبانية من أمّة عيسى عليه السلام،
إعلاما بأن كل رسول قيل له معنى هذا الكلام فعمل به، فكانوا كأنهم
١٠ نودوا به في وقت واحد، فعبّر بالجمع ليكون أنخم له فيكون أدعى
لقبوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ ﴾ من عيسى و غيره ﴿ كَلُوا ﴾ أنتم و من نجيناه
معكم بعد إهلاك المسكدين .

و لما علوا عن رتبة الناس . فلم يكونوا أرضيين^٥، لم يقل "ما
في الأرض" و عن رتبة الذين آمنوا، لم يقل "من طيبت ما رزقناكم"
١٥ ليكونوا عابدين نظرا إلى النعمة أو حذرا من النعمة، كما مضى بيانه في
سورة البقرة، بل قال: ﴿ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ أى الكاملة التى مننت عليكم
بخلقها لكم و إحلالها و إزالة الشبه عنها و جعلها^٦ شهية للطبع، نافعة

(١) من ظ و مد و الإنجيل، وفي الأصل: تحذيف (٢ - ٢) في ظ و مد:
مينجس (٣) زيد من مد (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: أرضين (٥) من
مد، وفي الأصل و ظ: جعلتها .

للبدن، منعشة للروح، و ذلك ما كان حلا غير مستقذر لقوله تعالى
 ”يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبيثات“ . و دل سبحانه على [أن -^١
 الحلال عون^٢ على الطاعة بقوله: (واعملوا صالحاً^٣) أى سرا و جهرا غير
 خاتفين من أحد، فقد أهلكت عدوكم و أورثكم أرضهم، و لم يقيد
 عملهم بشكر و لا غيره، إشارة إلى أنه لوجهه ليس غير، فانهم دائماً في ه
 مقام الشهود، في حضرة المعبود، و الغنى عن كل سوى حتى عن الغنى؛
 ثم حثهم على دوام المراقبة بقوله: (انى بما^٤) أى بكل شئ
 (تعملون عليهم^٥) أى بالغ العلم .

و لما كان هذا تعليلاً لما سبقه من الامر، عطف على لفظه قوله :

(وان^٦) بالكسر في قراءة / الكوفيين^٧، و على معناه لما كان يستحقه لو ١٠ / ٦٠١
 أبرزت لام العلة من الفتح في قراءة غيرهم (هذه^٨) أى دعوتكم أيها
 الانبياء المذكورون إجمالاً و تفصيلاً و ملتكم المجتمعة على التوحيد أو الجماعة
 التى أُنحيتْها معكم من المؤمنين (امتكم^٩) أى مقصدكم الذى تنبغى أن
 لا توجهوا هممكم إلى غيره أو [جماعة -^{١٠}] أتباءكم حال كونها
 (امة واحدة^{١١}) لا شتات فيها أصلاً، فادامت متوحدة فهي مرضية ١٥
 (وانا ربكم^{١٢}) أى المحسن إليكم بالخلق و الرزق وحدى، ففى وحدنى
 نجاء، و من كثر الأرباب هلك .

(١) سورة ٧ آية ١٥٧ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل :
 نوع (٤) راجع نثر المرجان ٤ / ٥٥٠ .

ظم الدرر (سورة المؤمنون ٢٣ : ٥٢ - ٥٤) ج - ١٣

ولما كان الخطاب في هذه السورة كلها للخلص^١ من الأنبياء ومن تبعهم من المؤمنين، قال: ﴿فأتقون^٢﴾ أي اجعلوا بينكم وبين غضبي وقاية من جمع عبادي بالدعاء إلى وحدانيتي بلا فرقة أصلا، بخلاف سورة الأنبياء المصدرة بالناس^٣ فان مطلق العبارة أرى بدعوتها^٤.

٥ ولما كان من المعلوم قطعاً أن التقدير: فاتق الأنبياء الله^٥ الذي أرسلهم وتبشّموا حل^٦ ما أرسلهم به من عظيم الثقل، فدعوا العباد إليه وأرادوا جمعهم عليه، عطف عليه بفاء السبب قوله معبرا بفعل التقطع لانه يفيد التفرق^٧: ﴿فقطّعوا^٨﴾ أي الأمم، وإنما أضمرم لوضوح إرادتهم لأن الآية التي قبلها قد صرحت بأن الأنبياء ومن نجا معهم^٩ أمة واحدة لا اختلاف بينها، فلم قطعاً أن الضمير للأمم ومن نشأ بعدهم^{١٠}، ولذلك كان النظر إلى الأمر الذي^{١١} كان واحداً أم، فقدم قوله: ﴿اسرهم^{١٢}﴾ أي في الدين بعد أن كان مجتمعاً متصلاً ﴿بينهم﴾ فكانوا شيعاً، وهو معنى ﴿زبراً^{١٣}﴾ أي قطعاً، كل قطعة منها في غاية القوة والاجتماع والثبات على ما صارت إليه من الهوى والضلال، بكل شعبة^{١٤} طريقة في الضلال عن الطريق الأمم، والمقصد المستقيم،

- (١) من ظ ومد، وفي الأصل: تتخلص (٢-٢) سقط ما بين الرقین من ظ .
 (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: بالله (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: اجل .
 (٥-٥) في ظ : فقال (٦) في ظ : منهم (٧) العبارة من هنا إلى «فقدم قوله»
 سائطة من ظ (٨) من مد، وفي الأصل: الدني (٩) من ظ ومد، وفي الأصل:
 بمعنى (١٠) من ظ ومد، وفي الأصل: شريعة .

[و کتاب زبروه فی أهویتهم - ۱] ولم یرحوا أنفسهم بما دعتهم إلیه الهداة^۱ من الاجتماع^۲ و الآلفة فأهلکوها بالبغضاء و الفرقة^۳، و هو منصوب بأنه مفعول ثان لتقطع علی ما مضى تخريجہ فی الانبیاء، و قد ظهر كما ترى ظهوراً بیناً أن هذه إشارة إلی الناجين من أمة کل نبی بعد إهلاك أعدائهم، أى أن هذه الجماعة الذین^۴ أنجيتهم معکم أمکم^۵، حال كونهم أمة واحدة^۶ متفقين فی الدین، لا خلاف بینهم، [و - ۱] كما أن جماعتکم واحدة فانا ربکم لا رب [لکم - ۱] غیرى فائقون. ولا یخالف أحد منکم أمرى ولا^۷ تخلقوا و تقرقوا لئلا أعذب العاصی منکم كما عذبت أعداءکم .

ولما کان هذا بما لا یرضاه عاقل، أجیب من كأنه قال : هل رضوا بذلك مع انکشاف ضرره^۸؟ بقوله: (کل حزب) أى فرقة (بما لديهم) ۱۰

أى من ضلال و هدى (فرحون^۹) أى مسرورون فضلاً عن أنهم راضون غیر معرج الضال منهم علی ما جاءت به الرسل من الهدى، و [لا - ۱] علی الاعتبار بما اتفق لأمهم بسبب تکذیبهم من الردى .

ولما أتج هذا أن الضلال وإن وضع لا یکشفه إلا ذو الجلال، ۱۵

- (۱) زید من ظ و مد (۲) فی ظ : الهدایة (۳) من ظ و مد، و فی الأصل : الإجماع (۴) من ظ و مد، و فی الأصل : الفرقة (۵) سقط من ظ (۶) فی ظ : امة (۷) من ظ و مد، و فی الأصل : لان (۸) من ظ و مد، و فی الأصل : ضررهم (۹) من ظ و مد، و فی الأصل : او .

سبب عنه / سبحانه قوله تسلياً لرسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ فذرهم ﴾
 أى اتركهم على شر حالاتهم ﴿ فى غمرتهم ﴾ أى الضلالة التى غرقوا
 فيها ﴿ حتى حين ٥ ﴾ أى إلى وقت ضربناه لهم من قبل أن نخلقهم ونحن
 عالمون بكل ما يصدر منهم على أنه وقت يسير .

٥ ولما كان الموجب لغرورهم ظنهم أن حالهم - فى بسط الأرزاق
 من الأموال و الأولاد - حال الموعود لا المتوعد ، أنكر ذلك عليهم
 تنبيها لمن سبقت له السعادة ، وكتبت له الحسنى و زيادة ، فقال :
 ﴿ ايجسون ﴾ [أى - ٢] لضعف عقولهم ﴿ انما ﴾ أى الذى
 ﴿ ندمهم ﴾ على عظمتنا ﴿ به ﴾ أى نجعله مددا لهم ﴿ من مال ﴾ نيسره
 ١٠ لهم ﴿ وبنين ١٥ ﴾ نمتعهم بهم ، ثم أخبر عن « ان » بدليل قراءة السلى
 بالياء التحتية فقال : ﴿ تسارع لهم ﴾ [أى - ٢] به بادرارنا له عليهم
 فى سرعة من يبارى آخر ﴿ فى الخيرات ١ ﴾ التى لا خيرات إلا هى لأنها
 محمودة العاقبة ، ليس كذلك بل هو وبال عليهم لأنه استدراج إلى
 الهلاك لأنهم غير عاملين بما يرضى الرحمن ﴿ بل ﴾ هم يسارعون فى
 ١٥ اسباب الشرور . و لا يكون عن السبب إلا مسيبه ، و لكنهم كالبهائم
 ﴿ لا يشعرون ٥ ﴾ أنهم فى غاية البعد عن الخيرات " سنستدرجهم من

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : ارسول الله (٢) زيد من مد (٣) من مد ،
 وفى الأصل : الذين ، و الكلمة مع سابقتها ساقطة من ظ (٤) العبارة من هنا
 إلى « التحتية » فقال « ساقطة من ظ (٥) فى مد : الشامى - خطأ - راجع البحر
 لحيط ٦ / ١٠٤ (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : تجازى .

حيث لا يعلمون^١ .

ولما ذكر أهل الافتراق ، أتبعهم أهل الاتفاق ، فكان كأنه قيل :
 فمن الذى يكون له الخيرات ؟ فأجيب بأنه الخائف من الله ، فقيل معبرا
 بما يناسب أول السورة من الأوصاف .^٢ بادئا بالحشية لأنها الحاملة على
 تجديد الإيمان^٣ : (ان الذين هم) أى يواطنهم (من خشية ربهم)^٤
 أى الخوف العظيم من المحسن إليهم المنعم عليهم (مشفقون^٥) أى دائمو
 الحذر (والذين هم بآيات ربهم) المسموعة والمرئية ، [لا ما كان
 من جهة غيره -^٦] (يؤمنون^٧) لا يزال إيمانهم [بها -^٨] يتجدد شكرا
 لإحسانه إليهم .

و لما كان المؤمن قد يعرض له [ما تقدم -^٩] فى إيمانه من ١٠
 شرك جلى أو خفى ، قال : (والذين هم بربهم) أى الذى لا يحسن إليهم
 غيره . وحده^{١٠} (لا يشركون^{١١}) أى شيئا من شرك فى وقت من الأوقات
 كالم يشركه فى إحسانه^{١٢} إليهم أحد .

و لما أثبت لهم الإيمان الخالص ، نفى عنهم العجب^{١٣} بقوله :
 (والذين يؤتون ما آتوا) أى يعطون^{١٤} ما أعطوا من الطاعات ، ١٥
 وكذا قراءة يحيى بن الحارث وغيره^{١٥} : ياتون ما آتوا ، أى يفعلون
 (١) سقط من مد (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) زيد من مد (٤) زيد
 من ظ و مد (٥) سقط من ظ (٦) من مد ، وفى الأصل و ظ : الاحسان .
 (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : التعجبية (٨) فى مد : يعطوا .

ما فعلوا من أعمال البر لتتفق القراءتان في الإخبار عنهم بالسبق : ثم ذكر
 حالهم فقال : ﴿ وقلوبهم وجلة ﴾ أى شديدة الخوف ، قد ولج في
 دواخلها و جال في [كل - ٢] جزء منها لأنهم عالمون بأنهم لا يقدرُونَ الله
 حق قدره و إن اجتهدوا ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ انهم الى ربهم ﴾
 هـ أى الذى طال إحسانه إليهم ﴿ راجعون ﴾ بالبعث فيحاسبهم على التقير
 و القطمير ، و يحزيهم بكل قليل و كثير . و هو النافذ البصير ، قال
 الحسن البصرى : ^١ « إن المؤمن ^٢ جمع ^٣ إيماناً و خشية ، و المناق ^٤ جمع ^٥ إساءة
 و أمناً . ثم أثبت لهم ما أفهم أن ضده لأضدادهم فقال : ﴿ اولئك ﴾
 أى خاصة ﴿ يسارعون ﴾ / أى يسبقون سبق من يساجل آخر ﴿ فى الخيرات ﴾
 ١٠ فافهم ذلك ^٦ ضد ما ذكر لأضدادهم بقوله : ﴿ وهم لها ﴾ أى إليها
 [خاصة - ٢] ، أى إلى ثمراتها ، ولكنه عبر باللام إشارة إلى زيادة
 القرب منها و الوصول إليها مع الأمن لجعل الخيرات ظرفاً للسارعة من
 أخذها على حقيقتها للتعدية ﴿ يسبقون هـ ﴾ لجميع الناس ، لانا [نحن - ٢]
 نسارع لهم فى المسابقات أعظم من مسارعتهم فى الأسباب ، و يجوز أن
 ١٥ يكون " يسبقون " بمعنى : عالين ^٧ ، من وادى « سبقت رحمتى غضبي »
 (١) العبارة من هنا إلى « جزء منها » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد (٣) من ظ
 و مد ، وفى الأصل : كانوا (٤) فى مد : عن (٥) راجع البحر المحيط ٤١١/٦ .
 (٦ - ٦) فى البحر : المؤمن ، و ما بين الرقين ساقط من ظ (٧) فى البحر :
 يجمع (٨) سقط من ظ (٩) فى مد : عالين .

أى أنهم مطيقون لها و معاونون عليها (ولا) أى و الحال أنا لا سلفهم ،
و لكنه عم فقال : (نكلف نفساً) أى كافرة أو مؤمنة (لا رسعها)
فلا يقدر عاص^٢ على^٢ أن يقول : كنت غير قادر على الطاعة ، و لا يظن
بنا^١ مؤمن أنا نؤاخذ به بالزلة و الهفوة ، فان أحدا لا يستطيع أن يقدرنا
حق قدرنا لأن^٣ مبنى المخلوق^٤ على العجز .

٥

و لما كانت الأعمال إذا تكاثرت و امتد زمنها تفسر أو تعذر حصرها
إلا بالكتابة ، عامل العباد سبحانه بما يعرفون مع غناه عن ذلك فقال :
(و لدينا) أى عندنا^٥ على وجه هو أغرب الغريب^٦ (كتب)
^٧ و عبر عن كونه سبباً للعلم بقوله^٨ : (ينطق) بما كتب فيه من أعمال
العباد من خير و شر . صغير و كبير (بالحق) أى^٩ الثابت الذى يطابقه ١٠
الواقع ، قد كتب فيه أعمالهم من قبل خلقهم ، لا زيادة [فيها - ^{١١}]
و لا نقص ، تعرض الحفظة كل يوم عليه ما كتبوه مما شاهدوه بتحقيق
القدر له فيجدونه محرراً بمقاديره و أوقاته و جميع أحواله فيزدادون به
إيماناً ، و من حقيقته أنه لا يستطاع إنكار شيء منه .

و لما أفهم ذلك نفي الظلم ، صرح به فقال : (و هم) أى الخلق ١٥

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : مومن (٢) تكرر فى ظ (٣) سقط من مد .
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : مذ (٥) فى مد : لانه (٦) من ظ و مد ،
و فى الأصل : المخلوقات (٧ - ٧) سقط ما بين الرقيين من خط (٨) سقط
من ظ (٩) ريد من ظ و مد .

نظم الدرر (سورة المؤمنون ٢٣: ٦٢ - ٦٦) ج - ١٣

كلهم (لا يظلمون) 'من ظالم' [ما - '] بزيادة ولا نقص في عمل
ولا جزاء .

ولما كان التقدير : ولكنهم بذلك لا يعلمون ، قال : (بل قلوبهم)
أى الكفرة^٢ من الخلق ، ويمحور أن يكون هذا الإضراب بدلا من
ه قوله "بل لا يشعرون" (في غمرة) أى جهالة قد أغرقتها (من هذا)
أى الذى أخبرنا به من الكتاب الحفيظ فهم به كافرون (ولهم اعمال)
[وأثبت الجار إشارة إلى أنه لا عمل لهم يستغرق الدون فقال - ']:
(من دون ' ذلك) أى مبتدئة من أدنى رتبة التكذيب من سائر
المعاصي لأجل تكذيبهم بالكتاب [المستلزم لتكذيبهم بالبعث المستلزم
١٠ لعدم الخوف - °] المستلزم للأقدام على كل معضلة (م لها) أى
دائما (عملون) لاشئ يكفهم إلا عجزم عنها .

ولما كانوا كالبهائم لا يخافون من المهلكة [إلا - °] عند المشاهدة ،
غبي عملهم للخبايا بالآخذ فقال : (حتى إذا أخذنا) 'أى بما لنا من
العظمة' (مترفيهم) الذين هم الرؤساء القادة (بالعذاب) فبركت عليهم
١٥ كلاكه ، وأناخت بهم^٣ أعجازه وأوائله (إذا هم) كلهم المترف ومن
تبعه من باب الأولى (يجثرون) أى يصرخون ذلا وانكسارا وجزعا
من غير مراعاة لنخوة^٤ ، لا استكبارا ، وأصل الجأر رفع الصوت

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد ، وفي
الأصل : الكثرة (٤) ليس في الأصل فقط (٥) زيد من ظ و مد (٦) سقط من
ظ (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : النخوة .

بالتضرع

بالتضرع - قاله البغوى ^١ ، فكأنه قيل : فهل يقبل اعتذارهم أو برحم
إنكسارهم؟ فقبل: لا بل يقال لهم بلسان الحال أو القول: (لا تجثروا اليوم) ^٢
بعد تلك الهمم ، فان الرجل [من - ^٣] لا يفعل شيئاً عبثاً ، ثم علل ذلك
بقوله: (انكم منا) / أى خاصة (لا تنصرون) ^٤ أى بوجه من الوجوه ^٥ ،
و من عدم نصرنا لم يحد له ناصراً ، فلا فائدة لجواره إلا إظهار الجزع ^٦ ،
ثم علل عدم نصره لهم بقوله: (قد كانت أيتى) ^٧ .

^٨ ولما كانت عظمتها التى استحقت بها الإضافة إليه تكفى فى الحث
على الإيمان بمجرد سماعها ، نبى للفعول قوله: (تلى عليكم) [أى - ^٩]
وهى أجلى الأشياء ، من أولياتى وهم الهداة النصحاء (فكنتم) ^{١٠} أى كونا
هو كالجلبة (على أعقابكم) عند تلاوتها (تنكصون لا) ^{١١} أى ترجعون ^{١٢}
القهقرى إما حساً أو معنى ، والمأشى كذلك لا ينظر ما وراه ، [ومضارعه
فيه مع الكسر الضم ولم يقرأ به ولو شاذاً ، دلالة على أنه رجوع كبر و بطر
فهو بالهويتا ، ولو قرئ بالضم لدل على القوة فأفهم النفرة والحرب ، قال
فى القاموس ^{١٣}: نكص على عقبيه ينكص وينكص: رجع عما كان عليه
من خير ، وفى الشر قليل ، وعن الأمر نكصا ونكوصا ونكاصاً ^{١٤} .

(١) فى معالم التنزيل - راجع الباب ٣٣/٥ (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل
« و » (٣) زيد من ظ و مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقيين من ظ .
(٥ - ٥) تكرر ما بين الرقيين فى الأصل نقط (٦) زيد قبله فى الأصل: فبين ذلك ،
ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفناها (٧) العبارة من هنا إلى « للفعول قوله »
ساقطة من ظ (٨) من مد ، وفى الأصل: على (٩) زيد من مد (١٠) راجعه مع
شرحه (١١) فى القاموس: منكصا .

أو على ما ذكرت دلالة على ما تقديره - [١]: حال كونكم (مستكبرين على به) أي بذاك النكوص، لا شيء تغير الاستكبار من هرب أو غيره، ذوى سمر في أمرها بالقول الهجر، وهو الفاحش، ولعله إنما قال: (سُمرا) بلفظ المفرد، لأن كلا منهم يتحدث في أمر الآيات مجتمعاً مع غيره ٥ و منفرداً مع نفسه حديثاً كثيراً كحديث المسامر الذي من شأنه أن لا يمل، وقال: (تهجرون) أي تعرضون عنها و تقولون فيها القول الفاحش، فأسنده إلى الجمع لأن بعضهم كان يستمعها، ولم يكن يفحش القول فيها، أو تعجيباً من أن يجتمع جمع على مثل ذلك لأن الجمع جدير بأن يوجد فيه من يبصر الحق فيأمر به ١٠

١٠ ولما كانت الآيات - لما فيها من البلاغة المعجزة، والحكم المعجزة - داعية إلى قبلها بعد تأملها، وكانوا يعرضون عنها ويفحشون في وصفها تارة بالسحر وأخرى بالشعر، وكرة بالكهانة ومرة بغيرها، تسبب عن ذلك الإنكار عليهم فقال معرضاً عنهم لا يذنا بالغضب مستنداً إلى الجمع الذي هو أولى بالقاء السمع: (أفلم يدبروا القول) أي ١٥ المتلو عليهم بأن ينظروا في أدباره وعواقبه "ولو لم يلفوا" في نظرهم

(١) زيد من مد (٢) من مد، وفي الأصل و ظ: كونهم (٣) من مد، وفي الأصل و ظ: لشيء (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: المفرد (٥) من مد، وفي الأصل و ظ: كبيراً (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: يعرضون (٧) من ظ ومد، وفي الأصل: يقولون (٨) من ظ و مد، وفي الأصل: لا (٩-٩) سقط ما بين الرتين منب ظ (١٠) العبارة من هنا إلى "الإدغام" ساقطة من ظ. (١١) من مد: وفي الأصل: لم يلفوا.

الغاية بما أشار إليه لإدغام ، ليعلموا أنه موجب الاقبال والوصال ،
والوصف بأحسن المقال ، ولعله عبر بالقول إشارة إلى أن من لم يتقبله ليس
بأهل لفهم شيء من القول بل هو في عداد البهائم ﴿ ام جآءم ﴾ في هذا
القول من الأوامر بالتوحيد الآتي بها الرسول الذي هو من نسل إسماعيل بن
إبراهيم عليهما السلام وما ترتب على ذلك من الأوامر التي لا يحفل
حسن فعلها عاقل ، والنواهي التي - كما يشهد بقبح إتيانها العالم - يقطع
بها الجاهل ، وبالرسالة برسول من البشر ﴿ ما لم يات آباءهم الاولين ﴾
الذين^٢ بعد إسماعيل وقبلة .

ولما كان الرجل الكامل من عرف الرجال بالحق ، بدأ بما أشار
إليه ثم أعقبه بمن يعرف الشيء للالف به ، ثم بمن يعرف الحق ١٠
بالرجال فقال : ﴿ ام لم يعرفوا رسولهم ﴾ أي الذي اتاهم بهذا القول
الذي لا قول مثله ، ويعرفوا نسبه وصدقه وأماته ، وما فاتهم به من
معالي الأخلاق حتى أنهم لا يحدون فيه - إذا حقت الحقائق - نقصة
يذكرونها ، ولا صمة يتخلونها ، كما دلت عليه الأحاديث الصحاح منها حديث
أبي سفيان بن حرب رضى الله عنه الذي في أول البخارى / في سؤال ١٥ / ٦٠٥
هرقل ملك الروم له عن شأنه صلى الله عليه وسلم ﴿ فهم ﴾ أي
قتسب عن جهلهم به أنهم ﴿ له ﴾ أي نفسه أو للقول الذي أتى به
﴿ منكرون ﴾ فيكونوا بمن جهل الحق لجهل حال الآتي به ، فلم يبرز

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : لم يقطع (٢) من مد ، وفي الأصل وظ : من
الرسالة (٣) في ظ : التي (٤) زيد بعده في الأصل : بين ، ولم تكن الزيادة
في ظ و مد فحذفناها (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : ليكونوا .

شيئا من رتبة الناس ، لا رتبة العلماء الناقدين ، ولا رتبة الجهال المتقلدين ، وفي هذا غاية التوبيخ لهم بجهلهم وبعنادهم بأنهم يعرفون أنه أصدق الخلق و أعلام في كل معنى جميل ثم يكذبونه .

ولما فرغ بما قد يجر إلى الطعن في القول أو القائل ، أشار إلى العناد في أمر القائل و القول و الرسول بقوله: ﴿ام يقولون﴾ أى بعد تدبر ما أتى به و عدم عثورهم فيه على وجه من وجوه الطعن ﴿به﴾ أى برسولهم '﴿جنة﴾' أى 'فلا يوثق به لأنه قد يخطئ فيأتى بما فيه مطعن و إن خفي وجه الطعن فيه في الحال .

ولما كانت جميع هذه الأقسام متفية و لاسيما الأخير المستلزم ١٠ [عادة للتخليط المستلزم - ٢] للباطل ، فانهم أعرف الناس بهذا الرسول الكريم و انه أكملهم خلقا ، و أشرفهم خلقا ، و أطهرهم شيئا ، و أعظمهم همما ، و أرجحهم عقلا ، و أمتهم رأيا ، و أراضاهم قولا ، و أصوبهم فعلا ، [أضرب عنها - ٢] و قال: ﴿بل﴾ أى لم ينكصوا عند سماع الآيات و يسمروا و يهجروا لا اعتقاد شيء مما مضى ، و إنما فعلوا ذلك ١٥ لأن هذا الرسول الكريم ﴿جاءهم بالحق﴾ الذى لا تخليط فيه بوجه ، و لا شيء أثبت منه و لا أبين مما فيه من التوحيد و الأحكام ، و لقد أوضح ذلك تحديدهم بهذا الكتاب فمعجزوا فهو بحيث لا يجهله منصف ﴿واكثرهم﴾ أى و الحال أن أكثرهم ﴿للحق كرهون﴾ متابعة

(١) في مد : رسولهم (٢) سقط من ظ و مد (٣) زيد من ظ و مد .
(٤) من ظ و مد ، و في الأصل : عن .

اللاهواء الرديئة والشهوات البهيمية عنادا، وبعضهم يتركونه جهلا
وتقليدا أو خوفا من أن يقال: صبا، وبعضهم يتبعه توفيقا
من الله وتأييدا.

ولما كان ربما قيل: ما له ما كان بحسب أهوائهم فكانوا يتبعونه
و يستريح و يستريحون من هذه المخالقات، التي جرت إلى المشاحنات،
فأوجبت أعظم المقاطعات، قال مينا فساد ذلك، [و لعله حال من فاعل
'كاره' - '٢']، [فان جزاءه خبرى مسوغ لكونه حالا كما ذكره الشيخ
سعد الدين في بحث المسند، أو هو معطوف على ما تقديره: فلو تركوا
السكره لأحبوه ولو أحبوه لاتبعوه ولو اتبعوه لانصلحوا وأصلحوا - '٢']
(ولو اتبع الحق) أى فى الأصول والفروع والأحوال والأقوال ١٠
(أهواءهم) أى شهواتهم التى تهوى بهم 'لكونها أهواء - بما أشار
إليه الاقتعال' (لفسدت السموات) على علوها وإحكامها (والارض)
على كثافتها وانتظامها (و من فيهن) على كثرتهم وانتشارهم وقوتهم،
بسبب ادعائهم تعدد الآلهة، ولو كان ذلك حتما لآدى بزعزعة التمانع
إلى الفساد. وبسبب اختلاف أهوائهم واضطرابها^٦ المفضى إلى النزاع ١٥
كما ترى من الفساد عند اتباع بعض الأغراض فى بعض الأزمان إلى
أن يصلحها الحق بحكمته، ويقمعها بهيبته وسطوته، و^٨اكتنا لم تتبع الحق

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد من مد (٤-٤) سقط ما بين
الرقمين من ظ (٥) فى مد: التمانع (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: اضطرابهم.
(٧) من ظ و مد، وفى الأصل: انشاء (٨-٨) من ظ و مد، وفى الأصل:
لكن لم يتبع.

أموامهم ﴿بل اتينهم﴾ بعظمتنا ﴿بذكرهم﴾ وهو الكتاب الذي
 في غاية الحكمة^٢، فقيه صلاح العالم وتمام انتظامه، فاذا تأمله الجاهل صده
 عن جهله فسعد في أقواله وأفعاله، وبأن له الخير في سائر أحواله،
 وإذا تدبره العالم عرج به إلى نهاية كماله /، فحينئذ يأتي السؤال^٣ عن
 ٥ أنزله، فتخضع الرقاب، وعن أنزل عليه فيعظم في الصدور، وعن
 قومه فتجاهلهم النفوس، وتنكس لمهابتهم الرؤس، فيكون لهم أعظم
 ذكر وأعلى شرف.

/٦٠٦

ولما جعلوا ما يوجب الإقبال سببا للادبار، قال معجبا منهم:
 ﴿فهم عن ذكرهم﴾ أي^٤ الذي هو شرفهم ﴿معرضون^٥﴾ لا يفوتنا
 ١٠ بأعراضهم مراد، ولا يلحقنا به ضرر، إنما ضرره عائد إليهم، وراجع
 في كل حال عليهم.

ولما أبطل تعالى وجوه طعنهم في المرسل به والمرسل من جهة
 جهلهم مرة، ومن جهة ادعائهم البطلان أخرى، نههم على وجه آخر
 هم^٦ أعرف الناس ببطلاله ليثبت المدعى من الصحة إذا انتفت وجوه المطاعن
 ١٥ فقال منكرا: ﴿ام تسئلهم﴾ أي على ما جتتهم^٧ به ﴿خرجا﴾ قال

(١) زيد في ظ: هو (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: الحكم (٣) من ظ و مد،
 وفي الأصل: السواك (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: فيخضع (٥-هـ) من ظ
 و مد، وفي الأصل: ذكر و اعظم - كذا (٦) زيد في الأصل و ظ: الذكر،
 ولم تكن الزيادة في مد فحذفناها (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: هو (٨) من
 ظ و مد، وفي الأصل: جيتكم.

البغوى^١: أجرا و جملا ، و قال ابن مكتوم في الجمع بين^٢ الباب و المحكم :
و الخرج و الخراج شيء يخرج القوم في السنة من ما لهم بقدر معلوم ،
و الخراج غلة العبد و الامة ، و قال الزجاج : الخراج : النقي ، و الخرج^٣ :
الضريبة و الجزية ، و قال الاصبهاني : سئل أبو عمرو ابن العلاء فقال :
الخراج ما لزمك و وجب عليك أداؤه ، و الخرج ما تبرعت به من ه
غير وجوب .

و لما كان الإنكار ممناه النقي ، حسن موقع فاه السبب في قوله :
(خرج) أى أم تسألهم ذلك ليكون سؤالك سببا لانتهاكك و عدم
سؤالك ، بسبب أن خراج (ربك) الذى لم تقصد غيره قط و لم تخل
عن بابه وقتا ما (خير) من خراجهم ، لأن خراجه غير مقطوع ١٠
و لا ممنوع عن أحد من عباده المسيئين فكيف بالمحسنين ! و كأنه سماه
خراجا إشارة إلى أنه أوجب رزق كل أحد على نفسه يوعد لا خلف
فيه (و هو خير الرزقين) فانه يعلم ما يصلح كل مرزوق و ما يفسده ،
فيعطيه على حسب ما يعلم منه و لا يحوجه إلى سؤال .

و لما كانت عظمة الملك مقتضية لتقبل ما أتى به و التشرف به على ١٥
أى حال كان ، نبه على أنه حق يكسب قبوله الشرف لو لم يكن من
عند الملك فكيف إذا كان [من عنده ، فكيف إذا كان ملك الملوك
و مالك الملك فكيف إذا كان - °] الآتى به خالصة العباد و أشرف

(١) راجع العالم بهامش الباب ٣٤/هـ (٢) في مد : في (٣) من ظ و مد ، و في
الأصل : الخراج (٤) سقط من مد (٥) زيد من ظ و مد .

الحلق، كما أقام عليه الدليل بنى هذه المطاعن كلها، فقال عاطفا على
 "اتينهم": ﴿وانك﴾ أى مع انتفاء هذه المطاعن كلها ﴿لندعوم﴾
 أى بهذا الذكر مع ما قدمنا من الوجوه الداعية إلى اتباعك بانتفاء
 جميع المطاعن عنك و عما جئت به ﴿الى صراط مستقيم﴾ لا عوج
 ه فيه ولا طعن أصلا كما تشهد به^١ العقول الصحيحة، فمن سلكه أوصله
 إلى الغرض فحاز كل شرف، والحال أنهم، ولكنه عبر بالوصف
 الحامل لهم على العمى فقال: ﴿وان الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ فلذلك^٢
 لا يخشون القصاص فيها ﴿عن الصراط﴾ أى الذى لا صراط غيره
 لأنه لا موصل^٣ إلى القصد^٤ غيره ﴿لنا كبون﴾ أى عادلون متحون
 ١٠ مائلون منحرفون فى سائر أحوالهم سائرون على غير منهج أصلا، بل خبط
 عشواء لأنه يجوز أن يراد مطلق الصراط وأن يراد النكرة
 الموصوفة بالاستقامة.

ولما وصفوا بالميل، وكان / ربما قال قائل: أن جوارهم المذكور
 آتفا سلوك فى الصراط، بين أنه لا اعتداد به لعروضه فقال:
 ١٥ ﴿ولو رحمهم﴾ أى عاملناهم معاملة المرحوم فى إزالة ضرره وهو
 معنى ﴿وكشفنا﴾^٥ أى بما لنا من العظمة^٦ ﴿ما بهم من ضر﴾ وهو
 الذى عرض جوارهم بسببه^٧ ﴿للجوا﴾^٨ [أى تبادوا^٩ نماديا عظيما^{١٠}]

- (١) سقط من ظ (٢) فى ظ: لكونهم (٣) من ظ و مد. وفى الأصل: لا يوصل.
 (٤) فى مد: المقصد (٥ - ٥). سقط ما بين الرقين من ظ (٦) فى ظ: يسبب.
 (٧) زيد من ظ و مد.

(في طغيانهم) [الذي كانوا عليه قبل هذا الجوار - ١] 'و هو' إفراطهم في منابذة الحق والاستقامة (يعمهون هـ) أى يفعلون من التحير والردد فعل من لا بصيرة له في السير المنحرف عن القصد ، الجائر عن الاستقامة ، قال ابن كثير^٢ : فهذا من باب علمه بما لا يكون^٣ لو كان كيف كان يكون ، قال الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما : كل ما فيه 'لو' هـ فهو بما لا يكون [أبدا - ٤] . ثم أتبع هذا الدليل تأييدا له ما يدل على أنهم لا يسلكون الصراط إلا اضطرارا فقال : (ولقد اخذناهم) [أى - ٥] بما لنا من العظمة (بالمذاب) أى بمطلقه كإظهار حزب الله عليهم في بدر وغيرها (فما استكانوا) [أى - ٦] خضعوا^٧ خضوعا هو كالجبله لهم^٨ (لربهم) المحسن إليهم عقب^٩ المحنة ، وحقيقته ما طلبوا أن^{١٠} يكونوا له ليكرموا مقام العبودية من الذل والخضوع والانتقاد لأوامره^{١١} تاركين حظوظ أنفسهم ، والحاصل أنه لما ضربهم بالعذاب كان من حقهم أن يكونوا له لا لشركائهم ، فما عملوا بمقتضى^{١٢} ذلك إجمادا ولا طلبا^{١٣} (وما يتضرعون هـ) أى يجددون الدعاء بالخضوع والذل والخشوع في كل وقت بحيث يكون لهم عادة ، بل هم على ما جبلوا عليه من^{١٤} الاستكبار والعتو إلا إذا التقت حلقتا البطان^{١٥} ، ولم يبق لهم نوع

(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : أى (٣) راجع تفسيره : ٢٥١/٣ (٤) زيدت الواو في الأصل ، ولم تكن في ظ و مد والتفسير أخذناها (هـ) زيد من التفسير (٦) زيد من مد (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : قبل (٩) زيدت الواو في الأصل ، ولم تكن في ظ و مد أخذناها (١٠) من ظ و مد ، وفي الأصل : البطلان .

اختيار، بدليل 'ما أرشد إليه حرف' [الغاية من أن التقدير - ']: بل^٢
استمروا على عتوهم (حتى إذا فتحنا) أي: بما لنا من العظمة، و دل
على أنه فتح عذاب فقال: (عليهم بابا) 'من الأبواب التي تقهر بها
من شئنا بحيث يملوه أمرها ولا يستطيع دفعها' (ذا عذاب شديد)
٥ يعني القتل و الأسر يوم بدر - قاله^٣ ابن عباس رضى الله عنها، أو القحط
الذى سلطه عليهم إجابة لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: 'اللهم
أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف' (إذا هم فيه) أي ذلك الباب
مظروفون لا يقدرّون منه على [نوع - ']: خلاص (مبلسون ع) أي
متحيرون ساكنون على ما في أنفسهم آئسون لا يقدرّون أن ينطقوا
١٠ بكلمة، داخلون في الإبلّاس وهو عدم الخير، متأهلون لسكنى 'بولس'
وهو بمن جهنم، لعدم جعلهم التضرع وصفا لهم لازما غير عارض،
و الخوف من الله شعارا دائما غير مفارق، استحضاروا لقدرته واستكبارا
لعظمتهم: ثم التفت إلى خطابهم، استعطافا بعتابهم، لأنه عند التذكير
بعذابهم أقرب إلى إربابهم، فقال: (وهو) أي ما استكانوا لربهم
١٥ والحال أنه هو لا غيره (الذى أنشأ لكم) 'يا من يكذب بالآخرة. على
غير مثال سبق (السمع و الابصار) ولله جمعها لأن التفاوت فيها
(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد من مد (٣) في ظ: قوله حتى أي.
(٤) سقط من مد، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة - انقطة في ظ إلى
'عذاب فقال' (٥) زيد في الأصل: أي، ولم تكن الزيادة في ظ ومد فحذفنا.
(٦) راجع إنباب التأويل ٣٤/٥ (٧) قد مر التعليق عليه.

أكثر من التفاوت في السمع ﴿والأفئدة﴾ التي هي مراكز العقول،
فكنتم بها أعلى من بقية الحيوانات، ^١ جمع قواد، وهو القلب لتوقده
وتحرقه، من النفوذ وهو التحرق، وعبر به هنا لأن السياق للاتعاظ
والاعتبار، وجمعه جمع القلة إشارة إلى عزة من هو بهذه / الصفة،
ولعله جمع الأبصار كذلك لاحتياها للبصرة'.
٥

ولما صور لهم هذه النعم، وهي بحيث لا يشك عاقل في أنه لا مثل
لها، وأنه لو تصور أن يعطى شيئا منها آدمى لم يقدر على مكافأته، حسن
تبكيثهم في كفر النعم بها فقال: ﴿قليلًا ما تشكرون﴾ لمن أولاكم
هذه النعم التي لا مثل لها، ولا يقدر غيره على شيء منها، مع إدعانكم
أنكم أشكر الناس لمن أسدى إليكم أقل ما يكون من النعم التي يقدر^{١٠} على
مثلها كل أحد، فكنتم بذلك أنزل من الحيوانات المعجم صما بكما عميا.
ولما ذكركم بهذه النعم التي هي دالة على خلقهم، صرح به في قوله:
﴿وهو﴾ أي وحده ﴿الذي ذرأكم﴾ أي خلقكم وبنكم ﴿في الأرض﴾
ولما ذكركم بأبدانهم المتضمن للقدرة على إعادتهم مع ما فيها من الحكمة
وفي تركها من الإخلال بها، صرح بها^{١١} فقال: ﴿واليه﴾ أي وحده ١٥
﴿تحشرون﴾ يوم النشور.

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: لا يقدر.

(٢) من ظ و مد، وفي الأصل: معكم - كذا (٤) في مد: به.

ولما تضمن ذلك إحياءهم وإماتهم، صرح به على وجه عام فقال:

(وهو) أى وحده (الذى) من شأنه أنه (يجي ويميت) فلا مانع له من البعث ولا غيره مما يريد. ولما كانت حقيقة البعث إيجاد الشيء كما هو بعد إعدامه، ذكرهم بأمر طالما لا يسوه وعالجوه ومارسوه

ه فقال: (وله) أى وحده، لا لغيره^٢ (اختلاف الليل والنهار)^٣ أى التصرف^٤ فيها على هذا الوجه، يوجد كلا منهما بعد أن أعدمه كما كان سواء، فدل تعاقبها على تغيرهما، وتغيرهما بذلك وبالزيادة والنقص على أن لهما مغيرا لا يتغير وأنه لا فعل لهما^٥ وأما الفعل له وحده، وأنه قادر على إعادة المعدم كما قدر على ابتدائه بما دل على قدرته

١٠ وبهذا الدليل الشهودى للحامدين، ولذلك ختمه بقوله^٦ منكرنا تسببه ذلك لعدم عقلهم^٧: (أفلا تعقلون ه) أى يكون لكم عقول^٨ لتعرفوا ذلك ففعلوا^٩ بما تقتضيه من اعتقاد البعث الذى يوجب سلوك الصراط.

ولما كان معنى الاستفهام الإنكارى النفي، حسن بعده كل الحسن قوله: (بل) [و-^٩] عدل إلى أسلوب الغيبة للايذان بالغضب بقوله:

١٥ (قالوا) أى هؤلاء العرب (مثل ما قال الاولون ه) من قوم نوح ومن بعده؛ ثم استأنف قوله: (قالوا) أى منكرين للبعث متعجبين

(١) سقط من ظ (٢) من مد، وفي الأصل وظ: غيره (٣) العبارة من هنا إلى «على هذا الوجه» ساقطة من ظ (٤) من مد، وفي الأصل: بالتصرف.

(٥) من ظ ومد، وفي الأصل: لهما (٦-٩) سقط ما بين الرقعين من ظ (٧) في ظ: عقل (٨) من ظ ومد، وفي الأصل: فعلوا (٩) زيد من ظ ومد.

من أمره: ﴿ ء اذا متا و كنا ﴾ أى باللى بعد الموت ﴿ ترابا و عظاما ﴾
نخرة، ثم أكدوا الإنكار بقولهم: ﴿ ء انا لمبعوثون ﴾^١ أى من
باعت ما^٢.

ولما كان محط العناية^٣ فى هذه السورة الخلق والإيجاد، والتهديد
لأهل العناد، حكى عنهم أنهم قالوا^٤: ﴿ لقد وعدنا ﴾ مقدما قولهم: هـ
﴿ نحن و آبآؤنا ﴾ على قولهم^٥: ﴿ هذا ﴾ أى البعث^٦ (من قبل)
بخلاف النمل^٧، فان محط العناية فيها^٨ الإيمان بالآخرة فلذلك قدم قوله
”هذا“، والمراد وعد آباؤهم على السنة من أتاها من الرسل^٩ غير أن
الإخبار بشموله^{١٠} جملة وعدا للكل على حد سواء، ثم استأنفوا قولهم:
﴿ ان ﴾ أى ما^{١١} ﴿ هذا الآساطير الارلين ﴾ أى كذب لاحقيقة^{١٢}.
له، لأن ذلك معنى الإنكار المؤكد.

ولما أنكروا البعث هذا الإنكار المؤكد، ونفوه هذا النفي المحتم،
أمره أن يقرهم بأشياء هم بها مقرون /، ولها عارفون، يلزمهم من
تسليمها الإقرار بالبعث قطعا، فقال: ﴿ قل ﴾ [أى - ١١] مجيبا لإنكارهم
(١) العبارة من هنا إلى « باعث ما » سائطة من ظ (٢ - ٢) من مد، وفى
الأصل: اى باعثنا (٣-٢) تكرر فى الأصل فقط بعد « فان محط العناية » (٤) فى
ظ: قوله (٥) من مد، وفى الأصل و ظ: بالبعث (٦) راجع آية ٦٨ (٧) زيد
فى الأصل: على، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فخذناها (٨) العبارة من هنا إلى
« حد سواء » سائطة من ظ (٩) من مد، وفى الأصل: لشموله (١٠-١٠) سقط
ما بين الرقيين من ظ (١١) زيد من مد.

البعث ملؤنا لهم : (لمن الارض) أى ' على سعتها و كثرة عجائبها
 (و من فيها) على كثرتهم و اختلافهم (ان كنتم) أى بما ' هو
 كالجليلة لكم (تعلمون) أى أهلا للعلم ، وكأنه تنبيه لهم ' على أنهم
 ' أنكروا شيئا ' لا ينكره عاقل .

و لما كانوا مقرين بذلك ، أخبر عن جوابهم قبل جوابهم ، ليكون
 من دلائل النبوة و أعلام الرسالة بقوله استئنافا : (سيقولون) أى
 قطعا : ذلك كله (لله ') أى المختص بصفات الكمال . و لما كان ذلك
 دالا على الوحدة و التفرد بتمام القدرة من وجهين : كون ذلك كله
 له ، و كونه يخبر عن عذره بشيء فلا يمكنه التخلف عنه ، قال : (قل)
 ١٠ أى لهم إذا قالوا لك ذلك منكرًا عليهم ' تسبيبه لعدم تذكركم [ولو -^أ]
 على أدنى الوجوه بما أشار إليه الإدغام : (فلا تذكرون) أى بذلك
 المركز في طباعكم المقطوع به عندكم ، ما غفتم ' عنه من تمام قدرته
 و باهر عظمته ، فتصدقوا ما أخبر به من البعث الذى هو دون ذلك ،
 و تعلموا أنه لا يصلح شيء منها - و هو ملكه - أن يكون شريكا له

(١) سقط من مد (٢) العبارة من هنا إلى ' كالجليلة لكم ' ساقطة من ظ (٣) من
 مد ، وفي الأصل : ما (٤ - ٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : انكروا شيئا (٥) من
 ظ و مد ، وفي الأصل : الرسل له (٦) سقط من ظ (٧) العبارة من هنا إلى
 ' الإدغام ' ساقطة من ظ (٨) زيد من مد (٩) في ظ : عطفتم - خطأ .

'ولا ولدا، وتعلوا' انه لا يصح في الحكمة اصلا أنه يترك^٢ البعث لأن
أظلمكم لا يرضى بترك حساب عبيده^٣ و العدل بينهم .

ولما ذكرهم بالعالم السفلى لقربه ، تلاه بالعلوى لأنه أعظم فقال
على ذلك المنوال مرقيا لهم إليه : ﴿ قل من رب ﴾^٤ أى خالق و مدبر^٥
﴿ السفوت السبع ﴾^٦ كما تشاهدون من حركاتها و سير نجومها ه
﴿ و رب العرش العظيم ه ﴾ الذى أنتم به معترفون ﴿ سيقولون لله^٧ ﴾
[أى -^٨] الذى له^٩ كل شيء^{١٠} هو رب^{١١} [ذلك -^{١٢}] - على قراءة البصريين^{١٣} ،
[و التقدير -^{١٤}] لغيرهما : ذلك كله لله ، لأن معنى من رب الشيء : لمن
الشيء ، فنفيد اللام الملك صريحا مع إفادة الرب التدبير .

ولما تأكد الامر وزاد الوضوح ، حسن التهديد على التامى فقال : ١٠
﴿ قل ﴾^{١٥} منكر^{١٦} عليهم عدم تسييه لهم التقوى^{١٧} : ﴿ افلا تتقون ه ﴾ أى
تجملون بينكم و بين حلول السخط من هذا الواسع الملك التام القدرة وقاية
بالتاب من إنكار شيء يسير بالنسبة إلى هذا الملك العظيم هين عليه .
ولما قررهم بالعالمين : العلوى و السفلى ، أمره بأن يقرروهم بما هو
أعم منهما^{١٨} و أعظم ، فقال : ﴿ قل من يده ﴾ [أى خاصة -^{١٩}] ١٥
﴿ ملكوت كل شيء ﴾ [أى -^{٢٠}] من العالمين و غيرهما ، و الملكوت

(١) العبارة من هنا إلى « و العدل بينهم » ساقطة من ظ (٢) من مد ، و في
الأصل : تعلون (٣) من مد ، و في الأصل : يتزل (٤) من مد ، و في الأصل :
عباده (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) زيد في ظ : مبدعها ثم مدبرها -
كذا (٧) زيد من مد (٨) سقط من مد (٩ - ٩) في ظ : ربه (١٠) راجع
نثر المرجان ٤/ ٥٧ (١١) زيد من ظ و مد (١٢) في ظ : منها .

نظم الدرر (سورة المؤمنون ٢٣ : ٨٨ - ٩٠) ج - ١٣

الملك البليغ^١ الذى لا نقص فيه بوجه ؛ قال ابن كثير^٢ : كانت العرب
إذا كان السيد فيهم فأجار أحدا لا يتخفر في جواره وليس لمن دونه أن
يحير عليه لثلا يفتات عليه . ولو أجار ما أفاد ، ولهذا قال الله تعالى :
(وهو يحير) أى يمنع ويغيث من يشاء فيكون في حزره ، لا يقدر
أحد على الدنو من ساحته (ولا يجار عليه) أى ولا يمكن أحدا
أبدا أن يحير جوارا يكون مستعليا عليه بأن يكون / على غير مراده ،
بل يأخذ من أراد وإن نصره جميع الخلاق ، ويعلى من أراد وإن
تحاملت عليه كل المصائب ، فبين كالشمس أنه لا شريك يمانعه ، ولا
ولد يمانعه [أو يضارعه - ٢] ؛ وقال ابن كثير^٢ : وهو السيد العظيم^٣
الذى لا أعظم منه الذى له الخلق والامر ، ولا معقب لحكمه الذى
لا يمانع ولا يخالف ، وما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .

ولما كان هذا برهانا مع أنه ظاهر لا يخفى على أحد ، قد يجمع
فيه من له غرض في اللدد ، ألهمهم إلى المبادرة إلى الاعتراف به وهيجهم
بقوله^٤ : (ان كنتم) [أى كونا راسخا - ٦] (تملكون) أى فى
١٥ عداد من يعلم ، ولذلك استأنف قوله^٥ : (سيقولون لله) [أى - ٦]
الذى بيده ذلك ، خاصا به ،^٧ والتقدير لغير البصريين : ذلك كله لله ،

(١) زيد فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) راجع
تفسيره : ٢٥٣ / ٣ (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ : الكبير (٥-٥) سقط ما
بين الرقيين من ظ (٦) زيد من مد (٧) العبارة من هنا إلى « استأنف قوله »
ص ١٧٩ س ٣ ، ساقطة من ظ .

لأن اليد أدل شيء على الملك .

ولما كان جوابهم [بذلك - '] يقتضى [إنكار - '] توقعهم في الإقرار بالبعث ، استأنف قوله : ﴿ قل ﴾ ' منكرا عليهم تسبب ذلك لهم ادعاء أنه سحر ، أو الصّرف عن الحق كما يصرف المسحور ﴿ فأتى تسحرونه ﴾ أى فكيف بعد إقراركم بهذا كله تدعون أن الوعيد بالبعث سحر ' في قولكم ' : افتاتون السحر وأنتم تبصرون ، ومن أين صار لكم هذا الاعتقاد وقد أقررتم بما يلزم * منه شمول العلم وتمام القدرة ؟ ومن أين تتخللون الحق باطلا ، أو كيف تفعلون فعل المسحور بما تأتون به من التخليط في الأقوال والأفعال ، وتخدعون وتصرفون عن كل ما دعا إليه ؟ .

١٠

ولما كان الإنكار بمعنى النفي ، حسن قوله : ﴿ بل ﴾ أى ليس الأمر كما يقولون ، لم تأتهم بسحر بل ، أو يكون المعنى : ليس هو أساطير ، بل ﴿ اتينهم ﴾ فيه على عظمتا ﴿ بالحق ﴾ [أى - '] الكامل الذى لاحق بعده ، كما دلت عليه « ال » فكل ما أخبر به من التوحيد والبعث وغيرهما فهو حق ﴿ وانهم لكذبيون ﴾ في قولهم : إنه سحر لاحقيقة له ، ١٥ وفى كل ما ادعوه من الولد والأشريك وغيرهما بما بين القرآن فساد

(١) زيد من مد (٢) العبارة من هنا إلى « المسحور » ساقطة من ظ (٣) سقط من مد (٤-٥) من ظ ومد ، وفي الأصل : وقوله (٥) في ظ : يلزمه (٦) من مد ، وفي الأصل و ظ : ان (٧) من ظ ومد ، وفي الأصل : اجتر .

كما لزمهم بما^١ أقرؤا به في جواب هذه الأسئلة الثلاثة .

و لما كان من أعظم كذبهم ما^٢ أشار إليه قوله تعالى " وقالوا
اتخذ الرحمن^٣ ولدا " [قال - ^٤] : (ما اتخذ الله) أى الذى لا كفوء له ،
و أعرق فى النقي بقوله : (من ولد) لا من الملائكة و لا من غيرهم ،
ه لما قام من الأدلة على غناه ، وأنه لا يجانس له ، و لما لزمهم بإقرارهم أنه
يبحر و لا يحار عليه ، و أن له السماوات و الأرض^٥ و من فيها .

و لما كان الولد أخص من مطلق الشريك قال : (و ما كان)
[أى بوجه من الوجوه - ^٦] (معه) فأفاد بفعل الكون نفي الصحة
ليتقن الوجود بطريق الأولى (من اله) و زاد " من " لتأكيد النفي ؛
١٠ و لما لزمهم الكذب فى دعوى الإلهية بولد أو غيره^٧ من إقرارهم هذا ،
أقام عليه دليلا عقليا ليتطابق الإلزامى و العقلى فقال : (اذا) أى
إذ لو كان معه إله آخر (لذهب كل اله بما خلق) بالتصرف فيه
وحده ليميز ما له بما لغيره (و لعلا بعضهم) أى بعض الآلهة
(على بعض^٨) إذا تخالفت أوامرهم ، فلم يرض أحد منهم أن يضاف
١٥ / ٦١١ ما خلقه / إلى غيره ، و لا أن يمضى فيه أمر على غير مراده ، كما هو
مقتضى العادة ، فلا يكون المغلوب إلها لعجزه ، و لا يكون مجيرا غير مجار

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بما (٢) من مد ، و فى الأصل : بما ، و فى
ظ : بما (٣) من ظ و مد و القرآن الكريم سورة ٢١ آية ٢٦ ، و فى الأصل : الله .
(٤) زيد من ظ و مد (٥) زيد فى الأصل : و ما بينهما ، و لم تكن الزيادة فى
ظ و مد لحذفها (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : زاده (٧) من ظ و مد ، و فى
الأصل : غيرهم .

عليه، يده وحده^١ ملكوت كل شيء، وفي ذلك إشارة إلى أنه
[لو -^٢] لم يكن ذلك الاختلاف لا يمكن أن يكون، فكان إمكانه
كافيا في إبطال^٣ الشركه لما يلزم ذلك من 'إمكان العجز المنافي للالهية'^٤،
كما بين في الإنشاء^٥.

و لما طابق الدليل الإلزام على نفي الشريك، نزه نفسه الشريفة ه
'بما هو نتيجة ذلك بقوله: (سبحن الله) أي المتصف بجميع صفات الكمال،
المنزه عن كل شائبة نقص (عما يصفون^٦) من كل ما لا يليق بمجانبه المقدس
من الشريك والولد وغيره؛ ثم أقام دليلا آخر على كماله بوصفه^٧ بقوله:
(علم الغيب) و لما كان العلم بذلك لا يستلزم علم الشهادة كما للنائم
قال^٨: (والشهادة) ولا عالم بذلك غيره .

١٠.

و لما كان من الواضح الجلي أنه لا مدعى لذلك، ومن ادعاه^٩ غيره
بان كذبه لاحالة، و [أن -^{١٠}] من تم عليه تمت قدرته، فأتضح تفرد
كما بين في ظه، تسبب عنه قوله: (فتعل^{١١}) أي علا العالم المشار إليه
علوا عظيما^{١٢} (عما يشركون^{١٣}) فانه لا علم لشيء منه فلا قدرة^{١٤} ولا^{١٥}

(١) زيد في الأصل: يده، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفنا (٢) زيد
من ظ و مد (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: ابطاله (٤-٥) في ظ: العجز .
(٥) راجع آية ٢٣ (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) من ظ و مد، وفي
الأصل: لوصفه (٨) من ظ و مد، وفي الأصل: ادعاء (٩-١٠) وقع
في الأصل بعد 'يشركون' والترتيب من مد، وسقط ما بين الرقيين من ظ.
(١٠-١٠) من ظ و مد، وفي الأصل: فلا .

صلاحية لرتبة الإلهية .

و لما أقام الدليل على كذبهم بالأدلة على عظمته ، و تعالىه عن كل ما يقول الظالمون ، و بين لهم الأمر غاية البيان بعد أن هددهم بمثل قوله و ما يشعرون " حتى إذا اخذنا مترفهم بالعذاب " و نحوه من مثل ما أنزله بالماضين ، و أحله بالمكذبين ، و كان من المعلوم أنه ليس بعد الإعذار^١ إلا إيقاع القضاء و إزال البلاء ، و كان من الممكن أن يعم سبحانه الظالم وغيره بعذابه لأنه لا يسئل عما يفعل ، أمره أن يتعوذ من ذلك إظهارا لعظمة الربوبية و ذل العبودية فقال : ﴿ قل رب ﴾ أى أيها المحسن إلى ، و أكد إظهارا لعظمة المدعوبه و إعلاما بما للنبي صلى الله عليه و سلم من مزيد الشفقة على أمته ' مؤمنهم و كافرهم ' ﴿ اما ترى ﴾ أى [إن كان و لا بد من أن ترى -^٢] قبل موتى ﴿ ما يوعدون لا ﴾ ثم نبه^٣ على الزيادة فى الضراعة بتكرير النداء بصفة الإحسان تعبدا و تخشعا ، و تذلا و تخضعا ، إشارة إلى أن الله سبحانه له أن يفعل ما يشاء ، فينبغى لأقرب خلقه إليه أن يكون على غاية الحذر منه فقال : ﴿ رب فلا تجعلنى ﴾ باحسانك إلى و فضلك على فيهم ، هكذا كان الأصل ولكنه أظهر الوصف تعميما الدعوة و تعليقا للحكم بالوصف فقال : ﴿ فى القوم الظالمين ﴾ [أى -^٤] الذين أعمالهم أعمال من يمشى فى الظلام ، فهم فى غير مواضعها ، فضلا عن أن أكون منهم^٥ فانه

(١) فى ظ : الانذار (٢-٣) من مد ، وفى الأصل و ظ : كافرهم و مؤمنهم .
 (٢) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : نه (٥) زيد من مد (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من ظ .

يوشك أن ينصهم العذاب و يعم من جاورهم لوخامة الظم
وسوء عاقبه .

ولما أرشد التعبير بأداة الشك إلى أن التقدير: فانا على العفو عنهم
وعلى الإملاء لهم لقادرون، عطف عليه قوله مؤكدا لما لهم من التكذيب
المتضمن للظن في القدرة و هم المقصودون بالتهديد: (و انا)^١ أى هـ

٦١٢ /

بما لنا من / العظمة^١ (على ان نريك) أى قبل موتك (ما نعدم)
من العذاب (لقدرون هـ) و لما لاح من هذا أن أخذهم و تأخيرهم في
الإمكان على حد سواء، وكانوا يقولون و يفعلون ما لا صبر عليه إلا بموطة
من الله، كان كأنه قال: فماذا أفعل فيما تعلم من أمرهم؟ فقال آمرا له
بمداواته: (ادفع) و نظم الأمر بالموصول لما فيه من الإيهام المشوق^{١٠}
للبيان^٢ [ثم -^٢] بأفعل التفضيل فقال: (بالى هى احسن) أى من
الأقوال و الأفعال بالصفح و المداراة (السيئة^٤) ثم خفف عنه ما يجد من
ثقلها بقوله: (نحن اعلم) أى من كل عالم (بما يصفون هـ) في حقل
و حقنا، فلو شئنا منعناهم منه أو عاجلناهم بالعذاب و ليس أحد بأغير منا
فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل .

١٥

و لما كان [الصبر -^٤] عليه لا يطاق إلا به سبحانه، أمره بالدعاء
بذلك فقال: (و قل رب) أيها المحسن إلى (اعوذ بك) أى التجئ إليك

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ ومد ، و فى الأصل: بالبيان .

(٣) زيد من ظ (٤) زيد من ظ ومد (٥) سقط من مد .

(من همزت الشيطان) أي^١ أن يصلوا إلى وساوسهم^٢ التي هي كالنخس بالمهراز في الإقحام في السيئات والبعد عن^٣ مطلق الحسنات، فكيف بالاحسن منها كما سلطتهم على الكافرين توزم إلى القباح أزا (وأعوذ بك رب) أي [أيها-^٤] الرب لي (ان يحضرونه) أي^٥ ولولم تصل إلى وساوسهم^٦ فإن حضورهم ملكه، وبدعم بركة، لأنهم^٧ مطبوعون على الفساد لا ينفكون عنه .

ولما كان أضر أوقات حضورهم ساعة الموت، وحالة الفوت، فانه وقت كشف الغطاء، عما كتب من القضاء، وآن اللقاء، وتحتم السفل أو الارتقاء، عقب ذلك بذكره تنبيها على بذل الجهد في الدعاء والتضرع ١٠. للعصمة فيه فقال معلقا بقوله تعالى "بل لا يشعرون" أو يملسون، منها بحرف الغاية على أنه سبحانه يمد في أزمانهم استدراجا لهم: (حتى) أولا يكون التقدير كما يرشد إليه السياق: فلا أكون من الكافرين المطيعين للشياطين حتى (إذا جاء) [وقدم المفعول ليذهب الوم في فاعله كل مذهب فقال-^٨]: (أحدم الموت) فكشف له الغطاء، وظهر ١٥ له الحق، ولاحت له بوارق العذاب، ولم يبق في شيء من ذلك ارتياب (قال) مخاطبا للملائكة العذاب على عادة جهله ووقوفه مع المحسوس^٩

(١-١) في ظ: وساوسهم (٢) في ظ: من (٣) زيد من مد، والعبارة من «أى» إلى «لى» ساطعة من ظ (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) سقط من مد (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: لى (٧) زيد من مد (٨) من ظ ومد، وفي الأصل: للملائكة (٩) زيد في الأصل: من، ولم تكن الزيادة في ظ ومد لفظناها .

دَابَّ البَهِائمُ : ﴿ رب ارجعون لا ﴾ أى إلى ' الدنيا دار العمل ؛^٢ ويجوز أن يكون الجمع ^٣ تعالى ولللائكة ، أو للتعظيم [على عادة في مخاطبات الأكاابر لاسيما الملوك -^٤] ، أو لقصد تكرير الفعل للتأكيد .

ولما كان في تلك الحالة ^٥ على القطع من اليأس من النجاة لليأس من العمل لقوات^٦ داره ^٧ مع وصوله إلى حد الغرغرة^٨ قال : ﴿ لعلّ - أعمل ﴾ ^٩ أى لا تكون على رجاء من أن أعمل ﴿ صالحا فيما تركت ﴾ من الإيمان و توابه ؛ قال البغوى^{١٠} : قال قتادة : ما تمنى أن يرجع إلى أهله و عشيرته^{١١} و لا ليجمع الدنيا و يقضى الشهوات ، و لكن تمنى أن يرجع ليعمل^{١٢} بطاعة الله ، فرحم الله امرءا عمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب . و قال ابن كثير^{١٣} : كان العلاء بن زياد يقول : لينزلن أحدكم نفسه أنه ^{١٤} [قد -^{١٥}] حضره الموت فاستقال ربه فأقاله فليعمل^{١٦} بطاعة الله عز و جل .

/ و لما كان القضاء قد قطع بأنه لا يرجع ، و لو رجع لم يعمل قال ردعاه و ردا لكلامه : ﴿ كلا^{١٧} ﴾ أى لا يكون شيء من ذلك ، فكانه

- (١) سقط من مد (٢) العبارة من هنا إلى « للتأكيد » سائطة من ظ (٣) في مد : له (٤) زيد من مد (٥) زيد في الأصل : تنبيها ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفها (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : القوات (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٨) في معالم التنزيل بهامش الباب ٣٦/٥ (٩) من مد و المعالم ، و في الأصل و ظ : عترة (١٠) من ظ و مد ، و في الأصل : لعمل ، و في المعالم : فيعمل (١١) راجع تفسيره : ٢٥٥/٣ (١٢) زيد من ظ و مد و التفسير . (١٣) من ظ و مد و التفسير ، و في الأصل : ليعمل .

نظم الدرر (سورة المؤمنون ٢٢: ١٠٠-١٠٢) ج- ١٣

قيل: فما حكم ما قال؟ فقال [مرضا عنه إيدانا بالغضب - ١]:
(انها كلمة) أى مقالته "رب ارجعون" - إلى آخره، كلمة ٢ (هو قائلها)
وقد عرف منه الخداع والكذب فهي كما عهد منه لاحقيقة لها .

ولما كان التقدير: فهو لا يجاب إليها، عطف عليه قوله، جامعا
٥. معه ١ كل من مائه ٢ لأن عجز الجمع يلزم منه عجز الواحد ٣:
(و من ورائهم) أى من خلفهم ومن أمامهم محيط بهم (برزخ)
أى حاجز بين ما هو فيه وبين الدنيا والقيامة مستمر لا يقدر أحد
على رفعه ٤ (إلى يوم يبعثون) أى تجدد بعثهم بأمر وأخفه
وأهونه ٥ .

١٠. ولما عني ذلك بالبعث فتشوفت النفس إلى ما يكون بعده، وكان
قد تقدم أن الناس - بعد أن كانوا أمة واحدة في الاجتماع على ربهم -
تقطعوا قطعا، وتحزبوا أحزابا، وتعاقدوا بحكم ذلك وتناصروا، قال
نافيا لذلك: (فاذا نفخ) أى [بأسهل أمر - ١] النفخة الثانية وهي
نفخة النشور، ٢ أو الثالثة للصق ٣ (في الصور) فقاموا من القبور
(١) زيد في الأصل: فقيل، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها (٢) زيد من
مد (٣) سقط من مد (٤ - ٤) من ظ و مد، وفي الأصل: كلما - مع وجود
البياض قدر كلمتين (٥) العبارة من هنا إلى «الواحد» ساقطة من ظ (٦) من
مد، وفي الأصل: الواحدة ليعمل (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: دفعه .
(٨) من مد، وفي الأصل: اهون، والعبارة من «أى تجدد» إلى هنا ساقطة
في ظ (٩ - ٩) سقط ما بين الرقيين من ظ .

أو

أو من الصعق^١ (فلا أنساب) و هي أعظم الأسباب^٢ (بينهم)^٣ يذكرونها يتفاخرون [بها] (يومئذ) لما دهمهم من الأمر و شغلهم من البأس و لحقهم من الدهش و رعبهم من الهول -^٤ [و علوا^٥ من عدم نفعها إلا ما أذن الله فيه ، بل يفر الإنسان من أقرب الناس إليه ، وإنما أنسابهم الأعمال الصالحة (ولا يتساءلون^٦) أي في التناصر لأنه انكشف لهم أن لاحكم إلا الله وأنه لا تغنى نفس عن نفس شيئا ، فتسبب عن ذلك أنه لا نصرة إلا بالأعمال التي رحم الله بالتيسير لها ثم رحم بقبولها ، فلذلك قال : (فمن ثقلت موازينه) أي بالأعمال المقبولة ، و لعل الجمع لأن لكل^٧ عمل ميزانا يعرف أنه لا يصلح له غيره ، و ذلك أدل على القدرة (فأولئك) أي خاصة ،^٨ و لعله جمع للبشارة^٩ بكثرة الناجي بعد ١٠ أن أفرد الدلالة على كثرة الأعمال أو على عموم الوزن لكل فرد (هم المفلحون^{١٠}) لأنهم المؤمنون الموصوفون (ومن خفت موازينه) لإعراضه عن تلك الأعمال المؤسسة على الإيمان (فأولئك) خاصة (الذين خسروا أنفسهم) لإهلاكهم إياها باتباعها شهواتها في دار الأعمال و شغلها بأهوائها عن^{١١} مراتب الكمال ؛ ثم علل ذلك أو بينه بقوله : ١٥ (في جهنم خلدون^{١٢}) و هي دار لا ينفك أسيرها ، ولا ينطفئ سعيها ؛

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد ، إلا أن العبارة من « يومئذ » إلى « الله فيه » وقعت في ظ بعد « الأعمال الصالحة » . (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : عملوا (٤) في الأصل بياض ، ملائناه من ظ و مد . (٥) العبارة من هنا إلى « على القدرة » ساقطة من ظ (٦) من مد ، وفي الأصل : كل (٧) العبارة من هنا إلى « لكل فرد » ساقطة من ظ (٨) من مد ، وفي الأصل : الإشارة (٩) في مد : على .

نظم الدرر (سورة المؤمنون ٢٣ : ١٠٤ - ١٠٩) ج - ١٣

ثم استأنف قوله : (تلفح) أى تغشى بشديد حرها وسمومها ووجهها
 (وجوههم النار) فحرقها فاطنك بغيرها (و هم فيها كالحون)
 أى متقلصو الشفاء عن الأسنان مع عبوسة الوجوه وتجعدا و تقطبها
 شغل من ' هو ممتلى الباطن كراهية لما دهمه من شدة المعاناة و عظيم
 المقاساة [فى دار التجهم - ١] ، [كما ترى الرؤس المشوية ، و - ٢] لا يناقض
 نفي التساؤل هنا إثباته فى غيره لأنه فى غير التناصر بل فى التلازم
 و التعاب^٢ أو التخاصم^٢ على أن المقامات فى ذلك اليوم طويلة وكثيرة ،
 فالمقالات و الأحوال لأجل ذلك متباينة / وكثيرة ، و سيأتى عن ابن
 عباس رضى الله عنها فى سورة الصافات نحو ذلك .

/ ٦١٤

١٠. و لما جرت العادة بأن الملعذب بالفعل يضم إليه القيل^١ ، أجيب
 من قد يسأل عن ذلك بقوله : (ألم) أى يقال لهم^٢ فى تأنيبهم
 و توبيخهم : ألم (تكن ابنتى)^٣ التى انتهى عظمها إلى أعلى المراتب
 باضافتها إلى^٤ . [و لما كان مجرد ذكرها كافيا فى الإيمان ، نه على ذلك
 بالبناء للفعول - ١] : (تلتى عليكم) أى تابع لكم قراءتها فى الدنيا شيئا
 ١٥ فشيئا . و لما كانت سببا للإيمان فجعلوها سببا للكفران ، قال : (فكنتم)
 [أى كونا أنتم عريقون فيه - ٢] (بها تكذبون) و قدم الطرف
 (١) زيد من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣-٢) ورد فى الأصل بعد
 « المقاساة » س . ، و الترتيب من مد ، و سقط من ظ (٤) من ظ و مد ، و فى
 الأصل : القيل (٥) العبارة من هنا إلى « ألم » ساقطة من ظ (٦) سقط من مد .
 (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ .

للاعلام بمبالغتهم في التكذيب؛ ثم استأنف جوابهم بقوله: (قالوا ربنا) [أيها - ١] المسبغ علينا نعمته (غلبت علينا شقوتنا) أي: أهواؤنا التي قادتنا إلى سوء الأعمال التي كانت سببا ظاهرا للشقاوة.

ولما كان التقدير: فكنا معها كالمأسورين، توذنا إليها الشياطين أزا، عطف عليه [قوله - ١] (وكنّا) أي بما جبلنا عليه (قوما ضالين) ه في ذلك عن الهدى^٢، أقوياء في موجبات الشقاوة^٣، فكان سببا للضلال^٤ عن طريق السعادة.

ولما تضمن هذا الإقرار الاعتذار، وكان ذلك ربما سوغ الخلاص، وصلوا به قولهم: (ربنا) يا من عودنا بالإحسان (أخرجنا منها) أي النار تفضلا منك على عادة فضلك، وردنا إلى دار الدنيا لنعمل ما يرضيك (فإن عدنا) إلى مثل تلك الضلالات (فانا ظالمون ه) فاستأنف جوابهم بأن (قال) لهم كما يقال للكلب: (أخسؤا) أي انزعجوا زجر الكلب وانظروا عن مخاطبتي^٥ ساكتين سكوت هوان (فيها) أي النار (ولا تكلمون ه) أصلا، فانكم لستم أهلا لمخاطبتي، لأنكم لم تزالوا متصفين بالظلم، ومنه سؤالكم هذا المقهم - لأن أنصافكم ١٥ به لا يكون إلا على تقدير عودكم بعد إخراجكم.

ولما كانت الشهادة أسر السرور^٦ للشامت وأخرى الحزى للشنوت به؛

(١) زيد من ظ ومد (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: اقه (٣-٢) في الأصل بياض ملائنه من ظ ومد (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: الخ (٥) العبارة من هنا إلى «مخاطبتي» ساقطة من ظ (٦) في مداهل (٧) من ظ ومد، وفي الأصل: سرور.

نظم الدرر (سورة المؤمنون ٢٣: ١٠٩ - ١١١) ج - ١٣

علل ذلك بقوله: ﴿انه كان﴾ أى كونا ثابتا ﴿فريق﴾ أى ناس^١
استضعفتنوم فهان عليكم ﴿فراقهم لكم و-٢﴾ فراقكم لهم و ظنتم^٢ أنكم
تفرقون شملهم ﴿من عبادى﴾ أى الذين هم أهل للاضلة، إلى جنبى
لخلوصهم^٣ عن الآهواء ﴿يقولون﴾ مع الاستمرار: ﴿ربنا﴾ أيها^٤
المحسن إلينا بالخلق و الرزق ﴿امنا﴾ أى أوقنا الإيمان بجميع ما جاءتنا به
الرسول لوجوب ذلك علينا لأمرك لنا به .

ولما كان عظم المقام موجبا لتقصير العابد ، و كان الاعتراف
بالتقصير جابرا له قالوا^٥: ﴿فاغفر لنا﴾ أى استر بسبب إيماننا [عيوبنا
التي كان تقصيرنا بها -٢] ﴿وارحنا^٦﴾ [أى افعل بنا فعل الراحم
١٠ من الخير -٢] الذى هو على صورة الخنو و الشفقة و العطف .

ولما كان التقدير: فأنت خير الغافرين ، فانك إذا سترت ذنبا
أنسيته لكل أحد حتى للحظة ، عطف عليه قوله: ﴿وانت خير الرحمنين﴾
لأنك تخلص من رحمة من كل شقاء و هوان ، باخلاص الإيمان ،
و الخلاص من كل كفران .

١٥ ولما تسبب عن إيمان هؤلاء [زيادة -٢] كفران أولئك قال :

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : بان - كذا (٢) زيد من ظ و مد (٣) من
ظ و مد ، وفى الأصل : ظنكم (٤) فى ظ : الاضافة (٥) من ظ و مد ، وفى
الأصل : لخلوصكم (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : اى (٧) من ظ و مد ،
وفى الأصل : قال (٨ - ٨) تأخر فى الأصل عن « عطف عليه قوله » س ١٢
و الترتيب من ظ و مد .

فانخذنوم

(فاتخذتموهم سحرى) أى موضعاً للهزة و التلوى [و الخدمة لكم ، قال
الشهاب السمين^١ فى إعرايه : و السخرة - بالضم : الاستخدام ، و سحرى -
بالضم منها و السخر بدون هاء : الهزة و المكسور منه يعنى على القراءتين^٢]
و فى النسبة [دلالة على -^٣] زياده [قوة -^٤] فى الفعل كالخصوصية
/ و العبودية (حتى أنسوكم) أى [لأنهم -^٥] كانوا السبب فى ذلك ه ٦١٥ /
بتشاغلهم^٦ بالاستهزاء بهم^٧ و استعبادهم (ذكرى) أى [أن -^٨]
تذكرونى فتخافونى بأقبالكم بكميتكم على ذلك منهم .
[ولما كان التقدير : فركتموه -^٩] فلم تراقبونى فى أربابى^{١٠} ،
[عطف عليه قوله -^{١١}] : (و كنتم) أى^{١٢} بأخلاقهم كالجبل (منهم)
أنى خاصة^{١٣} (تضحكون)^{١٤} كأنهم لما صرفوا قوامهم إلى الاستهزاء بهم^{١٥}
عد^{١٦} ضحكهم من غيرم عدما .

و لما تشوفت النفس بعد العلم بما فعل بأعدائهم إلى جزائهم ، قال :
(انى جزيتهم) [أى -^{١٧}] مقابلة على عملهم (اليوم بما صبروا^{١٨}) أى على
عبادتى ، و لم يشغلهم عنها تألمهم^{١٩} بأذاكم كما شغلهم عنها التذاكم باهاتهم ،
فوزهم دونكم ، و هو معنى قوله : (انهم هم) أى خاصة (الفائزون)^{٢٠} أى ١٥

(١) هو أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي أبو العباس شهاب الدين المعروف
بالسمين المتوفى ٥٧٥ هـ - راجع الأعلام ١ / ٢٦٠ (٢) زيد من ظ و مد .
(٣-٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : باستهزايهم (٤) من ظ و مد ، و فى
الأصل : أوائلك (٥) سقط من ظ (٦-٦) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و مد ،
(٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : قد (٨) فى ظ : ما ألهم .

الناجون الظافرون بالخير بعد الإشراف على الهلكة، و غير العبارة^١ لإفادة الاختصاص. و الوضوح [و الرسوخ، و كسر الهمزة حمزة و الكسائي على الاستئناف -^٢] .

و لما كان الفائز - و هو الظافر - من لم يحصل له بؤس في ذلك الأمر الذي فاز به ، و كان قد أشار سبحانه بحرف الغاية و ما شاكله إلى أنه لا لاهل الشقاء في الدنيا في الأعمار و الارزاق حتى استهانوا بعبادة السعداء^٣ ، فكان ربما قيل : إن أعداءهم فازوا بالاستهزاء بهم و الرفعة عليهم في حال الدنيا ، و كان سبحانه قد أسلف ما يرد ذلك من الإخبار بأنه خلد لهم في النار و أعرض عنهم و زجرهم عن^٤ كلامه ، و كان أنعم أهل الدنيا إذا غمس في النار غمسة ثم سئل عن نعيمه قال : ما رأيت نعيماً قط ، فكان ذلك محزواً لتقريع الأشقياء بسبب تضييع أيامهم و تنديهم عليها. تشوف السامع إلى أنه هل يسألهم عن تنعيمهم في الدنيا الذي كان جديراً منهم^٥ بالشكر فقابلوه بالكفر و الاستهزاء بأوليائه ؟ فأجاب تشوفه ذلك بجهلهم و مندماً^٦ و منبهاً على الجواب [أن فوزهم في الدنيا -^٧]

١٥ - لقلته التي هي أحقر من قطرة في جنب بحر - عدم ، بقوله : (قال) تأسيقاً على ما أضعوا من عبادة يسيرة تورثهم^٨ سعادة لا انقضاء لها

(١) في ظ : العبادة (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد في الأصل : به ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : السفلاء (٥) في ظ : من (٦) سقط من مد (٧) من ظ و مد : و في الأصل : تندماً (٨) زيد في الأصل : تنبيهاً لهم ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٩) زيد في الأصل : شهامة و ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها .

و ارتكبوا من لذة قليلة أعقبهم بؤسا لا آخر له - هذا على قراءة الجماعة^١،
 وبين سبحانه بقراءة ابن كثير و حمزة و الكسائي أن القول بواسطة بعض
 عباده الذين أقامهم^٢ لتعذيبهم إعراضا عنهم تحقيقا لما أشار إليه "ولا تكلمون"
 فقال: "قل" [أى - ٢] يا من أقناه للانتقام ممن أردنا أى لهؤلاء^٣،
 الذين غرتهم الحياة الدنيا على ما يرون من قصر مدتها و لعبها^٤ بأهلها •
 فكفروا بنا و استهزأوا^٥ بعبادنا: (كم لبثتم في الأرض) على تلك الحال
 التى كنتم تعدونها فوزا (عدد سنين •) أنتم فيها ظافرون و لأعدائكم
 قاهرون^٦، و لعله عبر بما منه الإسناد^٧ الذى معناه القحط إشارة إلى
 أن أيام الدنيا ضيقة حرجة و إن كان فيها سعة، و لاسيما للكفرة
 بكفرهم و خبثهم و مكرم الذى جرم إلى أضيق الضيق و أسوء العيش ١٠
 (قالوا) استقصارا له فى جنب ما رأوا من العذاب و استنقاذا
 لأنفسهم ظنا أن مدة لبثهم فى النار تكون بمقدار مكثهم فى الدنيا:
 (لبثنا يوما) و لعلهم^٨ ذكروا العامل تلذذا / بطول الخطاب، أو تهريحا
 بالمراد دفعنا للبس و الارتياب، ثم زادوا فى التقليل فقالوا:
 (أو بعض يوم) •

١٥

ولما كان المكرة فى الدنيا إذا أرادوا تمشية كذبهم قالوا لمن

(١) راجع نثرالمرجان ٤/ ٨٤٤ (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: أقامه (٣) زيد
 من ظ و مد (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: هولا (٥) من ظ و مد، وفى
 الأصل: نعيمها (٦ - ٦) من ظ و مد، وفى الأصل: وكيف واستهزا، مع
 وجود البياض بين الكلمتين (٧) فى ظ : ظاهرون (٨) فى ظ : الانبات (٩) من
 ظ و مد، وفى الأصل: املمهم •

أخبروه فتوقف في خبرهم: سل فلانا، إيثاقا^١ باخبارهم، و سترأ لعوارهم،
جروا على ذلك تماديا منهم^٢ في الجهل^٣ بالعلم القدير في قولهم: ﴿فسئل﴾
أي لتعلم^٤ صدق خبرنا أو بسبب ترددنا في العلم بحقيقة الحال لتحرير^٥
حقيقة المدة ﴿العآدين﴾ ويحتمل أيضا قصد^٦ الترفيق عليهم بالإشارة
• إلى أن ما هم فيه من العذاب شاغل لهم [عن -^٦] أن يتصوروا شيئا
حاضرا محسوسا، فضلا عن أن يكون ماضيا، فضلا عن أن يكون
فكريا، فكيف إن^٧ كان حسابا.

ولما كان ذلك على تقدير تسليمه^٨ لا ينفعهم لأن الجزاء بالعذاب
على [عزمهم على -^٦] التماذي في العناد على مرّ الآباد، المصدق منهم
١٠ بالانهماك في الفساد، أجاوبهم إلى قصدهم في عدم عبارة صالحة صادقة
على مدة لبثهم طال أو قصر، بقوله على طريق الاستئناف لمن تشوف إلى
معرفة جوابهم: ﴿قل﴾ أي الله على قراءة الجماعة^٩، و بينت^{١٠} قراءة
حمزة و الكسائي أن إسناد القول إليه سبحانه مجاز^{١١} عن قول بعض
عباده العظام فقال على طريق الأول: "قل" [أي -^٦] لهؤلاء الذين
١٥ وقع^{١٢} الإعراض عنهم ﴿ان﴾ أي ما ﴿لبثتم﴾ أي في الدنيا

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: إيثاق (٢-٢) من ظ و مد، وفي الأصل:
للجهل (٣-٣) من ظ و مد، وفي الأصل: أولي علم (٤) من ظ و مد، وفي
الأصل: ليخبر (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: صدق (٦) زيد من ظ و مد.
(٧) من ظ و مد، وفي الأصل: اذا (٨) من ظ و مد، وفي الأصل: تسليته.
(٩) راجع نثر المرجان ٤/٨٧ (١٠) زيد في ظ: على (١١) من ظ و مد، وفي
الأصل: مجازي (١٢) من ظ و مد، وفي الأصل: توقع.

(الافليلا) أى هو من القلة بحيث لا يسمى بل هو عدم
 (لو انكم كنتم) أى كونا هو كالجبل (تعلون^ه) أى فى عداد^د من
 يعلم فى ذلك الوقت، لما آثرتم الفانى على الباقي، ولا قبلتم على ما ينفعكم،
 وتركتم الخلاعة التى لا يرضاها عاقل، ولا يكون على تقدير الرضا
 بفعلها إلا بعد الفراغ من المهم، ولكنكم [كنتم - ^٢] فى عداد^د البهائم، ه
 وفى ذلك تنبيه للمؤمنين الذين هم الوارثون على الشكر على ما منحهم
 من السرور باهلاك أعدائهم وإيراثهم أرضهم وديارهم، مع إعزازهم^٢
 والبركة فى أعمارهم، بعد إراحتهم منهم فى الدنيا، ثم بادامة سعادتهم
 فى الآخرة وشقاوة أعدائهم.

ولما كان حالهم فى ظنهم أن لا يعبث، حتى اشتغلوا بالفرح، ١٠
 والبطر والمرح، والاستهزاء بأهل الله، حال من يظن العبث على الله
 الملك الحق المبين، سبب عن ذلك عطفًا على قوله "فاتخذتموهم سخريًا"
 إنكاره عليهم فى قوله: (الحسبتم) ويجوز أن يكون معطوفا على
 مقدر نحو: أحسبتم أنا نهملكم فلا نتصف مظلومكم من ظالمكم، فحسبتم
 (أما خلقنكم) [أى - ^٥] على ما لنا من العظمة (عبثا) [أى ١٥
 عابثين أو للعبث منا أو منكم - ^٢]، لا للحكمة لإظهار العدل والفضل،
 حتى اشتغلتم بظلم أنفسكم وغيركم، قال أبو حيان^٦: [و - ^٧] العبث:
 (١) فى ظ: عدد (٢) زيد من ظ ومد (٣) من ظ ومد، وفى الأصل:
 اغزارهم (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: مع (٥) زيد من مد (٦) فى البحر
 المحيط ٤١٧/٦ (٧) زيد من ظ ومد والبحر.

نظم الدرر (سورة المؤمنون ٢٣ : ١١٥ - ١١٧) ج - ١٤

العب الخالي عن فائدة . (وانكم) أى و حسبتم أنكم (البنا)
 [أى - ١] خاصة (لا ترجعون .) بوجه^٢ من الوجوه لإظهار القدرة
 والعظمة فى الفصل ، وأخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره و أبو يعلى الموصلى
 فى الجزء الرابع والعشرين من مسنده و البغوى^٣ فى تفسيره عن ابن
 مسعود رضى الله عنه أنه رقى رجلا مصابا بهذه الآية إلى آخر السورة
 فى أذنيه فبرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده !
 لو أن رجلا / موقنا قرأ بها على جبل لزال . و فى سندهما ابن لهيعة .
 قال ابن كثير : و روى أبو نعيم عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن
 أبيه رضى الله عنه ، قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية
 ١٠ . وأمرنا أن نقول إذا أمسينا وأصبحنا " الحسبتم " - الآية ، [قال - ٧] :
 قرأناها فغنمنا و سلطنا .

٦١٧ /

ولما كان التقدير : ليس الأمر كما حسبتم ، علل ذلك بقوله :
 (فتلى الله) [أى - ١] علا^٤ الذى له الجلال والجمال علوا كبيرا عن
 العبت ، ثم وصفه بما ينافى العبت فقال : (الملك) أى المحيط بأهل مملكته
 ١٥ علما و قدرة و سياسة ، و حفظا و رعاية .

و لما كان بعض ملوك الدنيا قد يفعل ما ينافى شيم الملوك من
 العبت بما فيه من الباطل^٥ ، أتبع ذلك بصفة تنزهه عنه فقال : (الحق)
 (١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : وجه (٣) راجع معالم التنزيل^٦ بهامش
 الباب ٣٨/٥ (٤) فى ظ : مسندهما (٥) راجع تفسيره ٢٥٩/٣ (٦) فى ظ :
 فامرنا (٧) زيد من ظ و مد و التفسير (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : علله
 - كذا (٩) فى ظ : التباطل .

أى

(٤٩)

١٩٦

أى الذى لا تطرق للباطل إليه فى شئ. من ذاته ولا صفاته ، فلا زوال له ولا مللته فأنى^١ يأتيه العبث .

ولما كان الحق من حيث هو قد يكون له ثان ، نفى ذلك فى حقه تعالى بقوله : (لا اله الا هو ع) فلا يوجد له نظير أصلا فى ذات ولا صفة ، ومن يكون كذلك يكون حائزا لجميع أوصاف الكمال ، هـ
و خلال الجلال والجمال ، متعاليا عن سمات النقص ، والعبث من أدنى صفات النقص ، لخلوه عن الحكمة التى هى أس الكمال ؛ ثم زاد فى التعمين والتأيد للتفرد بوصفه بصفة لا يدعيها^٢ غيره فقال : (رب العرش) أى السرير المحيط بجميع الكائنات ، العالى عليها علوا لا يدانيه شئ ؛ ثم وصف العرش [لأنه فى سياق الحكم بالعدل والتزهد عن العبث بخلاف ١٠
سياق براءة^٣ والنمل^٤ فانه للقهر والجبروت -^٥] بقوله : (الكريم هـ) أى الذى تنزل منه الخيرات الحاصلة للعباد ، مع شرف جوهره ، وعلى رتبته ، ومدحه أبلغ مدح لصاحبه ، والكريم من ستر مساوئ الأخلاق باظهار معاليها وتزهة^٦ عن كل دناءة ؛ قال القزاز : وأصل الكرم فى اللغة الفضل والرفعة . ولما كان التقدير : فن دعا الله وحده فأولئك هم ١٥
المفلحون الوارثون فى الدارين ، عطف عليه [قوله -^٧] : (ومن يدع مع الله) أى الملك الذى لا كفوء له لإحاطته بجميع^٨ صفات
(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : فانه (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : لا يدعيها (٣) آية ١٢٩ (٤) آية ٢٦ (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : كره (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : لجميع .

الكامل ﴿الها﴾ ولما كانوا لتعتهم ينسبون الداعي [له - ٢] سبحانه باسمين أو أكثر إلى الشرك، قيد بقوله: ﴿الآخر﴾ ثم أيقظ من سته الغفلة، ونبه على الاجتهاد والنظر في أيام المهلة، بقول لا أعدل منه ولا أنصف فقال: ﴿لأبرهان له﴾ [ولما كان المراد ما يسمى برهاناً ولو على أدنى الوجوه الكافية، عبر بالباء سلوكاً لغاية الإنصاف دون ٥ على ٢، المفهومة للاستعلاء بغاية البيان فقال - ٢]: ﴿به لا﴾ [أى بسبب دعائه ذلك - ٢] فانه إذا اجتهد في إقامة برهان على ذلك لم يجد، بل وجد البراهين كلها قائمة على نقي ذلك، داعية إلى الفلاح باعتقاد التوحيد والصلاح، هذا المراد، لا أنه يجوز أن يقوم على شيء غيره برهان ﴿فانما حسابه﴾ أى جزاؤه الذى لا تمكن زيادته ولا نقصه ١٠ ﴿عند ربه﴾ الذى رباه، ولم يربه أحد سواه، وغمره بالإحسان، ولم يحسن إليه أحد غيره، الذى هو أعلم بسريرته وعلايته منه نفسه، فلا يخفى عليه شيء من أمره.

ولما أفهم كون حسابه عند هذا المحسن أحد أمرين: إما الصفح ١٥ / ٦١٨ بدوام الإحسان، وإما الخسران بسبب الكفران ٦، قال على طريق الجواب لمن يسأل ٢ عن ذلك: ﴿انه لا يفلح﴾ ووضع ﴿الكفرون ٥﴾ موضع ضميره تنبيهاً على كفره وتعميماً للحكم ٨، فصار أول السورة

(١) فى ظ: كان (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: لم يجدد (هـ-هـ) من ظ و مد، وفى الأصل: لانه (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: الكفر (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: يساله (٨) أى بالوصف. و آخرها

و آخرها مفهما لأن الفلاح محّص به المؤمنون .

ولما كان الأمر كذلك ، أمر سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم
بالاجتهاد في إنقاذ عباده حتى بالدعاء لله في إصلاحهم^١ ليكون الختم
بالرحمة للمؤمنين ، كما كان الافتتاح بفلاحهم ، فقال عاطفا على قوله
” ادفع بالتي هي احسن “ فانه لا إحسان أحسن من الغفران ، أو على ه
معنى ” قال كم لبثتم “ الذي بينته^٢ قراءة^٣ ابن كثير و حمزة و الكسائي
بالأمر : ” وقل “ ، أو يكون التقدير : فأخلص العبادة له (و قل) لأجل
أن أحدا لا يقدره حق قدره : (رب) أيها المحسن إلى
(اغفر و ارحم) أي أكثر من [تعليق - ٤] هاتين الصفتين في أمي
لتكثرها ، فان في ذلك شرفا لي ولهم ، فانت خير الغافرين ١٠
(و انت خير الرحمن) فنرحمته أفلح بما توقعه له من امثال ما
أشرت إليه أول السورة ، فكان من المؤمنين ، فكان من الوارثين الذين
يرثون الفردوس هم فيها خالدون ، فقد انطبق على الأول هذا الآخر
بفوز كل مؤمن ، و خيبة كل كافر ، نسأل الله تعالى أن يكون لنا أرحم
راحم و خير غافر ، إنه المتولى للسرائر^٥ ، و المرجو لإصلاح الضمائر - آمين . ١٥

(١) زيدت الواو في الأصل ، ولم تكن في ظ و مد فحذفناها (٢) زيد في ظ :

في (٣) راجع نثرالمرجان ٤ / ٨٤ هـ (٤) زيد من ظ و مد (هـ) من ظ و مد ،

وفي الأصل : السراير (٦) - نقط من ظ و مد .

سورة النور

مقصودها مدلول اسمها المودع قلبها المراد منه أنه تعالى شامل العلم ،
 اللازم منه تمام القدرة ، اللازم منه إثبات الأمور على غاية الحكمة ،
 اللازم منه تأكيد الشرف للنبي صلى الله عليه وسلم ، اللازم منه
 ٥ شرف من اختاره لصحبته على منازل قريبهم منه واختصاصهم به ، اللازم
 منه غاية النزاهة والشرف والطهارة لآل المؤمنين عائشة رضى الله عنها
 التي مات النبي صلى الله عليه وسلم وهو عنها راض ، وماتت هي
 رضى الله عنها صالحة محسنة ، وهذا هو المنعكود بالذات ولكن لإثباته
 محتاج^١ إلى تلك المقدمات (بسم الله) الذى تمت^٢ كلمته فبهرت^٣ قدرته
 ١٠ (الرحمن) الذى ظهرت الحقائق كلها بشمول رحمته (الرحيم) الذى
 شرف من اختاره بخدمته .

لما تقدم فى التى^٤ قلبها تحريم الزنا والحث على الصيانة ، وختم
 تلك الآية بذكر الجنة المتضمن للبعث ، [استدل عليه وذكر ما يتبعه
 من تهديد وعمل إلى أن فرغت السورة - ٦] وأخبر فى آخرها بقبكيت
 (١) الرابعة والعشرون من سور القرآن الكريم ، مدنية وهى اثنتان وستون
 آية ، وقيل : أربع وستون آية - راجع روح المعاني ٢/٦ (٢-٢) من ظ ومد ،
 وفى الأصل : اثبات يحتاج (٣-٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : حكته وفهت .
 (٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : لخدمته (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل :
 الذى (٦) زيد من ظ ومد .

المعاندین يوم الندم^١ بقوله "الم تكن ایتى تلى علیکم فکنتم بها تکذبون" وبقوله "الحسبتم انما خلقکم عبثاً" کل ذلك رحمة منه لخلقہ لیرجع منهم من قضی بسعادته، ثم ختم بقوله "وانت خیر الراحمین" فابتداً سبحانه هذه السورة بأنه من علی المخاطبین بیان ما خلقوا له من الاحکام لانهم لم یخلقوا سدى، بل لتکالیف تعبدهم بها ترفع^٢ التنازع وتحمس له مادة الشر، فتوجب الرحمة والعطف بسلامة الصدر بما فیهم من الجنسية، فقال مخبراً عن مبتدأ تقديره: [هذه - ٢] (سورة) أى عظيمة، ثم رغب^٣ فی امثال^٤ ما فیها میناً أن تنوینها^٥ للتعظیم بقوله: (وازلناها) [أى - ٢] بما لنا / من العظمة وتمام العلم والقدرة (وفرضناها) أى ٦١٩ / قررناها وقدرناها وأكثرنا فیها من القروض وأکدناها^٦ (وازلنا فیها) ١٠ یشمول علینا (اینت) من الحدود والاحکام والمواظ و الامثال وغیرها، مبرهننا علیها (بینت) لا إشکال فیها رحمة منا لکم، فنقلها دخل فی دعوة نبینا صلی الله علیه وسلم الی لقاء إیابا فی آخر تلك فرحه خیر الراحمین، ومن أبابا ضل فدخل فی التبکیت بقولنا "الم تكن ایتى تلى علیکم" و^٧ نحوه، وذلك^٨ معنی قوله: (لعلکم تذكرونه) ١٥ أى لتکونوا - إذا تأملتوهم^٩ مع ما قبلها^{١٠} من الآیات المرققة والقصص

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: النداء (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: برفع.

(٣) زيد من ظ و مد (٤-٥) من ظ و مد، وفى الأصل: بامثال (٥) من ظ

و مد، وفى الأصل: تنوینها (٦) فى ظ: اکدنا (٧-٨) فى ظ: نحو ذلك.

(٨) زيد فى ظ: أى السورة (٩) من ظ و مد، وفى الأصل: فیها.

المحذرة - على رجاء^١ - عند من لا يعلم العواقب - من أن تتذكروا^٢ ولو
وعا من التذكر - كما أشار إليه الإدغام - بما ترون فيها من الحكم
أن الذي نصبها لكم وفصلها إلى ما ترون لا يترككم^٣ سدى ، فقبلوا على
جميع أوامره ، وتنتهوا عن زواجره ، ليغفر لكم ما قصرتم فيه من
طاعته . و يرحمكم بقبول ما لا وصول لكم إليه إلا برحمته^٤ ، وتذكروا
أيضا بما بين لكم من الأمور ، ويكشف عنه الغطاء من الأحكام
التي أغمت عنها حجب النفوس ، وسترها ظلمات الأهوية^٥ - ما جبل
عليه الآدميون ، فعملوا أن الذي تحبون أن يفعل معكم بحب غيركم أن
تفعلوه^٦ معه ، و الذي تكرهونه من ذلك يكرهه غيركم . فيكون ذلك
حاملا لكم على النصفة فيشر الصفاء ، و الألفة و الوفاء . فتكونوا^٧ من
المؤمنين المفلحين الوارثين الداخلين في دعوة البشير [النذير -^٨] بالرحمة .
وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير في برهانه : لما قال تعالى
”والذين هم لفروجهم حفظون“ - الآية ثم قال تعالى ”فمن ابغى
وراء ذلك فاولئك هم الخدون“ استدعى الكلام بيان حكم العادى في
ذلك ، ولم يبين فيها فأوضحه في سورة النور فقال تعالى ”الزانية والزاني“ -
الآية . ثم اتبع ذلك بحكم اللعان و القذف و انجر مع ذلك الإخبار

- (١) بياض في الأصل ، ملأناه من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل :
تذكروا (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : لا يترككم - كذلك (٤) من ظ و مد ،
وفي الأصل : برحمته منه (هـ) في ظ : الأهوية (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل :
تفعلوه (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : تكونوا (٨) زيد من ظ و مد .

بقصة الإفك^١ تحذيرا للمؤمنين من زلل الألسنة رجما بالغيب " وتحسبونه
هينا وهو عند الله عظيم " واتبع ذلك^٢ بعد بوعيد^٣ بحبى شياع القاحشة
في المؤمنين بقوله تعالى " ان الذين يرمون المحصنات الغفلة المؤمنات "
الآيات ، ثم بالتحذير^٤ من دخول البيوت إلا بعد الاستئذان المشروع ،
ثم بالامر بنقض^٥ الأبصار الرجال والنساء ونهى النساء عن إبداء الزينة ه
إلا لمن سمى الله سبحانه في الآية ، وتكررت هذه المقاصد في هذه السورة
إلى ذكر حكم العورات اثلاث ، ودخول بيوت الأقارب وذوي الأرحام ،
وكل هذا مما تبرأ ذمة المؤمن بالتزام ما أمر الله فيه من ذلك والوقوف
عند ما حذره تعالى من أن يكون من العابدين المذمومين في قوله تعالى
" فمن اتبع وراه ذلك فاولئك هم الغدون " . وما تخلل الآي^٦ / المذكورات ١٠ / ٦٢٠
ونسق عليها بما ليس من الحكم المذكور فلاستجرا^٧ الآي إياه واستدعائه ،
ومظنة استيفاء ذلك وبيان ارتباطه التفسير ، وليس^٨ من شرطنا هنا -
والله سبحانه وتعالى يوفقنا لفهم^٩ كتابه - انتهى .

ولما كان مبنى هذه الدار على الأنساب في التوارث والإمامة^{١٠}
والنسكاح وغير ذلك ، ومبنى تلك الدار على الأعمال لقوله تعالى ١٥

- (١) زيدت الهاء في الأصل ، ولم تكن في ظ و مد فحذفناها (٢-٣) في ظ :
نوعيد (٣) في ظ : التحذير (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : الآيات (٥) من
ط و مد . وفي الأصل : فلاستجرا (٦-٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : من .
(٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : لهم (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : الإباحة .

”فلا انساب بينهم يومئذ“ وكان قد حث في آخر تلك على الستور والرحمة، سخر سبحانه ‘رحمة منه في‘ أول هذه من لبس الانساب، وكسب الاعراض وقطع الاسباب، معلما أن الستور والرقعة ليسا على عمومهما، بل على [ما - ٢] يحده سبحانه، فقال مخاطبا للامة ومن بقيمته: (الزانية) وهي من فعلت الزنا، وهو إيلاج فرج في فرج مشتهى طبعاً محرم شرعاً، وقدها لأن أثر الزنا يبدو عليها من الحبل وزوال البكارة، ولأنها أصل الفتنة بهتك ما أمرت به من حجاب التستر والتصون والتحذر (و الزاني) .

ولما كان ”ال“ بمعنى الاسم الموصول، أدخل الفاء في الخبر فقال: ١٠ (فاجلدوا) أى فاضربوا وإن كان أصله ضرب الجلد بالسوط الذى هو جلد (كل واحد منهما) إذا لم يكن محصناً، بل كان مكلفاً بكراً - بما بينته السنة الشريفة (مائة جلدة م) فبدأ بحمد الزنا المشار إليه أول تلك بقوله تعالى ” فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون “ وفى التعبير بلفظ الجلد الذى هو ضرب الجلد إشارة إلى أنه لا يكون مبرحاً ١٥ بحيث يتجاوز الألم إلى اللحم .

ولما كان هذا ظاهراً^٢ فى ترك الشفقة عليهما، صرح به

(١-١) فى ظ: رحمته من (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: ليست (م) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: يسموبه - كذا (ه) من ظ و مد، وفى الأصل: لهتك (٦) فى ظ: الضون (٧) فى ظ: ظاهر.

لأن من شأن كل من يجوز على نفسه الوقوع في مثل ذلك أن يرحمها فقال:
 ﴿ولا تأخذكم﴾ أى على حال من الأحوال ﴿بهما راقة﴾ أى لين،
 ولعله عبر بها^١ إعلاما بأنه لم يته عن مطلق الرحمة، لأن الرافة أشد
 الرحمة أو أرقها وتكون^٢ عن أسباب من المروء به، وكذا قوله:
 ﴿في دين الله﴾ أى الذى شرعه لكم الملك المحيطة بصفات الكمال - إشارة هـ
 إلى أن المنوع منه رحمة تؤدي إلى ترك الحد أو شيء منه أو التهاون به
 أو الرضى عن متهمه^٣ لارقة القلب المطبوع عليها البشر كما يحكى عن
 أبى الدرداء^٤ رضى الله عنه أنه بكى يوم فتحت قبرص وضربت رقاب
 ناس من أسراها فقبل له: هذا يوم سرور، فقال: هو كذلك، ولكنى
 أبكى رحمة هؤلاء العباد الذين عصوا الله فخذلهم وأمكن منهم . ١٠
 ولما علم سبحانه ما طبع عليه عباده من رحمة بعضهم لبعض لحث
 على هذا الحكم بالامر والنهى، زاد فى التهييج إليه والحض عليه بقوله:
 ﴿ان كنتم﴾ أى بما هو كالجبل التى لا تنفك ﴿تؤمنون بالله﴾ أى
 الملك الاعظم الذى هو أرحم الراحمين، فما شرع ذلك إلا رحمة للناس
 عموما وللزانيين خصوصا، فنقص سوطا^٥ فقد ادعى أنه أرحم منه، ١٥
 ومن زاد سوطا^٦ فقد ظن أنه أحكم وأعظم منه .

٦٢١ /

(١-١) من ظ ومد، وفى الأصل: فى قوله (٢) من ظ ومد، وفى الأصل:
 بهما (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: يكون (٤) فى ظ: على (٥) من ظ ومد،
 وفى الأصل: تنهكه (٦) راجع حلية الأولياء ١/ ٢١٦ و ٢١٧ (٧) من ظ
 ومد، وفى الأصل: شرطا .

و لما ذكر^٢ بالإيمان الذى من شرطه التزام^٣ الأحكام، وكان الرجاء غالباً على الإنسان، أتبعه ما يرهبه فقال : ﴿ واليوم الآخر ﴾ الذى يحاسب فيه على^٤ التقير و القطمير و الخنى و الجلى . و لما كان الخزي و الفضيحة أعظم عند بعض الناس من ضرب السيف^٥ فضلاً عن ضرب السوط قال : ﴿ و ايشهد ﴾ أى يحضر حضوراً تاماً ﴿ عذابها طآفة ﴾ أى جماعة يمكن إطاقتها أى تحملها و حقوفها بكل^٦ منها ﴿ من المؤمنين ﴾ العريقين إشهاراً^٧ لآمرهما نكالا لهما ، [و -^٨] عن نصر بن علقمة أن ذلك ليدعى^٩ لهما بالتوبة و الرحمة . و فى كل [هذا -^٨] إشارة ظاهرة إلى أن إقامة الحدود و الغلظة فيها من رحمة سبحانه المشار إليها بقوله ١٠ " و انت خير الرحمن " .

و لما كان [فى -^٨] ذلك من الغلظة على الزانى لما^{١١} ارتكب [من -^٨] الحرام المتصف بالعار ما يفهم بجانبه ، صرح به ، مانعاً من نكاح المتصف بالزنا من ذكر و أنثى ، إعلالاً بأن وطئ من اتصف به من رجل أو امرأة لا يكون إلا زناً و إن كان بمقد ، فقال واصلاً له بما^{١٢} قبله :

(١) العبارة من هنا إلى « يرهبه نقال » وقعت فى الأصل بعد « التى لاتنفك » ص ٢٠٥ س ١٤ ، و الترتيب من ظ و مد (٢) زيد فى الأصل : يومر - كذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفها (٣) فى ظ : الزام (٤) من ظ و مد - وفى الأصل : فى (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : السرف (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : وكل (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : اشتهاراً (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد و روح المعانى ٩/٦ ، وفى الأصل : الحكمة ان يدعى . (١٠) فى ظ : بما (١١) من ظ و مد ، وفى الأصل : لما .

(الزاني لا ينكح) أى لا يتزوج (الزانية أو مشركة^١) أى المعلوم
 اتصافه بالزنا مقصور^٢ نكاحه على زانية أو مشركة، وذلك محرم، فهذا
 تنفير للسلسلة عن نكاح المتصف بالزنا حيث سويت بالمشركة إن عاشرته،
 وذلك يرجع إلى أن^٣ من نكحت زانيا فهي زانية أو مشركة، أى فهي
 مثله أو شر منه، ولو اقتصر على ذلك لم يكن منع من أن ينكح العفيف
 الزانية، فقال تعالى مانعا من ذلك: (و الزانية لا ينكحها) أى لا يتزوجها
 (الازان أو مشركة^٤) [أى - ٢] والمعلوم اتصافها بالزنا مقصور نكاحها
 على زان أو مشرك، وذلك محرم فهو تنفير للأسلم أن يتزوج من اتصفت
 بالزنا حيث سوى في ذلك بالمشرك، وهو يرجع إلى أن من نكح^٥
 زانية فهو زان أو مشرك، أى^٦ فهو مثلها أو شر منها، وأسند النكاح
 في الموضعين إلى الرجل تنبيها إلى أن النساء لاحق لهن في مباشرة العقد؛
 ثم صرح بما أفهمه صدر الآية بقوله مبينا للفعول لأن ذلك يكفي^٧ المؤمن
 الذي^٨ الخطاب معه: (و حرم ذلك) أى نكاح الزاني و الزانية تحرهما
 لا مشنوية فيه (على المؤمنين^٩) و علم من هذا أن ذكر [المشرك و - ٢]
 المشركة لزيادة التنفير، ثم إن هذا الحكم فسخ كما قال إمامنا الشافعي
 رحمه الله موافقة لابن المسيب^{١٠} بقوله تعالى "وانكحوا الايامى منكم"
 وهو جمع أيم وهو من لا زوج له من الذكور و الإناث، فأحل للزاني
 (١) من ظ و مد، وفي الأصل: مقصود (٢) سقط من ظ و مد (٣) زيد من
 ظ و مد (٤) في ظ: ينكح (٥) في ظ: أو (٦-٦) في ظ: الرء من (٧) راجع
 معالم التنزيل بهامش الباب ٥ / ٤٠.

أن ينكح من شاء ، و للزانية أن تنكح من^١ شاءت ، و قراءة من قرأ
 ”لا ينكح“ بالنهى راجعة إلى هذا ، لأن الطلب قد يحىء للخبر كما
 يحىء الخبر للطلب - والله أعلم ؛ قال الشافعى رحمه الله تعالى و رضى
 عنه فى الأم فى جزء مترجم بأحكام القرآن^٢ و فى جزء بعد كتاب
 الحج الكبير و الصغير و الضحايا : ما جاء فى نكاح^٣ المحذنين ، فذكر الآية
 و قال : اختلف أهل التفسير فى هذه الآية اختلافا متباينا ، أخبرنا مسلم
 ابن خالد عن ابن^٤ جريج عن مجاهد أن هذه الآية نزلت فى بغايا من
 بغايا الجاهلية كانت على منازلهن رأيات ، قال فى الجزء الآخر : و كن
 غير^٥ محصنات ، فأراد / بنض المسلمين نكاحهن فنزلت الآية بتحريم أن
 ٦٢٢ / ١٠ ينكحن^٦ إلا من أعلن بمثل [ما -^٧] أعلن به أو مشركا^٨ ، و قيل : كن
 زواني مشركات فنزلت^٩ لا ينكحن^{١٠} إلا زان مثلهن [مشرك -^{١١}] ،
 أو مشرك و إن لم يكن زانيا ، و حرم ذلك على المؤمنين ، و قيل : هى
 عامة ولكنها نسخت ، أخبرنا سفيان عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن
 المسيب أنه قال : هى منسوخة نسختها ”وانكحوا الإيامي منكم“ فهى
 من أباى المسلمين ، فهذا كما قال ابن المسيب إن شاء الله تعالى ، و عليه

(١) فى ظ : ما (٢) راجع مسند الإمام الشافعى بهامش الأم ٢٢٤/٦ (٣) من
 ظ و مد و الأم ١٠/٥ ، و فى الأصل : نشا (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد
 و الأم ، و فى الأصل : خير (٦) من ظ و مد و الأم ، و فى الأصل : ينكحن ،
 و العبارة من بعده إلى ”لا ينكحن“ ساقطة من ظ (٧) زيد من مد و الأم .
 (٨) من الأم ، و فى الأصل و مد : مشرك (٩) من الأم ، و فى الأصل و مد : فنزل .
 (١٠) زيد من الأم .

دلائل من الكتاب و السنة ، ثم استدل على فساد غير هذا القول بأن الزانية إن كانت مشركة فهي محرمة على زناة المسلمين و غير زناتهم بقوله تعالى "ولا تتكفوا المشركت حتى يؤمن" - الآية ، و لاختلاف في ذلك ، و إن كانت مسلمة فهي بالإسلام محرمة على جميع المشركين بكل نكاح بقوله تعالى "فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن" و لاختلاف في ذلك أيضا ، و بأنه لا اختلاف بين أحد من أهل العلم أيضا في تحريم الوثنيات عفاف كن أو زواني على من آمن زانيا كان أو عفيفا ، و بأن النبي صلى الله عليه وسلم جلد بكرا في الزنا و جلد امرأة و لم نعلمه^١ قال للزاني : هل لك زوجة فتحرم عليك إذا زنت ، و لا يتزوج^٢ هذا الزاني و لا الزانية إلا زانية أو زانيا ، [بل -^٣] ١٠ قد يروى^٤ أن رجلا شكى من امرأته فجورا فقال : طلقها ، قال : إني أحبها ، قال : استمتع بها - يشير إلى ما رواه أبو داود و النسائي [و غيرهما -^٥] عن ابن عباس رضي الله عنهما^٦ أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن امرأتى لا تمنع يد لامس ، قال : طلقها ، قال : [إني -^٧] لا أصبر عنها ، قال ، فأمسكها . و رواه البيهقي و الطبراني من حديث جابر رضي الله عنه ، [و -^٨] قال شيخنا ابن حجر : إنه حديث حسن صحيح - [انتهى . قال الشافعي -^٩] : و قد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه

(١) في ظ : بأن (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : لم نعمه (٣) في ظ : لا تتزوج . (٤) زيد من ظ و مد (٥) في ظ : روى (٦) العبارة من هنا إلى « لا أصبر عنها » سابقة من مد (٧) زيد من ظ و سنن النسائي ٥٤٨ .

قال لرجل^١ أراد أن ينكح امرأة أحدثت: انكحها نكاح العفيفة المسئلة
 - انتهى بالمعنى . و قال في الجزء الذي بعد الحج^٢: فوجدنا الدلالة عن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في زانية وزان من المسلمين لم نعله حرم
 على واحد منهما أن ينكح غير زانية ولا زان، ولا حرم واحدا^٣ منهما
 ٥ على زوجه؛ ثم قال: فالاختيار للرجل أن لا ينكح زانية وللراة أن
 لا تنكح زانيا، فان فعلا فليس ذلك بحرام على واحد منهما، ليست
 معصية واحد منهما في نفسه تحرم عليه الحلال إذا أتاه، ثم قال: وسواء
 حد الزاني منهما أو لم يحد، أو قامت عليه بينة أو اعترف، لا يحرم زنا
 واحد منهما ولا زناهما ولا معصية من المعاصي الحلال إلا أن يختلف^٤
 ١٠ دينهما بشرك وإيمان - انتهى . وقد علم أنه لم يرد أن هذا الحكم نسخ
 بآية الأيامي فقط، بل بما انضم إليهما من الإجماع وغيره من الآيات
 والاحاديث بحيث صير ذلك دلالتها على ما تناوله متيقنا كدلالة
 الخاص على ما تناوله، فلا يقال: إن الشافعي رحمه الله خالف أصله في
 أن الخاص لا ينسخ بالعام، لأن ما تناوله الخاص متيقن، وما تناوله
 ١٥ العام / ظاهر مظنون، وكان هذا الحكم - وهو الحرمة في أول الإسلام
 بعد الهجرة - لثلا يغلب حال المفسد على المصلح فيختل بعض الأمر
 كما أشير إليه في البقرة عند "ولا تنكحوا المشركت" - الآية^٥، وفي

(١) زيد في ظ: إذا (٢) ١٠/٥ (٣) من الأم، وفي الأصول: واحد .

(٤) من ظ ومدو الأم، وفي الأصل: يختلفا (٥) ٢٢١ .

المائدة عند " ومن يكفر بالآيمان فقد حبط عمله " ١ " وهو من وادى قوله ٢ :

عن المرأة لا تسأل و سل عن قرينه فكل خليل بالمخالل يقتدى
والجنسية علة الضم ، و المشاكلة سبب المواصله ، و المخالفة توجب المباحة
و تحرم المؤالفة ، و قد روى أبو داود في الآداب ٢ و الترمذى في الزهد ٥
- وقال : حسن غريب - عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال : الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل . و روى
الإمام أبو يعلى ٥ الموصلى في مسنده قال : حدثنا يحيى بن معين حدثنا سعيد
ابن الحكم حدثنا يحيى بن أيوب حدثني يحيى بن سعيد عن عمرة بنت
عبد الرحمن قالت : كانت امرأة بمكة مزاحمة ، [يعنى - ٦] فهاجرت إلى ١٠
المدينة الشريفة ، فزلت على امرأة شبه لها ، فبلغ ذلك عائشة رضى الله
عنها فقالت : صدق حبي ! سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ٧ و ما تناكر منها اختلف .
قال : و لا أعلم إلا قال في الحديث : و لا تعرف ٨ تلك المرأة ، و سيأتى
عند " و الطيبات اللطيفين " تخريج ٩ الأرواح جنود مجندة ، و قال ١٥
الإمام أبو بكر أحمد بن ٩ مروان ١ الدينورى في كتاب المجالسة : حدثنا

(١) آية ٥ (٢) البيت لعدى بن زيد - راجع عيون الأنباء ٣/ ٧٩ (٣) ١٨٥/٢ .
(٤) ٢٨٧ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : أبو يحيى - خطأ ، و الحديث الآتى
ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٨/ ٨٨ برواية أبي يعلى و قال : رجاله
رجال الصحيح (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد و الجمع ، و فى
الأصل : ائتلفوا (٨) من ظ و مد و الجمع ، و فى الأصل : لا تعرف (٩) سقط
من ظ و مد (١٠) التوفى ٣١٠ هـ (١١) راجع كشف الظنون ٢/ ٣٧٨ .

أحمد بن علي الحزاز حدثنا مصعب بن عبد الله عن أبي غزية الأنصاري قال :
قال الشعبي^١ : يقال : إن لله ملكا موكلا بجمع^٢ الأشكال بعضها إلى بعض -
انتهى . و عزاه شيخنا الحافظ أبو الفضل ابن حجر في تخریج أحاديث
مسند الفردوس^٣ إلى أنس رضي الله عنه وقال : بتأليف الأشكال .
هـ و يروى أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه خطب أهل الكوفة
بعد ثلاثة أيام^٤ من مقدمه^٥ عليهم^٦ فقال : يا أهل الكوفة ، قد علمنا
شراركم من خياركم ، فقالوا : كيف و ما لك إلا ثلاثة أيام ؟ فقال : كان
معنا شرار و خيار ، فانضم خيارنا إلى خياركم ، و شرارنا إلى شراركم ،
فلما تقررت الأحكام ، و أذن الخاسر و العاثر ، و ضرب الدين بجرانه ،
١٠ و لم يخش وهي شيء من بنيانه ، نسخت الحرمة ، و بقيت الكراهة
أو خلاف الأولى - والله الموفق . و هذا كله توطئة لبرائة عائشة أم
المؤمنين رضي الله عنها كما يأتي إيضاحه عند " والطيبات للطيبين "
لأنها قرينة خير العالمين و أتقاهم و أعفاهم ، و لأن كلا منها و من صفوان
رضي الله عنهما بعيد عما رمى به شهير بضده ، و إليه الإشارة بقول النبي
١٥ صلى الله عليه و سلم : من يعذرنى من^٧ رجل بلغ أذاه في أهلى ، و الله
/ ما علمت على أهلى إلا خيرا . و لقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا .

/ ٦٢٤

(١) راجع كشف الخفاء ٢٩٣/١ (٢) من ظ و مد و الكشف ، و في الأصل :
بجمع (٣) راجع الحديث رقم ٣٣٨٠ (٤ - ٤) من ظ و مد ، و في الأصل :
في مقدمه (٥) في ظ : عليه (٦) زيد في الأصل : أثرها ، و لم تكن الزيادة في
ظ و مد فحذفناها (٧) من صحيح البخاري ٦٩٧/٢ ، و في الأصول : في .

وفي رواية^١: ما علمت عليه من سوء قط، ولا دخل يتي قط إلا وأنا حاضر. وبقول^٢ عائشة رضي الله عنها عن صفوان رضي الله عنه: إنه قتل شهيدا في سبيل الله. وهذا سوى الآيات المصرحة والأعلام المفصلة^٣، فهو "والطيون" تلويح قبل بيان، وتصريح وإشارة بعد عبارة وتوضيح، ليجتمع في براءة الصديقة رضي الله عنها دليلان عقليان هـ شهوديان، اكتفا الدليل النقل^٤ فكانا سورا عليه، وحفظا من تصويب طعن إليه، وفي ذلك من نخامة^٥ أمرها وعظيم قدرها ما لا يقدره حق قدره إلا الذي خصها به.

ولما تقر^٦ سبحانه من نكاح من اتصف بالزنا من رجل أو امرأة، وبدأ - لأن نكاح المرأة للزاني مظنة لزناها - بتنفير^٧ الإناث بما^٨ يوم جواز ١٠ إطلاق الزنا عليهن بمجرد نكاح من علم زناه، وذلك بعد أن ابتدأ في حد الزنا بالآتي أيضا لأن زناها أكبر^٩ شرا، وأعظم فضيحة وضرا، عطف على ذلك تحريم القذف بما يوجب تعظيم الرغبة في الستر وصيانة الأعراض وإخفاء الفواحش، فقال ذا كرا الجمع لأن الحكم بإقامة الحد عليه

(١) راجع صحيح البخاري ٦٩٩/٢ (٢) راجع صحيح البخاري ٧٠٠/٢ (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: المفحص (٤) في ظ: شهوديا (هـ) من مد، وفي الأصل و ظ: النقل (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: نخامة - كذا (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: تقرر (٨-٨) من ظ و مد، وفي الأصل: الزنا كما - كذا (٩) من ظ و مد، وفي الأصل: لا (١٠) من ظ و مد، وفي الأصل: أكثر.

فهم إقامة الحد على الواحد من باب الأولى ولا إيهام فيه لأن الجمع - ' [
 إننا قول بالجمع أنهم التوزيع : (والذين يرمون) أى بالزنا (المحصنت)
 جمع محصنة ، وهى هنا المسئلة الحرة المكلفة العفيفة ، والمراد القذف
 بالونا [بما - '] أرشد إليه السياق سابقا ولاحقا ، ذكورا كان الرامون
 ه أو إناثا بما أفهمه الموصول^٢ ، وخص الإناث وإن كان الحكم عاما
 للرجال تنبيها على عظيم حق أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، ولأن
 الكلام فى حقهن أشنع .

و لما كان إقدام المجترئ على القذف - مع [ما - '] شرطه^٢ فيه لدره^١
 الحد إرادة الستر - بعيدا ، أشار إليه بأداة التراخى فقال : (ثم لم ياتوا)
 ١٠ أى إلى الحاكم (باربعة شهداء) ذكور^٣ (فاجلدوهم) أيها المؤمنون
 مني الإثمة و نواهم (ثمانين جلدة) لكل واحد منهم ، لكل محصنة ،
 ١١ لم يكن القاذف أصلا . إن كانوا أحرارا^٤ ، و حده^٥ العبد نصف ذلك
 الآية^٦ النساء^٧ فعليهن نصف ما على المحصنت من العذاب ، فهذه الآية
 مخصوصة بتلك إذ لا فرق بين الذكر والانثى ولا بين حـد الزنا وحـد
 ١٢ القذف (ولا تقبلوا لهم) أى بعد قذفهم على هذا الوجه (شهادة)

(٤) زيد من ظ و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٣) من مد ،
 وفى الأصل و ظ : شرط (٤) فى ظ : كدره (٥) فى مد : ذكورا .
 (٦) فى ظ : إذا (٧) فى مد : أحرار (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : جلدة .
 (٩) رقم ٢٥ .

[أى شهادة كانت - ١] (ابداء) للحكم بإفرائهم ، و من ثبت إفراؤه سقط الوثوق بكلامه^٢ .

و لما كان التقدير: فانهم قد إفروا ، عطف عليه تحذيرا من الإقدام عن غير ثبت : (واولئك) أى الذين^٣ تقدم ذمهم بالقذف فتفقت^٤ رتبهم جدا (هم الفسقون^٥) أى المحكوم بفسقهم الثابت لهم هذا الوصف^٥ و إن كان القاذف منهم محقا في نفس الامر .

و لما كان من أصل الشافعى رحمه الله أن الاستثناء المتعقب للجمل المتواصلة المتعاطفة بالواو عائد^٦ إلى الجميع سواء كانت من جنس أو أكثر إلا إذا منعت قرينة ، أعاد الاستثناء هنا إلى الفسق و رد الشهادة دون الحكم بالجلد ، لأن من تمام التوبة الاستسلام^٧ للحد و^٨ الاستحلال / منه ، ١٠ / ٦٣٥ [و - ١] لقرينة كونه حق آدمى و هو لا يسقط بالتوبة ، في قوله تعالى : (الا الذين تابوا) أى رجعوا عما وقعوا فيه من القذف و غيره و ندموا عليه و عزموا على أن لا يعودوا كما بين في البقرة في قوله تعالى " الا الذين تابوا و اصلحوا و بينوا " و أشار إلى أن الجلة لا يسقط بالتوبة بقوله مشيرا بادخال الجار إلى أن قبولها لا يتوقف على استعراقها الزمان^٩ ١٥ الآتى : (من بعد ذلك) أى الامر الذى أوجب إعادهم و هو الرمي

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : بكلام (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : كالذين (٤) من مد ، وفي الأصل : فسقت ، و الكلمة ساقطة من ظ (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : عابدا (٦-٧) من مد ، وفي الأصل : للجلد او ، وفي ظ : للحد او (٧) آية ١٦٠ .

والجلد ، فان التوبة لا تغير حكم الرامى فى الجلد ، وإنما تغيره فى رد الشهادة وما تسببت عنه وهو الفسق ، وأشار إلى شروط التوبة بقوله : (واصلحوا) [أى - ٢] بعد التوبة بمضى مدة يظن بها حسن الحال ، وهى سنة يعتبر بها حال التائب بالفصول الأربعة التى تكشف الطباع .

٥ ولما كان استنناؤهم [من رد الشهادة و الفسق ، فكان التقدير : فاقبلوا شهادتهم ولا تصفوم - ٢] بالفسق ، عله بقوله : (فان الله) أى الذى له صفات الكمال (غفور) أى ستور لهم ما أقدموا عليه لرجوعهم عنه (رحيم) أى يفعل بهم من الإكرام فعل الراحم بالمرحوم فى قبول الشهادة .

١٠ ولما كان لفظ المحصنات عاما للزوجات ، وكان لمن حكم غير ما تقدم ، أخرجهن بقوله : (و الذين يرمون) أى بالزنا (ازواجهم) أى من المؤمنات الأحرار و الإماماء و الكافرات (ولم يكن لهم) بذلك (شهداء الآ انفسهم) وهذا يفهم أن الزوج إذا كان أحد الأربعة كفى ، لكن يرد هذا المفهوم كونه حكاية واقعة لاشهود فيها ، وقوله ١٥ فى الآية قبلها " ثم لم ياتوا بأربعة شهداء " فانه يقتضى كون الشهداء غير الرامى ، ولعله استثناء من الشهداء لأن لعانه يكون بلفظ الشهادة ، ومذهب الشافعى رضى الله عنه أنه لا يقبل فى ذلك على زوجته - قال ابن الرفعة فى الكفاية : - لامرين : أحدهما أن الزنا تعرض لمحل حق

(١) فى ظ : اما (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : تسبب (٣) زيد من ظ و مد (٤) هو أحمد بن محمد بن على الأنصارى أبو العباس نجم الدين المعروف =

الزوج (٥٤)

الزوج^١، فان الزاني مستمتع بالمنافع المستحقة له، فشهادته^٢ في صفتها تتضمن^٣ لإثبات جناية الغير على ما هو مستحق له فلم تسمع، كما إذا شهد أنه جنى على عبده، والثاني أن من شهد بزنا زوجته فنفس شهادته تدل^٤ على إظهار العداوة، لأن زناها يوغر صدره بتلطيف فراشه وإدخال العار عليه وعلى ولده، وهو أبلغ في العداوة من مؤلم الضرب^٥ وفاحش السب، قال القاضي الحسين: وإلى هذه العلة أشار الشافعي رحمه الله وهي التي حكاهما القاضي أبو الطيب في باب حد قاطع الطريق عن الشيخ أبي حامد. (فشهادة أحدم) أي على من رماها (أربع شهودت) من خمس في مقابلة أربعة^٦ شهداء (بالله لا) أي مقرونة بهذا الاسم الكريم الأعظم الموجب لاستحضار جميع صفات الجلال^{١٠} والجمال (أنه لمن الصدقين^٥) أي فيما قذفها به (والخامسة أن لعنة الله) أي الملك الأعظم (عليه) أي هذا القاذف / نفسه (أن كان من الكذابين^٥)
 فيها رماها به، ولأجل قطعه بهذه الأيمان الغليظة بصدقه وحكم الله بخلاصه اتقى عنه الولد، فلزم من نفيه الفرقة المؤبدة [من غير لفظ -^٦]
 لعدم صلاحيتها أن تكون فراشا له، لأن الولد للفراش، ولا يصح^٧ ١٥

= بابن الرفعة، التوفى ٧١٠ هـ نقيه شافعي، من مصنفاته الكفاية في شرح التنبيه - راجع الأعلام ١/ ٢١٣.

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: الفروج (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: بشهادته (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: يتضمن (٤) في ظ و مد: دال (٥) في ظ: أربع (٦) زيد من ظ، مد (٧) زيد في ظ: إن.

اللعان إلا عند حاكم ، و لا يخفى ما فى هذا من الإبعاد عن القذف بوجوب
 مزيد الاحتياط ، لما فى ذلك من التكثير و الاقتران بالاسم الأعظم ،
 و الجمع بين الإثبات و ما يتضمن النفي ، و الدعاء باللعن المبعد لصفة
 المؤمن ، فاذا فعل الزوج ذلك سقط عنه العذاب بحمد القذف ' و أوجه'
 ٥ على المقدوفة ، فلذلك قال تعالى : (و يدروا) أى يدفع (عنها) أى
 المقدوفة (العذاب) أى المعهود ، و هو الحد الذى أوجه عليها ما
 تقدم ' من شهادة الزوج ' (ان تشهد اربع شهدت) من خمس
 (بالله لا) الذى له جميع الاسماء الحسنى و الصفات العلى كما تقدم فى
 الزوج (انه لمن الكذابين) فيما قاله عنها (و الخامسة) من الشهادات
 ١٠ (ان غضب الله) الذى له الأمر كله فلا كفوء له (عليها) و هو
 أبلغ من اللعن الذى هو الطرد ، لأنه قد يكون بسبب غير الغضب ،
 و سبب التغليظ عليها الحث على اعترافها بالحق لما يعضد الزوج من
 القرينة من أنه لا يتجشم^٦ فضيحة أهله المستلزم لفضيخته^٧ إلا و هو صادق ،
 و لأنها مادة الفساد ، و هاتكة الحجاب ، و خالطة الأنساب (ان كان)
 ١٥ [أى كونا راحما - ١] (من الصديقين) أى فيما رماها به ؛ روى
 البخارى فى التفسير^٨ و غيره^٩ عن ابن عباس و غيره رضى الله عنهم أن
 (١) فى ظ : المتباعد (٢ - ٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : فوجه (٣) زيد فى
 الأصل : عن ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفنا (٤) فى ظ : اى .
 (٥ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٦) زيد فى ظ : اى (٧) فى ظ :
 يتجشم (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : لفضيحة (٩) زيد من ظ و مد .
 (١٠) ٦٩١/٢ (١١) مثلا كتاب الشهادات ٣٦٧/١ .

هلال بن أمية رضى الله عنه قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم
 بشريك بن سماء^١ رضى الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ^٢البينة
 وإلا^٣ حدا في ظهرك، قال: يا رسول الله! إذا رأى أحدنا على امرأته
 رجلا ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: البينة
 وإلا حدا في ظهرك، فقال هلال: والذي بعثك بالحق! إني لصادق، ه
^٤و لينزلن^٥ الله ما يرى ظهري من الحد، فأنزل جبريل عليه السلام وأنزل
 عليه "والذين يرمون أزواجهن" فقرأ حتى بلغ "إن كان من الصّديقين"
 فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل إليهما، فجاء هلال فشهد
 والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله يعلم أن أحكما كاذب، فهل
 منكما تائب؟ ثم قامت فشهدت، فلما كانت عند الخامسة وقعوها وقالوا: ١٠
 إنها موجه، فلكأت^٦ ونكصت حتى ظنتا أنها رجع، ثم قالت: لا أفصح
 قومي سائر اليوم. فمضت، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: أبصروها
 فان جاءت به أحكل العينين سابغ الاليتين خدج الساقين فهو لشريك
 ابن سماء^٧، فجاءت به كذلك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لولا ما
 مضى من كتاب الله لكان لى ولها شأن. وقد روى البخارى^٨ أيضا ١٥

عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن سبب نزولها قصة مثل هذه لعويمر،
 وقد تقدم أنه لا يمتنع^٩ أن / يكون للآية الواحدة عدة أسباب

٦٢٧ /

(١) في ظ: سجمه - خطأ (٢ - ٣) سقط ما بين الرقين من مد (٣ - ٣) في
 الصحيح: فلينزلن (٤) في الصحيح: إليها (٥) في مد: فتكلاأت (٦) في ظ:
 سجمه، وفي مد: سجم (٧) راجع الصحيح ٦٩٤/٢ (٨) في ظ: لا يمتنع.

مما أو متفرقة^١ .

ولما حرم الله سبحانه بهذه الجمل الاعراض و الانساب ، فسان
بذلك الدماء و الاموال ، علم أن التقدير : فلولا أنه سبحانه خير الغافرين
و خير الراحين ، لما فعل بكم ذلك ، و افضح المذنبين ، و أظهر سرأثر
المستخفين ، ففسد النظام ، و أطبقتم على التهاون بالاحكام ، فمطف على
هذا الذى علم تقديره قوله : ﴿ ولو لا فضل الله ﴾ أى بما له من الكرم
و الجمال^٢ ، و الاتصاف بصفات الكمال ﴿ عليكم و رحمته ﴾ أى بكم
﴿ و ان الله ﴾ أى الذى أحاط بكل شئ علما و قدرة ﴿ تواب ﴾
أى رجاع بالمعصاة إليه ﴿ حكيم ﴾ يحكم الامور فيمنعها من الفساد بما
١٠ يعلم من عواقب الامور ، لفضح كل عاص ، و لم يوجب أربعة شهداء
سترا لكم ، و لامر^٣ بقوبته بما توجه ممصيته ، ففسد نظامكم ، و اختل نقضكم
و ابرامكم ، و نحو ذلك مما لا يبلغ وصفه ، فتذهب النفس فيه كل
مذهب ، فهو كما قالوا : رب مسكوت عنه أبلغ من منطوق به . ثم علل
ما اقتضته ” لولا “ من نحو : ولكنه لم يفعل ذلك إفضالا عليكم
١٥ و رحمة لكم ، بقوله على وجه التأكيد لما عرف من حال كثير من غضب
الله و لرسوله^٤ من إرادة العقوبة للآفكين بضرب الاعناق ، منها لهم
على أن ذلك يجر إلى مفسدة كبيرة : ﴿ ان الذين جاءوا بالافك ﴾

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : متفرقا (٢) فى ظ : ما (٣ - ٢) سقط ما بين
الرقين من ظ و مد (٤ - ٤) فى مد : ندرة و علما (٥) فى ظ : الامر .
(٦ - ٦) فى ظ : الله و رسوله .

أى أسوأ الكذب لأنه القول المصروف عن مدلوله إلى ضده، المقلوب
 عن وجهه إلى قفاه، وعرف زيادة^١ تبشيع له في هذا المقام، حتى
 كأنه لا إفك إلا هو لأنه في حق أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وهى
 من أحق الناس بالمدح لما^٢ كانت عليه من الحصانة^٣ والشرف والعفة
 والكرم، فمن رماها بسوء فقد قلب الآخر عن أحسن وجوهه إلى أقبح^٥
 ألقائه، وترك تسميتها تزيتها لها عن هذا المقام، إبعادا لمصون^٦ جانبها العلى
 عن هذا المرام^٧ (عصبة) أى جماعة أقلهم عشرة وأكثرهم أربعون،
 فهم لكونهم عصبة يحمى بعضهم لبعض فيشتد أمرهم، لأن مدار مادة
 'عصب'^٨ على الشدة، وهم مع ذلك (منكم^٩) أى ممن يعد عندكم^٩ في
 عداد المسلمين، فلو فضحهم الله في جميع ما أسروه وأعلنوه، وأمركم بأن^{١٠}
 تعاقبهم بما يستحقون على ذلك، لفسدت ذات البين، بجمايتهم لانفسهم
 وهم كثير، وتصب أودائهم لهم، إلا بأمر خارق يعصم به من ذلك كما
 كشفت عنه^{١١} التجربة حين خطب النبي صلى الله عليه وسلم وقال: من
 يعذرنى من رجل بلغ أذاه فى أهلى، حين كادوا يقتلون لولا^{١٢} سكنهم

(١) فى ظ: بزيادة (٢) فى ظ: بما (٣) فى ظ: الخصائص (٤) زيدت الواو فى
 الأصل، ولم تكن فى ظ ومد لحذفها (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: الصون.
 (٦) فى ظ: المقام (٧) زيد فى الأصل: تدور، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد
 لحذفها (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: عنكم (٩) من ظ ومد، وفى
 الأصل: فلولا (١٠) من ظ ومد، وفى الأصل: عند (١١) من مد، وفى
 الأصل: ملوكا، والكلمة سائطة من ظ.

النبي صلى الله عليه وسلم ، فآله سبحانه برحمته بكم يمنع من كيدهم بيان كذبهم ، وبحكمته يستر عليهم ويخفيهم^١ ، لتحسم مادة مكرم ، وتنقطع أسباب ضرهم^٢ .

و لما كان هذا مقتضيا للاهتمام بشأنهم ، أتبعه^٣ قوله ، تحقيرا لامرهم مخاطبا للخلص و خصوصا النبي صلى الله عليه وسلم و أبو بكر و عائشة و أمها و صفوان بن المعطل رضى الله عنهم : ﴿ لا تحسبوه ﴾ أى الإفك ﴿ شرا لكم ﴾^٤ أيها المؤمنون / بأن يصدق أحد^٥ أو تنشأ^٦ عنه فتنة ﴿ بل هو خير لكم ﴾^٧ بثبوت البراءة الموجبة للفخر الذى لا يلحق ، بتلاوتها على مر الدهور بألسنة من لا يحصى من العباد ، فى أكثر البلاد ، و تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم و الصديقين بذلك ، مع الثواب الجزيل ، بالصبر على مرارة هذا القيل ، و ثبوت إعجاز القرآن بعد إعجازه بالبلاغة بصدقه فى صيانة من أثق عليها فى ذلك الدهر الطويل ، الذى عاشته^٨ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم و بعده إلى أن مات رضى الله تعالى عنها أتقى الناس ديانة ، و أظهرهم صيانة ، و أنقاهم عرضا ، و أظهرهم^٩ ١٥ نفسا ، فهو لسان صدق فى الدنيا ، و رفعة منازل^{١٠} فى الآخرة^{١١} إلى غير

(١) فى ظ : يخفيهم (٢) فى ظ : ضربهم (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : يتبعه (٤ - ٥) تكرر ما بين الرقین فى الأصل فقط (٥ - ٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : وينشأ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : عاشت (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : يطهرهم (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : منازل (٩) فى ظ و مد : الاخرى .

ذلك من 'الحكم، التي' رتبها بارئ النسم، من القوائد الدينية
والاحكام والآداب .

ولما كان لا شفاء لغيظ الإنسان أعظم من انتصار الملك الديان له،
علل ذلك بقوله: (لكل امرئ منهم) أى الآفكين (ما) أى جزاء
ما (اكتسب) بخوضه فيه (من الأثم) الموجب لشقائه، وصيغة ه
الافتعال من 'كسب' تستعمل^٢ في الذنب إشارة إلى أن الإثم يرتب^٣
على ما حصل فيه تصميم وعزم قوى صدقه العمل بما فيه من الجد
والنشاط، وتجرد في الخير إشارة إلى أن الثواب يكتب بمجرد فعل
الخير بل ونيته (والذى تولى كبره) أى معظمه باشاعته والمجاهرة
به (منهم له) بما^٤ يخصه لإمعانه في الأذى (عذاب عظيم ه) أى^٥
أعظم من عذاب الباقين، لأنهم لم يقولوا شيئاً إلا كان عليه مثل وزره
من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً، وقصة الإفك معروفة في الصحيح^٦
والسنن وغيرها شهيرة جداً، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم
غزى بنى المصطلق بعد ما أنزلت آية الحجاب، وكانت معه الصديقة
[بنت الصديق -^٧] زوجته أم المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها تحمل^٨
في هودج لها^٩، فافتقدت عقداً لها ليلة فرجعت إلى الموضع الذى تخلت

(١-١) من ظ و مد، وفي الأصل: الختم الذى (٢) من ظ و مد، وفي
الأصل: يستعمل (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: ترتب (٤) من مد، وفي
الأصل و ظ: بما (٥) سقط من ظ و مد (٦) من ظ و مد، وفي الأصل:
الصحيحين، وراجع حديث الإمك من الغاوى (٧) زيد من ظ و مد (٨) سقط من ظ.

فيه فالتمسته ، فرحل النبي صلى الله عليه وسلم وحمل جمالها هودجها وهم
يظنونها^١ فيه ، فلما رجعت فلم تجد أحدا اضطجعت^٢ مكان هودجها رجاء
أن يلبوا بها فيرجعوا ، وكان صفوان بن المعطل^٣ السلي^٤ ثم^٥ الذكواني
رضي الله عنه قد عرس من وراء الجيش ، فأصبح في مكانهم ، فلما رآها
٥ - وكان يراها قبل الحجاب - استرجع وأناخ راحلته فوطئ على يدها ،
ولم يتكلم بكلمة غير استرجاعه ، فركبت أم المؤمنين رضي الله عنها ،
ثم أقبل بها حتى لحق بالجيش وهم نزول في نصف النهار ، فتكلم أهل
الإفاك^٦ ليها رضي الله عنها ، وكان من سمى منهم عبد الله بن أبي
المنافق ، وزيد بن رفاعه ، ومسطح بن أثانة ، وحنينة بنت جحش ،
١٠ وحسان بن ثابت ، قال عروة بن الزبير^٧ : في ناس آخرين لا علم لي
بهم غير أنهم / عصبة كما قال الله تعالى . هكذا ذكروا حسان منهم وأنا
والله لا أظن به^٨ أصلا وإن جاءت تسميته في الصحيح فقد يخطئ
الثقة لأسباب لا تحصى ، كما يعرف ذلك من مارس نقد الأخبار ،
وكيف يظن به ذلك ولاشغل له إلا مدح النبي صلى الله عليه وسلم
١٥ والمدافعة عنه والذم لأعدائه وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن جبريل عليه السلام معه ، فأقسم بالله أن الذي أيده بجبريل^٩ ما كان

/ ٢٢٩

- (١) من ظ و مد ، وفي الأصل : يظنون انها (٢) زيد في الأصل : في ، ولم
تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها (٣-٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : السلي .
(٤) راجع حديث الإفاك - المتأخر من صحيح البخاري (٥) زيد في ظ : ذلك .
(٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : جبريل .

ليكله إلى نفسه في مثل هذه الواقعة ، و قد سبقني إلى الذب عنه الحافظ
عماد الدين ابن كثير^١ الدمشقي رحمه الله وكيف لا ينافح^٢ عنه
و هو القائل :

فان أبي و والده^٣ و عرضي لعرض محمد منكم وقاء

و هو القائل يمدح عائشة رضي الله عنه و يكذب من نقل عنه ذلك : ٥

حصان^٤ رزان ما تزن بريية و تصبح غرثي من لحوم الغوافل

حليمة خير الناس دينا و منصبا نبي الهدى و المكرمات الفواضل

عقيلة حى من لؤى بن غالب كرام المساعى مجدها غير زائل

مehذبة قد طيب الله خيمها و طهرها من كل شين^٥ و باطل

^٦ فان كان ما بلغت غنى قلته^٦ فلا رفعت سوطى إلى أنامل^٧ ١٠

وكيف و ودى ما حيت و نصرقتى لآل رسول [الله-^٨] زين المحافل

له رتب عال على الناس فضلها^٩ تقاصر عنها سورة المتداول

و قال الحافظ أبو عمر^{١٠} ابن عبد البر في الاستيعاب^{١١} : و أنكروا أن يكون

حسان خاض في الإفك و جلد فيه ، و رووا^{١٢} عن عائشة رضي الله عنها

(١) راجع تفسيره : ٢٧٢/٣ (٢) في ظ : يكافح (٣) من ظ و مد و ديوان حسان ،

و في الأصل : والدتي (٤) من ظ و مد و الديوان و البحر المحيط ٤٣٧/٦ ،

و في الأصل : وزان (٥) في الديوان : سوء (٦-٦) في الديوان : فان كنت

قد قلت الذى قد زعمتم (٧) من مد و الديوان و البحر ، و في الأصل : انامل ،

و في ظ : الانامل (٨) زيد من ظ و مد و الديوان و البحر (٩) في الديوان :

كلهم (١٠) في ظ : ابو عمرو - خطأ (١١) راجع ١/ ١٢٧ (١٢) من ظ و مد

و الاستيعاب ، و في الأصل : ورد .

أنها برأته من ذلك - انتهى . واستمر أهل الإفك في هذا أكثر من شهر ، والله تعالى عالم بما يقولون ، وأن قولهم [يكاد -'] يقطع أكباد أحب خلقه إليه^٢ ، وهو قادر على تكذيبهم عند أول ما خاضوا فيه^٣ ، ولكنه سبحانه أراد لناس^٤ رفعة الدرجات ، ولآخرين الهلاك ، فبأمر الله ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم والصدیق وآله رضى الله عنهم وكل من أحبهم وهم^٥ خير الناس ، والله سبحانه وتعالى يملئ للآفكين ويمهلهم ، وكان الحال لعمري كما قال أبو تمام الطائي في قصيدة :

كذا فليجل الخطب^٦ وليفدح^٧ الأمر وليس لعين لم يفض دمعها عذر
و حين سمعت عائشة رضى الله عنها بقول [أهل -'] الإفك سقطت
١٠ مغشيا عليها وأصابها حمى بنافض ، واستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في إتيان بيت أبيها فأذن لها فسألت أمها عن الخبر ، فأخبرتها فاستعبرت وبكت ، وكان أبو بكر رضى الله عنه في عليّة يقرأ فسمع حسها فنزل فسأل أمها فقالت : بلغها الذى ذكر من شأنها ، ففاضت عيناه ، واستمرت هى رضى الله عنها تبكى حتى ظنت أن البكاء فاق كبدها ، وساعدها على البكاء امرأة من / أولى الوفاء والمؤاسة والكرم ١٥ / ٦٣٠

والإيثار ومعالي الشيم : الانصار رضى الله عنهم ، فكانت تبكى معها ، وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة رضى الله عنها جاريتها

(١) زيد من ظ ومد (٢) من ظ ومد ، وفي الأصل : الله (٣) سقط من ظ .
(٤) من ظ ومد ، وفي الأصل : الناس (٥) في ظ : هو (٦ - ٦) من ديوان
الطائي ٣٦٨ ، وفي الأصل : او يفدح ، وفي ظ ومد : او يفدح .

بريرة رضى الله عنها فاستعظمت أن يظن في عائشة رضى الله عنها
 مثل ذلك^١ وقالت^٢: سبحان الله^٣ والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ
 على تبر الذهب الأحمر، وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم [الناس
 على -^٤] المنبر واستعذر بمن تكلم^٥ في أهله وما علم عليهم إلا خيرا،
 وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو الصادق المصدوق - بصلاح •
 صفوان بن المعطل رضى الله عنه^٦ وأنه^٧ ما علم عليه إلا خيرا، فكاد
 الناس يقتلون فسكنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم دخل بعد أن
 صلى العصر على عائشة رضى الله عنها وهى تبكى والإنصارية معها •
 فوعظها، فأجابت وأجادت، فأنزل الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في ذلك المجلس فأخذه ما كان يأخذه^٨ من البرحاء، قالت عائشة ١٠
 رضى الله عنها: فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فوالله ما فزعت
 وما باليت، قد عرفت أنى بريئة، وأن الله غير ظالمى^٩، وأما أبواى
 فوالذى نفس عائشة بيده^{١٠} ما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقا من أن يأتى الله بتحقيق ما قال الناس،
 قالت: فرفع عنه وإنى لآتين السرور في وجهه وهو يمسح عن جبينه ١٥
 العرق ويقول: أبشرى يا عائشة، فقد أنزل الله براءتك، فكنت أشد
 ما كنت غضبا، فقال لى أبواى: قومى إليه! فقلت: والله لا أقوم إليه

(١ - ١) من ظ و مد، وفى الأصل، فقالت (٢) زيد من ظ و مد (٣) من
 ظ و مد، وفى الأصل: يتكلم (٤ - ٤) فى ظ: فانه (٥) من ظ و مد، وفى
 الأصل: منها (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: يأخذ (٧) فى ظ: ظالم.

ولا أحده ولا أحده ولا أحد إلا الله الذي أنزل برأى، لقد
سمعتوه فما أنكرتموه ولا غيرتموه، وأنزل الله تعالى "ان الذين
جاؤا بالافك" العشر الآيات كلها، قالت عائشة رضى الله عنها:
و [الله -^٢] إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول: سبحان الله! والذي
نفسى يده! ما كشفت كنف^٢ أثى قط. قالت: ثم قتل بعد ذلك
شهيدا في سبيل الله.

ولما أخبر سبحانه وتعالى بعبادهم، وكان في المؤمنين من سمعه
فسكت، وفيهم من سمعه فتحدث به متعجبا من قائله، أو مستتبنا في أمره،
ومنهم من كذبه، أتبعه سبحانه بعبادهم، في أسلوب خطابهم، مثليا على
١٠. من كذبه، فقال مستأنفا محرضا: (لولا) أى هلا ولم لا
(اذ سمعتموه) أيها المدعون للإيمان. ولما كان هذا الإفك قد تملا
عليه رجال ونساء قال: (ظن المؤمنون) أى منكم (و المؤمنات)
وكان الأصل: ظنتم^٧، ولكنه التفت إلى الغيبة تنبيها على التويخ،
و صرح بالنساء، و نبه على الوصف المقتضى لحسن الظن تحويفا للذى ظن
١٥. السوء من سوء الخاتمة: (بانفسهم) حقيقة (خيالا) وهم دون من
كذب عليها، فقطعوا ببراءتها لأن الإنسان لا يظن بالناس^٨ إلا ما هو
متصف به أو باخوانهم، لأن / المؤمنين كالجسد الواحد، أو ظنوا

/ ٦٣١

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: آيات (٢) زيد من ظ و مد (٣) في ظ:
كشف (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: منهم (٥) من ظ و مد، وفي
الأصل: لحدث (٦) في مد و « (٧) زيد في ظ: به (٨) من مد، وفي
الأصل و ظ: في الناس (٩) من ظ و مد، وفي الأصل « و ».

ما يظن بالرجل لو خلا بأمه، وبالمرأة إذا خلت بابنها^١، فان نساء النبي صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين (وقالوا هذا افك) أى كذب عظيم خلف منكب على وجهه (مبين) أى واضح فى نفسه، موضح لغيره، وبيانه وظهوره أن المرتاب يكاد يقول: خذونى، فهو يسعى فى التستر جهده، فأتان صفوان بعائشة رضى الله عنها راكبة على جملة داخلها بها الجيش فى نحر^٢ الظهيرة والناس كلهم يشاهدون ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم ينزل عليه الوحي، إدلالا بحسن عمله، غافلا عما يظن به أهل الريب، أدل دليل على البراءة وكذب القاذفين، ولو كان هناك أدنى ريبة لجاء كل منهما وحده على وجه^٣ من التستر والذعر، تعرف به^٤ خيائته، فالأمور تذاق، ولا يظن الإنسان بالناس إلا ما^٥ فى نفسه، ولقد عمل أبو أيوب الانصارى وصاحبه رضى الله عنهما بما أشارت إليه هذه الآية؛ قال ابن إسحاق: حدثنى أبى إسحاق بن يسار عن بعض رجال بنى النجار أن أبا أيوب خالد بن زيد رضى الله عنه قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب ألا تسمع ما يقول الناس فى عائشة رضى الله عنها؟ قال: بلى^٦ وذلك الكذب، ١٥ أكنت يا أم أيوب فاعلة؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله، قال^٧: فعائشة والله خير منك. وروى البغوى^٨ أنه قال: سبجائك هذا بهتان عظيم، فزلت الآية^٩ على وفق قوله رضى الله عنه. ثم علل سبجانه

(١) فى ظ: بابيها (٢) فى ظ: نحو (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: منه (٥) فى ظ: بما (٦) راجع سيرة ابن هشام ١٧٣/٢ (٧) فى ظ: بل (٨) فى ظ: قالت، (٩) راجع المعالم بهامش الباب ٥٢/٥ (١٠) زيد فى ظ و مد: الآية.

بيان كذب الآفكين بأن قال موبخا لمن اختلقه واذاعه ملقنا لمن ندبه
إلى ظن الخير: ﴿لولا﴾ أى هلا ولم لا ﴿جاءو﴾ أى المفترون له
أولا ﴿عليه﴾ إن كانوا صادقين ﴿باربعة شهداء﴾ كما تقدم أن
القذف لا يباح إلا بها .

٥ ولما تسبب عن كونهم لم يأتوا بالشهداء كذبهم قال: ﴿فاذ﴾
أى فحين ﴿لم يأتوا بالشهداء﴾ أى الموصوفين ﴿فارتسك﴾ أى البعداء
من الصواب ﴿عند الله﴾ أى فى حكم الملك الأعلى، بل وفى هذه
الواقعة بخصوصها فى عليه ﴿هم الكذبون﴾ [أى-٢] الكذب العظيم
ظاهرا وباطنا .

١٠ ولما بين لهم باقاة الدليل على كذب الخائضين فى هذا الكلام
أنهم استحقوا الملام، وكان ذلك مرغبا لأهل التقوى، بين أنهم
استحقوا بالتقصير فى الإنكار عموم الانتقام فى سياق مبشر بالعفو،
فقال عاطفا على "ولولا" الماضية: ﴿ولولا فضل الله﴾ أى المحيط
بصفات الكمال ﴿عليكم ورحته﴾ أى معاملته لكم بمزيد الإنعام، الناظر
١٥ إلى الفضل والإكرام، اللازم للرحمة (فى الدنيا) بقبول التوبة والمعاملة
بالحلم ﴿والأخرة﴾ بالعفو عن^١ يريد أن يعفو عنه منكم ﴿لمسكم﴾
أى عاجلا عموما ﴿فى ما افضتم﴾ أى اندفعتم على أى وجه كان ﴿فيه﴾
بعضكم حقيقة، وبعضكم مجازا بعدم الإنكار ﴿عذاب عظيم﴾ أى^٢

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: يقال (٢) زيد فى ظ: فى عليه (٣) زيد من
ظ و مد (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: عما (٥) زيد فى ظ: فيه (٦) زيد
فى الأصل: عاجل، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها .

يحتقر معه اللوم و الجلد ، بأن يهلك فيتصل به عذاب الآخرة ؛ ثم بين
وقت حلوله / و زمان تمجيله بقوله : (اذ) أى مسكم حين (تلقونه)
٦٣٢ / أى يجتهدون فى تلقى - أى قبول - هذا الكلام الفاحش و إلقائه
(بالسنتكم) باشاعة البعض و سؤال آخرين [و سكوت آخرين - ٢]
(و تقولون) و قوله : (بافواهكم) تصوير لمزيد قبحه ، و إشارة إلى
أنه [قول - ٤] لاحقيقة له ، فلا يمكن ارتسامه فى القلب بنوع دليل ؛
و أكد هذا المعنى بقوله : (ما ليس لكم به علم) [أى - ٥] بوجه
من الوجوه ، و تنكيهه للتحقير (و تحسبونه) بدليل سكوتكم عن
إنكاره (هيناً و هو) أى و الحال أنه (عند الله) أى الذى لا يبلغ
أحد مقدار عظمتة (عظيمه) أى فى حد ذاته و لو كان فى غير أم ١٠
المؤمنين رضى الله عنها ، فكيف و هو فى جنابها المصون ، و هى زوجة
حاتم الانبياء و إمام المرسلين عليه أفضل الصلاة و أفضل التسليم .
و لما بين خشه و شاعته ، و قبحه و فظاعته ، عطف على التأديب
الأول فى قوله "لولا اذ سمعتموه" تأديباً ثانياً فقال : (و لو لا اذ)
أى ٧ و هلا حين (سمعتموه قلتم) أى حين السماع من غير توقف ١٥
و لا تلغى ، و فصل بين آله التحضيض و القول المحضض عليه بالظرف لأن
الظروف تنزل من الشيء منزلة نفسه ٩ لوقوعه فيها ، و أنها لا انفكاك لها
(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : القايله (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى مد ؛
مزيد (٤) زيد من ظ (٥) زيد من مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : من .
(٧) سقط من ظ (٨) بمعنى الأداة (٩) فى ظ : شبه .

عنه ، ولأن ذكره منه على الاهتمام به لوجوب المبادرة إلى المحضض عليه : ﴿ ما يكون ﴾ أى ما ينبغى وما يصح ﴿ لنأ أن نتكلم ﴾ حقيقة بالنطق ولا مجازا بالسكوت عن الإنكار ﴿ بهذا ﴾ أى بمثله [فى - ٢] حق أدنى الناس فكيف بمن^٢ اختارها العليم الحكيم لصحبة أكمل الخلق ، ثم دللهم على شدة نفرتكم منه بأن وصلتم بهذا النفي [قولكم - ٣] : ﴿ سبئحك ﴾ تعجبا^٤ من أن يخطر بالبال ، فى حال من الأحوال .

و لما كان تنزيه الله تعالى فى مثل ذلك وإن كان للتعجب إشارة إلى تنزيه المقام الذى وقع فيه التعجب تنزيها عظيما ، حسن أن يوصل بذلك قوله تعليلا للتعجب والنفي : ﴿ هذا بهتان ﴾ أى كذب يهت^٥ ١٠ من يواجه به ، ويحيره لشدة ما يفعل فى القوى الباطنة ، لأنه فى غاية الغفلة عنه^٦ لكونه أبعد الناس منه ؛ ثم هوله بقوله : ﴿ عظيم ٥ ﴾ والمراد أن الذى ينبغى للانسان أولا أن لا يظن باخوانه المؤمنين ولا يسمع فيهم إلا خيرا ، فان غلبه الشيطان وارتسم شئ من ذلك فى ذهنه فلا يتكلم به ، و يبادر إلى تكذيبه .

١٥ و لما كان هذا كله وعظما لهم واستصلاحا ، ترجمه بقوله^٧ : ﴿ يعظمكم الله ﴾ أى يرقق قلوبكم الذى له الكمال كله فيمهل بحله ، ولا يهمل بحكمته وعلوه ، بالتحذير على وجه الاستعطاف : ﴿ ان ﴾ أى كراهة لأن^٨

(١) فى ظ : ان (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : من (٤ - ٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : بان (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : يهبت (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : منه (٧ - ٧) فى ظ : برحمته (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : ان .

(تعودوا لمثلة ابدأ) أى ما دمت أهلا لسماع هذا القول ؛ ثم عظم هذا الوعظ ، و ألهب سامعه بقوله : (ان كنتم مؤمنين) أى متصفين بالإيمان راسخين فيه فانكم لا تعودون ، فان عدتم فأنتم غير صادقين فى دعواكم الاتصاف به (و بين الله) أى بما له من الاتصاف بصفات الجلال و الإكرام (لكم الأيت) أى العلامات الموضحة للحق و الباطل ، ه من كل أمر دني أو دنيوى (و الله) أى المحيط بجميع الكمال (علم) فتقوا بيانه (حكيم) لا يضيع شيئا إلا فى أحكم مواضعه و إن دق عليكم فهم ذلك ، / فلا تتوقفوا فى أمر من أوامره ، و اعلوا أنه لم يختار لنيه عليه الصلاة و السلام إلا الخالص من عباده ، على حسب منازلهم عنده ، و قريبهم من قلبه .

١٠

و لما كان من أعظم الوعظ بيان ما يستحق على الذنب من العقاب ، أدبهم تأديبا ثالثا أشد من الأولين ، فقال واعظا و مقبحا لحال الخائضين فى الإفك [و -] عذرا و مهددا : (ان الذين يحبون) عبر بالحب إشارة إلى أنه لا يرتكب هذا مع شناعته إلا محب له ، و لا يحبه إلا بعيد عن الاستقامة (ان تشيع) أى تنشر^٨ بالقول أو بالفعل^٩ (الفاحشة) ١٥ أى الفعل الكبيرة^{١٠} القبح ، و يصير لها^{١١} شعبة يحامون^{١٢} عليها

- (١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فى (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بانكم (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا (٥) فى ظ : الواعظ .
- (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الخاريضين (٧) زيد من ظ و مد .
- (٨-٨) سقط ما بين الرقين من ظ (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : الكثيرة .
- (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : بما (١١) فى ظ : تحاموا .

(في الذين آمنوا) ولو كانوا في أدنى درجات الإيمان فكيف [بمن - ٢] تسنم ذروته ، و تبوأ غايته (لهم عذاب اليم لا) ردعاً لهم عن إرادة إشاعة مثل ذلك لما فيه من عظيم الأذى (في الدنيا) بالحد و غيره مما^١ ينتقم الله منهم به (و الآخرة) فان الله يعلم هل كفر الحد عنهم جميع مرتكبهم أم^٢ لا (و الله) أى المستجمع لصفات الجلال و الجمال (يعلم) أى [له - ٢] العلم التام ، فهو يعلم مقادير الأشياء ما ظهر منها و ما بطن و ما الحكمة في ستره أو إظهاره أو غير ذلك من جميع الأمور (و انتم لا تعلمون هـ) أى ليس لكم علم من أنفسكم فاعملوا^٣ بما عليكم الله ، و لا تتجاوزوه تضلوا .

١٠ و لما ختم بالحكم عليهم بالجهل ، و كان التقدير كما أرشد إليه ما يأتي من العطف على غير معطوف : فلولا فضل الله عليكم و رحمته بكم لعجل هلاك المحبين أشيوع^٤ ذلك بعباد الدنيا ليكون موصولا بعباد الآخرة ، عطف عليه قوله مكررا التذكير بالمنة بترك المعالجة حافظا الجواب^٥ ، منبها بالتكرير و الحذف على قوة المبالغة و شدة التهويل : ١٥ (و لولا فضل الله) أى الحائز لجميع الجلال و الإكرام (عليكم و رحمته) بكم (و ان) أى و لولا أن (الله) أى الذى له القدرة التامة فسبقت رحمته غضبه (رهوف) بكم فى نصب ما يزيل^٦ جهلكم بما يحفظ

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعل (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : كما . (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : او (٥) فى ظ : فاعلموا (٦) زيد فى ظ : الفاحشة (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : للجواب (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : يريكم .

- من سرائركم بارسال الرسل و إنزال الكتب^١ و نصب^٢ الحدود، الزاجرة
عن الجهل، الحاملة على التقوى، التي هي ثمرة العلم، فان الرأفة - كما
تقدم في الحج و غيرها - تقيم^٣ المرؤف به - لأنها ألطف الرحمة و أبلغها -
على أقوم سنن حتى تحفظ بمسراها في سره ظهور ما يستدعي العفو،
و تارة يكون هذا الحفظ بالقوة بنصب الأدلة، و تارة يضم إلى ذلك ه
الفعل بخلق الهداية في القلب [بما للروؤف به من الوصلة^٤ بسهولة
الانقياد و قوة الاستعداد -^٥] ﴿رحيم﴾ بما يثبت لكم من الدرجات
على ما منحكم به من ثمرات ذلك الحفظ من الأعمال المرضية، و الجواب
محذوف تقديره: ترككم في ظلمات الجهل تعمهون، فثارت^٦ بينكم الفتن
حتى تفانيتم و وصلتتم إلى العذاب الدائم^٧ بعد الهم اللازم . ١٠
و لما أخبرهم بأنه ما أنزل لهم هذا الشرع على لسان هذا الرسول
الروؤف الرحيم إلا رحمة لهم، بعد أن حذرهم موارد الجهل، نهام عن
التمادي فيه^٨ في سياق^٩ معلم أن الداعي إليه الشيطان العدو، فقال سارا لهم
بالإقبال عليهم بالدعاء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي أقروا بالإيمان
﴿لَا تَتَّبِعُوا﴾^{١٠} أي بجهدكم^{١١} ﴿خَطَوَاتِ﴾ أي طرق ﴿الشَّيْطَانِ﴾ أي ١٥
لا تقتدوا به و لا تسلكوا مسالكه [التي يحمل على سلوكها بتزيينها -^{١٢}]
(١-١) من ظ و مد، وفي الأصل: بنصب (٢) من مد، وفي الأصل: يعم -
وفي ظ: تقدم (٣) في ظ: الوصف (٤) زيد من ظ و مد (٥) في ظ: فتارة .
(٦) في ظ: القائم (٧-٧) في ظ: بسياق (٨-٨) تأخر في الأصل عن «مسالكه»
س ١٦، و الترتيب من ظ و مد.

في شيء من الأشياء، وكأنه أشار بصيغة الاعتعال إلى العفو
عن المفوات .

/ ٦٣٤ /
ولما كان التقدير : فانه من يتنكب عن طريقه يأت بالحسن
و المعروف ، عطف عليه قوله : (ومن يتبع) أى بعزم ثابت من غير
• أن يكون مخبطاً أو ناسياً ؛ وأظهر ولم يضمن لزيادة التنفير فقال :
(خطوات الشيطان) أى^٢ و^٣ يقتد به يقع في مهاوى الجهل الناشئ
عنها كل شر (فانه) أى الشيطان (يامر بالفحشاء) وهى ما أغرق
في القبح (والمنكر) وهو ما لم يحوزه الشرع ، فهو أولاً يقصد
أعلى الضلال ، فان^٤ لم يصل تنزل^٥ إلى أدناه ، وربما درج بغير ذلك ،
١٠ ومن المعلوم أن من اتبع من هذا سيله عمل بعمله^٦ ، فصار في غاية
السفول ، وهذا أشد^٧ في التنفير من إعادة الضمير في " فانه على من "
- والله الموفق .

ولما كان التقدير : فلو لا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان
مع أمره بالقبائح ، عطف عليه قوله : (ولولا فضل الله) أى ذى^٨
١٥ الجلال والإكرام (عليكم) أى بتطهير نفوسكم ورفعها عما تعشقه
(١) سقط من ظ (٢) زيد في الأصل : لاتقتد به أى ، ولم تكن الزيادة في
ظ ومد لحذفناها (٣) زيد في الأصل : من ، ولم تكن الزيادة في ظ ومد لحذفناها .
(٤ - ٥) من ظ ومد ، وفي الأصل : يصل ينزل (٥) من ظ ومد ، وفي
الأصل : بعلمه (٦ - ٦) من مد ، وفي الأصل : على التنفير ، وفي ظ :
بالتنفير (٧) في ظ : ذو .

من الدنيا إلى المعالي ﴿ ورحمته ﴾ لكم باكرامكم ورفعتكم بشرع التوبة
المكفرة لما جرّ إليه الجهل من ناقص الأقوال وفسفاس الأفعال
﴿ ما زكى ﴾ أى طهر ونما ﴿ منكم ﴾ وأكد الاستغراق بقوله :
﴿ من احد ﴾ وعم الزمان بقوله : ﴿ ابدالا ولكن الله ﴾ أى بجلاله
وكمالہ ﴿ يزكى ﴾ 'أى يطهر وينمى' ﴿ من يشاء ﴾ من عباده ، من ٥
جميع أدناس نفسه و^٢ أمراض قلبه ، وإن كان العباد وأخلاقهم فى الانتشار
والكثرة بحيث لا يحصيه غيرہ ، [فلذلك زكى منكم من شاء فصانه عن
هذا الإفك ، وخذل من شاء - ٢] . ثم ختم الآية بما لا تصح التزكية
بدونه فقال : ﴿ والله ﴾ 'أى الذى له جميع صفات الكمال' ﴿ سميع ﴾
أى 'جميع أقوالهم' ﴿ عليهم ﴾ بكل ما يخطر فى بالهم ، وينشأ عنه من ١٠
أحوالهم وأفعالهم ، فهو خير بمن هو أهل للتزكية^٦ ومن ليس بأهل
لها ، فاشكروا الله على تزكيتكم من الخوض فى [مثل - ٢] ما خاض فيه
غيركم من خذله^٧ نوعا من الخذلان ، واصبروا على ذلك منهم ،
ولا تقطعوا إحسانكم عنهم ، فإن ذلك يكون زيادة فى زكاتكم ، وسببا
لإقبال من علم فيه الخير منهم ، فقبلت توبته ، وغسلت حوبته ، وهذا المراد ١٥

(١ - ١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : او .
(٣) زيد من ظ و مد (٤ - ٤) تقدم ما بين الرقين فى الأصل على ' ثم ختم ' س ٨ ،
والترتيب من ظ و مد (٥ - ٥) فى ظ : لجميع اقوالكم ، وفى مد : لا قوالهم .
(٦) فى ظ : التزكية (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : خذلته .

من قوله : ﴿ ولا ياتل ﴾ أى يحلف مبالغا^١ فى اليمين ﴿ اولوا الفضل منكم ﴾
الذين جعلتهم بما آتيتهم من العلم و الأخلاق الصالحة أهلا لبر غيرهم
﴿ والسعة ﴾ أى بما أوسعت عليهم فى دنياهم .

و لما كان السياق و السباق و اللاحق موضحا للمراد^٢ ، لم يحتاج إلى
ه ذكر أداة التثنية فقال : ﴿ ان يؤتوا ﴾ ثم ذكر الصفات المقترنة للإحسان
فقال : ﴿ اولى القربى ﴾ و عددها بأداة^٣ العطف تكثيرا [لها -^٤] و تعظيما
لأمرها ، و إشارة^٥ إلى^٦ أن صفة منها كافية فى الإحسان ، فكيف إذا
اجتمعت ! فقال سبحانه : ﴿ و المسكين ﴾ أى الذين لا يجدون ما يغنيهم
و إن لم تكن لهم قرابة ﴿ و المهجرين ﴾ لأهلهم و ديارهم و أموالهم
١٠ ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى الذى عم^٧ الخلاق بجوده لما له من الإحاطة
بالجلال و الإكرام و إن اتقى عنهم الوصفان الأولان ، فإن هذه الصفات
مؤذنة بأنهم / بمن زكى الله ، و تعدادها - بجعلها علة للعفو^٨ - دليل على أن الزاكي
/ ٦٣٥ من غير المعصومين قد يزل ، فتدركه الزكاة بالتوبة فيرجع كما كان ، [وقد
تكون الثلاثة لموصوف واحد لأن سبب نزولها مسطح رضى الله عنه ،
١٥ فالعطف إذن للتمكن فى كل وصف منها -^٩] .

(١) فى ظ : متابعا (٢) زيدت الواو فى الأصل و ظ ، ولم تكن فى مد فخذناها .
(٣) زيدت الواو فى الأصل ، ولم تكن فى ظ و مد فخذناها (٤) زيد من ظ
و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : اشار (٦) سقط من ظ (٧) من ظ
و مد ، و فى الأصل : هم .

و لما كان النهى عن ذلك غير صريح في العفو، و كان التقدير:
فليؤتوهم، عطف عليه مصرحا بالمقصود قوله: ﴿ و ايعفوا ﴾ أى عن
زلمهم^١ بأن يمحوه و يغطوه بما يسبلونه عليه من أستار الحلم حتى لا يبقى
له أثر. و لما كان المحو لا ينفى التذكر قال: ﴿ و ليصفحوا^٢ ﴾ أى يعرضوا
عنه أصلا و رأسا، فلا يخطروه لهم على بال ليشر ذلك الإحسان، و منه ه
الصفوح و هو الكريم.

و لما كانت لذة الخطاب تنسى كل عتاب، أقبل سبحانه بفضلته
و منه و طوله على أولى الفضل، مرغبا في أن يفعلوا بغيرهم ما يحبون
أن يفعل بهم، مرهبا من أن يشدد^٣ عليهم إن شددوا فقال:
﴿ الاتجبون ﴾ أى يا أولى الفضل ﴿ ان يغفر الله ﴾ [أى - ٣] الملك ١٠
الاعظم ﴿ لكم^٤ ﴾ أى ما قصرتم في حقه، و سبب نزولها كما في
الصحيح^٥ من حديث عائشة رضى الله عنها أن أباهما رضى الله تعالى عنه
كان حلف بعد ما برأ الله عائشة رضى الله عنها [أن - ٢] لا ينفق
على مسطح ابن^٦ حاله لكونه خاض من أهل الإفك؛ و في تفسير
الاصبغاني^٧ عن ابن عباس رضى الله عنهما: أقسم ناس من الصحابة ١٥
فيهم أبو بكر رضى الله عنهم أن لا يتصدقوا^٨ على رجل تكلم بشيء من

- (١) في ظ: زلتهم (٢) من ظ و مد، و في الأصل: تسدد (٣) زيد من ظ
و مد (٤-٤) من ظ و مد، و في الأصل: تصدتم من - كذا (٥) ٦٩٨/٢ .
(٦) من ظ و مد، و في الأصل: ان (٧) راجع كشف الظنون ١ / ٤٤٢ .
(٨) و الضحاك - كما في العالم - راجع الباب ٥٣/٥ (٩) من ظ و مد و العالم،
و في الأصل: لا ينفقوا .

الإفك ولا ينفعهم فأنزل الله هذه الآية . وناهيك بشهادة الله
جل جلاله للصديق بأنه من أولى الفضل فياله من شرف ما أجلاه^١
ومن سوّدد و فخار ما أعلاه^٢ ولا سيما وقد صدقه رضى الله عنه بالعفو
عمن شنع على ثمرة فؤاده ومهجة كبده ، وهى الصديقة^٣ زوجة خاتم
المرسلين ، وخير الخلائق أجمعين ، والحلف على أنه لا يقطع النفقة^٤ عنه
أبدا ، فيالله من أخلاق ما أبهاها^٥ و شمائل ما أطهرها وأزكاها^٦
وأشرفها وأسناها^٧ .

ولما كان الجواب قطعاً كما أجاب الصديق^٨ رضى الله عنه : بلى
والله ! إنا لنحب أن يغفر الله لنا ، وكان كأنه قيل : فاغفروا لمن أساء
إليكم ، فالله حكم عدل ، يجازيهم على إساءتهم إليكم إن شاء ، والله عليم
شكور ، يشكر لكم ما صنعتم إليهم ، عطف عليه قوله : ﴿ والله ﴾ أى
مع قدرته الكاملة وعلمه الشامل ﴿ غفور رحيم ﴾ من صفته ذلك ، إن
شاء يغفر^٩ لكم ذنوبكم بأن يمحوها فلا يدع لها أثراً^{١٠} ويرحمكم بعد محوها
بالفضل عليكم كما فعلتم معهم ، فإن الجزاء من جنس العمل .

١٥ ولما كان الختم بهذين الوصفين بعد الأمر بالعفو ربما جراً على مثل
هذه الإساءة ، وصل به مرهبا من الوقوع فى مثل ذلك قوله معمما للحكم :
﴿ ان الذين يرمون ﴾ أى بالفاحشة ﴿ المحصنات ﴾ أى اللاتي جعلن

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : أحله كذا (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل :
الصديقية (٣) فى ظ : النفقة (٤) راجع الباب ٥ / ٥٣ (٥) من ظ و مد ، وفى
الأصل : غفر (٦) فى ظ : أثر .

أنفسهن من العفة في مثل الحصن . ولما كان الهام باليسى والمقدم عليه
 عالما بما يرى^١ به منه ، جاعلا له نصب عينه ، أكد معنى الإحصان^٢
 بقوله : (الغفلت) أى عن السوء حتى عن مجرد ذكره . ولما كان
 وصف الإيمان حاملا على كل خير / [و - ٢] مانعا من كل سوء ،
 ٦٣٦ /
 نه على أن الحامل على الوصفين المتقدمين إنما هو التقوى ، وصرف^٣ ه
 ما هن من الفطنة إلى ما لله عليهن من الحقوق فقال : (المؤمنت) .
 ولما ثبت بهذه الأوصاف البعد عن السوء ، ذكر جزاء القاذف كفا
 عنه وتحذيرا منه بصيغة المجهول ، لأن المحذور^٤ اللعن لا كونه^٥ من معين ،
 وتنبها على وقوع [اللعن - ٢] من كل من يتأتى منه فقال : (لعنوا)
 أى أبعدوا عن رحمة الله ، وفعل معهم فعل المبعد من الحد وغيره ١٠
 (في الدنيا والآخرة) ثم زاد في تعظيم القذف لمن هذه أوصافها
 فقال : (ولهم) أى في الآخرة (عذاب عظيم لا) وقيد بوصف
 الإيمان لأن قذف الكافرة^٦ وإن كان محرما ليس فيه هذا المجموع ،
 وهذا الحكم وإن كان عاما فهو لأجل الصديقة^٧ بالذات وبالقصد الأول
 وفيما فيه من التشديد الذى قل أن يوجد مثله في القرآن من الإعلام ١٥
 (١) من ظ و مد ، وفي الأصل : يومى (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل :
 الاحسان (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : ضرب .
 (ه - هـ) من ظ و مد ، وفي الأصل : لالهن لالكونه - كذا (٦) من ظ و مد ،
 وفي الأصل : الآخرة (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : الصديقة .

على قدرها ، و جلى أمرها ، و عظيم غمها . (ما - ١) يحل^١ عن الوصف :
ثم أتبع [ذلك - ١] ذكر اليوم الذى يكون فيه أثر ذلك على وجه
زاد الأمر عظما^٢ فقال : (يوم تشهد عليهم) أى يوم القيامة فى ذلك
المجمع العظيم (الستهم) إن رفعوا عن الكذب (و أيديهم و أرجلهم)
هـ إن أنكرت ألسنتهم^٣ كذبا^٤ و لجورا ظنا أن الكذب ينفعها
(بما كانوا يعملون هـ) من هذا القذف و غيره ؛ ثم زاد فى التهويل
بقوله : (يومئذ) أى^٥ إذ تشهد عليهم هذه الجوارح (يوفيهم الله)
[أى - ١] المحيط^٦ بكل شئ^٧ علما^٨ و قدرة و له^٩ الكمال كله (دينهم)
أى جزاءهم (الحق) أى الذى يظهر لكل أحد من أهل ذلك المجمع
١٠ العظيم أنهم يستحقونه^{١٠} ، فلا يقدر أحد على نوع طعن فيه (و يعلون)
أى إذ ذاك ، لانقطاع الأسباب ، و رفع كل حجاب (إن الله)
[أى - ١] الذى له العظمة [المطلقة - ١] ، فلا كفو له (هو) أى
وحده (الحق) [أى - ١] الثابت أمره^{١١} فلا أمر^{١٢} لأحد سواه ،
(المبين هـ) الذى لا أروض من شأنه فى ألوهيته و علمه و قدرته و تفرده
١٥ بجميع صفات الكمال ، و تزهه عن جميع سمات النقص ، فيندمون

- (١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : بكل (٣) من ظ و مد ،
وفى الأصل : عظيما (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : انفسهم (هـ) سقط من ظ .
(٦-٧) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٧) زيد فى الأصل : الجمال و ، ولم تكن
الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : يستحقونه .
(٩) زيد من مد (١٠-١١) من مد ، وفى الأصل : لا أمر ، وفى ظ : لا أمر .

على ما فعلوا في الدنيا مما يقدح في المراقبة وتجري عليه الغفلة؛ قال ابن كثير^١: وأمّهات المؤمنين أولى بالدخول في هذا من كل محصنة لاسباب^٢ التي كانت سبب النزول، وهي عائشة بنت الصديق رضى الله تعالى عنهما، وقد أجمع العلماء قاطبة على أن^٣ من سبها بعد هذا ورمأها بما^٤ رماها به [بعد هذا - ^٥] "الذى ذكر" في هذه الآية، فانه كافر [لأنه - ^٦] ٥ معاند للقرآن، وفي بقية أمّهات المؤمنين رضى الله عنهن قولان أصحهما^٧ أنهن كهن، والله أعلم - انتهى . وقد علم من هذه الآيات وما سبقها من أول السورة وما لحقها إلى آخرها أن الله تعالى ما غلظ في شيء من المعاصي ما غلظ في قصة الإفك، ولا تواعد في شيء ما تواعد فيها، وأكد وبشع، / ووخ وقرع، كل ذلك إظهارا^٨ لشرف رسوله^٩ ١٠ / ٦٣٧ صلى الله عليه وسلم [و غضباله - ^{١١}] وإعظاما لحرمة وصونا لحجابه . ولما تضمن ما ذكر^{١٢} من وصفه تعالى عليه بالخفيات، أتبعه ما هو كالعلة لآية "الزاني لا ينكح الزانية او مشركة" دليلا شهوديا على براءة عائشة رضى الله تعالى عنها فقال: (الحبيث) أى من النساء وقدم [هذا - ^{١٣}] الوصف لأن كلامهم فيه، فاذا اتقى ثبت الطيب ١٥

(١) راجع تفسيره: ٢٧٦/٣ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد و التفسير، وفي الأصل: فيما (٤) زيد من التفسير (٥ - ٥) من التفسير، وفي الأصل: الذين ذموا، وفي ظ و مد: الذين ذكروا - كذا (٦) زيد من ظ و مد و التفسير (٧) من ظ و مد و التفسير، وفي الأصل: اصحبين (٨ - ٨) من ظ و مد، وفي الأصل: لرسوله (٩) زيد من ظ و مد (١٠) من ظ و مد، وفي الأصل: ذكره .

(للخِيثِينَ) أى من الرجال . ولما كان ذلك لا يفهم أن الخِيث
مقصور على الخَيْثَة قال: (و الخِيثُونَ) أى من الرجال أيضا
(للخَيْثَاتِ) أى من النساء .

ولما أتبع هذا^٢ براءتها رضى الله عنها لأنها قرينة أطيب الخلق،
أكده بقوله: (و الطيِّبَتِ) أى منهن (للطيبين) أى منهم
(و الطيبون للطيبات ج) بذلك قضى العليم الخبير أن كل شكل ينضم إلى
شكله، و يفعل أفعال مثله، و هو سبحانه قد اختار لهذا^٣ النبي الكريم
- لكونه أشرف خلقه - خلص عباده من الأزواج و الأولاد و الأصحاب
”كنتم خير أمة أخرجت للناس“ و خيركم قرني، و كلما ازداد^٤ الإنسان
١٠ منهم من قلبه صلى الله عليه وسلم قربا ازداد طهارة، و كفى بهذا البرهان
دليلا على براءة الصديقة رضى الله عنها، فكيف و قد أنزل الله العظيم
في براءتها صريح كلامه القديم، و حاطه من أوله و آخره بهاتين^٥ الآيتين
المشيرتين إلى الدليل العادى، و قد تقدم عند آية ”الزاني“ ذكر^٦
لحديث ”الأرواح جنود^٧ مجندة، و ما لامه^٨، لكنه لم يستوعب تخريجه،
(١) سقط من ظ و مد (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: هذه (٣) في ظ: انه .
(٤) من ظ و مد، وفي الأصل: زاد (هـ) من ظ و مد، وفي الأصل: بهذه .
(٦-٧) من ظ، وفي الأصل: الزاني ذا، وفي مد: الزنى ذكر - كذا .
(٧) من ظ، وفي الأصل و مد: الحديث (٨) من ظ و مد، وفي الأصل:
جند (٩) من ظ و مد، وفي الأصل: للآية - كذا .

وقد خرج مسلم في الأدب^١ [من صحيحه -^٢] و أبو داود في سننه^٣
 من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
 الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف .
 وفي رواية^٤ عنه رفعها: الناس معادن كعادن الذهب و الفضة، خيارهم
 في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، و الأرواح جنود مجندة ، ه
 فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف . وهذا الحديث
 روى أيضا^٥ عن عائشة [أم المؤمنين -^٦] رضي الله عنها و علي بن
 أبي طالب و سليمان الفارسي^٧ و عبد الله بن عباس^٨ و عبد الله بن مسعود
 و عبد الله بن عمرو و عمرو بن عبسة رضي الله عنهم، و قد علق البخاري
 في صحيحه^٩ حديث عائشة رضي الله عنها بصيغة الجزم، و وصله في ١٠
 كتاب الأدب المفرد^{١٠} وكذا الإسماعيلي في المستخرج، و أبو الشيخ في
 كتاب الأمثال، و تقدم عزوه إلى أبي يعلى، و لفظ حديث ابن عمر
 رضي الله عنهما: فما كان في الله ائتلف، و ما كان في غير الله اختلف -
 أخرجه أبو الشيخ في الأمثال، و لفظ حديث ابن مسعود رضي الله عنه
 "فاذا التقت تشام^{١١} كما تشام^{١٢} الخيل، فما^{١٣} تعارف منها ائتلف - ١٥

(١) ٢٣١/٢ (٢) زيد من ظ و مد (٣) ١٨٥/٢ (٤-٤) من ظ و مد، و في
 الأصل: ابصاروى (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ و مد، و الرواية
 واردة عن ابن عباس أيضا كما في كشف الخفاء ١٢١/١ (٦) من ظ و مد،
 و في الأصل: عينية - خطأ (٧) ٤٦٩/١ (٨) راجع فتح الباري ٢٢٣/١٣ (٩) من
 ظ و مد، و في الأصل: تسام (١٠) في الأصل: نيام - خطأ .

الحديث ، و أما حديث علي رضي / الله عنه فرواه الطبراني في الاوسط
 في ترجمة محمد بن الفضل السقطي و أبو عبد الله بن منده في كتاب الروح^١
 عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله
 عنه لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : يا أبا الحسن ! ربما شهدت و غبنا
 ه و ربما شهدنا و غبت ، ثلاث أسألك عنهن هل عندك منهن علم ؟ قال
 علي : و ما هن ؟ قال : الرجل يحب الرجل و لم ير منه خيرا ، و^٢ الرجل
 ينفض الرجل و لم ير منه شرا ، فقال علي رضي الله عنه : نعم ! سمعت
 رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : إن الأرواح جنود^٣ مجندة ،^٤ فما
 تعارف منها ائتلف ، و ما تناكر منها اختلف ، قال عمر : واحدة ، [قال -^٥]
 ١٠ و الرجل يحدث الحديث إذ نسيه [فينا هو و ما نسيه -^٥] إذ ذكره ؟
 فقال علي رضي الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول :
 [ما -^٦] من القلوب قلب إلا وله صحابة كصحابة القمر ، بينما^٧ القمر مضى^٨
 إذ علته^٩ صحابة فأظلم إذ^٩ تجلّت [فأضاء ، و بينا القلب يتحدث إذ
 تجلّله صحابة فتسّى إذ تجلّت -^{١٠}] عنه فذكر ، فقال عمر رضي الله عنه :

(١) و كتاب ابن منده اسمه الكامل : كتاب النفس و الروح ، و الحديث قد
 ذكره عنه ابن قيم في كتاب الروح ٤٤ ؛ و ما بعدها (٢) في ظ : او (٣) من ظ
 و مد و الروح ، و في الأصل : جند (٤) زيد في الروح : تلتقي في الهواء فتشام.
 (٥) زيد من الروح (٦) زيد من ظ و مد و الروح (٧-٧) في مد : يضيء .
 (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : غلبته ، و في الروح : تجلّله (٩) في ظ : اذا .

اثنان ، و قال : [و - ١] الرجل يرى ^٢ الرؤيا ^٣ ، فنها ما يصدق و منها ^٤ ما يكذب ؟ قال : نعم ! سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : ما من عبد ^٥ أو أمة ^٦ ينام فيستقل ^٧ نوما إلا عرج بروحه إلى العرش ، ^٨ فالتى لا تستيقظ ^٩ [^{١٠} إلا عند ^{١١} العرش فلك الرؤيا التى تصدق ، و ^{١٢} التى تستيقظ ^{١٣} - ١٤] دون العرش ^{١٥} فلك الرؤيا ^{١٦} التى تكذب ^{١٧} ، فقال عمر ه ^{١٨} رضى الله عنه : ثلاث كنت فى طلبهن فالحمد لله الذى أصبتهن ^{١٩} قبل الموت - وكذا أخرج الطبرانى حديث سلمان كحديث أبى هريرة - رضى الله عنهم أجمعين ، و أشدوا لأبى نواس [فى المعنى - ٢٠] :

إن القلوب لأجناد مجتدة لله فى الأرض بالآهواء تعترف

فلا تعارف منها فهو مؤتلف و ما تناكر منها فهو مختلف ١٠

ولما ثبت هذا كانت نتيجته قطعا : (أولئك) أى العالو الأوصاف

بالطهارة و الطيب (مبرهون) ببراءة الله و براءة كل من له تأمل فى

مثل هذا الدليل (عما يقولون ^١) أى القذفة الأخابت ^٢ لأنها لا تكون

(١) زيد من الروح (٢) من ظ و مد و الروح ، وفى الأصل : يروى .

(٣) سقط من ظ (٤ - ٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : ولا أمة ، وليس ما

بين الرقيين فى الروح (٥) فى الروح : يتعلم - كذا (٦ - ٧) من ظ و مد ، وفى

الأصل و الروح : فالذى لا يستيقظ (٧ - ٨) فى الروح : دون (٨) زيد فى ظ

و مد : الرؤيا ، ولم تكن الزيادة فى الروح لخصائصها (٩ - ١٠) فى الروح : الذى

يستيقظ (١٠) زيد من ظ و مد و الروح (١١ - ١٢) فى الروح : فهى .

(١٢) من ظ و مد و الروح ، وفى الأصل : يكذب (١٣) من ظ و مد

و الروح ، وفى الأصل : اعيتهن (١٤) زيد من ظ و مد (١٥) من ظ و مد ،

وفى الأصل : الأجانب .

زوجة أطيب الطيبين إلا وهي كذلك .

ولما أثبت لهم البراءة ، استأنف الإخبار بجزائهم فقال : (لهم مغفرة)
أى لما قصرُوا فيه إن قصرُوا . ولما كان في معرض الحث على الإتيان
على بعض الآفكين^١ قال : (ورزق كريم^٢) أى يحبون به حياة طيبة ،
و يحسنون به إلى^٣ من أساء إليهم^٤ ، ولا ينقصه ذلك لكرمه في نفسه
بسعته و طيبه و غير ذلك من خلال^٥ الكرم .

ولما أنهى سبحانه الأمر في براءة عائشة رضى الله عنها على هذا
الوجه الذى كساها به "من الشرف" ما كساها ، وحلاها برونقه من
مزاي^٦ الفضل ما حلاها ، وكأن أهل الإفك قد فتحوا بافكهم هذا باب
الظنون السيئة عداوة من^٧ إبليس لأهل هذا الدين بعد أن كانوا في ذلك
و في كثير من مجايام^٨ - إذ كان^٩ قانما [منهم - ^{١٠}] بداء الشرك - على
الفطرة الأولى ، أمر تعالى ردا لما أثار بوسواسه من الداء بالتره / عن
مواقع التهم و التلبس بما يحسم^{١١} الفساد فقال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا)
أى ألزموا أنفسهم^{١٢} هذا الدين (لا تدخلوا) أى واحد^{١٣} منكم ، ولعله

/ ٦٣٩

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : الاولين (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل :
على (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : عليهم (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل :
جلال (٥-٥) سقط ما بين الرقين من مد (٦-٦) سقط ما بين الرقين من ظ .
(٧-٧) في ظ : اذا كانوا (٨) زيد من ظ و مد (٩) زيد في الأصل : هذا ،
ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها (١٠) من ظ و مد ، وفي الأصل :
انفسكم (١١) من مد ، وفي الأصل و ظ . واحدا .

خاطب^١ الجمع لأنهم في مظنة أن يطردوا^٢ الشيطان بتزيين^٣ بعضهم بحضرة^٤ بعض لباس التقوى، فن خان^٥ منهم منعه إخوانه، فلم يتمكن منه شيطانه،
فنهى^٦ الواحد من باب الأولى (يونا غير يوتكم) [أى - ٧] التي
هى سكنكم (حتى تستانسوا) أى تطلبوا بالاستئذان أن يأنس بكم
من فيها وأنسوا به، فلو قيل له: من؟ قال: أنا^٨، لم يحصل الاستئناس^٩
لعدم معرفته، بل الذى عليه أن يقول: أنا فلان - يسمى نفسه بما
يعرف به ليؤنس به فيؤذن له أو^{١٠} ينفر منه فيرد (وتسلموا على^{١١} أهلها)
أى الذين هم سكانها ولو بالعارية منكم فتقولوا^{١٢}: السلام عليكم! أأدخل؟
أو^{١٣} تطرقوا^{١٤} الباب إن كان قد لا يسمع الاستئذان ليؤذن لكم
(ذلكم) الأمر العالى الذى أمرتكم به (خير لكم) مما كنتم تفعلونه^{١٥}
من الدخول بغير إذن ومن تحية الجاهلية، لأنكم إذا دخلتم بغير إذن
ربما^{١٦} رأيتم ما يسوءكم، وإذا استأذنتم لم تدخلوا على ما تكرهون^{١٧}،
هذا فى الدنيا، وأما فى الآخرة^{١٨} فأعظم، وقد روى أبو موسى

- (١) من ظ و مد، وفى الأصل: مخاطب (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: تطروا - كذا (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: بتزيين (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: لحضرة (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: خاف (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: نهى (٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: ان (٩) فى ظ: ان - كذا (١٠) من ظ و مد، وفى الأصل: فيقولوا .
- (١١) فى مد و و (١٢) من ظ و مد، وفى الأصل: يطرق (١٣) من ظ و مد، وفى الأصل: وبما (١٤) من ظ و مد، وفى الأصل: يكرهون .
- (١٥) من ظ و مد، وفى الأصل: الآخرة .

الاشعري^١ رضى الله عنه^٢ : إذا سلم ثلاثا فلم يجبه أحد فليرجع . وكان هذا إذا ظن أن صاحب البيت سمع .

ولما كان كل إنسان لا ينفك عن أحوال [يكره - ^٢] أن يطلع عليها أو تقطع^٣ عليه ، قال : (لعلكم تذكرون .) أى لتكون^٤ حالكم .
 ٥ حال من يرجى أن يتذكر برجوعه إلى نفسه عند سماع هذا النهى ، فيعرف أن ما يسوءه من غيره يسوء غيره [منه - ^٢] ، فيفعل ما يجب أن يفعل معه خوفا من المقابلة ، لأن الجزاء من جنس العمل ، و كل ما يجب عليه في غير بيته يستحب^٦ [له - ^٧] في بيته بنحو النجاسة ورفع الصوت بالذكر ونحوه على ما أشار إليه حديث النهى عن الطروق لكيلا يرى من أهله ما يكره .

ولما كان السكان قد يكونون غائبين ، والإنسان لكونه عورة لا يجب أن يطلع^٨ غيره على جميع أموره ، قال : (فان لم تجدوا فيها) أى البيوت التى ليس بها سكانكم^٩ (احدا) قد يمنعكم ، فانه يمنعكم منها ، تقديم لدره المفاسد (فلا تدخلوها) [أى - ^٣] أبدا

(١) راجع معالم التنزيل بهامش الباب هـ/هـ (٢) زيد فى الأصل : انه ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : يقطع (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : ليكون (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : يستخيا (٧) زيد من مد (٨) زيد فى الأصل : عليه ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٩) فى ظ : سكنى ، وفى مد : سكانكم .

(حتى يؤذن لكم ج) من أذن ما باذن شرعى من الساكن أو غيره ،
لأن الدخول تصرف فى ملك الغير أو حقه فلا يحل بدون إذنه . ولما
كان كأنه قيل : فان أذن لكم فى شيء ما استأذنتم فيه فادخلوا ،
عطف عليه قوله : (وان قيل لكم) من^٢ قائل [ما إذا -^٢] استأذنتم
فى بيت فكان خاليا أو فيه أحد : (ارجعوا فارجموا) أى ولا تستكفوا ه
من أن تواجهوا بما تكرهون من صريح المنع ، فان الحق أحق أن
يتبع ، و للناس عورات و أمور لا يحبون اطلاع غيرهم عليها .

ولما كان فى المنع نقص يوجب غضاظة و حرا فى الصدر ، وعد
سبحانه عليه بما^٣ يجبر ذلك ، فقال على طريق الاستئناف : (هو) أى
الرجوع [المعين -^١] (ازكى) أى أظهر و أنمى (لكم ج) فان فيه ١٠
طهارة من غضاظة الوقوف على باب الغير ، و نماء بما يلحق صاحب البيت
/ من الاستحياء عند امثال أمره فى الرجوع مع ما فى ذلك عند الله .

٦٤٠ /

ولما كان التقدير : فانه يجازيكم على امثال أمره ، و كان الإنسان^٤
قد يفعل فى البيوت الخالية و غيرها من الأمور الخفية ما يخالف ما أدب
[به -^٦] سبحانه بما صورته مصلحة و هو مفسدة ، عطف على ذلك المقدر ١٥
قوله : (والله) أى الملك الأعلى . ولما كان المراد المبالغة فى العلم ،
قدم الجار ليصير كما إذا سألت شخصا^٥ عن علم شيء فقال لك : ما

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : بما (٢) زيد فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة
فى ظ و مد لخذفناهما (٣) زيد من ظ و مد ، غير أن « إذا » ليست فى ظ (٤) من
ظ و مد ، وفى الأصل : على (٥) فى ظ : ما (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى ظ :
الائتان - خطأ (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : شيئا .

أعلم غيره ، فقال : (يا تعملون) أى وإن التيس أمره على أحذق الخلق (عليم) لا يخفى عليه شيء منه وإن دق ، فأياكم^٢ و مشتبهات الأمور ، فإذا وقفت للاستئذان فلا تقفوا تجاه الباب ، ولكن على يمينه أو يساره ، لأن الاستئذان إنما جعل^٣ من أجل^٤ البصر ، وتحاموا^٥ النظر إلى الكوى التى قد ينظر منها أحد من أهل البيت ليعرف من على الباب : هل هو من يؤنس به^٦ فيؤذن له ، أو لا فيرد ، ونحو هذا من أشكاله بما لا يخفى على متشرع فطن^٧ ، بطير طائر فكره في فسيح ما أشار إليه مثل قوله صلى الله عليه وسلم : إذا حدث الرجل فالتفت فهو أمانة - رواه أحمد^٨ و أبو دارد^٩ و الترمذى^{١٠} عن جابر رضى الله عنه .

١٠. ولما كان من الأماكن - التى [قد -] لا يوجد بها أحد - ما يباح الدخول إليه لخلوه أو عدم اختصاص النازل^{١١} به كالحانات والربط ، أتبع ما تقدم التعريف بأنه^{١٢} لم يدخل^{١٣} فى النهى فقال مستأقفا : (ليس عليكم جناح) أى^{١٤} "میل بلوم" أصلا (ان تدخلوا بيوتا) كالحانات والربط (غير مسكونة) ثم وصفها بقوله : (فيها متاع)

(١) فى ظ : اللتيس (٢) تكرر فى ظ (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : عن .
(٤-٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : لاجل (٥) من ظ ، مد ، وفى الأصل :
منه (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : نظن (٧) ٣/٢٢٤ وغيرها (٨) ٢/١٨٨ .
(٩) ٢/٢٤٢ (١٠) زيد من ظ و مد (١١) من مد ، وفى الأصل : لعدم ، وفى
ظ : علم (١٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : المنازل (١٣) تكرر فى مد (١٤) العبارة
من هنا إلى «و الربط» ساقطة من ظ (١٥-١٥) يباض فى الأصل عباته من مد .
أى (٦٣) ٢٥٢

أى استمتاع بنوع انتفاع^١ كالاستغلال^٢ ونحوه (لکم^٣) و يدخل فيه المعد للضيف إذا أذن فيه صاحبه فى أول الأمر و وضع الضيف متاعه فيه ، لأن الاستئذان لتلا يهجم على ما يراد^٤ الاطلاع عليه و يراد طيه^٥ عن علم الغير ، فاذا لم يخف ذلك فلا معنى للاستئذان .

- و لما كان التقدير : قاله لا [يمنعكم بما -^٥] بفتحكم ، ولا يضر غيركم ، هـ عطف عليه [قوله -^٥] : (والله) أى الملك الأعظم (يعلم) فى كل وقت (ما تبدون) [و أكد باعادة الموصول فقال -^٥] : (و ما تكتُمون هـ) تحذيرا من أن تراحموا أحدا فى مباح بما يؤذيه و يضيق عليه ، معتلين بأصل الإباحة ، أو يؤذون لكم فى منزل قبطنوا فيه الخيانة [فانه و إن -^٥] وقع الاحتراز من الخونة بالحجاب فلا بد ١٠ من الخلطة لما بنى عليه الإنسان من الحاجة إلى العشرة ، و لذلك اتصل به على طريق الاستئناف قوله تعالى ، مقبلا على أعلى خلقه فهما^٦ و أشدهم لنفسه ضبطا دون بقيتهم ، إشارة إلى صعوبة الأمر و خطر المقام ، مخوفا^٧ لهم بالإعراض عنهم ، بالتردى برداء الكبر ، و الاحتجاب فى مقام القهر : (قل للؤمنين) فعبّر بالوصف إشارة إلى عدم القدرة على الاحتراز ١٥ من المخالط^٨ بعد الخلطة ، و أنه لا يعف فيها إلا من رسخ الإيمان فى قلبه
-
- (١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاستغلال (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا يراد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : عليه (هـ) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيها (٧) فى ظ : مخوفا . (٨) فى ظ : المخالطة .

لحقاء الحياة حيث بخلاف ما سبق في المنع من الإدخول حيث كان التعبير به الذين آمنوا (يفضوا) أى يخفضوا ولا يرفعوا ، بل يكفوا عما نهوا عنه .

و لما كان الأمر في غاية العسر ، قال : (من ابصارهم) باثبات ٥ / ٦٤١ ' من ' التبعية إشارة إلى العفو عن النظرة الأولى ، وأن المأخوذ به إنما هو التماهى . و لما كان ' البصر بريد ' الزنا قدمه .

و لما كان حفظ الفرج لخطر الواقعة أسهل من حفظ البصر ، ولأنه لا يفعل به من غير اختيار ، حذف ' من ' لقصد العموم قال : (و يحفظوا فروجهم) [أى - '] عن كل حرام من كشف وغيره ، ١٠ و لم يستثن ' الزوجة ' و ملك اليمين ابتغاء عنه بما سبق في المؤمنون ، ولأن المقام للتهويل في أمر الحفظ و التشديد ، و رغب في ذلك بتعليقه بقوله : (ذلك) أى الأمر العالى العظيم من كل من الغض و الحفظ الذى أمرتهم به (اذكى لهم) أى أقرب إلى أن ينموا و يكثرُوا و يطهروا حساً و معنى ، و يبارك لهم ، أبداً الحسى فهو أن الزنا مجلبة ١٥ للوث بالطاعون . و يؤرث الفقر و غيرهما من البلايا : ما من قوم ظهر فيهم الزنا إلا أخذوا بالسنة ذرواه أحد^١ عن عمرو بن العاص رضى الله عنهما^٢ ،

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل : النظر يودى الى - كذا (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : أتعيم (٣) فى ظ : قال (٤) زيد من ظ و مد (٥) من مد ، و فى الأصل و لظ : لم يثبت (٦) من ظ و قد ، و فى الأصل : رغبة . (٧) من ظ و مد . و فى الأصل : محلية (٨) فى مسنده : ٢٠٥ / ٤ بإسناد فيه الزنا

و رواه

٩٥٤

ورواه عنه أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الحكم في كتاب الفتوح^١ ولفظه: ما من قوم يظهر فيهم^٢ الزنا^٣ إلا أخذوا بالفناء، وما من قوم يظهر فيهم الربا^٤ إلا أخذوا بالسنة، وما من قوم يظهر فيهم الرشا إلا أخذوا بالرب^٥. الزنا يؤرث^٦ الفقر - رواه البيهقي عن ابن عمر^٧ رضى الله عنهما. إذا ظهر الزنا ظهر الفقر والمسكنة - رواه ابن ماجه^٨ و البزار - وهذا اللفظ عن ابن عمر رضى الله عنهما - و البيهقي ولفظه: الزنا يؤرث الفقر - وفي رواية له^٩: ما ظهرت الفاحشة في قوم قط يعمل بها فيهم علانية إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم. ورواه عنه ابن إسحاق في السيرة في سرية عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه إلى دومة الجندل^{١٠} ولفظه: إنه لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالستين وشدّة المؤنة وجور السلطان، ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، فلولا البهائم ما مطروا، وما نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سُلط عليهم عدو^{١١} من غيرهم، فأخذ بعض ما كان في أيديهم، وما ١٥

(١) أي فتوح مصر وأخبارها - راجع منها ص ٢٤٩ (٢) من ظ و مد و الفتوح، وفي الأصل: منهم (٣) في الفتوح: الربا (٤) في الفتوح: الزنا (٥) ضرر في ظ (٦) راجع مسند الفردوس رقم الحديث: ٦٥٧٨ (٧) راجع سنن ابن ماجه ص ٣٠٠ (٨) راجع سيرة ابن هشام ٨٨/٣ و سنن ابن ماجه أيضا (٩-١٠) من ظ و مد و السيرة، وفي الأصل: السنين: سُلط الله عليهم عدوا.

لم يحكم^١ آثمهم بكتاب الله وتجبروا^٢ فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم . وفي الترغيب للتندري عن ابن ماجة و البزار و البيهقي عنه رضى الله عنه نحو هذا اللفظ ، وفي آخر السيرة^٣ عن أبي بكر رضى الله عنه في خطبته عند ما ولى الخلافة : لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عهم الله بالبلاء .

وفي الموطأ^٤ عن مالك عن^٥ يحيى بن سعيد أنه بلغه عن ابن عباس رضى الله عنهما [أنه - ٦] قال : ما ظهر الغلول في قوم [قط - ٧] إلا ألتى^٨ في قلوبهم الرعب ، ولا فشا الزنا في قوم [قط - ٩] إلا كثر فيهم الموت ، ولا نقص قوم قط^{١٠} المكيال و الميزان إلا قطع^{١١} عنهم الرزق ، ولاحكم قوم بغير الحق إلا فشا فيهم الدم ، ولا ختر قوم بالعهد^{١٢}

/ ٦٤٢

إلا سلت^{١٣} عليهم العدو . وروى الطبراني^{١٤} في الأوسط عن / أبي ذر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا كثرت الفاحشة كثر الفساد ، و جار السلطان ، وفيه : أمثلهم في^{١٥} ذلك الزمان المداخن . وإذا^{١٦} ظهر الربا و الزنا في قرية أذن الله في هلاكها - رواه الطبراني عن ابن عباس

- (١) من مد و السيرة ، وفي الأصل و السنن : لم تحكم ، وفي ط : لم - كذا .
 (٢) من السيرة ، وفي الأصول : ينجزوا ، وفي السنن : ينجبروا (٣) ١٠٢/٣ .
 (٤) ص ١٧٣ (٥) في ط : بن - خطأ (٦) زيد من ط و مد و الموطأ (٧) زيد من الموطأ (٨) زيد في الأصل : الله ، ولم تكن الزيادة في ط و مد و الموطأ
 نخذناها (٩) ليس في الموطأ (١٠) من ط و مد و الموطأ ، وفي الأصل : العهد .
 (١١) راجع مجمع الزوائد : ٣٢٥/٥ (١٢) من ط و مد ، وفي الأصل : من (١٣) من ط و مد ، وفي الأصل : لا .

رضى الله عنهما ، و أما المعنوى فروى الإمام أحمد^١ عن أبي أمامة
رضى الله عنه قال : ما من مسلم ينظر إلى مجانس امرأة^٢ ثم يقض بصره
إلا أخلف^٣ الله له عبادة يحد حلاوته . قال ابن كثير^٤ : وروى
هذا مرفوعا عن ابن عمر^٥ و حذيفة و عائشة رضي الله عنهم ولكن في
أسانيدها ضعف . و ساق له شاهدا من الطبراني عن ابن مسعود رضي الله
عنه بلفظ : إن النظرة^٦ سهم من سهام إبليس مسموم ، من تركها^٧ مخافتي
أبدلته إيمانا يحد حلاوته في قلبه . فعلم من ذلك أن من تخلق^٨ بما
أمره^٩ الله هنا كان قلبه موزعا للحكمة ، و فله أهلا للنجاح ، و ذكره
مقرونا بالقبول .

و لما كان^{١٠} الزكاة يتضمن التكثير و التطهير ، و كان الكلام هنا في
غض البصر ، و كان ظاهرا جدا في الطهارة ، لم يدع داع إلى التأكيد
بالصرح بالطهارة ، و أما آية البقرة^{١١} فلما كانت في العضل ، و كان
لا يكون [إلا -]^{١٢} عن ضغائن و إحن^{١٣} ، فكان الولى ربما ظن أن تمتعها
عمن عضلها عنه أظهر له و لها ، أكد العبارة بفعل الزكاة بالصرح بما^{١٤}

(١) في مسنده ٢٦٤ / ٢ زيد في السند : أول مرة (٣) في السند : أحدث
(٤) راجع تفسيره ٢ / ٢٨٢ (٥) في التفسير : أبي (٦) سقط من ظ (٧) في التفسير :
النظر (٨) زيد في الأصول : من . و لم تكن الزيادة في التفسير لحذفها .
(٩) من ظ و مد ، وفي الأصل : خلق (١٠) من ظ و مد ، وفي الأصل : امر .
(١١) زيد في الأصل : عدم الزنا في ان ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد
لحذفها (١٢) رقم ٢٣٢ (١٣) زيد من ظ و مد (١٤) من ظ و مد ، وفي
الأصل : اخر (١٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : بما .

أفهمه من الطهارة .

ولما كان المقام صعبا لميل النفوس إلى الدنایا و اتباعها للشهوات ،
علل هذا الأمر مرغبا و مرهبا بقوله : (ان الله) [أى - ١] الذى
لا يخفى عليه شئ . لما له من الإحاطة الكاملة (خبير) ولما كان وازع
الحیاء مع ذلك مانعا عظیما فلا يخالف إلا بمعالجة و تدرب ، عبر بالصنعة
وقال : (بما يصنعونه) أى و إن تناهوا فى إخفائه ، و دققوا فى تدبیر
المكر فيه .

ولما بدأ بالقومة من الرجال ، ثنى بالنساء فقال : (و قل للؤمئت)
فرغب أيضا بذكر هذا الوصف الشريف (يفضضن) [ولما كان المراد
١٠ الغض عن بعض المبصرات و هم المحارم قال - ٢] : (من ابصارهن)
فلا يتبعنها ٢ النظر إلى منهى عنه من رجل أو غيره ، و أجابوا عن
حديث عائشة رضى الله عنها فى النظر إلى لعب الحبشة فى المسجد
باحتمال أنها كانت دون البلوغ لأنها قالت : فاقدرُوا قدر الجارية الحديثة
السِّن الحريصة على اللهو . (و يحفظن فروجهن) عما لا يحل لهن من
١٥ كشف و غيره .

ولما كان [النساء - ٢] جائل الشيطان ، أمرن بزيادة الستر بقوله ،

(١) زيد من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل ؛
ولا يتبعها (٤) رواه البخارى فى صحيحه - باب نظر المرأة إلى الحبش و نحوهم
من غير رية : كتاب النكاح (٥) فى ظ : و اقدرُوا .

نأما عن الزينة ليكون^١ النهى عن مواقعها من الجسد أشد وأولى
 (ولا يدين ذينهن) أى كالحلى والفاخر من الثياب فكيف بما وراءها
 (الاما ظهر منها) أى كان بحيث يظهر فيشق التحرز^٢ في إخفائه
 فبدل من غير قصد كالسوار^٣ والخاتم^٤ والكحل فانها لا بد لها من
 مزاولة حاجتها يدها ومن كشف وجهها^٥ في الشهادة ونحوها .
 ولما كان أكثر الزينة في الأعناق والأيدى والأرجل، وكان
 دوام ستر الأعناق أيسر وأمكن، خصها فقال: (وليضرن) من
 الضرب، وهو وضع الشيء بسرعة وتحامل، يقال: ضرب في عمله: أخفه
 فيه، وضرب يده إلى كذا: أهوى، وعلى يده: أمسك، وضرب الليل
 بأرواقه: أقبل، والضارب: الليل الذى ذهب ظلمته / يمينا وشمالا ١٠ / ٦٤٣
 وملاّت الدنيا، والضارب: الطويل من كل شيء والمتحرك .

ولما كان المقصود من هذا الضرب بعض الخمار، وهو ما لاصق
 الجيب منه، عداه بالباء فقال: (بخمرهن) جمع خمار، وهو متديل
 يوضع على الرأس، وقال أبوحيان^٦: وهو المقنعة التى تلقى المرأة على
 رأسها . (على جيوهن^٧) جمع جيب، وهو خرق الثوب الذى ١٥

(١) فى ظ: لا يكون - خطأ (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: بالتحرز .
 (٣) زيد فى الأصل: به، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٤) من ظ
 ومد، وفى الأصل: الخواتم (٥) فى ظ: وانها (٦) من ظ ومد، وفى
 الأصل: وجها (٧) فى البحر المحيط ٦ / ٤٤٣ (٨) من ظ ومد والبحر، وفى
 الأصل: الذى .

يحيط بالعنق، فالمعنى حيث : 'يهون بها' إلى ما تحت العنق ويسهلها من
جميع الجوانب ويطولنها سترًا للشعر والصدر وغيرهما مما هنالك، وكأنه
اختير لفظ الضرب إشارة إلى قوة القصد للستر وإشارة إلى الغف
عما قد يبدى عند تحريك الخمار عند مزاوله^٢ شيء من الغفل قال
أبو حيان^٣ : وكان النساء يغطين رؤسهن بالآخرة ويسدلنها من نورله
الظهور فيقي النحر والعنق والأذنان لا ستر عليهن . وروى البخاري
في التفسير عن عائشة رضي الله عنها قالت : برحم الله نساء المهاجرات
الأول^٤ لما نزلت "و ليضربن بخمرهن" شققن مروطهن - وفي رواية :
أخذن أزهرن فشققنها من قبل الحواشي - فاحضرن بها . يعني
٩٠ . تسرق ما قدام . والإزار هنا الملاء .

ولما كان ذكر الجيب ربما أوهم خصوصاً في الزينة، عم بقوله :
(ولا يدين) أو كرره لبيان "من يحل" الإبداء^٥ له ومن لا يحل ،
وللتأكيد (زينتهن) أي الخفية في أي موضع كانت من عتق أو غيره^٦ .

(١ - ٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : تهوين لها (٢) من ظ و مد ، وفي
الأصل : اشار (٣) في ظ : مناوله (٤) في البحر المحيط ٤٤٨/٦ (٥) ٧٠٠ / ٢ .
(٦) زبدت الواو في الأصل ، ولم تكن في ظ و مد والصحيح لحذفها (٧) من
ظ و مد ، وفي الأصل : فيستن (٨) في ظ و مد : هنا (٩) في ظ : أي ، و العبارة
من هنا إلى من لا يحل ، متكررة في الأصل ببعض الفوارق (١٠ - ١٠) سقط
ما بين الرقيين من ظ (١١) العبارة من هنا إلى دولته كيد ساقطة من ظ .
(١٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : غيرها .

وهي ما عدا الوجه والكفين ، وظهور القدمين ، ' بوضع الجلباب ،
وهو الثوب الذي يغطي الثياب والخمار - قاله ابن عباس رضي الله عنهما .
﴿الابعولتهن﴾ أى أزواجهن ، فإن الزينة لهم جعلت . قال أبو حيان :
ثم ثنى بالمحارم وسوى بينهم في إبداء الزينة ، ولكن تختلف مراتبهم
في الحرمة بحسب^٢ ما في نفوس البشر [فالأب 'و' الأخ ' ليس - °] هـ
كأبن الزوج - انتهى . فقال تعالى : ﴿ أو آبائهن ﴾ أى فإن لهم عليهن
من الشفقة ما يمنع النظر بالشهوة و^٣ مثلهم في هذا المعنى سواء الأعمام
والأخوال وكل منهما والد^٤ مجازا [بدليل^٥ " و الله أبائك إبراهيم
واسماعيل " - °] ﴿ أو آبآء بعلتهن ﴾ فإن رحمتهم لأولادهم مائة
﴿ أو آبائهن ﴾ [فإن لمن^٦ عليهن من الهية ما يبعد عن ذلك ١٠
﴿ أو آبآء بعلتهن ﴾ - °] فإن هية آبائهم^٧ حائلة ﴿ أو اخوانهن ﴾ فإن
لهم من الرغبة في صيانتهم عن العار ما يحفظ من الريبة^٨ ﴿ أو بنى ﴾
[عدل به عن جمع التكسير لثلاثا يتوالى أربع مضمرات من غير فاصل
حصين فتنقص عذوبته - °] ﴿ اخوانهن أو بنى اخواتهن ﴾ فإنهم كأبنائهن
﴿ أو نسائهن ﴾ أى المسلمات ، وأما غير المسلمات فحكمهن حكم الرجال ؛ ١٥

(١) العبارة من هنا إلى « رضي الله عنهما » متكررة في الأصل بعد « وللتأكيد »
ص ٢٦٠ س ١٣ (٢) في البحر المحيط ٤٨/٦ (٣) من ظ ومد والبحر ، وفي
الأصل : بسبب (٤-٤) ليس في ظ ومد (٥) زيد من ظ ومد والبحر (٦) زيد
في ظ : في (٧) من ظ ومد ، وفي الأصل : واكد (٨) سورة ٢ آية ١٣٣ (٩) زيد
من ظ ومد (١٠) كذا (١١) في ظ : آبائهن (١٢) من مد ، وفي الأصل : الزينة ،
وفي ظ : الرتبة .

روى سعيد بن منصور في سننه عن عمر رضى الله عنه^١ أنه كتب إلى
 أبي عبيدة رضى الله عنه ينهى عن دخول الذميات الحمام مع المسلمات ،
 وقال : فانه لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن ينظر إلى عورتها
 إلا أهل ملتها ؛ وفي مسند عبد بن حميد نحوه^٢ عن ابن عباس رضى الله
 عنها^٣ . (او ما ملكت إيمانهن) أى من الذكور والإناث وإن كن
 غير مسلمات لما لهن عليهن^٤ من الهية ، وحمل ابن المسيب الآية على
 الإمام فقط ؛ قال أبو حيان^٥ : قال الزمخشري : وهذا / هو الصحيح ؛
 لأن عبد المرأة بمنزلة الأجنبي منها خصيا كان أو فحلا ، وعن ميسون^٦
 ابنة بحدل الكلالية أن معاوية رضى الله عنه دخل عليها^٧ ومعه^٨ خصي
 ١٠. ففقتعت منه فقال : هو خصي ، فقالت : يا معاوية ! أترى المثلة به^٩ تحلل
 ما حرم الله - انتهى . وقصة مابور^{١٠} ترد هذا ، وقوله : الكلالية ،
 قال شيخنا^{١١} في تخرج الكشاف : صوابه : الكلية - باسكان اللام .
 (او التابعين) أى للخدمة أو غيرها (غير اولى الاربة) أى الحاجة
 إلى الاستمتاع بالنساء (من الرجال) كالشيوخ الفانين ومن بهم علة
 ١٥. منعت شهوتهم ، وكذا من كان ممسوحا^{١٢} لقصة مابور (او) من
 (١) راجع روح المعاني ٤/٦ هـ والعالم بهامش الباب ٥٧/٥ (٢) سقط من مد .
 (٣) راجع البحر المحيط ٦ / ٤٤٨ (٤) في مد : عليهم (٥) من ظ و مد و البحر ،
 وفي الأصل : مسرف - كذا (٦) في ظ : عليهما (٧) في مد : معها (٨) ليس
 في البحر (٩) راجع الإصابة ١٣/٦ (١٠) أى ابن حجر ، وكان في الأصل : سهما ،
 والتصحيح من ظ و مد (١١) في ظ : ممسوخا .

(الطفل) أى جنسه، والطفل الصغير ما لم يبلغ الحلم أو خمس عشرة سنة، وهو فى الأصل: الرخص الناعم من كل شيء: وكأنه سمي بذلك لأنه يخرج ملتبسا^١ بالتراب الذى تأكله^٢ الحامل، قال فى القاموس^٣: وطفلَ التبت كفرح وطفل بالضم تطفيلًا: أصابه التراب، والطفل، كغراب وسحاب: الطين اليابس. قال القزاز: ويسميه أهل نجد الكلام^٤، ه. والعامة تقول لجنس^٥ منه: طفل. (الذين لم يظهروا) أى لم يعلموا^٦ بالنظر المقصود للاطلاع (على عورت النساء) لعدم بلوغ سن الشهوة لذلك.

ولما نهى عن الإظهار. نه على أمر خفى منه فقال: (ولا يضربن بارجلهن) أى والخلاخيل وغيرها من الزينة فيها. ١٠ ولما كان ذلك لمطلق الإعلام، بناء للفعول فقال: (ليعلم ما يخفين) أى بالساتر الذى أمرن به (من زيتنهن^٧) بالصوت الناشئ من الحركة عند الضرب المذكور، وفى معنى ذلك التطيب، والنهى عن ذلك يفهم النهى^٨ عن موضعه من الجسد من باب الأولى.

ولما انتهى^٩ سبحانه ما أمره صلى الله عليه وسلم بالتقدم فيه إلى ١٥ الرجال والنساء، وكان من المعلوم أن العبد الحقير المجبول على الضعف (١) من ظ ومد، وفى الأصل: متلبسا (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: ما كده (٣) ٧/٤ (٤) بالضم - كما ذكره فى تاج العروس عن ابن دريد [كلم] (٥) فى ظ: الجنس (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: لم يعلموا (٧) فى ظ: النهى (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: نهى.

الموجب للتقصير لن يقدر على أن يقدر المولى العلى الكبير حق قدره
وإن أبلغ في الاجتهاد وزاد في التشمير، أتبعه التلطف بالإقبال عليهم
في الأمر بأقبالهم إليه إشارة إلى أن الأمر في غاية الصعوبة، وأن
الإنسان لكونه محل الزلل والتقصير - وإن اجتهد - لا يسهه إلا إحسان
○ الرحيم الرحمن، فقال: ﴿ وتوبوا الى الله ﴾ أى ارجعوا إلى طاعة الملك
الاعلى مهما حصل منكم^١ زيغ كما كنتم تفعلونه^٢ في الجاهلية (جميعاً)
رجالكم ونساؤكم ﴿ ايّه المؤمنون ﴾ والتعبير بالوصف إشارة إلى علو
مقام التوبة بأنه^٣ لا يقدر على ملازمتها إلا راسخ القدم في الإيمان، عارف
بأنه - وإن بالغ في الاجتهاد - واقع في النقصان، [وهذا الأمر
١٠ للوجوب، وإذا كان للراشخين في الإيمان فمن دونه من باب الاولى -^٤
﴿ لعلمكم تفعلون هـ ﴾ أى لتكونوا على رجاء [من -^٥] الفوز بالمطلوب^٦
الذى مضى أول سورة المؤمنون تعليقه بتلك الأوصاف التي منها رعاية
الامانة ولا سيما في الفروج؛ [قال الغزالي في كتاب التوبة^٧ من الإحياء:
إن الإنسان من حيث جبل على النقص لا يخلو عما يوجب عليه التوبة،
١٥ فان خلا في بعض الاحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم
بالذنوب بالقلب، فان^٨ خلا عنه فلا يخلو عن وسواس الشيطان بإيراد
الخواطر المتفرقة المذممة عن ذكر الله، فان خلا^٩ عنه فلا يخلو عن غفلة
(١) من ظ ومد، وفي الأصل: لكم (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: تفعلون.
(٣) في ظ: فانه (٤) زيد من ظ ومد (٥) من ظ ومد، وفي الأصل:
المطلوب (٦) ٧/٤ (٧) في مد: فلا (٨) سقط من مد.
٢٦٤ (٦٦) و قصور

و تصور في العلم بالله وصفاته و أفعاله . و كل ذلك نقص ، و له أسباب ،
و ترك أسبابه بالتشاغل بأضدادها^١ رجوع عن طريق إلى ضده ، و المراد
بالتوبة الرجوع^٢ ، و لا يتصور الخلو في حق الآدمي عن هذا النقص ،
و إنما يتفاوتون في المقادير - [٢] .

و لما تقدم سبحانه إلى عباده في الأمور العامة للأحوال و الأشخاص ه
في الزنا و أسبابه ، فحكم و قرر ، و وعظ و حذر ، أتبعه أسباب العصمة
التي هي نعم العون على التوبة فقال مرشدا : (و انكحوا الإياني)
مقلوب آييم جمع أيم ، وزن فعيل من آم ، عينه ياء ، و هو العزب
ذكر كان أو أنثى ثيبا أو بكرا (منكم) أي من أحراركم^٣ ، و أغنى
لفظ الآيم عن / ذكر الصلاح لأنه لا يقال لمن قصر عن درجة النكاح ١٠ / ٦٤٥
(و الصالحين) أي للنكاح (من عبادكم و أماتكم^٤) أي أرقائكم
الذكور و الإناث ، احتياطا لمصلحتهم و [صونا لهم عن الفساد - ٥]
امثالاً لما ندب إليه حديث^٥ : تناكحوا تكاثروا^٦ فاني أباهي بكم الأمم
يوم القيامة .

و لما كان للزواج^٧ كلف يهاب لأجلها ، لما طبع الآدمي عليه من ١٥
الهلح^٨ في قلة الوثوق بالرزق ، أجاب من كأنه قال : قد يكون الإنسان

(١) من الإحياء ، و في الأصول : بأضداده (٢) في الإحياء ، رجوع (٣) زيد من
ظ و مد و الإحياء (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : حواركم (٥) زيد من ظ
و مد (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : تناسلوا ، و في رواية
عبد الرزاق : تكثروا - راجع كنوز الدقائق (٨) من ظ و مد ، و في الأصل :
الزواج (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : الهلح - كذا .

غير قادر لكونه معدماً. بقوله: ﴿ان يكونوا﴾ أى كل من ذكر من
 حر أو عبد،^١ والتعبير بالمضارع يشعر بأنه قد يكون فى النكاح ضيق^٢
 وسعة ﴿فقراء﴾ أى من المال ﴿يغنىهم الله﴾ أى الذى له الكمال كله،
 إذا تزوجوا ﴿من فضله﴾^٣ لأنه [قد -] كتب لكل نفس رزقها^٤
 ٥ فلا يمنعكم فقرهم^٥ من إنكاحهم، وعن ابن أبى حاتم عن أبى بكر
 الصديق رضى الله عنه [أنه قال: أطيعوا الله فيما أمركم به من -] [
 النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنا. وقال البغوى: قال عمر
 رضى الله عنه: "عجبت لمن يبتغى" الغنا بغير النكاح - وقرأ هذه الآية .
 وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال: التمسوا الغنى "فى النكاح"،
 ١٠ وتلا هذه الآية - رواه ابن جرير^٦ . ولأحد^٧ و [الترمذى^٨ و -]
 النسائى^٩ وابن ماجه^{١٠} عن أبى هريرة رضى الله عنه رفعه: ثلاثة حق
 على الله عونهم: الناكح يريد العفاف، والمكاتب يريد الأداء، والغاى
 (١) من مد، وفى الأصل وظ: مقدما (٢-٣) فى ظ: فالتعبير (٣) فى ظ: فى.
 (٤) زيد فى الأصل: أى، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لحذفها (٥) زيد من
 ظ ومد (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: رزقا (٧-٧) فى ظ: بمنعها فقركم.
 (٨) زيد من ظ ومد وكثر العبال ٨ / ٢٨٥ (٩) راجع العالم على هامش
 الباب ٦٠/٥ (١٠) العبارة من هنا إلى « الغنا بغير » متكررة فى الأصل بعد
 « الصديق رضى الله عنه » س ٦ (١١) فى العالم: ابتغى (١٢-١٢) سقط ما بين
 الرقيم من ظ (١٣) راجع من تفسيره الجزء ١٨ / ٨٨ (١٤) فى مسنده ٢ / ٤٣٧ .
 (١٥) ٢١٠ / ١ (١٦) ٥٧ / ٢ (١٧) ٨٤ / ١

في سبيل الله . ويؤيده ما في الصحيح^١ من حديث الواهة نفسها حيث زوجها رسول الله صلى الله عليه و سلم لمن [لم - ^٢] يحد ولا خاتما من حديث .

ولما كان التقدير: فآله ذو فضل عظيم ، عطف عليه قوله: (والله) [أى - ^٢] ذو الجلال والإكرام (واسع عليهم) [أى ^٢ فهو بسعة قدرته ه يسوق ما كتبه للمرأة على يد الزوج ، و بشمول عليه يسبب أسبابه . ولما أمر سبحانه بما يعصم من الفتنة من غض البصر [ثم - ^٢] بما يحصن من النكاح^٣، و جراً^٤ عليه بالوعد بالإغناء^٥، و كان هذا الوعد فيما بعد النكاح ، و قدم الكلام فيه ترغيباً للإنسان في التوكل و الإحصان ، و كان قبله ما قد يتعذر لأجله إما بعدم وجدان المهر و ما يطلب منه تقديمه ، ١٠ أو بعدم رضى العبد و غيره بكون^٦ ولده رقيقاً أو غير ذلك ، أتبعه قوله حاثاً على قمع النفس الأمانة عند العجز: (وليستعفف) [أى يبالغ في [طلب - ^٢] العفة [و إيجادها - ^٢] عن الحرام (الذين لا يجدون نكاحاً) أى قدرة عليه و باعثاً^٧ إليه (حتى يغنيهم الله) أى الذى له الإحاطة بجميع صفات الكمال (من فضله^٨) في ذلك الذى ١٥

(١) ٧٦٧/٢ (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ (٤) من مد ، وفي الأصل وظ : بسبب (٥) زيد في الأصل : و وعد ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : جو (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : بالاعتنا (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : ويكون . (٩) في ظ : باحثاً .

تعذر عليهم النكاح بسببه .

ولما كان من جملة الموانع كما تقدم^١ خوف الرق على الولد لمن له من الرقيق مهمة عليه ، ونفس أية ، أتبعه قوله : (والذين يبتغون) أى يطلبون طلبا عازما (الكتب) أى المكاتب (لما ملكت إيمانكم) ذكرنا كان أو أنى ، و عبر بـ «ما» إشارة^٢ إلى ما فى الرقيق من النقص (فكاتبوهم) أى ندبا لأنه معاوضة تتضمن^٣ الإرفاق على [ما-^٤] يؤدونه إليكم منجما ، فإذا أدوه عتقوا (ان علمتم فيهم خيرا فليؤمروهم) أى تصرفا صالحا فى دينهم و دنياهم لئلا يفسد حالهم بعد الاستقلال بأنفسهم ؛ قال ابن كثير* : و روى أبو داود فى كتاب المراسيل عن يحيى بن / أبى ٦٤٦
١٠ كثير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن علمتم فيهم^٥ حرة^٦ ولا ترسلوهم كلا على الناس - انتهى . ولعله عبر بالعلم فى موضع^٧ الظن لذلك (و اتوهم) وجوبا إذا أدوا إليكم (من مال الله) [أى-^٨] الذى عم^٩ كل شيء بنعمته^{١٠} ، لأنه الملك الأعظم (الذى اتاكم^{١١}) ولو ببط شيء من مال الكتابة .

١٥ ولما أمر سبحانه بالجود فى أمر الرقيق تارة بالنفس ، و تارة

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : بقدم (٢) فى ظ : اشار (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : يتضمن (٤) زيد من ظ و مد (٥) راجع تفسيره ٢ / ٢٨٧ . (٦) فى ظ : فيهن (٧) من مد و التفسير ، وفى الأصل : حرة ، وفى ظ : خيرة - كذا (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : مواضع (٩) زيد فى الأصل : جوده ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠) من ظ و مد ، وفى الأصل : نعمة .

بالمال ، نهام عما يتافيه فقال : ﴿ ولا تكرهوا فتيتكم ﴾ اى إماءكم ،
ولعله عبر بلفظ الفتوة هذا لهم إلى معالى الاخلاق ، وتجيلا من طلب
الفتوة^١ من أمة ﴿ على البغاء ﴾ اى الزنا لتأخذوا^٢ منهم بما يأخذونه^٣
من ذلك .

ولما كان الإكراه على الزنا لا يصح إلا عند العفة ، و كان ذلك ه
نادرا من أمة ، قال : ﴿ ان ﴾ بأداة الشك ﴿ اردن تحصنا ﴾ وفى ذلك
زيادة تقييح للإكراه على هذا الفعل حيث كانت النساء مطلقا يتعففن^٤
عنه مع أنهن مجبولات على حبه ، فكيف إذا لم يمنعهن مانع خوف
أو حياء كالإماء ، فكيف إذا أذن لمن فيه ، فكيف إذا ألجئن إليه ،
و اشار^٥ بصيغة التفعّل و ذكر الإرادة إلى أن ذلك لا يكون إلا عن ١٠
عفة بالغة ، وزاد فى تصوير التقييح بذكر علة التزام هذا العار^٦ فى قوله :
﴿ لتبتغوا ﴾ اى تطلبوا طلبا حثيثا فيه رغبة قوية باكراههن على هذا الفعل
الفاحش ﴿ عرض الحيوة الدنيا^٧ ﴾ فان العرض متحقق فيه الزوال ،
و الدنيا مشتقة من الدناءة .

و لما نهى سبحانه عن الإكراه ، رغب الموالى^٨ فى التوبة عند المخالفة ١٥

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : القوة (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل :
ليأخذوا (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : يأخذونه (٤) من ظ و مد ، وفى
الأصل : لعصص - كذا (٥) فى ظ : اشارة (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل :
العام (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : الوالى .

فيه فقال: ﴿و من يكرههن﴾ دون أن يقول^١: وإن أكرهن، و عبر بالمضارع إعلاماً بأنه^٢ يقبل التوبة من خالف بعد نزول الآية، و عبر بالاسم العلم في قوله: ﴿فان الله﴾ إعلاماً بأن الجلال غير مؤس من الرحمة، و لعله عبر بلفظ «بعد» إشارة إلى^٣ العفو عن الميل إلى ذلك الفعل عند موافقته إن^٤ رجعت إلى الكراهة بعده، فان النفس لا تملك بغضه حيثذ، فقال: ﴿من بعد اكرههن غفور﴾ أى لمن والى^٥، يستر ذلك الذنب إن تابوا ﴿رحيم﴾ بالتوفيق للصنفين إلى ما يرضيه.

و لما أتم سبحانه هذه الآيات في براءة عائشة رضى الله عنها ١٠ و مقدماتها و خواتيمها، قال عاطفاً على [قوله -^٦] أولها "و انزلنا فيها آيت يثبت لعلكم تذكرون": ﴿و لقد انزلنا﴾ أى بما لنا من العظمة ترغيباً لكم و ترهيباً ﴿اليكم﴾ أى لتعظوا ﴿آيت ميئت﴾ مفصل فيها^٧ الحق من^٨ الباطل، موضح^٩ بالنقل و العقل^{١٠} بحيث صارت لشدة^{١١} بيانها تبين هى لمن تدبرها طرق الصواب كما أوضحنا^{١٢} ذلك لمن يتدبره^{١٣}

(١) فى مد: تقول (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: بما (٣) زيد بعده فى الأصل: ان، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الى (٥) فى ظ: الموالى (٦) فى ظ: للصنفين (٧) زيد من ظ و مد. (٨) فى ظ: عنها (٩) فى ظ: عن (١٠ - ١١) من ظ و مد، و فى الأصل: بالنقل و النقل (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: شدة (١٣) فى ظ: تدبره.

في براءة عائشة رضي الله تعالى عنها وما تقدمها^١ وتبعها بما هو صلاحكم في الدين والدنيا (ومثلا) أى^٢ شيها بأحوالكم (من الذين خلوا من قبلكم) أى من^٣ أحوالهم بما^٤ أنزل الله إليهم في التوراة في أحوال المخاططة والزنا وقذف الأبرياء كيوسف ومريم عليهما السلام وتبرئتهم^٥ كما قدمت^٦ كثيرا منه^٧ في سورة المائدة وغيرها ه مما صار في حسن سبكه^٨ في هذا الكتاب ، وبديع حبه عند أولى الألباب ، كالأمثال السائرة / ، والأفلاك الدائرة (وموعظة للتقين ع) ٦٤٧ / بما فيه من الأحكام والفواصل المنبئة^٩ عن الملل المذكورة^{١٠} بما يقرب من الله زلفى^{١١} وينور القلب ، ويوجب الحب والالفة ، ويذهب وحر الصدر ؛ ثم علل إزاله لذلك على هذا السنن الاقوم ، والنظم ١٠ المحكم ، بقوله : (الله) أى^{١٢} الذى أحاطت قدرته وعليه (نور) أى ذو نور (السموات والارض)^{١٣} لانه^{١٤} مظهرهما^{١٥} بإيجادهما وأيجاد^{١٦} أهلها وهاديهما بالتتوير بالعالم الجاعل صاحبه بهدايته^{١٧} إلى الصراط المستقيم كالمشى في نور الشمس ، لا يضيع [شيئا في غير موضعه كما

- (١) من ظ و مد ، وفي الأصل : يقدمها (٢) سقطت الواو من مد (٣-٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : أحوالكم بما (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : تبرئهم (٦-٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : منه كثيرا (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : سبكه (٨) من مد ، وفي الأصل : المنبئة ، وفي ظ : النبئية - كذا (٩) من مد ، وفي الأصل و ظ : المذكورة (١٠) سقط من مد . (١١) من ظ و مد ، وفي الأصل : لانها (١٢- ١٢) في مد : بإيجاد (١٣) زيد في الأصل : هاديا مهديا ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها .

أن الماشي في النور لا يضيء - ^١] رجلا في غير موضعها اللائق بها ،
ولا شك أن النور ^٢ هو ما به تظهر الأشياء وتكشف ، فهو سبحانه
مظهرهما ، وهما وما فيهما دال على ظهوره ، وأنه تام القدرة شامل
العلم حاوٍ لصفات الكمال ، منزّه عن شوائب النقص ، وفي آخر الشورى
هـ ما ينفع جدا هنا .

و لما كان من المحال أن يضل عن نور هو ملء الخافقين أحد
من سكانها ، بين وجه خفائه مع ظهور ضيائه واتساعه وقوة شعاعه ،
حتى ضل عنه أكثر الناس ، فقال مينا بإضافة النور إلى ضميره أن الإخبار
عنه بالنور مجاز لا حقيقة ، منها على أن آياته الهادية ^٢ تلوح خلال الشبهات
١٠ الناشئة عن الإوهام الغالبة على الخلق التي هي كالظلمات (مثل نوره)
أى الذى هدى به إلى سبيل الرشاد فى خفائه عن بعض الناس مع شدة
ظهوره ، وهو آياته الدالة عليه من أقواله وأفعاله (كشكوة) أى
مثل كوة أى خرق لكن غير نافذ فى جدار ، قال البغوى ^٦ : فان كان
لها منفذ فهي كوة .

١٥ و لما كان دخل المشكاة فى هذا المثل خفيا فقدمها تشويقا ^٥ إلى
شرحه ، أتبعه قوله ^٤ شارحاً له : (فيها مصباح ^١) أى سراج ضخم ثاقب ،

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيدت الواو فى ظ (٣) من ظ و مد ، وفى
الأصل : النارية (٤) فى ظ و مد : عن (٥) سقط من ظ (٦) فى المعالم - راجع
هامش الباب ٢٣/٥ (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : تشريقا (٨) وقع فى
الأصل بعد « شارحاً له » والترتيب من ظ و مد .

وهو الذبالة - أى القتيلة - الضخمة المتقدمة، من الصباح الذى هو نور
 الفجر، والمصباح الذى هو الكوكب الكبير؛ قال البغوى^١: وأصله^٢
 الضوء - انتهى . فاذا كان^٣ فى المشكاة اجتمعت أشعته^٤ فكان أشد
 إثارة، ولو كان فى فضاء لا فقرت أشعته^٥؛ وأتى ببقية الكلام استثناءً
 على تقدير سؤال تعظيمه له فقال: (المصباح فى زجاجة^٦) أى قد بيل . هـ
 ولما كان من الزجاج ما هو فى غاية الصفاء، بين أن هذه منه
 فقال: (الزجاجة كأنها^٧) أى فى شدة الصفاء (كوكب^٨) شبه به^٩
 دون الشمس والقمر لأنهما يعتريهما الخسوف (درى^{١٠}) أى متلألئ^{١١}
 بالأنوار فانه إذا كان فى زجاجة صافية^{١٢} انعكست الأشعة المنفصلة عنه
 من بعض جوانب الزجاج إلى بعض لما فيها من^{١٣} الصفاء والشفيف .
 فيزداد^{١٤} النور [و يبلغ النهاية -^{١٥}] كما أن شعاع الشمس إذا وقع على
 ماء أو زجاجة صافية تضاعف النور حتى أنه^{١٦} يظهر فيما يقابله مثل ذلك
 النور؛ والدرى - قال الزجاج^{١٧}: مأخوذ من درأ / - إذا اندفع متفضا
 فتضاعف^{١٨} نوره .

٦٤٨ /

(١) فى المعالم - راجع هامش الباب ٦٣/٥ (٢) زيد فى المعالم : من (٢) فى ظ :
 كانت (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : اسعة (٥-٥) بياض فى الأصل ملأناه
 من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : متلألا - كذا (٧) من ظ
 و مد ، وفى الأصل : فيه (٨) سقط من مد (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل :
 و يزداد (١٠) زيد من ظ و مد (١١) سقط من ظ (١٢) ذكر قوله هذا فى
 الباب ٦٣/٥ و ٦٤ غير معزى إليه (١٣) فى الباب : فيتضاعف .

ولما كان من المصايح أيضا ما يكون نوده ضعيفا بين أن هذا
ليس كذلك فقال: (يوقد^١) أى المصباح، بأن اشتد وقده . ولما
كان هذا الضوء يختلف باختلاف ما يتقد فيه، فاذا كان دهنا صافيا
خالصا كان شديدا، وكانت الأدهان التى توقد ليس فيها ما يظهر فيه
الصفاء كالزيت لأنه ربما بلغ فى الصفاء والرقه مبلغ الماء مع زيادة
هـ ياض وشماع يتردد فى أجزائه، قال: (من شجرة) أى زيتها (مبركة)
أى عظيمة الثبات^٢ والخيرات يطيب منبتها (زيتونة) .

ولما كان الزيت^٣ يختلف باختلاف شجرته^٤ فى احتجابها عن الشمس^٥
وبروزها لها، لأن^٦ الشجر ربما ضعف وخبث^٧ ثمرة بجائل^٨ بينه وبين
١٠ الشمس، بين أن هذه الشجرة ليست كذلك فقال: (لا شرقية) أى
ليست منسوبة إلى الشرق وحده، لكونها [بحيث - ^٩] لا يتمكن منها

(١) فى العالم: قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: توقد - بالناء
وتفتحها وتفتح الواو والdal وتشديد القاف على الماضى يعنى المصباح أى اتقد،
يقال: توقدت النار - إذا اتقدت، وقرأ أهل الكوفة غير حفص: توقد -
بالتاء وضمها وتفتح القاف خفيفا - يعنى الزجاجه، أى نار الزجاجه لأن
الزجاجه لا توقد، وقرأ الآخرون بالياء وضمها خفيفا - يعنى المصباح (٢) من
ظ ومد، وفى الأصل: هنا (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: النبات (٤) سقط
من مد (هـ - هـ) من ظ ومد، وفى الأصل: باحاطها من الثمن (٦) من ظ
ومد، وفى الأصل: كان (٧) من مد، وفى الأصل: جنت، وفى ظ: ينجبت.
(٨) من مد، وفى الأصل: بحامل، وفى ظ: تخايل (٩) زيد من ظ ومد .

الشمس إلا عند الشروق [لكونها - ١] في لحف جبل [يظلمها - ١] إذا
تضيفت الشمس للغروب (ولا غربة لا) لأنها في سقع جبل يسترها
من الشمس عند الشروق ، بل هي بارزة للشمس من حين الشروق
إلى وقت الغروب ، ليكون ثمرها أنضج فيكون زيتة أصفى ، قال البغوى :
هذا قول ابن عباس رضى الله عنهما في رواية عكرمة و الكلبي و الأكثرين . هـ
فهى لوكاه عنصرها ، و طهارة منبتها ، و بروزها للشمس و الرياح ، بحيث
(يكاد زيتها) لشدة صفائه (يضىء و لو لم تمسه نار) .

ولما علم من هذا أن لهذا الممثل به أنواراً متظاهرة بمعاونة
المشكاة و الزجاج و المصباح و الزيت ، فلم يبق مما يقوى نوره و يزيده
إشراقاً ، و يمدد باضائة قية ، قال فى الممثل له : (نور على نور) أى أن ١٠
العلم الربانى " عظيم الاتساع كلما سرحت فيه النظر " ، و أطلقت
عنان الفكر ، أتى بالغرائب و لا يمكن أن يوقف له على حد .

و لما كان الإخبار عن مضاعفة هذا النور موجبا لاعتقاد أنه لا يخفى
عن أحد ، أشار إلى أنه - بشمول علمه و تمام قدرته - يعنى عنه من
يريد مع شدة ضيائه ، و عظيم لآلائه ، فقال : (يهدى الله) [أى - ١] ١٥

(١) زيد من ظ و مد (٢) أى مالت ، و فى ظ : خصفت (٣) فى ظ : الشرق .
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : حيث (٥) فى ظ : زيتها - كذا (٦) فى العالم -
راجع هامش الباب ٦٤/هـ (٧) سقط من ظ (٨) فى الأصل و ظ : أنوار (٩) من
ظ و مد ، و فى الأصل : بمكادنة (١٠) فى ظ : يزيدهم (١١) فى ظ : الترياق -
كذا ، خطأ (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : التطهر .

بعظمته المحيطة بكل شيء (لنوره من بشاء^١) كما^٢ هدى الله من هدى
من المؤمنين لثبته^٣ عائشة رضى الله عنها قبل إزال براهتها. يكون^٤ الله
اختارها لنيه صلى الله عليه وسلم، ولا يختار له إلا طيبا طاهرا وما شاكل
ذلك، وعلم أن قسم ذلك « ويضل الله عن نوره من يشاء » وعلم
ه أن وجه كونه ضل^٥ عنه [أكثر الناس -^٦] إنما هو ستر القادر له
بنقص في حس^٧ من يريد سبحانه إضلاله، لا لنقص في النور^٨ كما
قال الشاعر^٩ :

والنجم تستصغر الأبصار صورته^{١٠} فالذنب^{١١} للطرف لا للجم في الصغر
كما سيأتي إيضاح ذلك عند قوله تعالى " ألم ترالى ربك كيف مد
الظل "، و مر آتفا في حديث على رضى الله عنه في الأرواح " ما
ينفع ههنا .

ولا كان كأنه قيل : ضرب الله هذا المثل لكم لتدبروه فتتفعلوا
به، عطف عليه قوله : (ويضرب الله) [أى -^١] بما له [من
الإحاطة -^٢] بكمال القدرة و شمول العلم (الامثال^٣ للناس^٤) لعله
(١) من ظ و مد . وفي الأصل : لكل (٢) سقط من مد (٣) في ظ : كثرية .
(٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : لكون (٥) في مد : اضل (٦) زيد من ظ
و مد (٧) من مد ، وفي الأصل و ظ : حسن (٨ - ٨) سقط ما بين الرقيين
من ظ و مد (٩) من ظ و مد و نظم الدرر ٩/١ ، وفي الأصل : رويته .
(١٠) من نظم الدرر ، وفي الأصول : والذنب (١١) زيدت الواو في
الأصل، ولم تكن في ظ و مد لحذفها (١٢) تقدم في الأصل على « أى بما له » ،
و الترتيب من ظ و مد .

بها ، تقريرا لا تفهام ، لعلهم يهتدون (والله) [أى - ١] الذى له جميع صفات الكمال (بكل شيء) أى منها / ومن غيرها (عليه) بين كل شيء [بما - ١] سهل سبيله فتقوا بما يقول^٢ ، وإن لم تفهموه فاتهموا أنفسكم وأمعنوا النظر فيه يفتح لكم سبحانه ما انغلق منه .

ولما كان كأنه قيل : فأى شيء يكون هذه المشكاة ؟ قال شافيا ه لى هذا السؤال : (فى بيوت) أى فى جدران بيوت ، فجمع دلالة على أن المراد بالمشكاة الجنس لا الواحد ، وفى وحدتها ووحدة آلات النور إشارة إلى عزته جدا (أذن الله) أى مكن بجلاله فأباح وندب وأوجب (أن ترفع) حسنا فى البناء ، ومعنى باخلاصها للعمل الصالح ، من كل رافع أذن له سبحانه فى ذلك ، فعلى المرء إذا دخلها أن يتحصن^{١٠} من العدو بما رواه أبو داود^٩ عن عبد الله بن عمرو^٨ رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا دخل المسجد قال : أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الكريم ، وسلطانه القديم ، من الشيطان الرجيم . قال عقبه بن مسلم : فإذا قال ذلك قال الشيطان : حفظ منى سائر اليوم .

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : بين (٣ - ٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : فتقوى بما يقوك - كذا (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : امتعنوا (٥) فى مد : أى (٦) فى ظ : حط (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : نتحصن (٨) راجع سلفه ١/ ٤٨ (٩) من مد و السنن ، وفى الأصل وظ : عمر .

(ويذكر) من كل ذاكر أذن له سبحانه^١ (فيها اسمه لا) أي [ذكرًا -^٢]
صافيا عن شوب ، و خالصا عن^٣ غش (يسبح) أي يصلي و ينزه
(له) [أي -^٤] خاصة (فيها بالغدو) أي الابدان ، بصلاة الصبح
(و الأصال لا) أي العشيات ، ببقية الصلوات ، فيفتحون أعمالهم
و يحتمونها^٥ بذكره ليحفظوا فيما بين ذلك و يبارك لهم فيما يتقبلون^٥
فيه ، و جمع الأصيل لتحقيق أن المراد الظهر و العصر و المغرب و العشاء ؛
قال البغوي^٦ : لأن اسم الأصيل يجمعها . (رجال لا) أي رجال
(لا تلهيهم تجارة) أي يبيع أو^٧ شري أو غيرهما ، يظهر لهم
فيها ربح .

١٠. و لما كان الإنسان قد يضطر إلى الخروج بالبيع عن بعض ما
يملكه للاقتيات [بئنه -^١] أو^٢ التبليغ به^٣ إلى بعض المهات التي لا وصول
له إليها إلا به ، [أو بتحصيل ما لا يملك كذلك مع أن البيع في التجارة
أيضا هو الطلبة الكلية لأنه موضع تحقق الربح الذي لا صبر عنه -^٤] ،
قال : (و لا يبيع) أي و إن لم يكن على وجه التجارة ، و البيع يطلق
بالاشتراك على التحصيل الذي هو الشري و على الإزالة (عن ذكر الله)
أي الذي له الجلال و الإكرام مطلقا بصلاة و غيرها ، فهم [في -^٥]

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : شيء منه - مصحفاً (٢) زيد من ظ و مد .
(٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : من (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : يحتمون .
(٥) في ظ : يتقبلونه (٦) في المعالم على هامش الباب ٦٦/٥ (٧) من ظ و مد ،
وفي الأصل : أي (٨) في ظ : « و » (٩) سقط من ظ .

كل وقت في شهود ومراقبة لمن تعرف إليهم^١ بصفات الكمال (و) لا يليهم ذلك عن (إقام الصلوة) التي هي طهرة الأرواح، أعادها بعد ذكرها بالتسريح تصريحاً بها تأكيداً لها وحثاً على حفظ وقتها^٢ لأنه من جملة مقوماتها^٣ وكذا جميع حدودها ولو بأجز ما يكون من أدنى الكمال - بما أشار إليه حرف التاء إشعاراً بأن هذا المدح^٤ لا يتوقف على أنهى الكمال (و) لا عن (آية الزكاة) التي هي زكاة الأشباح ونماؤها، وخص الرجال مع أن حضور النساء المساجد سنة شهيرة، إشارة إلى أن صلاتهن في بيوتهن أفضل لما روى أبو داود في سننه^٥ وابن خزيمة في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: صلاة المرأة في ١٠ بيتها أفضل من [صلاتها في -] حجرتها، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها. والمخدع: الجزاة. وللإمام أحمد^٦ والطبراني^٧ وابن خزيمة^٨ والحاكم^٩ عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: خير مساجد النساء قريوتهن. والإحد^{١٠} وابن خزيمة وابن جبان في صحيحهما عن أم حديد امرأة أبي حديد الساعدي ١٥

- (١) من ظ ومد، وفي الأصل: اليه (٢-٢) من ظ ومد، وفي الأصل: ذكرها كانه (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: مقدماتها (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: النع (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: زكاة (٦) ٥٩/١ (٧) زيد من ظ ومد والسنن (٨) راجع مسنده ٢٩٧/٦ (٩) راجع مجمع الزوائد ٢٣/٢ (١٠) راجع المستدرک ٢٠٩/١ (١١) راجع مسنده ٣٧١/٦.

رضى الله عنهما أنها قالت : يا رسول الله ! إني أحب الصلاة / معك ، قال :
 قد علمت أنك تحبين الصلاة معي ، و صلاتك في بيتك خير من صلاتك
 [في حجرتك ، و صلاتك في حجرتك خير من صلاتك -^١] في دارك ،
 و صلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك ، و صلاتك في
 ه مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي ، قال :^٢ فأمرت فبنى لها
 مسجد في أقصى بيت^٣ من بيته^٤ ، وأظله ، فكانت^٥ تصلي فيه حتى
 لقيت الله عز وجل .

ولما وصف الرجال المذكورين بما وصفهم به^٦ ، ذكر علة فعلهم
 لذلك زيادة في مدحهم فقال : (يخافون يوما) وهو يوم القيامة ،
 ١٠ هو بحيث (يتقلب فيه) أى لشدة هوله ، تقلبا ظاهرا - بما أشار
 إليه إثبات التائبين^٧ (القلوب والابصار لا) أى بين طمع في النجاة^٨
 وحذر من الهلاك ، ويمكن أن يقال : المشاكي - والله أعلم - هي
 المساجد ، والزجاج هي^٩ الرجال ، والمصايح هي القلوب ، وتلاؤوها
 ما تشتمل عليه من المعاني الحاملة على الذكر ، والشجرة الموصوفة هي

(١) زيد من السند (٢) من ظ و مد و المسند ، وفي الأصل : قالت (٣) كذا
 في الأصول و مجمع الزوائد ٢ / ٣٤ حيث ذكر الحديث عن الإمام أحمد ، وفي
 السند : شيء (٤) زيد في الأصل : بين بيوتها ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد
 و السند لخصفائها (٥) من السند ، وفي الأصول : وكانت (٦) سقط من ظ
 (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : النسي - كذا (٨) في ظ : من .

مثال الأبدان ، التي صفاها الله من الأدان ، وطبعها^١ على الاستقامة ،
والزيت مثال لما وضع سبحانه فيها من جميل الأسرار ، وقد ورد
في بعض الأخبار أن المساجد لأهل السماوات^٢ كالنجوم [لأهل الأرض -^٣]
وفي معجم الطبراني في الأوسط^٤ عن ابن عمر رضي الله عنهما : "كشكاة"
قال : جوف محمد صلى الله عليه وسلم ، والزجاجة قلبه ، والمصباح^٥
النور^٦ الذي في قلبه ، والشجرة إبراهيم عليه السلام ، "لا شرقية
ولا غربية" : لا يهودى ولا نصرانى .

ولما بين تعالى أفعال هؤلاء الرجال التي أقبلوا بها عليه . وأعرضوا
عما عداه ، بين غايتهم فيها فقال : (ليجزئهم) أى يفعلون ذلك ليجزئهم
(الله) [أى فى دار كرامته بعد البحث -^٢] بعظمته وجلاله ، وكرمه^{١٠}
وجاله (أحسن ما عملوا) أى جزاءه ، ويقرهم سيئه (ويزيدهم من فضله)
على العدل من الجزاء ما لم يستحقوه - كما هى عادة أهل الكرم .
ولما كان التقدير : فإن الله لجلاله ، وعظمته و كآله ، لا يرضى أن
يقصر^٩ فى جزاء المحسن على ما يستحقه [فقط -^٢] ، عطف عليه بيانا
لأن قدرته وعظمته لا أحد لها قوله : (والله) [أى -^٢] الذى^{١٥}

(١) فى ظ : طيها (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : السماء (٣) زيد من ظ ومد .
(٤) راجع مجمع الزوائد ٨٣/٧ (٥) سقط من ظ (٦) زيد فى الأصل : فى ، ولم
تكن الريادة فى ظ ومد والمجمع لمذفها (٧) زيد فى ظ : أى (٨-٨) من ظ
ومد ، وفى الأصل : كرمه وعظمته (٩) من ظ ومد ، وفى الأصل : يقص .

لا كفوه له فلا^١ اغراض عليه (يرزق من يشاء) . ولما كان المعنى :
 رزقا يفوق الحد، ويفوت العد، عبر عنه بقوله : (بغير حساب هـ)
 فهو كناية عن السعة، ويجوز أن يكون مع السعة التوفيق، فيكون
 بشارة بنى الحساب في الآخرة أيضا أصلا ورأسا، لأن ذلك المرزوق
 هـ لم يعمل ما فيه درك عليه فلا يحاسب، أو يحاسب ولا يعاقب، فيكون
 المراد بنى الحساب نقي^٢ عسره وعقابه، ويجوز أن يزداد الرزق كفافا،
 وقد ورد أنه لا حساب فيه؛ روى ابن كثير^٣ من عند ابن أبي حاتم
 بسنده^٤ عن أسماء بنت يزيد رضی الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد فنادى
 ١٠ بصوت يسمع الخلائق : سيعلم أهل الجمع من أولى^٥ بالكرم، ليقيم^٦
 الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، فيقومون وهم قليل، ثم
 يحاسب سائر الخلائق .

ولما أخبر تعالى أن الذين اتبعوا نور الحق سبحانه، وصلوا - من
 جزائه بسبب ما هداهم^٧ إليه النور من الأعمال الصالحة - إلى حقائق هي
 ١٠ في نفس الأمر الحقائق . أخبر عن أضدادهم الذين اتبعوا الباطل فحالت

(١) من ظ و مد، وفي الأصل : ولا (٢) من ظ و مد، وفي الأصل : لم .
 (٣) من ظ و مد، وفي الأصل : نقي (٤) من ظ و مد، وفي الأصل : يكون .
 (٥) راجع تفسيره ٣ / ٢٩٦ (٦) من ظ و مد، وفي الأصل : بسند (٧-٧) من
 ظ و مد والتفسير ، وفي الأصل : الكرم ليعم (٨) من ظ و مد،
 وفي الأصل : عداهم .

٦٥١ /

جباله / الوعة الشائعة^١ بين أبصار بصارهم وبين تلك^٢ الأنوار بضد حالهم
 فقال: (و الذين كفروا) أى ستروا بما لزموه من الضلال ما انتشر
 من نور^٣ الله (اعمالهم) [كأنه فى يوم الجزاء -^٤] (كسراب)
 وهو ما تراءى نصف النهار فى البرارى لاصقا بالأرض يلمع كأنه ماء ،
 وكلما قربت منه بعد حتى تصل إلى جبل ونحوه فيختفى ، قال الرازى فى هـ
 اللوامع : و السراب شعاع ينكشف فينسرب و يجرى كالماء تخيلا ؛ و قال
 ابن كثير^٥ : يرى عن بعد كأنه بحر طام ، وإنما يكون ذلك بعد نصف
 النهار ، و أما الآل^٦ فأنما يكون^٧ أول النهار ، يرى كأنه ماء بين السماء
 و الأرض - انتهى^٨ . و قال البغوى^٩ : والآل ما ارتفع عن^{١٠} الأرض ،
 و هم شعاع [يرى -^{١١}] بين السماء و الأرض بالقدوات شبه الملاة ،
 يرفع [فيه -^{١٢}] الشخوص ، يرى فيه الصغير كبيرا ، و القصير طويلا ،
 و الرقاق^{١٣} يكون بالعشايا ، و هو ما ترقق من السراب^{١٤} ، أى جاء
 و ذهب . (بقية) جمع قاع ، و هو أرض سهلة مطمئة قد انقرجت

(١) زيد فى الأصل : التى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٢) من ظ
 ومد ، وفى الأصل : ذلك (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : أنوار (٤) زيد من ظ
 ومد (٥) راجع تفسيره ٢٩٦/٣ (٦) فى ظ : الآن ، وفى التفسير : الأول - خطأ .
 (٧) زيد بعده فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد و التفسير لحذفها .
 (٨) سقط من ظ و مد و تستمر السقطة فى الأخير إلى « السماء و الأرض » .
 (٩) راجع المعالم بهامش الباب ٩٧/٥ (١٠) فى المعالم : من (١١) زيد من المعالم .
 (١٢) زيد بعده فى الأصول : هو ما ، ولم تكن الزيادة فى المعالم لحذفها .
 (١٣) من ظ و مد و المعالم ، وفى الأصل : التراب .

عنها الجبال و الآكام - قاله في القاموس . و قال أبو عبد الله القزاز في ديوانه : القبة و القاع واحد ، و هما الأرض المستوية المساء يخفن فيها التراب^٢ ، الفراء : القبة جمع قاع كجار و جيرة . و قال الصغاني في مجمع البحرين : و القاع : المستوى من الأرض ، و الجمع أقواع و أقوع و قيعان ، صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها ، و القبة مثل القاع ، و هو أيضا من الواو ، و بعضهم يقول : هو جمع ؛ و قال ابن جرير^٣ : و القاع ما أنبسط من الأرض و اتسع ، و فيه يكون السراب . و قال عبد الغافر الفارسي في مجمع الفرائب : قال الفراء : القاع : مستنقع الماء ، و القاع : [المكان -^٤] المستوى الواسع في وطأة^٥ من الأرض يعلوه ١٠ المطر فيمسكه و يستوى نباته ، و جمعه قبة و قيعان . (بحسبه الظمان) أى العطشان الشديد العطش^٦ من ضعف العقل (ماء^٧) فيقصده^٨ و لا يزال [سائرا -^٩] (حتى إذا جاءه) أى جاء الموضع الذى توهمه به (لم يجد شيئا) من الأشياء ، فلم يفده قصده غير زيادة العطش بزيادة التعب ، و بعده عن مواطن الرجاء ، فيشتد بأسه ، و تنقطع حيله^{١٠} فيهلك .

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : هو (٢) زيد فى الأصل : و قال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد لخذفناها (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : ابوجريرة ، و راجع من تفسيره الجزء ١٨/ ١٠٣ (٤) من ظ و مد و التفسير ، و فى الأصل : من (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : فضاء (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : العطر (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيقصده . (٩-٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : ينقطع حبه .

و هكذا الكافر يظن أعماله تجديه شيئا فاذا هي قد أهلكته .

ولما كان الله محيطا بعلومه وقدرته بكل مكان قال : (ووجد الله)

أى 'قدرة المحيط ' بكل شيء (عنه) أى عند ذلك الموضع الذى

قصده لا تخيل فيه الخير غلب ظنه (فوفنه حسابه) أى جزاء عمله على

ما تقتضيه أعماله على حكم العدل ، فلم يكف هذا الجاهل 'خية وكذا' هـ

أنه لم يجد ما قصده شيئا كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية

تغله إلى نار ، لا يفك أسيرها ، ولا يخذ سعيها .

ولما كان سبحانه لا يحتاج إلى كاتب ، ولا يدخل عليه لبس ،

ولا يصعب عليه ضبط شيء [و- '] إن كثرت ، ولا يقدر [أحد- ']

أن يتأخر عما يريد به بنوع حيلة ، عبر عن ذلك بقوله : (والله) ١٠

أى الذى له القدرة الكاملة والعلم الشامل (سريع الحساب) أى لانه

لا يحتاج إلى / حفظ بقلب ، ولا عقد بأصابع ، ولا شيء غير ذلك ، ٦٥٢ /

ولكنه عالم بذلك كله قبل أن يعمل ' العبد وبعد عمله [له- '] ،

لا يعزب عنه منه ولا من غيره شيء .

ولما بين [سبحانه - '] بهذا المثال^٩ أنهم لم يصلوا إلى شيء غير ١٥

التعب ، الثمر للعطب ، وكان هذا لا يفعله بنفسه عاقل ، ضرب مثلا

(١-١) من مد ، وفى الأصل : قدرته المحيطة ، وفى ظ : قدرته المحيط (٢-٢) من

ظ ومد ، وفى الأصل : صيه وكذا - كذا (٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : عند

(٤) زيد من ظ ومد (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : بعله (٦) زيد فى ظ :

مقال (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ومد ، وفى الأصل : المال .

آخر بين فيه الحامل لهم على الوقوع في عمول الاول ، وهو السير
 بغير دليل ، الموقع في خط العشواء كالماشى في الظلام ، فقال عاطفا
 على " كسراب " قوله : (او) [للتخيير ، أى أعمالهم لكونها
 لا منفعة لها كسراب ، ولكونها خالية عن نور الحق - ']
 هـ (كظلمت) أو للتويع ، فانها إن كانت حسنة الظاهر فكالكسراب ،
 أو قبيحة فكالظلمات ، أو للتقسيم باعتبار وقتين كالظلمات في الدنيا والسراب
 في الآخرة (في بحر) هو مثال قلب الكافر (لجى) أى ذى لج هو
 اللج ، إشارة إلى أنه عميق لا يدرك له قرار ، لان اللج معظم الماء ،
 ويكون جمع لجة أيضا ، والافق هنا أن يكون منسوباً إلى الجمع ،
 ١٠ لانه أهل ، والمقام للتحويل ، قال القزاز في ديوانه : ولجة البحر معروفة
 وهو الموضع الذى لا ترى منه أرضاً ولا جبلاً ، وبحر لجى : واسع
 اللجة ، وجمع اللجة لجج و لج . (يغشيه) أى يغطى هذا البحر و يعلوه ،
 أو يلحق الكائن فيه (موج) وهو مثل ما يغشى قلبه من الجهل
 والشك والحيرة ، كائن^٢ (من فوقه) أى هذا الموج (موج)
 ١٥ آخر (من فوقه) أى هذا الموج الثانى المركوم على الاول
 (سحب^٣) قد غطى النجوم ، وهو مثال الرين^٤ والختم والطبع
 (١) فى ظ و مد : فقال (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، وفى
 الأصل : فكالشرار (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : كالظلمات (٥) من ظ
 و مد ، وفى الأصل : الشرار (٦) زيد فى الأصل : فى ، ولم تكن الزيادة فى
 ظ و مد لحدوثها (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل :
 الهوى - كذا .

على القلب، فلا شئمة تبطو ولا أرض .

ولما كان هذا أمرا مهولا، أشار إلى هوله وتصويره بقوله:

(ظلمت) أى من البحر والموجين والسحاب (بعضها) . [ولما

كان المراد استغراق الجهة، لم يثبت الجار فقال -١-] : (فوق بعض)

متراكمة، فلذلك يحدد كل البعد أن ينفذ فيها بصر، ولذلك قال : هـ

(إذا أخرج) أى الكائن فى هذا البحر [بدلالة المعنى وإن لم يمر له

ذكر -١-] (يده) [وهى أقرب شئ إليه -١-] (لم يكد) أى

الكائن فيه (يراها) أى يقرب من ذلك فضلا عن أن يكون،

لأن الله [قد -١-] ستر عنه كل نور بهذه [الظلمات -١-] المتكاثرة،

وهو مثال لعمله وأنه عدم لما تقدم [من أن عدم كله ظلمة، فلا ١٠

عمل له يكون شيئا ولا يقرب من ذلك لأنه لا أهلية له بوجه -١-]

(ومن لم يجعل الله) أى الملك الأعظم (له نورا) من الأنوار،

وهو قوة الإيجاد والإظهار (فقال له من نور) أصلا، لأنه سبحانه

يستر نوره^٢ وإن كان ملء السماوات والأرض عن يشاء بحجب الأهوية،

لأنه قادر على ما يريد .

١٥

ولما كان قيام الأمور، وظهورها كل ظهور، إنما هو بالنور، حسا

(١) زيد من ظ ومد (٢) من ظ ومد، وفى الأصل : متراكبة (٣) من ظ

ومد، وفى الأصل : لذا (٤-٤) من ظ ومد، وفى الأصل : هذه الظلمات.

(٥) من ظ ومد، وفى الأصل : فيها (٦) زيد فى ظ : مقادير أعمالهم - كذا .

(٧) سقط من ظ .

بالإيجاد . و معنى يحمل الموجودات آيات مراثيات تدل على موجودها ،
قال تعالى دالا على ما أخرجه به من أنه وحده نور السماوات و الأرض ،
أى موجودهما بعلمه و قدرته ، و ' من أن من كساه من نوره فاز [في
يوم البعث الذى يجازى فيه الخلق على ما يقتضيه العلم الذى هو النور
ه فى الحقيقة من مقادير أعمالهم - '] ، و من أعراهم من النور هلك .
(الم تر) أى تعلم بأرأس الفائزين رتبة الإحسان علما هو فى ثباته
كما بالمشاهدة (ان الله) الحائز لصفات الكمال (يسبح له) أى
ينزه . عن كل شائبة نقص لأجله خاصة بما له [فيه - '] من القدرة
الكاملة (من فى السموات) . [و لما كان مبنى السورة على شمول
العلم و القدرة لم يؤكد فقال - '] : (و الأرض) أى هما و كل ما
فيهما بلسان جاله ، أو آله مقاله ، و عرف أن المراد العموم بعبقفه بعض
ما لا يعقل ، و عبر / بـ ' من ' لأن المخبر به من وظائف العقلاء .

/ ٦٥٣

و لما كان أمر الطير أدل لأنه أعجب ، قال مخصصا : (و الطير تصفت)
أى باسطات أجنحتها فى جوالسها ، لاشبهة فى أنه لا يسكنهن إلا الله ،
١٥ و إمساكه لها فى الجو مع أنها أجرام ثقيلة ، و تقديره ' لها فيه على
القبض و البسط حجة ' قاطعة على كمال قدرته .

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ط و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل :
عراه (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الصفات (٥) من مد ، و فى الأصل :
و ظ : تنزه (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٨) من
ظ و مد ، و فى الأصل : امير (٩-٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيقدرته .
(١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : عه .

و لا

(٧٢)

٢٨٨

ولما كان العلم يوصف به ما هو سيبه كالكتاب المصنف ونحوه،
ويشتق للشيء اسم فاعل بما لا يسه كما يقال: ليله قائم، ونهاره صائم،
”ولا تزال تطلع على خائنة منهم“ وكانت أسطر القدرة مجودة على
كل كائن، شديدة الوضوح في صفحات كل شيء، فكانت الكائنات
بذلك دالة على خالقها وما له من كل صفة كمال، صح إطلاق العلم
عليها وإسناده إليها فقال: (كل) أى من المخلوقات (قد علم) أى
بما كان سيبا له من العلم بما فيه من الآيات الدالة المعلقة^١ بما لموجده^٢
من صفات الكمال^٣ (صلاته) أى الوجه الذى به وصلته بمولاه
ونسبته إليه (وتسبيحه^٤) أى الحال الذى به براءة صانعه من الشين
وتعالیه عن النقص، و^٥ قد صرحت بذلك ألسن أحوالها^٦، نيابة عن ١٠
[بيان^٧] مقالها، هذا بقيامه صامتا جامدا، وهذا ينموه مهتزا رايا،
إلجاء وقهرا، وهذا بحركته^٨ بالإرادة، وقصده وجوه منافعه، وبعده
عن أحوال مضاره بمجرد فطرته وما أودع في طبيعته، وهذا بنطقه
وعقله، ونباهته وفضله، مع أن نسبة كل منهم إلى الأرض والسماء
واحدة، ويدل على ذلك دلالة واضحة ما روى الإمام أحمد في المسند^٩ ١٥
عن^{١٠} عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أن

(١) في ظ: اطلاله (٢-٢) في ظ: بالوحدة (٣) زيد في الأصل: له سبجانه،
ولم تكن الزيادة في ظ ومد فخذناها (٤) سقط من مد (٥) في ظ: احواله.
(٦) زيد من ظ ومد (٧) من ظ ومد، وفي الأصل: يحركه (٨) راجع ١٧٠/٢.
(٩) من ظ ومد، وفي الأصل: من.

نوحا عليه السلام أوصى ابنه عند موته بلا إله إلا الله . فإن السماوات
السبع و الأرضين السبع لو كن حلقة مبهمة قصمتهن^١ ، و سبحان الله
وبحمده ،^٢ فانها صلاة^٣ كل شيء و بها يرزق الخلق . [وقال الغزالي في
الإحياء :^٤ و روى أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال : تولت عني الدنيا و قلت ذات يدي ، فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم : فأين أنت من صلاة الملائكة و تسييح الخلائق و بها يرزقون ،
قال : فقلت : و ما هي يا رسول الله ؟ قال : قل « سبحان الله و بحمده
سبحان الله العظيم أستغفر الله » مائة مرة ما بين طلوع الفجر إلى أن تصلي
الصبح ، تاتيكَ الدنيا راغمة صاغرة ، و يخلق الله من كل كلمة ملكا
يسبح الله إلى يوم القيامة لك ثوابه . قال الحافظ زين الدين العراقي :
رواه المستغفرى في الدعوات عن ابن عمر رضى الله عنهما و قال : غريب
من حديث مالك ، و لا أعرف له أصلا من حديث مالك -^٥] .

و لما كان التقدير : فالله قدير على جميع تلك الشؤون ، [عطف عليه
قوله -^٦] : ﴿ والله ﴾ [أى -^٧] المحيط علما و قدرة ﴿ عليهم بما يفعلون ه ﴾
١٥ بما ثبت مما أخبركم^٨ به في هذه السورة عن دقائق أقوالكم و أحوالكم ،
و ضمائمكم و أفعالكم ، و قد تقدم في الأعراف عند " او لم ينظروا في
ملكوت السموات و الأرض " ما ينفع هنا .

(١) من مد و المسند ، و في الأصل : و ختمهن ، و في ظ : فصمتهن (٢-٢) من
ظ و مد و المسند ، و في الأصل : فانها الصلاة (٣) راجع ٢٠٧/١ (٤) زيد ما
بين الحائزين من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : أخبرهم .
(٦) راجع آية ١٨٥ .

ولما أخبر عما في الكونين بما^١ يستلزم الملك^٢ [على أنهى وجوه
التمام المستلزم للقدرة على البعث -^٣] ، أخبر عنهما بالتصريح به فقال :
(والله) أى الذى لا ملك سواه (ملك السموات والارض ج) مع
كونه مالكا مستخرا مصرفا لجميع ذلك ، فهو جامع لملك و الملك .

ولما كان التقدير : و من الله المبدأ للكل بالإيجاد من العدم ، عطف ه
عليه قوله : (والى الله) أى الذى له الإحاطة بكل شيء (المصير ه)
أى لهم^٤ كلهم بعد الفناء ، وإنما طوى هذا المقدر^٥ لأنه لاخلف فيه .
و^٦ لما أخبر بذلك فتقرر ملكه وقدرته على البعث على حسب
ما وعد به -^٢ [بعد [أن -^٣] تحرر ملكه ، دل عليه بتصرفه فى العالم
العلوى و السفلى بما يدل على القدرة على الإعادة فقال : (الم تر ان الله) ١٠
أى ذا^٧ الجلال^٨ و الجلال (برزجى) أى يسوق بالرياح ، و سيأتى الكلام
عليها فى التعل / ؛ و قال أبو حيان^٩ : إن الإزجاء يستعمل فى سوق الثقل
برفق^{١٠} . (سبحانه) أى بعد أن أنشأ من العدم^{١١} تارة من السفلى ، و تارة
من العلوى ، ضعيفا رفيقا متفرقا ، قال أبو حيان^{١٢} : و هو اسم جنس واحده^{١٣}

٦٥٤ /

(١) فى ظ : ما (٢) فى ظ : المالك (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ،
وفى الأصل : بهم (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : المقدار (٦) سقطت الواو
من ظ (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : ذى (٨) زيد فى الأصل : و الكمال ،
ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فخذناها (٩) راجع البحر المحيط ٦ / ٤٦٤ (١٠) فى
ظ : يرتقى (١١) زيدت الواو فى الأصل ، ولم تكن فى ظ و مد فخذناها .
(١٢) فى ظ : واحدة .

سحابة ، والمعنى : يسوق سحابة إلى سحابة . وهو معنى ﴿ ثم يُولف بينه ﴾
 أى بين أجزائه بعد أن كانت^١ قطعا في جهات مختلفة ﴿ ثم يجعله ركاما ﴾
 في غاية العظمة متراكبا بعضه على بعض بعد أن كان في غاية الرقة
 ﴿ فرى ﴾ [أى في تلك الحالة المستمرة -^٢] ﴿ الودق ﴾ أى المطر ؛
 • قال القزاز : وقيل : هو احتفال المطر . ﴿ يخرج من خلله ج ﴾ أى فتوه
 التى حدثت بالترام^٣ وانعصار بعضه من بعض ﴿ وينزل من السماء ﴾
 أى من جهتها مبتدئا^٤ ﴿ من جبال فيها ﴾ أى في السماء ، وهى السحاب
 الذى صار بعد تراكبه كالجبال ؛^٥ وبعض فقال :^٦ ﴿ من رد ﴾ هو^٧
 ماء منعقد ؛ وبين أن ذلك بارادته واختياره بقوله : ﴿ يصب به ﴾
 ١٠ أى البرد والمطر على وجه النعمة أو^٨ الرحمة ﴿ من يشاء ﴾ من الناس
 وغيرهم ﴿ ويصرفه عن يشاء^٩ ﴾ صرفه عنه ؛ ثم نه على ما هو غاية
 في العجب في^{١٠} ذلك بما في الماء من النار التى ربما^{١١} نزلت منها صاعقة
 فأحرقت ما لا تحرق النار فقال : ﴿ يكاد سنا ﴾ أى ضوء ﴿ برقه ﴾
 وهو اضطراب النور في خلاله ﴿ يذهب ﴾ أى هو ، ملتبسا ﴿ بالابصار^{١٢} ﴾
 ١٥ لشدة لمعه وتلاؤفه ، فتكون قوة البرق دليلا على تكاثف السحاب وبشيرا^{١٣}

(١) فى ظ : كان (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : او (٤) من مد ، وفى
 الأصل : مبتذل ، والكلمة ساقطة من ظ (٥ - ٥) فى ظ : مبتدئا (٦) من ظ
 و مد ، وفى الأصل : اى (٧) زيد فى الأصل : النعمة او ، ولم تكن الزيادة فى
 ظ و مد فلامناها (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : من (٩) فى ظ : بما .
 (١٠) من ظ و مد ، وفى الأصل : تبشيرا .

بقوة المطر، ونذيراً^١ بزول الصواعق؛ ثم ذكر ما هو أدل على الاختيار، فقال مترجماً لما معني بزيادة: ﴿يقلب الله﴾ أى [الذى له الأمر كله -^١] بتحويل الظلام ضياءً والضياء ظلاماً، والنقص تارة والزيادة أخرى، مسح المطر تارة والصحو أخرى ﴿اليل والنهار﴾ فينشأ عن ذلك التقلب من الحر والبرد والنمو والينوع واليبس ما يهر المقول: هـ ولهذا قال منها على التبعة: ﴿ان في ذلك﴾ أى [الأمر العظيم -^٢] الذى ذكر من جميع ما تقدم (لعبرة لاولى الابصاره) أى النافذة، والقلوب الناقدة، يعبرون منها إلى معرفة ما لمدر ذلك من القدرة التامة والعلم الشامل الدال قطما على الوحدانية.

ولما ذكر أولاً أحوال الخاقين دليلاً على وحدانيته، وفصل ١٠ منها الآثار العلوية، فذكر ما يسقى الأرض، وطوى ذكر ما ينشأ عنه من النبات للعلم به، ذكر [أحوال -^٢] ما يتكون به من الحيوانات [دليلاً ظاهراً على الإعادة، وبرهاناً قاهراً للتكرين لها -^٢] فقال: ﴿والله﴾ [أى -^٢] الذى له العلم الكامل والقدرة الشاملة ﴿خلق كل دابة﴾ [أى عما تقدم أنه يسبح له -^٢].

١٥

ولما ذكر أنواعاً من الحيوان، نكر بخلاف ما فى الانبياء فقال: ﴿من ماء﴾ أى دافق [هو أعظم أجزاء مادته -^٢] كما خلق النبات من ماء هامر [كذلك -^٢]، وفاوت بينه مع كون الكل من الماء الهامر (١) من ظ ومد، وفي الأصل: جديراً (٢) زيد من ظ ومد (٣-٢) من ظ ومد، وموضع ما بين الرقنين يماض في الأصل قدر كلمتين.

الذى لا تفاوت فيه (فهم) أى الدواب .
ولما كان فى سياق التعظيم ، وكان قد آتى بكل نفس من الإدراك
ما تعرف به منافعها ومضارها ، عبر عن الكل بأداة من يعقل وإن
كانوا متفاوتين فى التمييز فقال : (من يمشى على بطنه) أى من غير
رجل ؛ وقدم هذا لكونه أدل على القدرة و سماه مشياً استعارة
ومشاكلته (ومنهم من يمشى على رجلين) أى ليس غير
(ومنهم من يمشى على أربع) أى من الأيدي والأرجل ، وفى
هذا تنبيه على من يمشى على أكثر من ذلك ، وإليه الإشارة بقوله :
(يخلق الله) وعبر باسم الجلالة إعلالاً بتناهى العظمة ، وقال : (ما يشاء)
دلالة على أنه فعله بقدرته واختياره ، لا مدخل لشيء غير ذلك فيه
إلا بتقدير العزيز العليم .

[- ولما كانت هذه الأدلة ناظرة إلى البعث آتم نظر ، وكانوا منكربين
له ، أكد قوله] : (إن الله) أى الذى له الكمال المطلق
(على كل شيء) من ذلك وغيره (قدره) .

١٥ ولما اتضح بهذا ما لله تعالى من صفات الكمال والتزه عن كل
شائبة نقص ، وقامت أدلة الوجدانية على ساق ، واتسقت براهين
الإلوهية أى اتساق ، قال مترجماً لتلك الأدلة : (لقد أنزلنا) أى فى

- (١) من ظ ومد ، وفى الأصل : يعرف (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : لهذا .
(٣) زيدت الواو فى الأصل ، ولم تكن فى ظ ومد فحذفناها .
(٤) فى ظ : بتسخير (هـ) زيد من ظ ومد (٦) زيد فى ظ بـ : بتقدير - كذا .
(٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ .

هذه السورة وما تقدمها، بما لنا من العظمة ﴿أيت﴾ أى من الحكم
والاحكام و الأدلة و الامثال ﴿مبثت^١﴾ لا خفاء فى شئ منها عند
أحد من الخلق، لأن الله قد أراد هدايتكم، بعضكم بالبيان، وبعضكم
بخلق الإذعان ﴿و الله﴾ [أى - ١] الملك الأعظم ﴿يهدى من يشاء﴾
من العباد كلهم ﴿إلى صراط مستقيم^٢﴾ بالقوة بانزال الآيات، والفعل^٣
بخلق الإيمان و الإحبات، فيؤمنون^٤ إيماناً قلبياً ثابتاً.

ولما كان إخفاء هذه الآيات عن البعض بعد بيانها أعجب من ابتداء
نصها، فكان السياق ظاهراً فى أن التقدير: و الله يضل من يشاء فيكفرون
بالآيات و الذكر الحكيم، وكان الخروج من نورها بعد التلبس بها إلى
الظلام أشد غرابة، عطف على [ما - ١] قدرته بما دل عليه السياق أتم ١٠
دلالة قوله دليلاً شهودياً على ذلك المطوى، معجبا بمن عمى عن دلائل
التوحيد التى أقامها تعالى و عددها و أوضحها بحيث صارت كما ذكر تعالى
أعظم من نور الشمس: ﴿و يقولون﴾ أى الذين ظهر لهم^٥ نور الله،
بالسنتهم فقط: ﴿أما بالله﴾ الذى أوضح لنا^٦ جلاله، و عظمت و كماله
﴿و بالرسول﴾ الذى علما كمال رسالته و عمومها بما^٧ أقام عليها من الأدلة ١٥
﴿و اطعنا﴾ أى أوجدنا الطاعة لله و للرسول، و عظم المخالفة بين الفعل
و القول بأداة البعد^٨ فقال: ﴿ثم يتولى﴾ أى يترد بانكار القلب
و يعرض عن^٩ طاعة الله و رسوله، ضلالاً منهم عن الحق ﴿فريق منهم﴾

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ: نلو لا يملنون - كذا (٣) فى ظ: له .
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لهم (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد،
و فى الأصل: الفعل (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: على .

أى ناس يقصدون الفرقة من هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة ١٠
ولما كان ينبغي أن يكون وقوع الارتداد منهم - كما أشير إليه -
في غاية البعد وإنه كان في أقل زمن ، أشار إليه بأداة التراخي ،
وأكد ذلك بقوله مثبتا الجار : (من بعد ذلك) أى القول السديد
الشديد المؤكد ، مع الله الذى هو أكبر من كل شيء ، ومع رسوله
الذى هو أشرف الخلائق (وما أولئك) أى البعداء البغضاء الذين
صاروا بتوليهم في عمل البعد (بالمؤمنين) أى بالكاملين في الإيمان
قولا وعقدا ، وإنما هم من أهل الوصف اللسانى ، المجرد عن
المعنى الإيقاقى .

١٠ / ٦٥٦ / ولما فضحهم بما أخفوه من توليهم ، فبح عليهم ما أظهره ، فقال
معبرا بأداة التحقيق : (وإذا دعوا) أى الذين ادعوا الإيمان من أى
داع كان (إلى الله) أى ما نصب الملك الأعظم من أحكامه
(ورسوله ليحكم) أى الرسول (بينهم) بما أراه الله (إذا فريق منهم)
أى ناس مجبولون على الأذى المفرق (معرضون) أى فاجأوا
١٥ الإعراض ، إذا كان الحق عليهم ، لاتباعهم أهواءهم ، مفاجأة تؤذن
ببائتهم فيه (وإن يكن) أى كونا ثابتا [جدا - ٢] (لهم) أى

(١) من مد ، وفي الأصل : اسد ، والكلمة ساقطة من ظ (٢) من ظ ومد ،
وفي الأصل : بتوليهم (٣) في ظ : توليتهم (٤) من مد ، وفي الأصل و ظ :
التحقق (٥) زيد في الأصل : اى ، ولم تكن الزيادة في ظ ومد فحذفنا هـ
(٦-٧) من ظ ومد ، وفي الأصل : الادنى العرف (٧) زيد من ظ ومد .

على سبيل القرض (الحق) أى بلا شبهة (ياتوا إليه) أى الرسول
 (مذعنين^٥) أى منقادين أتم انقياد لما وافق من أهوائهم لعلهم^٦ أنه
 دأب مع الحق لهم وعليهم ، لا إطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .
 ولما كان سبب فعلهم هذا بعد إظهارهم الطاعة مشكلا ، ناسب
 أن يسأل عنه ، فقال تعالى مبينا^٧ له بعد التنبيه على ما يحتمله من الحالات : هـ
 (أففى قلوبهم مرض) أى نوع فساد من أصل الفطرة يحملهم على الضلال
 (أم ارتابوا) بأن حدثت لهم شبهة أعمتهم عن الطريق (أم) ليس
 فيهم خلل لا أصلى ولا طارئ ، بل الخلل فى الحاكم فهم^٨ (يخافون أن يحيف)
 أى يحور (الله) الفى عن كل شىء ، لأن له كل شىء (عليهم)
 ينصب حكم جائز وهو منزه عن الأغراض (ورسوله^٩) الذى
 لا ينطق عن الهوى ، بضرب أمر زائغ وقد ثبت^{١٠} خصمته عن الأدناس .
 هـ لما لم يكن شىء من ذلك كائنا . أضرب عنه فقال : (بل أولئك)
 أى البعداء البغضاء (هم) أى خاصة (الظلمون^{١١}) أى الكاملون فى
 الظلم ، لأن قلوبهم مطبوعة على المرض والريب ، لا أن فيها نوعا واحدا
 منه ، وليسوا يخافون الجور^{١٢} ، بل هو مرادهم إذا كان الحق عليهم . ١٥
 و^{١٣} لما نفى^{١٤} عنهم الإيمان الكامل بما وصفهم^{١٥} به ، كان كأنه -

(١) ريد فى الأصل : الى . ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفناها (٢) من ظ
 ومد ، وفى الأصل : بعلبهم (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : تثبينا (٤) من ظ ،
 وفى الأصل و مد : فيهم (هـ) من ظ و مد ، وفى الأصل : ثبت (٦) فى ظ :
 الجوار (٧-٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : لا يعنى - كذا (٨) من ظ و مد ،
 وفى الأصل : وضعهم .

مثل^١ عن حال المؤمنين فقال : ﴿ انما كان ﴾ أى دائماً ﴿ قول المؤمنين ﴾
 أى العريقين فى ذلك الوصف ، وأطبق العشرة على نصب القول ليكون
 اسم^٢ ' كان ' أوغل^٣ الاسمين فى التعريف ، وهو ' أن ' وصلتها^٤ لآلة
 لاسيل عليه للتكثير ، ولشبهه^٥ - كما قال ابن جنى فى المحتسب - بالمضمر
 ه من حيث أنه لا يجوز وصفه كما لا يجوز وصف المضمر ، وقرأ على
 رضى الله عنه بخلاف وابن أبى إسحاق " قول " بالرفع^٦ ﴿ اذا دعوا ﴾
 أى من أى داع كان ﴿ الى الله ﴾ أى ما أنزل الملك الذى لا كفوء له
 من أحكامه ﴿ ورسوله ليحكم ﴾ أى الله بما نصب من أحكامه ، أو
 الرسول صلى الله عليه وسلم بما يخاطبهم به من كلامه^٧ ﴿ بينهم ﴾
 ١٠ [أى - ٧] فى حكومة من الحكومات لهم أو عليهم ﴿ ان يقولوا سمعنا ﴾
 أى الدعاء ﴿ واطعنا ﴾ أى بالإجابة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم .
 ولما كان التقدير : فأولئك هم المؤمنون . عطف عليه قوله : ﴿ واولئك ﴾
 أى العالو^٨ الرتبة ﴿ هم ﴾ خاصة ﴿ المفاجون ه ﴾ الذين تقدم فى أول
 المؤمنون^٩ وصفهم بأنهم يدركون [جميع - ٧] مأمولهم .

١٥ ولما رتب سبحانه الفلاح على هذا النوع الخاص من الطاعة ،

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : سبيل (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل :
 أو على (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : صلها - كذا (٤) زيد فى الأصل : بالضمير ،
 ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) راجع البحر المحيط ٤٦٨/٦ (٦) من
 ظ و مد ، وفى الأصل : كلامهم (٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ و مد ،
 وفى الأصل : العالى (٩) فى ظ و مد : المؤمنين .

أتممه

٦٥٧/

أتبعه عموم / الطاعة فقال : ﴿ و من يطع الله ﴾ أى الذى له الأمر كله
 ﴿ و رسوله ﴾ أى فى الإذعان للقضاء وغيره فيما ساءه و شره من جميع
 الأعمال الظاهرة ﴿ و يخش الله ﴾ أى الذى له الجلال و الإكرام ، بقلبه
 لما مضى من ذنوبه ليحمله ذلك على كل خير ، كما كان الصحابة رضوان
 الله عليهم إذا وقع أحد منهم فى تقصير يأتى إلى ' النبي صلى الله عليه
 وسلم فيقول : طهرنى . و يلقن أحدهم الرجوع فلا يرجع ، و فى تطهيره
 الإتيان على نفسه ، وقع ذلك لرجالهم و نسايتهم - رضى الله عنهم أجمعين
 و أحيانا على منهاجهم و حشرنا فى زميرتهم ! ﴿ و يتقه ﴾ أى الله فيما
 يستقبل بأن يجعل بينه و بينهما يسخطه و قاية من المباحات فيتركها ورعا .
 و لما أفرد الضمائر إشارة إلى قلة المطيع ، جمع ثلاثا يظن أنه واحد ١٠
 فقال : ﴿ فاولئك ﴾ العالو الرتبة ﴿ هم الفائزون ﴾ بالملك الأبدى ،
 و لافوز لغيرهم .

و لما ذكر سبحانه ما رتب على الطاعة الظاهرة التى هى دليل الانقياد
 الباطن ، ذكر حال المناهقين فيه ، فقال عاطفا على " و يقولون " لأنه
 ليس المراد منه إلا مجرد القول من غير إرادة [تقييد - °] بزمان معين : ١٥
 ﴿ و اقسما ﴾ وكأنه عبر بالماضى إشارة إلى أنهم لم يسمحوا به أكثر
 من مرة ١٦ ، لما يدل عليه من زيادة الخضوع و الذل ﴿ بالله ﴾ أى الملك
 الذى له الكمال المطلق ؟ و استعار من جهد النفس قوله فى موضع الحال :

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : تطهير (٣) فى ظ : ان (٤) من ظ و مد ، وفى
 الأصل : لا يجعل (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : مدة .

(جهاد إيمانهم) أى غاية الإقسام : (لئن أمرتهم) أى بأمر من
 الأمور (ليخرجن) ما هم ملتبسون به من خلافه . كأننا ما كان ،
 إلى ما أمرتهم به ، وذلك أنهم كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم : أينما كنت نكون معك ، إن خرجت خرجنا . وإن أقمت أقمتنا ،
 هـ وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا - قاله البغوى . فكأنه قيل : ما ذا تفعل
 فى اختبارهم ؟ فقيل : الأمر أوضح من ذلك ، فإن لكل حق حقيقة ،
 ولكل فعل أدلة (قل) أى لهم : (لا تقسموا) أى لا تحلفوا فإن
 العلم بما أنتم عليه لا يحتاج إلى الإقسام ، وليكن المحرك لكم إلى الخروج
 بحجة الامتثال لا إلزام الإقسام . وفيه إشارة إلى أنهم أهل للاتهام ،
 ١٠ وكذا قال المتن :

وفى يمينك فيما أنت واعدته ما دل لك فى انبعاث متهم
 ثم علل ذلك بقوله : (طاعة) أى هذه الحقيقة (معروفة) أى منكم
 ومن غيركم . وإرادة الحقيقة هو الذى سوغ الابتداء بها مع تنكير
 لفظها . لأن العموم الذى تصلح له كما قالوا من أغرف المعارف .

(١) من ظ و مد . وفى الأصل : متلبسون (٢) فى العالم - راجع هامش
 الباب ٧٠/هـ (٣) فى ظ : لكن (٤) من ظ و مد وفى الأصل : لزام (٥) فى
 ظ : للاهتمام (٦) فى مد : لذا (٧) فى ظ : ما (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل :
 غيرهم (٩) من مد ، وفى الأصل : سرع ، وفى ظ : يسوغ (١٠) زيد فى
 الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (١١) من ظ و مد ،
 وفى الأصل : يصلح .

ولم^١ تعرف به دال ، لنلا يظن أنها لعهد ذكرى أو نحوه ، والمعنى أن الطاعة وإن اجتهد العبد في إخفائها لا بد أن تظهر مخايلها على شمائله ، وكذا^٢ المعصية لأنه ما أمر عبد سريرة^٣ إلا ألبسه الله رداءها ، - رواه الطبراني^٤ عن جندب رضى الله عنه ، وروى مسدد^٥ عن عثمان ابن عفان رضى الله عنه قال : لو أن رجلا دخل بيتا في جوف بيت ه فادمن هناك عملا أوشك الناس أن / يتحدثوا به ، وما من عامل عمل عملا إلا كساه الله رداء عمله ، إن كان خيرا فخير ، وإن كان شراد فشر . ولأبى يعلى^٦ والحاكم - وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه - عن أبى سعيد رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لو أن أحداكم يعمل في صحرة صماء ليس لها باب ولا كوة ١٠ لخرج عمله للناس كاتنا ما^٧ كان . ثم علل إظهاره للخب^٨ بقوله^٩ : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بكل شيء ﴿ خير بما تعملون ﴾ وإن اجتهدتم في إخفائه ، فهو ينصب عليه دلائل^{١٠} يعرفه^{١١} بها عباده ، فالحلف غير مغني عن الحالف ، والتسليم غير ضار للمسلم .

ولما نبه على خداعهم ، وأشار إلى عدم الاغترار بايمانهم ، وإلى ١٥

- (١) من ظ و مد ، وفي الأصل : كم (٢) في مد : لذا (٣) في ظ : لسريرة .
(٤) راجع مجمع الزوائد ١٠/ ٢٢٥ (٥) راجع كنز العمال ٢/ ١٣٧ (٦) من الجمع ، وفي الأصول : من (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : فقال (٨) في ظ : دليل (٩) من ظ و مد ، وفي الأصل : يعرف .

قبول شهادة التوسم فيهم . أمر بترغيهم و ترهيهم^١ ، مشيرا إلى الإعراض
 عن عقوبتهم فقال : ﴿ قل اطيعوا ﴾ أيها الذين أقرؤا بالإيمان ﴿ الله ﴾
 أي الذي له الكمال المطلق ﴿ و اطيعوا الرسول^٢ ﴾ أي الذي له الرسالة
 المطلقة ، ظاهرا و باطنا لا كالمناققين ﴿ فان تولوا ﴾ أي توجد منكم^٣
 ٥ التولية عن ذلك عصيانا له ولو على أدنى وجوه التولية - بما أشار
 إليه حذف التاء ، 'تضلوا فلا تضروا' إلا أنفسكم ، و هو معنى قوله :
 ﴿ فانما عليه ﴾ أي الرسول ﴿ ما حمل ﴾ أي من التبليغ من إذا حمل
 أحدا شيئا فلا بد من حمله له أو حمل ما هو أثقل منه ﴿ و عليكم ما حملتم^٤ ﴾
 من القبول ، و ليس عليه أن يقصركم^٥ على الهداية ؛ و أفهم بقوله - :
 ١٠ ﴿ و إن تطيعوه ﴾ أي بالإقبال على كل ما يأمركم به ﴿ تهتدوا ﴾ أي إلى
 كل خير - أنه لا هداية لهم بدون متابعتة ؛ روى عبد الله بن الإمام أحمد
 في زيادات المسند^٦ عن النعمان بن بشير رضى الله عنه أن النبي صلى الله
 عليه وسلم قال على المنبر : من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير^٧ ، و من^٨
 لم يشكر الناس لم يشكر الله ، و التحدث بنعمة الله شكر ، و تركه كفر ،
 ١٥ و الجماعة رحمة ، و الفرقة عذاب . قال : فقال أبو أمامة الباهلي رضى الله
 عنه : عليكم بالسواد الأعظم^٩ ! قال : فقال رجل : ما السواد الأعظم ؟

(١) في ظ : تركيهم (٢) في مد : منهم (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : غضبا .
 (٤ - ٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : نظرا فلا تصرف (٥) من مد ، وفي
 الأصل : أبعدا ، و الكلمة ساقطة من ظ (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : يقركم .
 (٧) راجع المسند ٤/ ٢٧٨ و ٣٧٥ (٨) الكلمة مطموسة في مد (٩) سقط من ظ .

فنادى^١ أبو أمامة هذه الآية [في سورة - ٢] " فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم " .

ولما كان ما حمّله الرسول صلى الله عليه وسلم مبهماً، عينه بقوله: ﴿ وما على الرسول ﴾ أى^٢ من جهة غيره ﴿ الا البلغ المبين ٥ ﴾ أى التبليغ الذى يحصل به البلاغ من غير شك، إما بالإيضاح وحده أو مضموماً ٥ إلى السيف فما دونه من أنواع الزواجر .

ولما لاح بهذا الإذن فى الكف عن قتل النبي صلى الله عليه وسلم للمناققين ثلثا يقول الناس: إن محمداً استنصر بقوم، فلما نصره الله بهم أقبل يقتلهم^٣ . فيمتنع من يسمع ذلك من الدخول فى الإسلام . فتكون مفسدة قتلهم أعظم من مفسدة إيقائهم^٤، لأن الدين لم يكن حينئذ ١٠ [يمكن - ١] تمكناً لا يؤثر فيه مثل ذلك، تشوفت النفوس إلى أن هذا الحال^٥ هل^٦ يستمر؟ فحلى الله عنها هذا الكرب بقوله، يانا لأن تمكّن الدين غير مفتقر إليهم سواء أقبلوا أو أدبروا: ﴿ وعد الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بكل شئ ﴿ الذين آمنوا ﴾ / وهو مع ذلك كالتعليل لما قبله ٦٥٩ /

ترغيباً لمن نظر فى الدنيا [نوع نظر - ٦] ؛ وقيد بقوله: ﴿ منكم ﴾ ١٥ تصريحاً بأهل القرن الأول، ليكون ظاهراً فى إخراج المناققين المتولين

(١) من ظ و مد و المسند، وفى الأصل: فقال (٢) زيد من ظ و مد و المسند.

(٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: يقتلهم (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: إيقاعهم .

(٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: الحاصل (٨) فى ظ: ترهيباً.

بالإعراض ، إشارة إلى أنهم لا يزالون في ذل و ضعة ؛ و قدّم هذا القيد اهتماماً به لما ذكر بخلاف ما يأتي في سورة الفتح (و عملوا) تصديقاً لإيمانهم (الصلحت) من الإذعان للأحكام و غيرها ، و أكد غاية التأكيد بلام القسم ، لما عند أكثر الناس من الريب في ذلك فقال :

٥ (ليستخلفنهم في الارض) أى أرض العرب و العجم ، بأن يمد زمانهم ، و ينفذ أحكامهم (كما استخلف) أى طلب و أوجد خلافة باجنادهم (الذين من قبلهم) أى من الأمم من بنى إسرائيل و غيرهم من كل من حصلت له مكنة ، و ظفر على الأعداء بعد الضعف الشديد كما كتب في الزبور " ان الارض يرثها عبادى الصالحون " و كما قال ١٠ موسى عليه السلام " ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للتقين " (و ليتمكن لهم) أى فى الباطن و الظاهر (دينهم) أضافه إليهم إشارة إلى رسوخ أقدامهم فيه و أنه أبدى^٢ لا ينسخ (الذى ارتضى لهم) حتى يقيموا^٣ الحدود فيه من قتل و غيره على الشريف و الوضع سواء كان الواقعون^٤ فى ذلك عصابة أم لا ، لا يراعون أحداً ، و لا يخافون ١٥ لومة لائم ، لأنه لا يضره إذ ذاك إدبار مدبر^٥ كما قال صلى الله عليه و سلم عن الحرورية كافة إنه إن^٦ أدركهم ليقتلنهم قتل عاد^٧ ، بعد أن كف

(١) راجع آية ٢٩ (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : اضافة (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : اهدى (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : تقيموا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : او (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الواقفون (٧) فى ظ : مد برين (٨) فى ظ : اذا (٩) راجع مسند الإمام أحمد ٦٨/٣ .

عن قتل رأسهم ونهى عن قتله - وهو واحد - في غزوة حنين .
 ولا بشرهم بالتمكين ، أشار لهم إلى مقداره بقوله : (وليلدلتهم)
 وأشار إلى عدم استغراق هذا الأمن العام لجميع الزمان بآيات الجار
 فقال : (من بعد خوفهم) هذا الذى هم فيه الآن (أمنا) أى عظيما
 بمقدار هذا الخوف ، في زمن النبوة وخلافتها ؛ ثم أتبع ذلك نتيجة هـ
 بقوله تعليلا للتمكين وما معه : (يعبدوننى) أى وحدى ؛ وصرح^١
 بالمراد بيانا لحال العبادة النافذة بقوله : (لا يشركون بى شيئا) ظاهرا
 ولا باطنا ، لأن زمانهم يكون زمن عدل ، فلا يتحابون فيه بالرغبة
 والرهبة ؛ روى الطبراني في الأوسط^٢ عن أبى بن كعب رضى الله عنه
 قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم المدينة ، ١٠
 وآوتهم الأنصار - رضى الله عنهم أجمعين^٣ ، رمتهم^٤ العرب من قوس
 واحدة فتزلت " ليستخلفنهم في الأرض " - الآية - ولقد صدق الله
 سبحانه - ومن أصدق من الله حديثا - ففتح سبحانه لهم البلاد ، ونصرهم
 على جبابرة العباد ، فأذلوا رقاب الأكاسرة ، واستعبدوا أبناء القياصرة ،
 ومكنوا شرقا وغربا مكنة لم تحصل قبلهم لامة من الأمم ، كما قال ١٥
 صلى الله عليه وسلم : إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ،
 (١) من ظ ومد ، وفي الأصل : الامر (٢) من ظ ومد ، وفي الأصل :
 ضوح (٣) زيدت الواو في ظ (٤) راجع مجمع الزوائد ٨٣/٧ (٥) سقط من
 ظ (٦) من ظ ومد والجمع ، وفي الأصل : رحمتهم (٧) من ظ ومد والجمع ،
 وفي الأصل : على (٨) راجع مستند الإمام أحمد ٢٧٨/٥ ، وراجع أيضا الفتن عند
 مسلم وأبى داود والترمذى وابن ماجه .

و سيلغ ملك أمتي ما زوى لي منها . يعرف ذلك من طالع قروح
 البلاد، وأجمعها وأحسنها النصف الثاني من سيرة الحافظ أبي الريح
 ابن سالم الكلاعي، وكتاب شيخه ابن حيش^٢ أيضا جامع، ولا أعلم
 شيئا أنفع في رسوخ الإيمان، بعد حفظ القرآن، من مطالعة السيرة
 و الفتوح، وسيرة الكلاعي جامعة للآمرين^٣، ونظمي للسيرة في القصيدة
 التي أولها:

ما بال جفك هامى الدمع هامره وبحر فكرك وافي المسم وافره
 أجمع السيرة - يسر الله إكمال شرحها، آمين .
 ولما قتلوا عثمان رضى الله عنه، وخرجوا على علي^٤ ثم ابنه الحسن
 رضى الله عنهما، نزع^٥ الله ذلك الأمن كما أشير إليه بـ «من»، وتكثير
 «أنا» وجاء الخوف^٦ واستمر يتطاول ويزداد قليلا قليلا إلى أن
 صار في زماننا هذا إلى أمر عظيم - والله المستعان .
 ولما كان التقدير: فن^٧ ثبت على دين الإسلام، وانقاد لأحكامه
 واستقام، نال هذه البشرى، عطف عليه قوله: (ومن كفر)
 ١٥ [أى - ١] بالإعراض عن الأحكام أو غيرها؛ أو هو عطف على «يعبدوني»

(١) زيد في ظ: من (٢) في الأصل: بن، والتصحيح من ظ ومد وتذكرة
 الحافظ ١٤١٧، وهو سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميري الكلاعي المتوفى
 ٦٣٤ هـ (٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري الأندلسي أبو القاسم
 ابن حيش المتوفى ٨٤ هـ (٤) في ظ: مطالع (٥) من ظ ومد، وفي الأصل:
 للأميرين (٦) في ظ: الشيعين (٧) في ظ: افزع (٨) من ظ ومد، وفي
 الأصل: للخوف (٩) في ظ: فما (١٠) زيد من ظ ومد .

لأن

لأن معناه: ومن [لم - '] يعبدني .

ولما كان الفاسق^١ الكامل إنما هو من مات على كفره لحبط عمله، فكان بذلك كفره مستغرقا لزمانه [دون من مات مسلما وإن كان كافرا في جميع ما مضى له قبل ذلك - ']، أسقط الجار فقال،
(بعد ذلك^٢) أي الاستخلاف العظيم على الوجه المشروح^٣ .
(فاولئك^٤) البعداء من الخير (هم) خاصة (الفسقون^٥) أي الخارجون من الدين خروجا كاملا، لا تقبل معه معذرة، ولا تقال لصاحبه عثرة، بل تقام عليهم الأحكام بالقتل وغيره، [و - '] لا يراعى فيهم ملام، ولا تأخذ بهم رافة عند الانتقام^٦، كما تقدم [في - '] أول السورة فيمن لزمه الجلد، ولعل الآية مشيرة إلى أهل الردة .

١٠

ولما تمت هذه البشرية، وكان التقدير: فاعملوا^٧ واعبدوا، عطف عليه قوله: (واقموا الصلوة^٨) أي فانها قوام ما بينكم وبين ربكم، مع أنه يصح عطفه على قوله "اطيعوا الله" فيكون من مقول "قل"
(وانتوا الزكوة^٩) فهي نظام ما بينكم وبين إخوانكم (واطيعوا الرسول^{١٠})
[أي - '] المحيط بالرسالة^{١١} في كل ما يأمركم به، فانما هو عن أمر ربكم^{١٢}
(لعلكم ترحمون^{١٣}) أي لتكونوا [عند من يحمل العواقب - '] على

(١) زيد من ظ ومد، وفي الأصل: الفسق (٣-٣) تكرر ما بين الرقيين في الأصل دون ظ ومد بعده من كفر، ص ٣٠٦ س ١٤ (٤) سقط من ظ (٥) من مد، وفي الأصل و ظ : انتقام (٦) زيد من مد (٧) في مد : فاعملوا (٨) في ظ ومد : الرسالة .

رجاء من حصول الرحمة بمن لا راحم في الحقيقة^١ غيره .
 و لما كان الكفا من الكثرة و القوة بمكان ، كان الحال جديرا
 بتأكيد معنى التمكين ، جوابا لسؤال من كأنه قال : و هل ذلك ممكن ؟
 فقال : (لا تحسبن) أى أيها المخاطب (الذين كفروا) أى و إن
 ٥ زادت كثرتهم^٢ على العد ، و تجاوزت عظمتهم الحد ، فان ذلك الحسان
 ضعف عقل ، لان الملك لا يعجزه من تحت قهره . و يجوز^٣ أن يكون
 خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم لزيادة تحقيقه ، لانه على قدر عظمة المخاطب
 يكون إنجاز الوعد^٤ (معجزين) لاهل ودنا (فى الارض) فانهم
 مأخوذون لا محالة (و ماؤهم) أى مسكنهم^٥ و منزلهم بعد الاخذ
 ١٠ (النار) . و لما كانت سكنى الشيء لا تكون^٦ إلا بعد الصيرورة إليه
 قال : (و لبئس المصير) مصيرها فكيف إذا كان على وجه السكنى .
 و لما كان الملئ / من شيم النفوس ، فكان تدريج الكلام فى المقاصد
 لا سيما الاحكام شيئا فشيئا خلال مقاصد أخرى أوقع فى القلب ،
 و أشهى إلى الطبع ، لا سيما إذا كان على وجوه من المناسبات عجبية ،
 ١٥ و ضروب من الاتصالات هى مع دقتها غريبة ، زين الله تأصيلها
 [بتفصيلها-^٧ فابتدأ السورة بطائفة منها، و فصلها بدر^٨ الوعظ، و جواهر الحكم،

/ ٦٦١

(١) زيد فى الأصل : احد ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٢) فى ظ :
 كثرتكم (٣-٢) ورد ما بين الرقيين فى ظ بعد « تجاوزت عظمتهم » .
 (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : لا يكون .
 (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : يدور (٨) فى ظ : الحلم -
 ٣٠٨ (٧٧) و الحث

والحث على^١ معالي الأخلاق، و مكارم الأعمال، ثم وصلها
بالإلهيات^٢ التي هي أصولها. وعن علي^٣ مقاماتها تفرعت فصولها، فلما
ختمها بالتمكين لأهل^٤ هذا الدين^٥، وتوهمين^٦ أمر المعتدين، شرع
في إكمالها^٧، بإثبات بقية أحوالها، فأكد ما حكم به من التمكين،
وما ختمه من ذلك من التوهمين، وتحذيرا بما ختمه به من العذاب^٨
المهين، وتحقيقا لما ألزم به من الطاعة^٩، ولزوم السنة والجماعة، فقال
واصلها بما ختم به الأحكام الأولى، من الأمر بالنكاح^{١٠} الآيى، والكف
عن إكراه البغايا^{١١}، إثر الذين لم يظهروا على عورات النساء:
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) أي من الرجال والنساء، إما للتغليب، وإما
لأن النساء أولى بحفظ العورة (لِيَسْتَأْذِنَكُمْ) تصديقا لدعوى الإيمان^{١٢}
(الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) من العبيد والإماء البالغين، ومن قاربهم،
للدخول عليكم كراهة الإطلاع على عوراتكم والتطرق بذلك إلى مساكنكم^{١٣}
(وَالَّذِينَ) ظهروا على عورات النساء، ولكنهم (لَمْ يَلْفُوا الْحِلْمَ)
وقيد به بقوله: (مِنْكُمْ) ليخرج الأرقاء والكفار (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)
في كل دور، ويمكن أن يراد: ثلاث استئذانات في كل مرة، فإن^{١٤}
لم يحصل الإذن رجع المستأذن - كما تقدم: المرة الأولى من الأوقات

(١) في ظ: مع (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: بالهيئات (٣-٢) من ظ
ومد، وفي الأصل: الدين هذا (٤) في ظ: كمالها (٥) من ظ ومد، وفي الأصل:
الطاعات (٦) من مد، وفي الأصل و ظ: بالنكاح (٧) من ظ ومد، وفي
الأصل: البغايا (٨) من ظ ومد، وفي الأصل: مسافكم.

الثلاث (من قبل صلاة الفجر) لأنه وقت القيام من المضاجع
 وطرح ثياب النوم (و) الثانية (حين تضعون ثيابكم) أى التى للخروج
 بين الناس (من الظهيرة) للقائلة (و) الثالثة (من بعد صلاة العشاء)
 لأنه وقت الانفصال من ثياب اليقظة ، والاتصال بثياب النوم ، وخص
 ه هذه الاوقات لأنها ساعات الخلوة^٢ ووضع الثياب ، وأثبت (ه من - ^١)
 فى الموضعين دلالة على قرب الزمن من الوقت المذكور لضبطه^٣ ، وأسقطها
 فى الأوسط دلالة على استغراقه لأنه غير متضبط ؛ ثم علل ذلك بقوله :
 (ثلث عورت) أى اختلالات فى التستر^٤ والتحفظ ، وأصل
 العورة - كما قال البيضاوى : الخلل^٥ . لأنه لما كانت [العورة - ^٦]

١٠ تبدو فيها سميت بها (لكم^٧) لأنها ساعات وضع الثياب والخلوة
 بالاهل ، وبين حكم ما عدا ذلك بقوله مستانفا : (ليس عليكم) أى
 فى ترك الامر (ولا عليهم) يعنى العيد والخدم والصيان ، فى ترك
 الاستئذان (جناح) أى إثم ، وأصله الميل (بعدهن^٨) أى فى جميع
 ما سوى هذه الاوقات / إذا مجموا^٩ عليكم ؛ ثم علل الإباحة فى غيرها ،

/ ٦٦٢

(١) فى ظ : ثبات - خطأ (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : حصر (٣) من ظ
 ومد ، وفى الأصل : الخلوات (٤) زيد من ظ ومد (٥) فى ظ : لضده (٦) من
 ظ و مد ، وفى الأصل : خبر (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : الست (٨) من
 ظ و مد ومدارك التنزيل ، وفى الأصل : للخلل (٩) زيد فى الأصل : أى فى
 ترك الأصم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (١٠) من ظ و مد ،
 وفى الأصل : حجموا .

مخرجا

مخرجا لغیرم ، منها أن حكمة الاستئذان في كل وقت كما مضى
يقوله : (طوافون عليكم) أى لعمل ما ' تحتاجونه في الخدمة كما أتم
طوافون عليهم لعمل ما ' يصلحهم ' و يصلحكم في الاستخدام (بعضكم)
طواف (على بعض) لعمل ما يعجز عنه الآخر أو يشق عليه . فلو عم
الإمر بالاستئذان لإدى إلى الحرج .

٥

ولما أعلی سبحانه البیان فی هذه الآيات إلى حد يعجز الإنسان لاسيما
وهي^٢ في الأحكام ، و الكلام فيها ' يعي أهل البیان ، وكان السامع لما
جبل عليه من النسيان ، يذهل عن أن هذا هو الشأن ، في جميع القرآن ،
قال مشيرا إلى عظم شأنها ، في تفريقها ' و بيانها : (كذلك) أى مثل
هذا البیان (بين الله) بما له من إحاطة العلم والقدرة (لكم) ' أينما ١٠
الامة خاصة (الأيت) في الأحكام وغيرها ، بمله و حكمته ' (والله)
الذى له الإحاطة العامة بكل شيء (عليم) بكل شيء (حكيم) يتقن
ما يريد ، فلا يقدر أحد على نقضه ، و ' ختم ' الآية بهذا الوصف يدل
على أنها محكمة لم تنسخ كما قال الشعبي وغيره - أفاده ابن كثير .
و حكي مثله عن ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير . ١٥

(١-١) ما بين الرقين متكرر في ظ (٢) زيد في الأصل : به ، ولم تكن الزيادة
في ظ ومد فخذناها (٣-٣) من ظ ومد ، وفي الأصل : فهي (٤) من ظ ومد ،
وفي الأصل : فيما (٥) في ظ : تعريفها (٦-٦) سقط ما بين الرقين من ظ .
(٧) من ظ ومد ، وفي الأصل : حكمه (٨) زيد في الأصل : لما ، ولم تكن
الزيادة في ظ ومد فخذناها (٩) راجع تفسيره ٣/٣٠٢ .

ولما بين حكم الصبيان و الارقاء الذين هم أطوع للأمر، و أقبل لكل خير، أتبعه حكم البالغين من الأحرار فقال: (وإذا بلغ الاطفال منكم) أى من أحراركم (الحلم) أى السن الذى يكون فيه ' إزال المي برؤية الجماع فى النوم، هذا أصله، و المراد سن مطلق الإنزال (فليستأذنوا) على غيرهم فى جميع الارقات' (كما استأذن الذين من قبلهم') على ما بين' فى أول الآيات القائلة "لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذوا"، و نقل ابن كثير' عن يحيى بن أبى كثير و سعيد بن جبير أن الغلام إذا كان رباعيا [فانه - °] يستأذن فى العورات الثلاث على أبويه، فإذا بلغ [الحلم - °] فليستأذن على كل حال .

ولما كانت آيات الاستئذان أتقن حاسم لمواد' الشر، و تركها أعظم فاتح لأبواب الفتن، و كان إخراج الكلام . فى أحكام الخلال و المحرام، مع التهذيب و البيان، فى النهاية من الصعوبة'، و كان فطم النفوس عما ألفت فى غاية من العسر شديدة، أشار سبحانه إلى ذلك ١٥ بتكرير آية البيان، إشارة إلى أنها - لما لها من العلو - جديرة بالتأكيد، وإلى أن البلغاء يستبعدون [القدرة على البيان - °] كلما أريد 'على هذا السن'

-
- (١) من ظ و مد، و فى الأصل: منه (٢) فى ظ: الاقارب - كذا (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: يبين (٤) راجع تفسيره ٣/٣٠٣ (٥) زيد من التفسير . (٦) زيد من ظ و مد و التفسير (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: لمراد . (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: الضعف به (٩) زيد من ظ و مد . (١٠-١١) من ظ و مد، و فى الأصل: عن النفس - كذا .

قال : (كذلك) أى مثل ذلك ' البيان الذى بينه فى ' آيات الأحكام (بين الله) بماله من صفات الكمال (لكم) مع ما لكم من خلال ' النقص (آيته) أى العلامات الدالة عليه من هذه الفرعيات وما رقت إليه من الاصليات ، فأضافها إليه سبحانه تعظيما لها ، إشارة إلى أنها مقدمة للآيات الإلهيات ، لأن من ' لم يتفرغ عن مكدرات ' • الأفكار ، لم يطر ذلك المطار ، / وحشا على تدبر ما تقدم منها لاستحضار مادت إلى من الحكم ، وفصلت به من المواعظ ، وتنبهها على ما فيها من العلوم النافعة دينا ودنيا ، وزاد فى الترويب فى العلم والحكمة إشارة إلى أن ذلك سبب كل سعادة فقال : (والله) أى المحيط بكل شئ • (عليم حكيم •) روى الطبرانى وغيره عن أنس رضى الله عنه ١٠ قال : لما كانت صبيحة احتلمت دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته أنى قد احتلمت ، فقال : لا تدخل على النساء . فما أتى على يوم كان أشد منه .

و لما ذكر سبحانه اقبال الشباب ، فى [تغيير حكم الحجاب ، أتبعه الحكم عند إدبار الشباب ، فى -] إلقاء الظاهر من الثياب ، فقال : ١٥ (والقواعد) وحقق الأمر بقوله : (من النساء) جمع قاعد ، وهى (١) من ظ و مد ، وفى الأصل : هذا (٢) زيد فى الأصل : هذه ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفها (٣) فى ظ : خلاص (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : الله (٥ - ٥) فى ظ : يتفرغ من مكدرات (٦) راجع مجمع الزوائد ٢٢٦/٤ (٧) زيد من ظ و مد .

التي قعدت عن الولد و عن الحيض كبرا و عن الزوج . و لما كان هذا
 الأخير قطبها قال : (التي لا يرجون نكاحا) أى لعدم رغبتهم فيه
 أو لوصولهم إلى حد لا يرغب فيهم معه (فليس عليهن جناح) أى
 شيء من الحرج في (ان يضعن ثيابهن) أى الظاهرة فوق الثياب
 ٥ الساترة بحضرة الرجال بدليل قراءة ابن مسعود ' رضى الله عنه " من
 ثيابهن " قال أبو صالح : تضع ' الجلباب ، و هو ما يغطي ثيابها من فوق
 كالملحفة ، و تقوم بين يدي الرجل في الدرع و الخمار (غير متبرجت زينة ')
 أى متعمدات - بوضع ما أبيع لمن ' وضعه .. إظهار وجوههن مع الزينة ،
 أو غير مظاهرات بالزينة ، قال في الجمع بين العباب و المحكم : تبرجت
 ١٠ المرأة : أظهرت وجهها . و في القاموس : تبرجت : أظهرت زينتها
 للرجال - انتهى . و مادة [برج - '] تدور على الظهور كما مضى في
 الحجر ' ، و قال البيضاوي ' : و أصل البرج التكلف ' في إظهار ما يخفى -
 انتهى . و كأنه أشير بصيغة التفعّل إلى أن ما ظهر منها ' من وجهها
 أو زينتها عفوا غير مقصود به الفساد ' لا حرج فيه .

١٥ و لما ذكر الجائر ، و كان ' إبداء الوجه داعيا إلى الرية ، أشار إليه

(١) و أبي بن كعب - كما ذكره في العالم - راجع هامش الباب ٧٣/٥ (٢) في
 ظ : يضع (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : لما (٤) زيد من ظ و مد .
 (٥) راجع آية ١٦ (٦) راجع هذه الآية في المدارك (٧) سقط من ظ (٨) زيدت
 الواو في الأصل ، ولم تكن في ظ و مد لحذفها (٩) في ظ : كأنه .

بقوله ذاكرًا ' المستحب ، يعثا على اختيار أفضل الأعمال و أحسنها :
(وان يستغفر) أى يطلب العفة بدوام السر و عدم التخفف^٢ بالقاء
الجلباب و الخمار (خير لمن^٣) من الإلقاء المذكور .

ولما كان ما ذكر من حاله من الخلطة على ذلك الوصف معلوما
أنه لا يخلو عن كلام ، كان التقدير : فأنه فى وضع الحرج عنهن رؤوف
بهن رحيم ، عطف عليه قوله : (والله) [أى -^٢] الذى له [جميع -^٣]
صفات الكمال (سميع) أى لكلامهن إذا خاطبن الرجال هل يخضعن
فيه و^٤ يتصنعن^٥ فى ترخيم الصوت [به -^٢] أو يلقينه على الحالة المعروفة
غير المنكرة (عليم^٥) بما يقصدن^٦ به و بكل شئ .

ولما أتم سبحانه ما ذكر من حرمان البيوت المستلزمة لصيانة
الأبضاع^٧ على وجه يلزم منه إحراز الأموال ، أتبعه ما يباح من ذلك
للأكل الذى هو من أجل مقاصد الأموال اجتماعا و انفرادا ، فقال
فى جواب من كأنه / سأل : [هل -^٢] هذا التحجير فى البيوت سار
فى الأقارب و غيرهم فى جميع الأحوال ؟ : (ليس على الاعمى حرج)
أى فى مؤاكلة غيره [وما يأتى من الأحكام ، وإن كره غيره -^٢] ١٥
أكله لمد يده كيفما اتفق فأنه مرحوم ، و الاستئذان من أجل
(١) من مد ، وفى الأصل : ذكر ، وفى ظ : ذكر (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل :
التحقق (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : او (٥) فى ظ
ومد : يصنعن (٦) فى مد : يقصدون (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : الإيضاح .

البصر (ولا على الاعرج) الذى لا يرمى (حرج) [وإن تقدر
 منه بعض المترفين - ٢] فانه يجامعه في أنه يرحم لقصه (ولا على المريض)
 أى مرضاً يرمى بعرج أو غيره (حرج) كذلك لمرضه، وأخره
 لرجاء برئه (ولا على انفسكم) [أى - ٢] ولا على غيره من ذكر. وعبر
 بذلك تذكيراً بأن الكل من نفس واحدة (إن تاكلوا من يوتكم)
 أى التى فيها عيالكم، وذكرها سبحانه لتلا يحصل من تركها لو تركها
 رية، وليدخل فيها يوت الاولاد لانهم من كسب الأب. وأطيب ما
 أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه، أنت ومالك لائك،
 (أو يوت آبائكم) وإن بعدت أنسابكم - ولعله جمع لذلك - فانها
 ١٠ مرباكم وحرمتها حرمتكم (أو يوت أمهاتكم) كذلك، وقدم الأب
 لانه أجل وهو حاكم بيته دائماً والمال له (أو يوت اخوانكم) من
 الابوين أو الأب أو الام بالنسب أو الرضاع، فانهم من أولى من رضى
 بذلك بعد الوالدين، لانهم أشقاؤكم^١، وهم أولياء يوتهم
 (أو يوت اخوتكم) فانهم بعدهم، من أجل أن ولى البيت - إذا كن
 ١٥ مزوجات - الزوج (أو يوت اعمامكم) فانهم شقائق آبائكم سواء كانوا
 أشقاء أو لأب أو أم^٢، ولو أفرد العم لتوهم أنه الشقيق فقط فانه أحق
 بالاسم (أو يوت عماتكم) فهن بعد الاعمام لضعفهن، ولانه ربما
 (١) زيد في الأصل: أى، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فخذناها (٢) زيد من
 ظ و مد (٣) في ظ: مرض (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: غيره (٥) العبارة
 من هنا إلى « أولياء يوتهم » ساقطة من ظ (٦) في مد: منكم (٧) في ظ: لأم.
 كان (٧٩) ٣١٦

كان أولياء بيوتهن الأزواج (أو بيوت أخوالكم) لأنهم شقائق أمهاتكم
 (أو بيوت نخلتكم) آخر من لما ذكر (أو ما ملكتم مفاتيحه) أى
 التصرف فيه ' بوجه من الوجوه كالوكالة (أو صديقكم ') الذى
 تعرفون رضاه بذلك ولو بقرينة كما هو الغالب ، ولذلك أطلقه ، وإن
 لم يكن أمكنكم من مفتاحه بل كان عياله فيه ، كل ذلك من غير إفساد ه
 ولا حمل ولا ادخار ، وقد عدل الصديق هنا بالقریب ، تنبيها على شريف
 رتبة الصداقة و لطيف سرها ، وخفيف أمرها ، وأفرده لعزته ؛ وعن
 جعفر بن محمد : من عظم حرمة الصديق أن جعله الله كالنفس والاب
 ومن معه . قال الأصمهانى : وقالوا : إذا دل ظاهر الحال على رضا المالك
 قام ذلك مقام الإذن الصريح ، وربما سمح ' الاستئذان وثقل ' كن قدم ١٠
 إليه طعام فاستأذن صاحبه فى الأكل .

ولما ذكر معدن الأكل ، ذكر حاله فقال : (ليس عليكم جناح)
 أى شئ من الإثم الذى من شأنه أن يميل بصاحبه عن السواء [فى - ١]
 (ان تاكلوا جميعا) أى مجتمعين وإن كان بينكم ناقص الحلقة ، لأن
 من كان معرضا للآفات جدير بأن يرحم المبتلى ، فلا يستقدره حذرا من ١٥
 انعكاس الحال .

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : به (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : الذين .
 (٣) فى ظ : أو (٤) راجع روح المعاني ١١٢ / ٦ (٥ - ٥) من ظ ومد ، وفى
 الأصل : بالاستئذان نقل الاذن - كذا (٦) زيد من ظ ومد (٧) وقع بعده فى
 الأصل : أو اشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم . فرتبنا الآية فيما سياتى
 حسب وقوعها فى ظ ومد

/ و لما رغب في أول الإسلام - لما كان فيه أكثر الناس من الضيق - في المأساة ، و الاجتماع مع الضيوف ، ترغيا ظن به الوجوب ، مع [ما - ١] كانوا عليه من الكرم^٢ الباعث على الجود و^٣ الاجتماع للأنس بالمحتاج^٤ ، خفف عنهم بقوله : [١ - (أو اشتاتا^٥)] أى متفرقين لغير قصد الاستقذار ، و الترفع و الإضرار ، و إن كان الأكل في جماعة أفضل و أبرك - كما يفهمه تقديمه ، فقد روى الإمام أحمد^٦ و أبو داود^٧ و ابن ماجه^٨ عن وحشى بن حرب عن أبيه عن جده أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه و سلم : إنا نأكل و لا نشبع ، قال : فلعلمكم تأكلون متفرقين ؟ اجتمعوا على طعامكم ، و اذكروا اسم الله يبارك لكم فيه . و لابن ماجه^٩ عن ١٠ عمر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال : كلوا جميعا و لا تفرقوا فان البركة مع الجماعة .

و لما ذكر موطن الأكل و كيفيته ، ذكر الحال التى يكون عليها الداخل إلى تلك المواطن أو غيرها ، فقال مسيبا عما مضى من الإذن ، معبرا بأداة التحقيق ، بشارة بأنهم يطيعون بعد أن كانوا تخرجوا من ذلك حين أنزل تعالى و لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل^{١٠} ، : (فاذا دخلتم) أى بسبب ذلك أو غيره (بيوتا) أى مأذونا فيها ، أى بيوت كانت مملوكة أو لا ، مساجد أو غيرها (فسلموا) عقب الدخول (على^{١١} انفسكم)

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : الكرم (٣ - ٢) من ظ و مد ، و في الأصل : كذا (٤) في ظ : الاضطراب . (٥) في السند ٥٠١/٣ (٦) في السنن ٨٧/٢ (٧) في السنن ٢٤٤ (٨) سورة ٤ آية ٢٩ . (٩) أي

أى أهلها الذين هم منكم دينا وقربا، و عبر بذلك ترغيبا في السلام،
و الإحسان في الإكرام، و لتصلح العبارة لما إذا لم يكن فيها أحد فيقال
حيثند السلام علينا و على عباد الله الصالحين، فيكون من الاستعمال [
في الحقيقة و المجاز (تحية) مصدر من المعنى دون اللفظ، 'أى أوقعوا
الدعاء للحى بسلامة و حياة و ملك و بقاء' (من عند الله) أى هو ه
جديرة لتمام حسناتها أن تضاف إلى من له الكمال كله سبحانه (مبركة)
أى ثابتة أعظم ثبات بكونها موافقة لما شرع الله^٢ من خالص قلوبكم
(طية^٣) تلذذ السمع؛ ثم^٤ وصف البيان، تنبيها على ما في هذه الآيات
من الحسن و الإحسان، فقال مستأنفا كما مر غير مرة: (كذلك) أى
مثل هذا البيان، العظيم الشأن (بين الله) [أى -] المحيط بكل ١٠
شئ. (لكم الأيت) التى لا أكمل منها.

و لما كان الله تعالى، بعلمه و حكمته، و عزه و قدرته، و لطفه
و خبرته، قد خلق عقلا نيرا يهدى إلى الحق، و إلى طريق مستقيم، و قسمه
بين عباده، و خلق فيهم أنواعا من العوائق لذلك العقل عن النفوذ على
سمت الاستقامة، من الهوى و الكسل، و الفتور و الملل^٥، جعلها حجبا ١٥
تجبها عن النفوذ، و تستر^٦ عنه المدارك، و تمنعه من البلوغ، إلا بالرياضات

(١-١) ما بين الرقبن بياض في الأصل ملأناه من ظ و مد (٢) زيدت الواو
في الأصل، و لم تكن في ظ و مد لحذفناها (٣) زيد بعده في الأصل: اكده،
و لم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفناها (٤) زيد من ظ و مد (ه) في ظ: الملك.
(٦) من ظ و مد، و في الأصل: يحجبها (٧) من ظ و مد، و في الأصل: يستر.

بجاهدات تسكل عنها القوى، و تضعف عندها العزائم، فلا يكاد
 الماهر منهم يرتب^٢ قياساً صحيحاً، لفظه في المقدمات، فتكون النتيجة
 حيثئذ فاسدة^٣ القاعدة، واهية الأساس، فكانوا لا يزالون^٤ لذلك مختلفين،
 حتى يوصلهم الاختلاف إلى الإحزن، و المشاجرة و الفتن، فيجرهم^٥ إلى
 السيف و ذهاب النفوس و تلف الأرواح، فأنزل سبحانه لهم في كل
 وقت شرعاً يليق بذلك الزمان على لسان رسول من رسله عليهم الصلاة
 و السلام، جعل ذلك الشرع^٦ يطابق العقل السوي^٧، و النور الضوى،
 و المنهل الروى، و السبب^٨ القوى، من تمسك به هدى و لم يزغ، حد
 فيه سبحانه^٩ حدوداً، و أقام فيه زواجر، لظهر حكمته، و يتضح علمه
 ١٠ و قدرته، فطارت شرائع متفقة الأصول، مختلفة الفروع، بحسب
 الأزمنة، إشارة إلى أن الفاعل [في -] تغيير الأحكام بحسب الأزمان
 واحد مختار، و امتحاناً للعباد، تميزاً لأهل الصلاح منهم من أهل الفساد،
 و كانت الإغارة على شيء من الأعراض و^{١١} الأموال على غير ما أذن

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: عنها (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: بريت.
 (٣) زيد في الأصل: شديداً، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فخذناها (٤) زيد في
 الأصل: العقيدة و، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فخذناها (٥) من ظ و مد،
 وفي الأصل: لا يزال (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: فيجرهم (٧) زيد في
 الأصل: هو، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فخذناها (٨) من ظ و مد، وفي
 الأصل: السرى (٩) في ظ: البيت (١٠) زيد في الأصل: و أقام، ولم تكن
 الزيادة في ظ و مد فخذناها (١١) زيد من ظ و مد (١٢) سقط من ظ .
 فيه (٨٠) ٣٢٠

فيه تُذهب العقول، و تعمى البصائر، ختم الآية بقوله: ﴿لعلكم تعقلون﴾ أي لتكونوا على رجاء عند من يصح منه الرجاء من ثبات هذا الوصف لكم، وهو ضبط النفوس وزدّها عن الأهوية، باتباع آيات الشرع التي أنزلها الذي كرر وصفه هنا بأنه عليم حكيم، فلا تتولوا بعد قولكم "سمعنا و اطعنا" عن الإذعان للأحكام وأنتم معرضون .

و لما كان سبحانه قد نفى عنهم الإيمان بالتولي عن الأحكام، و تلاه بما رأيت أن نظمه أحسن / نظام، حتى ختم بما أوماً إلى أن من عمى عن أحكامه بعد هذا البيان مسلوب العقل، و كرر في هذه السورة ذكر البيان، تكريراً^١ أشار إلى لمعان المعاني بأمّن بنان^٢، حتى صارت مشخصات للعيان، و بين من حاز وصف الإيمان، بحسن الاستئذان، وكان أمر^{١٠} الرسول صلى الله عليه وسلم أجلّ^٣ موطن تجب الإقامة فيه و يهجر ما عداه من الاوطان، فتصير الأرض برحبها ضيقة لأجله، محظوراً سلوكها من جرّاه، بمنزلة بيت الغير الذي لا يحل دخوله بغير إذن، قال معرفاً^٤ بذلك على طريق الحصر مقابلاً لسلب^٥ "وما أولئك بالمؤمنين" مينا عظيم الجناية^٦ في الذهاب عن مجلس النبي صلى الله عليه وسلم المقتضى^{١٥} للجمع من غير إذن: ﴿انما المؤمنون﴾ أي الكاملون [الذين لهم الفلاح -^٧]

(١) في ظ : هبط (٢) في مد : تلا (٣) في ظ : اشار (٤-٤) من ظ و مد، وفي الأصل : باس بيان (٥) من ظ و مد، وفي الأصل : من (٦) من ظ و مد، وفي الأصل : معرضاً (٧) في ظ : للسلب (٨) من ظ و مد، وفي الأصل : الخيانة (٩) زيد من ظ و مد .

(الذين آمنوا بالله) أى الملك الاعلى (ورسوله) ظاهرا و باطنا .
 ولما كان الكلام فى الراشحين ، كان الموضع لاداة التحقيق فقال :
 (واذا) أى و صدقوا إيمانهم بأنهم إذا (كانوا معه) أى الرسول
 صلى الله عليه وسلم (على امر جامع) أى لهم على الله ، كالجهاد
 لاعداء الله ، والتشاور فى مهم ، وصلاة الجمعة ، ونحو ذلك
 (لم يذهبوا) عن ذلك الامر خطوة إلى موضع من الارض ولو
 أنه بيوتهم ، شئ من الاشياء ولو أنه أهم مهماتهم ، لانه أخذ عليهم الميثاق
 بالطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره (حتى يستأذنه) فإذن
 لهم ، لأن المأمور به قد صار منزلهم ومأواهم^١ ومتبأهم^٢ ، وصار كل
 ١٠ ما سواه من الأماكن والامور له عليه الصلاة والسلام دونهم ،
 لاحظ لهم فيه ، فلا يحل لهم أن يدخلوه حسا أو معنى إلا بإذنه ، وهذا
 من عظيم التنبيه على أمره ، وشريف قدره ، وذلك أنه سبحانه
 كما أمرهم بالاستئذان عند الدخول عليه وعلى غيره ، أفرد به بأمرهم
 باستئذانه عند الانصراف عنه صلى الله عليه وسلم ، وجعل [رتبة - ٢]
 ١٥ ذلك [تالية - ٢] لرتبة الإيمان بالله والرسول ، وجعلها كالسبب^٣
 له مع تصدير الجملة بأداة الحصر ، وإيقاع المؤمنين فى مبتدأ مخبرا عنه
 بموصول أحاطت وصلته^٤ بالرتب الثلاث^٥ شرحا له .

(١) فى ظ : فى الطاعة (٢-٢) - سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) زيد من ظ و مد .
 (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : كالسبب (٥) من مد ، وفى الأصل : صلته ،
 وفى ظ : صلته (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : الثلاثة .

و لما نفي عن المؤمنين الذهاب إلى غاية الاستئذان، فأفهم أن المستأذن مؤمن، صرح بهذا المفهوم ليكون أكد، فقال تشديدا في الإخلال بالآداب بين يديه صلى الله عليه وسلم، وتأكيذا لحفظ حرمة والآداب معه [ثلا يتشوش فكره -^١] في أسلوب آخر، و^٢ يانا لأن^٣ الاستئذان مصداق الإيمان: ﴿ان الذين يستأذنونك﴾ أى يطلبون إذنك لهم إذا أرادوا الانصراف، في شيء من أمورهم التى يحتمل أن تمنع^٤ منها ﴿أوآلتك﴾ العالو الرتبة خاصة ﴿الذين يؤمنون﴾ أى يوجدون الإيمان في كل وقت ﴿بالله﴾ الذى له الأمر كله فلا كفوء له ﴿ورسوله﴾ وذلك ناظم لاشتات^٥ خصال الإيمان.

و لما قصرهم على الاستئذان، تسبب عن / ذلك إعلامه صلى الله عليه وسلم / ١٠ / ٦٦٧ عليه وسلم بما يفعل^٦ إذ ذاك فقال: ﴿فاذا استأذنونك﴾ أى هؤلاء الذين صحت دعواهم؛ وشدد عليهم تأكيذا لتعظيم الآداب^٧ معه صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿لبعض شأنهم﴾ وهو ما تشتد الحاجة إليه ﴿فاذن لمن شئت منهم﴾ قيل: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صعد المنبر يوم الجمعة فن أراد أن يخرج لعذر قام بحاله فيعرف^٨ أنه يستأذن فأذن^٩ [لمن شاء، قال مجاهد: وإذن الإمام يوم الجمعة أن يشير يده، وقيل: كذلك ينبغي أن يكون الناس مع أئمتهم ومقدمهم

- (١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) من ظ و مد، وفي الأصل: بيان (٣) في ظ و مد: يمنع (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: الاشتات (٥) في ظ: ينقل. (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: للآداب (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: فيكون.

في الدين و العلم لا يخذلونهم في نازلة من النوازل - [١] .
 و لما أثبت له بهذا التفويض من الشرف ما لا يبلغ وصفه ، أفهمهم^٢
 أن حال المستأذن قاصرة عن^٣ حال المفوض الملازم كيفما كانت ، فقال :
 ﴿ و استغفر لهم الله^٤ ﴾ أي الذي له الغنى المطلق ، فلا تنفعه طاعة ،
 و لاتضره معصية ، أو يكون الكلام شاملا لمن صحت دعواه و غيره ؛
 ثم علل ذلك ترغيبا في الاستغفار ، و تطيبا لقلوب أهل الأوزار ، بقوله :
 ﴿ ان الله ﴾ أي الذي له صفات الكمال ﴿ غفور ﴾ أي له هذا الوصف
 فهو جدير بأن يغفر لهم ما قصرُوا فيه ﴿ رحيم ﴾ أي فكل ما أمرم
 به فهو خير لهم و إن تراءى لهم خلافة .

١٠ و لما أظهرت هذه السورة بعمومها^٥ ، و هذه الآيات بخصوصها ،
 من شرف الرسول ما يهر^٦ العقول ، لأجل ما وقع للنافق من التجرؤ
 على^٧ ذلك الجنب الأشم ، و المنصب الآثم ، و علم منه أن له صلى الله
 عليه و سلم في كل أمره و جميع شأنه خصوصية ليست لغيره ، صرح بذلك
 تفخيماً للشأن ، و تعظيماً لل مقام ، ليتأدب من ناضل^٨ عن المناق ، أو تواني
 ١٥ في أمره فقصر عن مدى أهل السوابق ، فقال منبها على أن المصائب
 سبب لإظهار المناقب أو إشهار^٩ المعائب ﴿ لا تجمعوا لها ﴾ [أي يأبها
 الذين آمنوا - ١] ﴿ دعاء الرسول ﴾ أي لكم الذي يوقعه ﴿ بينكم ﴾

(١) زيد من ظ و مد (٢) في ظ : انهم (٣) في ظ : على (٤) من ظ و مد ،
 و في الأصل : لعمومها (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : بهم (٦) في ظ : عن .
 (٧) في ظ : اضل - كذا (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : اشتهار .

و لو على سبيل العموم ، في وجوب الامثال (كدعاء بعضكم بعضاً)
فان أمره عظيم ، ومخالفته استحلالات كفر ، ولا تجعلوا أيضاً دعاءكم إياه
كدعاء بعضكم لبعض بمجرد الاسم ، بل تأدبوا معه بالتفخيم والتبجيل
والتعظيم كما سن الله بنحو : يا أيها [النبي ، و يا أيها - ٢] الرسول ،
[مع إظهار الأدب في هيئة القول و الفعل بخفض الصوت و التواضع - ٢] . ٥
ولما كان بعضهم يظهر المؤالفة ، و يبطن المخالفة ، حذر من ذلك
بشمول عليه و تمام قدرته ، فقال معللاً مؤكداً محققاً معلماً بتجديد^٢
تعليق العلم الشهودي كلما جدد أحد خيانه لدوام اتصافه بأحاطة العلم من
غير نظر إلى زمان : (قد يعلم الله) أي الحائز لجميع صفات المجد ، إن
ظنتم أن ما تفعلونه من التستر يخفى أمركم على رسوله صلى الله عليه ١٠
وسلم ، فهو سبحانه يعلم (الذين يتسللون) و عين أهل التويخ بقوله :
(منكم) أي يتكلفون سلاً أنفسهم ليجعلوا ذهابهم في غاية الخفاء
(لو إذا ج) أي تسللاً مستخفين [به - ٢] بتستر بعضهم فيه بعض ؛
يقال : لاذ بالشيء لوذاً و لوذاً و ملاوذة : استتر و تحصن ، فهو مصدر
تسلل من غير لفظه ، ولعله أدخل " قد " على المضارع ليزيد أهل ١٥
التحقيق تحقيقاً ، و يفتح لأهل الريب إلى الاحتمال طريقاً ، فانه يكفي
في الخوف / من النكال طروق الاحتمال ؛ و سبب عن علمه قوله :
٦٦٨ /

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل :
بتجدد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل :
يفعلونه (٦) في مد : تحقّقاً .

﴿ فليحذر ﴾ أى يوقع الحذر ﴿ الذين يخالفون ﴾ أى يوقعون مخالفته بالذهاب مجاوزين معرضين ﴿ عن امرء ﴾ أى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى خلافه ﴿ ان تصيهم فتنة ﴾ أى شئ يخاطبهم فى الدنيا فيحيل أمورهم إلى غير الحالة المحبوبة التى كانوا عليها ﴿ او يصيهم عذاب اليم ﴾ ه فى الآخرة ، وهذا يدل على أن الأمر للوجوب حتى يصرف عنه صارف ، لترتيب^١ العقاب على الإخلال به ، لأن التحذير من العقاب إنما يكون بعد قيام المقتضى لزول العذاب .

ولما أقام سبحانه الأدلة على أنه نور السماوات والأرض بأنه^٢ لا قيام لشيء إلا به سبحانه ، وختم بالتحذير لكل مخالف ، أتج ذلك ١٠ أن له كل شيء فقال : ﴿ إلا ان الله ﴾ أى الذى له جميع المجد جميع ﴿ ما فى السموات ﴾ [ولثبوت أنه سبحانه محيط العلم والقدرة ، لم يقتض المقام التأكيد باعادة الموصول فقال -] : ﴿ و الأرض ﴾ أى من جوهر وعرض ، وهما^٣ له أيضا لأن الأرض فى السماء ، وكل سماء فى التى فوقها حتى ينتهى ذلك إلى العرش الذى صرح فى غير آية ١٥ أنه صاحبه ، وهو سماء أيضا لعلوه عما دونه ، فكل ما فيه له ، وذلك أبلغ - لدلالته بطريق المجاز - مما لو^٤ صرح به ، فدل ذلك - بعد الدلالة

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : فيحتمل (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : لرتب (٣) فى ظ : لانه (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : التحذير ، وزيد قبله فى مد : الآية ، ثم ضرب عليه (٥) زيد من ظ و مد (٦) فى ظ : بما . (٧) سقط من ظ .

على وجوده - 'على وحدانيته ، و كمال علمه وقدرته .

ولما كانت أحوالهم من جملة ما له ، كان من المعلوم أنها لم تقم في أصلها ولا بقاء لها إلا بعلمه [و - '] لأنها ^٢ بخلقه ، فلذلك قال محققا مؤكدا مرهبا : ﴿ قد يعلم ما آتم ﴾ أيها الناس كلكم ﴿ عليه ﴾ أي الآن ، والمراد بالمضارع هنا وجود الوصف من غير نظر إلى زمان ، هـ ولو عبر بالماضي لتوهم الاختصاص به ، و الكلام في إدخال "قد" عليه كما مضى آنفا باعتبار / أولى^١ النفوذ في البصر ، وأهل الكلال^٢ والكدر ﴿ ويوم ﴾ أي ويعلم ما هم عليه يوم ﴿ يرجعون ﴾ أي بقهر قاهر لهم على ذلك ، لا يقدرّون له على دفاع ، ولا نوع امتناع ﴿ إليه ﴾ ^٣ وكان^٤ الأصل : ما آتم عليه ، ولكنه أعرض عنهم تهويلا للأمر ، أو يكون ١٠ ذلك خاصا بالمتولين^٥ المعرضين^٦ إشارة إلى أنهم يناقشون الحساب ، و^٧ يكون سر الالتفات التنبيه على الإعراض عن المكذب بالقيامة ، والإقبال على المصدق ، صونا لنفيس الكلام ، عن الجفاة الاغبياء اللثام ﴿ فينبئهم ﴾ أي فيتسبب عن ذلك أنه يخبرهم تخيرا عظيما ﴿ بما عملوا ﴾ فليعدوا لكل شيء منه جوابا ﴿ والله ﴾ أي الذي له الإحاطة الكاملة ﴿ بكل شيء ﴾ من ذلك وغيره ﴿ عليم ﴾ فلذلك أنزل الآيات (١) زيدت الواو قبله في الأصل ، ولم تكن في ظ ومد فخذناها (٢) زيد من ظ ومد (٣) في ظ : أنها (٤) من ظ ومد ، وفي الأصل : الى (هـ) في مد : الكلام . (٦-٧) من ظ ومد ، وفي الأصل : فكان (٧) في ظ : بالمومنين (٨) من ظ ومد ، وفي الأصل : المعرضون (٩) من ظ ومد ، وفي الأصل : او .

البيئات^١، وكان نور الأرض والسموات، فقد رد الحتام على المبدأ،
والتحم الآخر بالاول والآثنا - والله الهادي^٢ .

* * *

(١) من ظ و مد، وفي الأصل : الميئات (٢) زيد بعده في ظ و مد : قال مؤلفه عفا الله عنه « هذا آخر الجزء الرابع من كتاب نظم الدرر من تناسب الآي والسور، إنشاء كاتبه أقرر الخلائق إلى عفو الخالق أبي الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي أبي بكر البقاعي الشافعي نزيل القاهرة العزمية، وكان الفراغ من تبييض ما نقل منه في نصف ذي الحجة الحرام سنة ثمان وستين وثمانمائة من مسجدي من رحبة باب العبد بالقاهرة، وكان ثالثاً في اثنين و ثلاثين كراساً، فكثرت فيه الإلحاقات فصار مسودة فنقلته في ثمانية وأربعين كراساً فجعلته في مجلدين فكان هذا رابعاً، وكان فراغي منه يوم الثلاثاء تاسع عشرى [في ظ : تاسع عشر] شهر ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وثمانمائة ["وثمانمائة" ليس في مد] والحمد لله رب العالمين » انتهى ما وجدته العبد الفقير إلى الله تعالى سالم السنهوري المالكي [وفي ظ : انتهى ما وجدته] في آخر الجزء المنقول منه بخط مؤلفه، وبعده في مد : ووافق فراغ الفقير المذكور من نقل الجزء المبارك في يوم الثلاثاء المبارك بعيد عصره في شهر ربيع الأول من شهور سنة سبعين و تسعمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل، وفي ظ : كانت النسخة التي نقلت منها هذه النسخة والحمد لله وحده .

سورة الفرقان

مقصودها إنذار عامة المكلفين بما له سبحانه من القدرة الشاملة ، المستلزم
 للعلم التام ، المدلول عليه بهذا القرآن المبين ، المستلزم لآيته / لا موجد
 على الحقيقة سواه ، فهو الحق ، وما سواه باطل ، و تسميتها بالفرقان
 واضح الدلالة على ذلك ، فان الكتاب ما نزل إلا للفرقة بين المتبسات ، ه
 وتميز الحق من الباطل " ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي
 عن بينة " فلا يكون لأحد على الله حجة (بسم الله) الذي له الحجة
 البالغة ، لإحاطة عظمت ، و شمول عليه و قدرته (الرحمن) الذي
 عم بنعمة الفرقان ، أهل الإيمان و الكفران (الرحيم) الذي خص من
 شاء من عباده بملايس الرضوان . ١٠

لما ختم سبحانه تلك بسعة الملك ، و شمول العلم ، و تعظيم الرسول ،

(١) زيد في ظ و مد استمرارا لما مضى آنفا: قال الشيخ الإمام ، العالم العلامة ،
 فريد عصره ، و وحيد دهره ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي
 بكر الشافعي - لطف الله تعالى بهم أجمعين ، و أدخلهم جنات النعيم ، و أعادهم
 من عذاب الجحيم - في كتابه نظم الدرر من تناسب الآي و السور (٢) الخاتمة
 و العشرون من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آياتها سبع و سبعون
 آية بلا خلاف - راجع روح المعاني ٦ / ١١٩ (٣) من ظ و مد ،
 و في الأصل : بانه (٤) في ظ : القاطعة (هـ - هـ) من ظ و مد ، و في الأصل :
 لشمول (٦-٦) بياض في الأصل عبائاه من ظ و مد .

و التهديد لمن تجاوز الحد ، افتتح هذه^١ بمثل ذلك على وجه - مع كونه
أضخم منه - هو برهان عليه فقال : ﴿ تَبَرَّك ﴾ أى ثبت ثبوتا مع اليمين
والخير الذى به سبقت الرحمة الغضب ، والتعالى فى الصفات و الأفعال ،
فلا ثبوت يدانيه ، ولا يكون ذلك كذلك إلا بتمام قدرته ، ولا تتم
قدرته إلا بشمول علمه ، وهذا الفعل مطاوع 'بارك' وهو مختص بالله
تعالى لم يستعمل لغيره ، ولذلك لم ينصرف لمستقبل^٢ ولا اسم فاعل^٣ ثم
وصف نفسه الشريفة بما يدل على ذلك فقال : ﴿ الذى ﴾ .

[ولما كان تكرار الإنذار - الذى هو مقصود السورة - أنفع ،
وتفريقه فى أوقات متراسلة أصدع^٤ للقلوب وأردع ، وكان إيضاح
المشكلات ، فى الفرق بين المتلبسات^٥ ، أعون بما يكون علة ، عبر بما يدل
على الفرق وقدمه فقال - ٥ -] : ﴿ نزل الفرقان ﴾ أى الكتاب الذى
نزل^٦ إلى سماء الدنيا فكان كتابا ، ثم نزل مفردا بحسب المصالح ، فسمى
لذلك^٧ فرقانا ، ولأنه الفارق بين كل ملتبس^٨ ، فلا يدع خفاء إلا بينه ،
ولاحقا إلا أثبتته ، ولا باطلا إلا نقاه ومحقه ، فيه انتظام الحياة الأولى
(١) زيد فى الأصل : السورة ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفنا هـ .
(٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : بمستقبل (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ :
المتلبسات (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٦) العبارة من هنا إلى كتابا
نم . متكررة فى الأصل فقط (٧) زيد فى الأصل : جملة ، ولم تكن الزيادة
فى ظ و مد فحذفنا هـ (٨) من مد ، وفى الأصل : ذلك ، وفى ظ : بذلك .
(٩) فى ظ : ملتبس .

والأخرى، فكان قاطعا على علم منزله، ومن علمه الباهر إنزاله
 ﴿على عبده﴾ أى الذى لا أحق منه بإضافته إلى ضميره الشريف، لأنه
 خالص [له - ٢]، لاشائبة لغيره فيه أصلا، ولم يحز مخلوق ما حاز
 من طهارة الشيم، وارتفاع المهمم، ولا شك أن الرسول دال على مرسله
 فى مقدار علمه، وكثرة جنده، واتساع ملكه "الله اعلم" حيث يحمل ٥
 رسلته "ثم علل إنزاله عليه بقوله: ﴿ليكون﴾ أى العبد أو الفرقان.
 [ولما كان العالم ما سوى الله، وكان ربما ادعى مدع أن المراد
 البعض، لأنه قد يطلق اللفظ على جزء معناه بدلالة التضمن، وكان
 الجمع لا بد أن يفيد ما أفاده المفرد بزيادة، جمع ليعرف أن المراد المدلول
 المطابق، مع التصريح باستغراق جميع الأنواع الداخلة تحت مفهوم المفرد، ١٠
 واختار جمع العقلاء تغليا، إعلاما بأنهم المقصودون بالذات فقال - ٢]:
 ﴿للغلبين﴾ أى المكلفين كلهم من الجن والإنس والملائكة.
 ولما كان كل من الكتاب والمنزل عليه بالغيا فى معناه، عبر بما
 يصح أن يراد به المنذر والإنذار على وجه المبالغة فقال: ﴿نذيرا﴾ أى
 وبشيرا، وإنما اقتصر على النذارة للإشارة إلى البشارة بلفظ "تبرك" ١٥
 ولأن المقام لها، لما ختم [به - ٢] تلك من إعراض المتولين عن الأحكام،
 (١) من ظ ومد، وفى الأصل: منزلة (٢) زيد ما بين الحاجرين من ظ ومد.
 (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: لم يحز (٤) فى ظ: يعلم - خطأ (٥) زيد فى
 الأصل: ثم، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لحذفها (٦) من ظ ومد،
 وفى الأصل: على.

و تقي الإيمان عنهم باتقاء الإسلام ، وفيه إشارة إلى كثرة المستحقين
 للندارة ، ولا التفات إلى من قال : إن الرازي و البرهان النسفي نقلوا
 الإجماع على أنه صلى الله عليه وسلم لم يرسل [إلى - '] الملائكة ، فان
 عبارة الرازي في بعض نسخ تفسيره : لكننا أجمعنا على [أنه لم يرسل
 ٥ إلى الملائكة ، وفي أكبر النسخ : بينا - بدل : أجمعنا ، على - '] أنه
 لو اتفقت جميع النسخ [عليها - '] لم تضر ، لأنها غير صريحة في إرادة
 الإجماع ، ولأن الإجماع لا يثبت / بنقل واحد لاسيما في مثل هذا الذي
 تظافرت الظواهر على خلافه ، ولم يرد مانع منه ، وأما البرهان النسفي
 فمن الرازي أخذ ، وعبر بعبارة ، فصارا واحدا ، وقد ينت^٢ ذلك
 ١٠ عند قوله تعالى في سورة الأنعام ' لا نذركم به ومن بلغ ' بيانا شافيا
 لا ارتياب معه ، بل ولو قيل : إن الآية^٣ على ظاهرها ، لا خصوص فيها
 بالعقلاء ، و تكليف كل شيء بحسبه ، لكان وجهها ، وبذلك صرح^٤ الإمام
 تاج الدين السبكي في أول الترشيح في قوله : « وأصل على نبيه
 محمد المصطفى المبعوث إلى كل شيء » ، وكذلك المحب الطبري في آخر « القرى »^٥
 ١٥ لقاصدي^٦ أم القرى ، وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم ما دعا جامدا

(١) زيد من ظ ومد (٢) من ظ ومد ، وفي الأصل : امة (٣) من ظ ومد ،
 وفي الأصل : يثبت (٤) راجع نظم الدرر ٤٢/٧ و ٤٣ و (٥) في ظ : الملائكة .
 (٦) من ظ ومد ، وفي الأصل : خرج (٧) من ظ ومد ، وفي الأصل :
 القري - كذا (٨) من كشف الظنون ، وفي الأصل : لقاصد ، وفي
 ظ ومد : القاصد .

ولا متحركاً غير الإنسان إلا أجابه بما هو مقتضى "أنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها" الآية^١، دعا^٢ غير مرة عدة من أغصان الأشجار فأثته تسجد له، ثم أمرها بأن ترجع إلى مكانها ففعلت^٣، ودعا^٤ الضب وغيره من الحيوانات العجم فأطاعته؛ ودعا^٥ الأشجار غير مرة فسمعت^٦ وسعت^٧ إليه^٨، وأمر الجبل^٩ لما رجف^{١٠} فأذن^{١١}؛ وأرسل إلى نخل^{١٢} وأحجار^{١٣} يأمرهن بالاجتماع ليقضى^{١٤} إليهن حاجة ففعلن^{١٥}، ثم أرسل يأمرهن بالرجوع إلى أماكنهن فأجبن^{١٦}؛ وغرز الأرض فنبع^{١٧} منها الماء^{١٨}، وأرسل سهمه إلى البئر فجاشت بالرواء^{١٩} - إلى غير ذلك مما هو مضمن في دلائل النبوة^{٢٠}، بل ولا دعا طفلاً رضيعاً إلا شهد له^{٢١} لكونه على الفطرة الأولى - إلى غير ذلك مما هو دال على ظاهر^{٢٢} الآية المقتضى لزيادة شرفه صلى الله عليه وسلم من غير محذور يلزم عليه ولا نص يخالفه - والله الهادي .

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير في برهانه : لما تضمنت سورة

(١) ٧٢ من سورة الأحزاب (٢) من ظ ومد، وفي الأصل : وهي (٣-٢) سقط ما بين الرقین من ظ (٤) من ظ ومد، وفي الأصل : الخيل (٥) من ظ ومد، وفي الأصل : محرا (٦) في ظ ومد : اشجار، والصواب ما في الأصل - راجع الشفا ١٤٩ (٧) من ظ ومد، وفي الأصل : يقضى (٨) من ظ ومد، وفي الأصل : فنع (٩) من ظ ومد ومسند الإمام أحمد ٢٢٣/٤، وفي الأصل : بالردى . (١٠) راجع لمعظم ما مضى منها دلائل النبوة للأصفهاني ، والخصائص الكبرى للبيهقي ، والشفا للقاضي عياض ، ومجمع الزوائد للهيتمي ج ٨ و ٩ (١١) كما مر في قصة مبارك اليمامة .

النور يان كثير من الاخكام كحكم الزنا، ورمى الزوجات به، و القذف،
 و الاستئذان، و الحجاب، و إسعاف الفقير، و الكتابة^١، و غير ذلك،
 و الكشف عن مغيبات، من تغاير حالات، ثبين^٢ بمعرفتها و الاطلاع
 عليها الخبيث من الطيب، كاطلاعه سبحانه نبيه و المؤمنين^٣ على ما
 ه تقوله؛ أهل الإفك، و يان سوء حالهم، و اضمحلال محالهم، في قصة
 المنافقين في إظهارهم ضد ما يضمرون؛ ثم كريم^٤ وعده للخلفاء الراشدين
 "وعد الله الذين آمنوا منكم" ثم ما^٥ فضح به [تعالى - ٦] منافق
 الخندق "قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا" - إلى آخر الآية،
 فكان مجموع هذا فرقانا يعتضد به الإيمان، و لا ينكره^٨ مقر بالرحمن^٨،
 ١٠ يشهد^٩ لرسول الله صلى الله عليه و سلم بصحة رسالته، و يوضح مضمون
 قوله "لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم" من عظيم قدره صلى الله عليه
 و سلم و على جلالة، أتبعه سبحانه بقوله تعالى "تبارك الذي نزل الفرقان
 على عبده" و هو القرآن الفارق بين الحق و الباطل، و المطلع على ما
 أخفاه^{١٠} المنافقون و أبطنوه من المكر و الكفر "ليكون للعلمين نذيرا"
 ١٥ فيحذرهم من مرتكبات المنافقين و "التشبه بهم" ثم تناسج^{١١} الكلام،

(١) من ظ و مد، و في الأصل : الكفاية (٢) من ظ و مد، و في الأصل :
 مبين (٣) من ظ و مد، و في الأصل : المومنون (٤) في ظ : يقوله (ه) من ظ
 و مد، و في الأصل : كرر (٦) من ظ و مد، و في الأصل : ربما (٧) زيد
 من ظ و مد (٨ - ٨) في ظ : مقربا للرحمن (٩) من ظ و مد، و في الأصل :
 يشهد (١٠) من ظ و مد، و في الأصل : أخفا (١١) في ظ : في (١٢) من مد،
 و في الأصل : تناسج، و في ظ : تناسخ .

٦٧١ /

و التحم جليل المهود من ذلك النظام ، و تضمنت هذه السورة من
النبي على الكفار و التعريف بيهتهم / و سوء مرتكبهم ما لم يتضمن
كثير من نظائرها كقولهم " ما لهذا الرسول يا كل الطعام " الايات ،
و قولهم " لو لا انزل علينا المشكة او نرى ربنا " و قولهم " لو لا نزل
عليه القرآن جملة واحدة " و قولهم " و ما الرحمن " إلى ما عتد
هذه و تخللها ، ولهذا ختمت بقاطع الوعيد ، و أشد التهديد ، و هو
قوله سبحانه " فقد كذبتم فسوف يكون لزاما " - انتهى .

و لما تقدم ذكر منزل الفرقان^١ سبحانه ، تو ذكر^٢ الفرقان و المنزل
عليه على طريق الإجمال ، أتبع ذلك تفصيله على الترتيب ، فبدأ بوصف
المنزل سبحانه بما هو أدل دليل على إرادة التعميم في الرسالة لكل من ١٠
يريد ، فقال : ﴿ الذي له ﴾ أى وحده ﴿ ملك السموات و الارض ﴾
فلا إنكار لأن يرسل رسولا إلى كل من فيهما ، ﴿ و لم يتخذ ولدا ﴾
ليتكبر على رسوله ﴿ و لم يكن له شريك في الملك ﴾ ليناقضه في الرسالة
أو يقاسمه إياها ، فيكون بعض الخلق خارجا عن رسالته ، أو مراعى
لأمر غير أمره .

١٥

و لما كان وقوف الشيء عند حد - بحيث لا يقدر أن يتعداه إلى
حد [شيء - ٩] آخر سواه ، فهذا حيوان لا يقدر على جعل نفسه جمادا

(١) في ظ : ختمته (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : القرآن (٣ - ٣) من ظ
و مد ، و في الأصل : نزل (٤) في ظ : فيها (٥) في ظ : عن (٦) زيد من
ظ و مد .

ولا^١ أعلى من الحيوان ، وهذا جماد لا يمكنه جعل نفسه حيوانا
ولا أسفل من رتبة الجماد إلى غير ذلك مما يعجز الخلق عن شرحه -
دالا^٢ على أنه مخلوق مربوب ، قال تعالى : ﴿ وخلق ﴾ أى أحدث
إحداثا مراعى فيه التقدير والتسوية ﴿ كل شيء ﴾ أى بما^٣ ادعى فيه
الولدية^٤ أو الشرك^٥ وغيره .

ولما كان قد سوى كل شيء لما يصلح له وهياه لذلك ، قال
شارحا [وحققا -] لمعنى^٦ «خلق» : ﴿ قدره ﴾ فى إيجاده من غير
تفاوت ﴿ تقديره ﴾ أى لا يمكن ذلك الشيء مجاوزته فيما خلق لاجله
وهيى وبسر له إلى غيره بوجه من الوجوه .

١٠ ولما ذكرهم بما ركز^٧ فى فطرم من العلم ، عجب منهم لكل ذى
عقل فى جملة حالية فيما خالفوا ما لهم من المشاهدة ، فقال مضمرًا للفاعل
إشارة إلى استهجان نسبة هذا الفعل إلى فاعل معين توبيخا لهم وإرشادا
إلى المبادرة من كل سامع إلى تقيده عنه^٨ فقال : ﴿ واتخذوا ﴾ [أى
كأف أنفسهم عبدة الأوثان أن -] أخذوا .

١٥ ولما كان علوه لا يجد ، فكانت^٩ الرتب السافلة^{١٠} عن رتبته لا تحصى ،
نبه على ذلك بالجاء فقال : ﴿ من دونه ﴾ أى بعد ما قام من الدليل

(١) زيد فى ظ ومد : على (٢) فى ظ : دال (٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : ما -
(٤-٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : والشر له - كذا (هـ) زيد من ظ ومد .
(٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : معنى (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : ذكره .
(٨) فى ظ : منه (٩-٩) من ظ ومد ، وفى الأصل : الرتب الناقلة .

على أنه الإله وحده من الحيات^١ التي تقدمت (الهة)^٢ المتخذون مشاهدون لأنهم كما قال تعالى: (لا يخلقون شيئا) أى^٣ لا أعجز منهم، [لا - ١] يكون منهم إجماد^٤ شيء، فهم دون من عبدهم.

ولما كان المتعنت ربما ادعى أنهم مع ذلك غير مخلوقين قال: (وهم يخلقون) [أى بما يشاهد فيهم من التغير والطواعية لمشيئته سبحانه، ومن ذلك أن عبدتهم افعلوهم بالتحس والتصور. ولما قرر أنه أنعم على كل شيء، وكانت النعم أكثر وجودا، وكان أدنى نعمة على الشيء خلقه سبحانه له، أخبر أن ذلك الغير لا يقدر^٥ على ضرر نفسه ولا بالإعدام، فقال معبرا بأداة العقلاء تهكما بعابديهم حيث أقاموهم في ذلك المقام، أو تغليا لأنهم عبدوا^٦ الملائكة وعزيرا والمسيح عليهم ١٠ السلام - ١]: ^٨ (ولا يملكون) ^٩ [أى لا يتجدد لهم بوجه من الوجوه أن يملكوا - ١] (لا تقسم ضرا) ولذلك قدمه، ونكره ليعم. فلما ثبت بذلك أنهم خلقه، ولكن [كان - ١] ربما قال متعنت: إنهم يملكون ذلك ولكنهم يتركونه عمدا، لأن أحدا لا يريد ضرر نفسه، قال: (ولا نقما) [أى - ١] ولو بالبقاء على حالة واحدة، وعبدتهم ١٥ يقدرون على ما أراد الله من ذلك على وجه الكسب، فهم أعلى منهم،

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: الجليات (٢) وقع هنا في الأصل "وهم يخلقون ولا يملكون" فرتبناه حسبما ورد في ظ و مد (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: اعجاز (٦) في ظ: لا يقدم. (٧) في ظ: غلبوا (٨-٨) سقط ما بين الرقيين من مد (٩) زيد من ظ.

و عبادة الأعلى لمن دونه ليست من أفعال العقلاء .

ولا كان / للوت والحياة ما ليس لغيرهما من عظيم الشأن ، أعاد
العامل فقال : (ولا يملكون) و قدم الموت لأن الحياة أكثر ، قال
مبتدئاً بما هو من باب الضر على نسق ما قبله : (موتا) أى لأنفسهم
ه ولا لغيرهم (ولا حياة) أى من العدم (ولا نشوراه) أى إعادة
لما طوى من الحياة بالموت ، و عطفها بالواو وإن كان بعضها مسيياً عما
قبله إشارة إلى [أن - ١] كل واحدة منها كافية في سلب الإلهية عنهم
بما ثبت من المعجز .

ولما وصف منزل الفرقان^٢ بما لا يحيط به علم أحد غيره من الشؤون ،
١٠ فاتضح بذلك إيجاز المنزل الذى أبان ذلك ، و هو [هذا - ٢] القرآن ،
و أنه وحده الفرقان ، عجب من حال المكذبين به^٤ فقال موضع " وقالوا " :
(وقال الذين كفروا) مظهر الوصف الذى حملهم على هذا القول ،
و هو ستر ما ظهر لهم ' و لغيرهم كالشمس و الاجتهاد فى إخفائه :
(ان) أى ما (هذا) أى القرآن (الآفك) أى كذب
١٥ مصروف عن^٦ ظاهره ووجهه^٧ هو أسوأ^٨ الكذب (افتره) أى

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل :
القرآن (٤) سقط من ظ و مد (٥) زيد في الأصل : من ، ولم تكن الزيادة
في ظ و مد لحذفنا (٦) في ظ : على (٧-٧) من ظ و مد ، وفي الأصل :
وجهه و ظاهره (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : استوا .

تعمد كذبه هذا النذير ، فكان قولهم هذا موضع العجب لكونه
ظاهر الخلل .

و لما كان الإنسان مطبوعا على أنه يتكثر^١ بأدنى شيء [من المحاسن
فيجب أن تظهر عنه ولا ينسب شيء - ^٢] منها إلى غيره ، كان أعجب
من ذلك و أظهر عوارا قولهم : ﴿ و اعانه ﴾ أى محمدا ﴿ عليه ﴾ أى ه
القرآن ﴿ قوم ﴾ أى ذوو كفاية [حبوه بما يتشرف به دونهم ؛ و زادوا
بعدا بقولهم - ^٣] : ﴿ اخرون ج ﴾ أى من غير قومه ؛ قليل ^٤ : أرادوا
اليهود ، و قيل : غيرهم بمن فى بلدهم من العيد النصارى و غيرهم ، فلذلك
تسبب عنه قوله تعالى : ﴿ فقد جاؤ ﴾ أى الكفار فى ذلك ﴿ ظلما ﴾
بوضع الإفك على ما [لا - ^٥] أصدق منه و لا أعدل ﴿ و زورا ج ﴾ أى ١٠
ميلا مع جلالة عظيمة عن السنن المستقيم فى نسبة أصدق الناس و أطهرهم
خليقة ، و أقومهم طريقة ، إلى هذه الدنيا التى لا يرضاها لنفسه أسقط
الناس ، فأنها - مع كونها دينية فى نفسها - مضمونة الفضيحة ؛ قال ابن
جرير^٦ : و أصل الزور تحسين الباطل و تأويل الكلام .

و لما تبين تناسقهم أولا فى ادعائهم فى القرآن ما هو واضح ١٥
المنافاة لوصفه ، و ثانيا بأنه أعين عليه بعد ما أشعرت به صيغة الافتعال
من الانفراد ، أتبعه تعالى ^٧ تناقضهم^٨ آخر بقوله معجبا : ﴿ و قالوا ﴾

(١) فى ظ : يتكبر (٢) زيد من ظ و مد (٣) راجع لباب التأويل ٧٧/٥ (٤) فى
ظ : عنهم (٥) راجع من تفسيره الجزء ١٨ / ١٢٤ (٦ - ٦) من ظ و مد ، و فى
الأصل : لناقضكم له .

أى الكفار (اساطير) جمع إسطارة وأسطورة (الاولين) من نحو
 أحاديث رستم 'وإسفنديار'، فصرحوا أنه ليس له فيه شيء (اكتبها)
 أى تطلب كتابتها له (فهى) أى فتسبب عن تكلفه ذلك أنها (تملى)
 أى تلقى [من ملق ما - ٢] "إلقاء جيداً" متجددا مستمرا (عليه) من
 هـ الكتاب الذى اكتبها [فيه - ٢] فى أوقات الفراغ (بكرة) قبل
 أن ينتشر الناس (واصيلا) أى وعشيا حين يأتون إلى مساكنهم،
 أو دائما، ليتكلف حفظها بعد أن تكلف تحصيلها بالانتساخ لانه أى،
 وهذا كما ترى لا يقوله من له مسكة فى عقل ولا مروءة، فان من المعلوم
 الذى لا يخفى على عاقل أن إنسانا لو لازم شيئا عشرة أيام بكرة وعشيا
 ١٠ لم يبق من يعرفه ويطلع على أحواله أحد حتى عرف ذلك منه، فلو
 أنكره بعد لافتضح^٢ فضيحة لا يغسل عنه / عارها أبدا، فكيف و البلد
 صغير، و الرجل عظيم شهير، وقد ادعوا أنه مصر على ذلك إلى حين
 مقالاتهم و بعدها لا ينفك، و غيره بأنه معدم يحتاج إلى المشى فى الأسواق،
 و هو يدعوهم إلى المعارضة و لو بسورة من مثله، و فيهم الكتاب و الشعراء

/ ٦٧٣

(١ - ١) ما بين الرقين بياض فى الأصل ملأناه من ظ و مد (٢) زيد من ظ
 و مد (٣ - ٣) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٤) من ظ و مد، وفى الأصل :
 الكتب (هـ) زيد فى ظ : اى (٦) من ظ و مد، وفى الأصل : تنتشر (٧) من
 ظ و مد، وفى الأصل : لا نتج .

و البلاء

(٨٥)

٣٤٠

و البلاء و الخطباء ، و هم أكثر منه مالا ، و أعظم أعوانا ، فلا يقدرّون .
 و لما رموه بهذه الأقوال التي هم فيها في خبط عشواء ، و كانت مع
 كونها ظاهرة العوار ، عند من له أدنى استبصار ، تروج على بعض العرب
 بعض الرواج ، مع سعة عقولهم ، و صحة أفكارهم . لشبه واهيةمكنهم
 فيها التقليد ، و شدة الآلف لما هم عليه من ' الزمن المديد ، أمره سبحانه ه
 بجوابهم مستأنفا فقال : (قل) أي دالاعلى بطلان ما قالوه مهددا^١ لهم :
 (انزله) أي القرآن من خزان عليه [خلافا -^٢] لجميع ما تقولتموه^٣
 (الذي يعلم السر) أي كله ، لا يخفى عليه منه^٤ خافية فكيف بالجمهور !
 (في السموات و الارض^٥) فهو يحيطكم عن كل ما تقولتموه في و في
 كتابه و إن أسررتموه ، و بين^٦ جميع ما يحتاج إليه العباد في الدارين ١٠
 في^٧ [كلام -^٨] معجز لفظا و معنى^٩ على وجه يتحقق كل ذي لب
 أنه لا يقوله إلا عالم بجميع المعلومات ، و لا يحيط بجميع المعلومات سواء ،
 و هذا ظاهر جدا من إخباره بالماضي بما يصدقه العلماء من الماضين ،
 و حكمه على الآتي بما يكون ضربة لازم ، و إظهاره الحب و إحكامه
 لجميع ما يقوله^{١٠} ، و قد جرت عادته سبحانه و تعالى بالانتقام من كذب ١٥
 عليه باظهار كذبه أولا ، ثم^{١١} بأخذه ثانيا ، ثم عذابه العذاب الأكبر
 [ثالثا -^{١٢}] ، فستظنون من يفعل به ذلك ، و قد بان لعمري صدقه بما

(١) من ظ ، و في الأصل و مد : في (٢) في ظ : تهددا (٣) زيد من ظ و مد .
 (٤) في ظ : تعلبتموه (٥) في ظ : شبهة (٦) من مد ، و في الأصل : بين ، و في
 ظ : تبين (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : من (٨) زيدت الواو في ظ (٩) من
 ظ و مد ، و في الأصل : قوله (١٠) من ظ و مد ، و في الأصل : يتم .

وقع من الأمور الثلاثة .

ولما كان من المعلوم أن العالم بكل شيء قادر على كل شيء - كما مضى تقريره في سورة طه ، وكانت العادة جارية بأن من علم استخفاف غيره به - وكان قادرا عليه - عاجله بالأخذ ، أجيب من كآته قال :
 هـ فإله لا يهلك المكذبين له ؟ بقوله مرغبا لهم في التوبة ، مشيرا إلى قدرته بالستر والإنعام ، [و - ٢] مينا لفائدة إنزاله إليهم هذا الذكر من الرجوع عما تبادت عليه أزمانهم من الكفر وأنواع المعاصي : (أنه كان) أزلا وأبدا (غفورا) [أى بليغ السر - ٢] لما يريد من ذنوب عباده ، بأن لا يعاتبهم عليها ولا يؤاخذهم بها (رحيم) بهم في الإنعام عليهم .
 ١٠ بعد خلقهم ، برزقهم ، وركب العقول فيهم ، ونصب الأدلة لهم ، وإرسال الرسل وإزال الكتب فيهم ، وإمهالهم في تكذيبهم ، أى فليس لإمهالهم وعظهم بما نزل إليهم سبب إلا رحمة وغفرانه وعله بأن كتابه صلاح لأحوالهم في الدارين .

ولما أنتم^٦ سبحانه ما أراد من ذكر المنزل^٤ والمنزل ، وأخبر عن طعنهم في المنزل الذى هو المقصود بالذات من الرسالة ، وأقام تعالى بذلك الدليل على كذبهم ، أتبعه الإخبار عن طعنهم في الرسول الآتى به ، فقال معجبا من عقولهم التى عدونها أصفى العقول أفكارا ، وأغلاها

(١) فى ظ : منه (٢) فى ظ : أنه (٣) زيد من ظ ومد (٤) فى ظ : لهم (هـ) من ظ ومد ، وفى الأصل : ورزقهم (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : ينزله .
 (٧) فى ظ : تم (٨) زيد فى الأصل : إليه ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لحذفها .

آثارا

٦٧٤ /

آثاراً، فيما أبدوه^١ من ذلك / عما ظنوا أنه دليل على عدم الرسالة،
 'ولا' شيء منه يصلح أن يكون شبهة لذى مسكه من أمره، فضلاً عن
 أن يكون دليلاً: (و قالوا) أى مستفهمين تهكماً بوصفه، قادحين فيه
 بقوله، قول من هو على ثقة من أن وصف الرسالة ينافيه^٢: (مال هذا)
 والإشارة على هذا الوجه تفهم الاستهانة والتصغير؛ ثم أظهر السخرية
 بقولهم: (الرسول) أى الذى يزعم أنه انفرد عن بقية البشر فى هذا
 الزمان بهذا الوصف العالى (ياكل الطعام^٣) أى مثل ما نأكل
 (و يمشى فى الأسواق^٤) [أى-^٥] التى هى مطالب الدنيا، كما نمشى.
 ولما كانت ترجمة ما مضى: ما له مثلنا [و هو يدعى الاختصاص
 عنا بالرسالة-^٦]؟ أتبعوه التعنيف على [عدم-^٦] كونه على واحد من ١٠
 وجوه مغايرة على سبيل التنزل جواباً لمن كآته قال: فاذا يفعل؟ بقولهم:
 (لولا) أى هلا، وهى تأتى للتوبيخ، وهو مرادهم (انزل)
 [أى من السماء، من أى منزل كان، منتها-^٦] (إليه) أى على
 الهيئة التى هو عليها فى السماء (ملك) أى من ملائكة الله على هيئاتهم
 المباشرة لحيات الآدميين (فيكون) [بالنصب جواباً للتحضيض-^٦] ١٥
 'ذلك الملك وإن كان' هو إنساناً (معه نذيراً^٧) 'فيكون ممتازاً بحال'^٨

(١) فى ظ: أبرزه (٢-٢) فى ظ: فلا (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد،
 وفى الأصل: بفهم (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: التقصير (٦) زيد من ظ
 و مد (٧) زيد قبله فى الأصل: فى، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
 (٨) سقط من ظ و مد (٩-٩) بياض فى الأصل ملأناه من ظ و مد.

١ ليس لواحد منا^١، ليكون أهيب في النذارة، لما له من الهيبة والقوة،
 ٢ وكأنهم^٢ عبروا بالماضي إعلاما بأن مرادهم كونه في الظهور لهم على غير
 الهيبة التي يجبرهم^٣ بها من تجدد نزول الملك عليه في كل حين مستترا
 بحيث لا ينظره غيره،^٤ أو لأن الملك يمكن أن يكون على حالة المصاحبة
 ٥ له للنذارة، وإنما لا يتحول عنها بصعود إلى السماء ولا غيره، بخلاف
 الكنز فانه للنفقة، فإن لم يتعهد كل وقت نقد، وهذا سر التعبير بـ «إلى»
 دون «على»، التي هي للتغشى بالوحي، ولذلك عبروا بالمضارع في
 قولهم، مثزلين عن علو تلك الدرجة : ﴿او يلقى^٦﴾ [أى من أى
 ملق كان .

١٠ ولما كان الإلقاء دالا على العلو، عدلوا عن أداة الاستعلاء التي
 تقدم التعبير بها في هود* عليه السلام مع الإنزال إلى حرف النهاية
 فقالوا [٦-] : ﴿إليه^٧﴾ أى إن لم تكن له تلك الحالة ﴿كنز﴾ أى
 يوجد له هذا الأمر ويتجدد له إلقاؤه غير مكثرت ولا مبعوء به، برفعه
 عن بمائلتنا العامة من كل وجه^٨، [و أيضا التعبير في هذا والذي بعده
 ١٥ بالمضارع أدل على تكالهم على الدنيا وأنها أكبر همهم-٦] . ثم تنزلوا

(١-١) بياض في الأصل ملأناه من ظ و مد (٢-٢) في ظ و مد : فكانهم .
 (٣) من ظ و مد، وفي الأصل : تجبرهم (٤-٤) وقع ما بين الرقين في الأصل بعد
 «إلى اتباعه» ص ٣٤٥ س ٧، مع بعض الفارقات، والترتيب من ظ و مد .
 (٥) راجع آية ١٢ (٦) زيد من ظ و مد (٧) تأخر في الأصل عن «تلك الحالة»
 والترتيب من ظ و مد (٨) من ظ و مد، وفي الأصل : وجهة .

أيضا

(٨٦)

٣٤٤

أيضا في قولهم : (أو تكون له) [أى - ١] إن لم تكن له شىء مما مضى (جنة) أى بستان أو حديقة كما 'لبعض أكابرنا' (ياكل منها) ففرغه^٢ عما يتعاطاه في بعض الأحيان من طلب المعاش ، و يكون غناه أعز له وأجلب للخواطر إليه ، وأحث لعكوف الاتباع عليه ، وأنجع^٣ فيما يريده - هذا على قراءة الجماعة^٤ بالياء التحتية ،^٥ وعلى قراءة حمزة هـ و الكسائي بالنون^٦ يكون المعنى : أنا إذا أمكنا منها ، كان ذلك أجلب لنا إلى اتباعه^٧ ، وما قالوه^٨ كله فاسد^٩ إذ لم يدع هو صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أتباعه أنه هو ولا أحد من الأنبياء قبله يباين البشر ، ولا أن وصفا من أوصاف البشر الذاتية ينافى النبوة والرسالة ، وأما الاستكثار من الدنيا فهو عائق في الأغلب عن السفر إلى دار الكرامة ،^{١٠} و موطن السلامة ، وحامل على التجبر ، ولا يفرح به إلا أدنياء المهمم ، وخفة ذات اليد لا تقدح إلا في ناقص يسأل الناس^{١١} تصرحيا أو تلويحا إرادة لتكميل^{١٢} نقصه بالحطام الفانى ، وقد شرف الله نبيه صلى الله عليه

- (١) زيد من ظ (٢-٢) من ظ ومد ، وفي الأصل : لبعضنا من الأكابر (٣) من ظ ومد ، وفي الأصل : فيفرغه (٤) من ظ ومد ، وفي الأصل : أنجع . (٥) راجع نثر المرجان ٤/٦٧٨ (٦) العبارة من هنا إلى « أنا إذا » وقعت في الأصل مع بعض التكرار بعد « لا ينظره غيره » ص ٣٤٤ س ٤ والترتيب من ظ ومد . (٧-٧) من ظ ومد ، وفي الأصل : إلى آخره - مع فراغ قدر خمس كلمات . (٨-٨) في ظ : كلمة فاسدة (٩) في ظ : الله (١٠) من ظ ومد ، وفي الأصل : التكميل .

وسلم / عن ذلك بما له من صفات الكمال، و الاخلاق العوال .
 'ولما' كانوا بهذا واضعين الكلام^٢ في غير مواضعه، بعيدين^٣
 عن وجه الصواب، قال معجبا من أمرهم: (وقال الظليون) فأظهر
 الوصف الموجب لهم ذلك: (ان) أى ما (تتبعون) إن اتبعتم
 (الارجلا مسحورا) أى يتكلم بما لا يحديه، فحال له ذلك حال من
 غلب على عقله بالسحر، أو ساحرا صار السحر له طبعاً، فهو يفرق بما
 جاء به^٤ بين المرء وزوجه ولده ونحو ذلك، و عبروا بصيغة المفعول
 إشارة إلى هذا، و هو أنه - لكثرة ما يقع منه من ذلك - صار كأنه
 ينشأ عنه على^٥ غير اختياره .

١٠ و لما أتم سبحانه ما ذكر من أقوالهم الناشئة عن ضلالهم، انتفت
 سبحانه إلى رسوله صلى الله عليه وسلم مسلياً [له -^٦] فقال: (انظر)
 ثم أشار إلى التعجب^٧ منهم بأن ما قالوه يستحق الاستفهام^٨ بقوله:
 (كيف ضربوا) [وقدم ما به العناية فقال -^٩]: (لك الامثال)
 فجعلوك تارة مثلهم^{١٠} في الاحتياج إلى الغذاء، و تارة نظيرهم في التوصل إلى
 ١٥ التوصل إلى الارباح و الفوائد، بلطف الحيلة و غريز العقل، و تارة
 (١-١) في ظ و مد: فلما (٢) زيد في الأصل: واضعين، و لم تكن الزيادة في
 ظ و مد فحذفناها (٣) من ظ و مد، و في الأصل: يعتدين - كذا (٤) سقط
 من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و في الأصل: عن (٦) زيد من ظ و مد.
 (٧) من ظ و مد، و في الأصل: التعجب (٨) سقط من ظ (٩) من ظ
 و مد، و في الأصل: لهم .

مغلوب العقل محتلط المزاج تأتي بما لا يرضى به عاقل^١ ، و تارة^٢ ساحرا
تأتي بما يعجز عنه قوام^٣ ، و تحير فيه^٤ أفكارهم (فضلوا) أى عن
جميع طرق العدل ، و سائر أنحاء البيان^٥ بسبب ذلك^٦ فلم يجدوا قولا
يستقرون عليه و أبدوا جدا (فلا يستطيعون) فى الحال و لا فى المآل ،
بسبب هذا الضلال (سيلا^٧) أى سلوك سبيل من السبل الموصلة
إلى ما يستحق أن يقصد ، بل هم فى مجاهل موحشة ، و فى أفي مهلكة .
ولما ثبت أنه لا وجود لهم لأنهم لا علم لهم و لا قدرة ، و أنهم^٨
لا يمن لهم و لا بركة ، لا على أنفسهم و لا غيرهم ، أثبت لنفسه سبحانه ما
يستحق من الكمال الذى يفيض به على من يشاء من عباده ما يشاء
[قال - ١^٩] : (تببرك) أى ثبت ثباتا مقترنا باليمن و البركة ، لا ثبات ١٠
إلا هو (الذى ان شاء) فانه لا مكره له (جعل لك خيرا من ذلك)
أى الذى قالوه على سبيل^{١٠} التهكم ؛ ثم أبدل منه قوله : (جئت) فضلا
عن جنة واحدة (تجري من تحتها الأنهر^{١١}) أى تكون أرضها عيونا
نابغة ، أى موضع أريد منه إجراء نهر جرى ، فهى لا تزال ربا تغنى^{١٢} صاحبها
عن كل حاجة^{١٣} و لا تحوجه فى استثمارها إلى سقى . ١٥

ولما كان القصر - وهو البيت المشيد - ليس بما يستمر فيه الجعل

(١) فى ظ : غافل (٢) فى ظ و مد : تأتي (٣) سقط من ظ (٤-٤) تأخر ما بين
الرقين فى الأصل : عن « يستقرون عليه » والترتيب من ظ و مد (٥) فى ظ :
انه (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : طريق (٨) من
ظ و مد ، وفى الأصل : يعير (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : حالة .

كالجنة التي هذه صفتها ، عبر فيه بالمضارع إيدانا بالتجديد^١ كلما حصل
 خلل يقدح في مسمى القصر فقال : (ويجعل لك قصورا^٢) أي يوتا
 مشيدة^٣ تسكنها بما يليق بها من الحشم و الخدم ؛ قال البغوي^٤ : و العرب
 تسمى كل بيت مشيدة^٥ قصرا . و هذه العبارة الصالحة لأن يجعل له
 ه سبحانه ذلك في الدنيا بما فتت في أعضاده ، و خافوا غائلتها فسهلت^٦
 من قيادهم ، لعلمهم بأن مرسله^٧ قادر على^٨ ما يريد^٩ ، لكنه سبحانه أغناه
 عن ذلك بتأييده بالاعوان^{١٠} ، من الملائكة و الإنس و الجن ، حتى اضمحل
 أمرهم ، و عيل صبرهم ، و لم يشأ سبحانه^{١١} ما أشار إليه في هذه الآية
 الشريفة في هذه الدنيا الفانية ، و أخره إلى الآخرة الباقية ، و قد عرض
 ١٠ سبحانه عليه ما شاء من ذلك في الدنيا فأباه ؛ روى البغوي^{١٢} من طريق
 ابن المبارك ، و الترمذي^{١٣} - و قال : حسن - عن أبي أمامة رضى الله
 عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : عرض على^{١٤} ربى أن يجعل^{١٥} لي
 (١) من ظ و مد ، و في الأصل : بالتحذير (٢) زيد في الأصل : عظيمة ، و لم
 تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها (٣) راجع العالم بهامش الباب ٧٨/٥ .
 (٤) من ظ و مد و المعالم ، و في الأصل : مشيدة (٥) من ظ و مد ، و في
 الأصل : و سهلت (٦) في ظ : رسله (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٨) من
 مد ، و في الأصل : لاعوان ، و في ظ : الاعوان (٩) و من هنا إلى ما سنفيه عليه
 سقطت صفحتان من الأصل : ٦٧٦ و ٦٧٧ ، و أما الفراغ فقد تمت تعبته من
 ظ و مد (١٠) ٢٨٤/٢ (١١) من مد ، و في ظ : جعل ، و في المعالم و الترمذي :
 لي جعل .

بطحاء مكة ذهاباً، قلت: لا يارب! ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً،
 فإذا جعت تضرعت إليك و دعوتك^١، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك.
 وروى من طريق أبي الشيخ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو شئت لسارت معي جبال الذهب،
 جاني ملك إن حجزيه لتساوى الكعبة فقال^٢: إن ربك يقرأ عليك
 السلام ويقول لك^٣: إن شئت نيا عبداً وإن شئت نيا ملكاً، فنظرت
 إلى جبريل عليه الصلاة والسلام فأشار إلي أن ضع^٤ نفسك، قلت:
 نيا عبداً، قال: فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا يأكل
 متكئاً^٥ يقول: آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد.
 وسيأتي في سورة سبا عند "وارسلنا له عين القطر" ما يتم هذا، ١٠
 ولا يبعد عندي أن يكون أشير بالآية الشريفة - وإن كانت في أسلوب
 الشرط - إلى ما فتح عليه صلى الله عليه وسلم من الحقائق التي لم يكن
 مثلها في بلاد العرب لما فتح الله عليه خيبر [و-^٦] وادى القرى،
 وتصرف في ذلك بنفسه الشريفة وأكل منه وإلى ما فتح على أصحابه
 من بعده من بلاد فارس والروم ذات القصور والجنات التي لا مثل لها ١٥
 ولذلك عبر في الجنات بالماضي، وفي القصور بالمضارع، وأتبعوا
 كنوز كسرى بن هرمز، فإن اللائق بمقام الملوك أن تكون إشاراتهم
 أوسع من عباراتهم، فإذا ذكرنا شيئاً يمكننا على سبيل الفرض كان من إرادتهم

(١) في العالم والترمذي: ذكرتك (٢) من العالم، وفي ظ ومدة: قال (٣) ليس
 في العالم (٤) من مدو العالم، وفي ظ: نعم (٥) آية ١٢ (٦) زيد من مد.

إيجاده، ويجب أن يكتفى منهم بالإيمان^١، وأن يعتمد على تلويحهم أعظم
 بما يعتمد على تصريح غيرهم، وأن يعد المقروض منهم بمنزلة المجزوم به
 من غيرهم، والممكن في كلامهم كالواجب، قاطنك بملك الملوك القادر
 على كل شيء^٢! وهو قد صرف سبحانه الخطاب إلى أعلى الناس فهما،
 هـ وأغزهم علما، وقد أراه سبحانه ما يكون من ذلك من بعده في غزوة
 الخندق؛ روى البيهقي في دلائل النبوة^٣ عن عمرو بن عوف المزني
 رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق ليخفره جعل
 على كل عشرة أربعين ذراعا، وكان سلمان الفارسي رضى الله عنه رجلا
 قويا، فاختلف فيه المهاجرون والأنصار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:
 ١٠ سلمان منا^٤ أهل البيت، فخرجت لهم صخرة^٥ يضاء مدورة، قال عمرو:
 فكسرت حديدنا، وشقت علينا، قلنا: يا سلمان! ارق إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فأخبره خبر هذه الصخرة، فأخبره فأخذ صلى الله
 عليه وسلم المعول من سلمان فضربها^٦ ثلاث ضربات صدع فيها في
 كل ضربة صدعا، وكسرها في الثالثة، وبرقت مع كل ضربة برقة
 ١٥ أضواء ما بين لائقي المدينة حتى لكان مصباحا في جوف بيت^٧ مظلم،
 وكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كل برقة تكبيرة، ثم أخذ

(١) في مد: بالإيمان (٢) وأيضا أورده البغوى في العالم بسياق يقارب ما هنا،
 - راجع هامش الباب ١٩٤/٥ و ١٩٥ (٣) من مد والعالم، وفي ظ: يا (٤) من
 مد والعالم، وفي ظ: صفرا (٥) من مد والعالم، وفي ظ: وضربها.
 (٦) من العالم، وفي ظ و مد: ليل.

بيد سلمان فرقى فسأله سلمان فقال للقوم : هل رأيتم ما يقول سلمان ؟ قالوا :
 نعم ! يا رسول الله ! بأبينا أنت و أمنا ! قد رأياناك تضرب فيخرج برق
 كالوج فرأياناك تكبر ، لا نرى شيئا غير ذلك ، فقال : أضاءت لى من
 البرقة الاولى قصور الحيرة و مدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب ، و من
 الثانية 'القصور الحجر' من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب ، و من الثالثة ه
 قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب ، و أخبرنى جبريل عليه الصلاة والسلام
 أن أمتى ظاهرة عليها . فاستبشر المسلمون و قالوا : الحمد لله ! موعود صادق
 بأن وعدنا النصر بعد الحصر ، فطلعت الأحزاب فقال المسلمون " هذا
 ما وعدنا الله و رسوله و ما زادهم الا إيمانا و تسليما " و قال المناهقون
 فى ذلك ما أشار إليه الله تعالى فى القرآن ، ثم إن الله تعالى كذب المناهقين ١٠
 و صدق رسوله صلى الله عليه و سلم ، فافتتح أصحابه رضى الله عنهم جميع
 ما ذكر ، و غلبوا على سائر مملكة الفرس و اليمن و أكثر الروم ، و انتقلوا
 من كنوز كسرى و قيصر ما يفوت الحصر ، و قد كان صلى الله عليه
 و سلم تصرف فى ذلك من ذلك الوقت تصرف الملوك ، لأن وعد الله
 لاخلف فيه ، بل غائبه أعظم من حاضر غيره ، و موعوده أوثق من ١٥
 ناجز سواه ، فأعطى صلى الله عليه و سلم تميم بن أوس الدارى بلد
 الخليل عليه الصلاة و السلام من أرض الشام [من - ١] مملكة الروم ،
 و أعطى خريم بن أوس - الذى يقال له : شويل * - كرامة بنت عبد المسيح
 (١ - ١) فى العالم : قصور الحيرة ، و فى اللباب : قصور قيصر (٢) من مد .
 و فى ظ : ملكه (٣) من مد ، و فى ظ : اقتتلوا (٤) زيد من مد (٥) راجع
 تاريخ الطبرى ١٤ / ٣ .

نظم الدرر (سورة الفرقان ٢٥ : ١١ و ١٢) ج - ١٣

ابن بقلية من سبي الحيرة من بلاد العراق من ملكة فارس،
وكل منهم قبض ما أعطاه عند الفتح كما يعرفه من طالع كتب الفتح
على أيام الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين، فعندى أن هذا بما
أشارت إليه الآية الشريفة، نزه الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عنه،
٥ وفتح على أصحابه، تشريفا لهم بإزالة أهل الشرك عنه، وإنعاما عليهم
به تصديقا لوعده، وإكراما لنبيه صلى الله عليه وسلم بنصر أوليائه،
وتكثير أمته، وحضر ذلك كثير ممن كان من القائلين "ما لهذا
الرسول" إلى آخره، وقد كان قادرا على أن يقويه بجميع ذلك قبل
موته، ولكنه لم يفعل لأن ذلك أوضح في الأمر، لأن نصره على
١٠ خلاف ما نصر به أهل الدنيا من غير جنود كثيرة ظاهرة، ولا أموال
وافرة، ولا ملوك معينة قاهرة، بل كانت الملوك عليه، ثم صاروا كلهم
أهون شيء عليه، بيد أصحابه من بعده وأجابه.

ولما ثبت بما أثبتت انفسه الشريفة من الكمال أنه لا مانع من إيجاد
ما ساقوه مساق التويخ إلا عدم المشيئة، لا يعجز من الجاعل ولا هوان
١٥ بالمجبول له، تسلية له صلى الله عليه وسلم في أسلوب مشير بأنه يعطيه
ذلك، سلاه أيضا بأن ما نسبوه إليه لا يعتدون حقيقته، فأضرب عن
كلامهم قائلا: (بل) أى لا تظن^٢ أنهم كذبوا بما جئت به لأنهم
يعتقدون فيك كذبا وافتراء للقرآن، أو نقصانا لملك الطعام ومشيك

(١) من مد، وفي ظ: ثم (٢) من مد، وفي ظ: من (٣) من مد،
وفي ظ: لا يظن.

٦٧٨/

في الأسواق، / أو في شيء من أحوالك، أو لا تظن أنهم يكذبون بقدرته
 تعالى على ما ذكر أنه إن شاء جعله لك بل، أو المعنى: دع التفكير فيما
 قالوه من هذا فانهم لم يقتصروا في التكذيب عليه بل (كذبوا بالساعة) أي
 أي بقدرتنا عليها، واستقر ذلك في أنفسهم دهورا طويلة، وأخذوه
 خلفا عن سلف، وأشرب قلوبهم حب هذا الخطام القاني، وتقيدت
 أوهامهم بهذه الظواهر كالبهائم، ففسر انفكاكهم عن ذلك بما جاءهم
 من البيان الذي لا يشكون فيه، فاجترأوا لذلك على العناد لعدم الخوف
 من أهوال يوم القيامة كما قال تعالى عن أهل الكتاب "وغرم في
 دينهم ما كانوا يفترون" (واعتدنا) أي والحال أنا اعتدنا، أي
 هيأنا بما لنا من العظمة (لمن كذب) من هؤلاء وغيرهم (بالساعة سعيراج) ١٠
 أي نارا شديدة الانتقاد بما أعظموا الحرق في قلوب من كذبهم من
 الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم رضى الله عنهم (إذا راتهم)
 أي إذا كانت بحيث يمكن أن يروها وتراهم لو كانت مبصرة
 (من مكان بعيد) وهو أقصى ما يمكن رؤيتها منه وهم يساقون إليها
 (سمعوا لها) [أي خاصة - ''] (تغيظا) أي صوتا في غليانها ١٥

- (١) وإلى هنا انتهت السقطة من الأصل (٢-٢) من ظ و مد، وفي الأصل:
 انكم تكذبون (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: جعل (٤) في ظ: اذ.
 (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: لا (٦) في ظ: العباد (٧) سورة ٣ آية ٢٤.
 (٨) من ظ و مد، وفي الأصل: الايقاع (٩) من ظ و مد، وفي الأصل:
 مبصر (١٠) زيد من ظ و مد.

و فورانها كصوت المتغيظ في تحرقه^١ و نكارته إذا غلا صدره من الغضب
(و زفيراه) أي صوتا يدل على تنامي الغضب، و أصله صوت يسمع
من الجوف .

و لما وصف ملاقاتها^٢ لهم، وصف إلقاءهم فيها فقال: (و إذا القوا)
• أي طرحوا طرح^٣ إهانة [فجعلوا -^٤] بأيسر أمر [ملاقين -^٥] (منها)
أي النار (مكانا) و وصفه بقوله: (ضيقا) زيادة في فظاعتها
(مقرنين) بأيسر أمر، أيديهم إلى أعناقهم في السلاسل، أو حبال
المسد، [أو -^٦] مع من أغواهم من الشياطين، و الثقلين: جمع شيء
إلى شيء في قرن. و هو الحبل (دعوا هنالك) أي في ذلك الموضع
١٠ البغيض البعيد عن الرفق (ثبورا^٧) أي هلاكا عظيما فيقولون: يا ثبوراه!
لأنه لا مناد^٨ لهم غيره، و ليس بحضرة أحد [منهم -^٩] سواء؛ قال
ابن جرير^{١٠}: و أصل الثبر^{١١} في كلام العرب الانصراف عن الشيء .
فالمنعى حيثئذ: دعوا انصرفهم عن الجنة إلى النار [الذي -^{١٢}] تسبوا
فيه بانصرافهم عن الإيمان إلى الكفر، فلم يكن لهم^{١٣} سمير إلا استحضارهم
١٥ لذلك تأسفا و^{١٤} تدمما، فأجيبوا على طريق الاستئناف بقوله تعالى:
(لا تدعوا اليوم) أيها الكفار (ثبورا واحدا) لأنكم [لا -^{١٥}]

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: عره (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: ملاقيها.
(٣) سقط من ظ و مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) في ظ: لانهم (٦) من ظ
ومد، وفي الأصل: مقادم (٧) راجع من تفسيره الجزء ١٨/ ١٢٨ (٨) من ظ و مد،
وفي الأصل: الثبر، وفي التفسير: الثبور (٩) في ظ: او .

تموتون إذا حلت بكم أسباب الهلاك (وادعوا ثورا كثيرا^٥)
لا يحصره^٦ الإحصاء ولا آخر له ، فانكم وقستم فيما يوجب ذلك لأن
أنواع الهلاك لا تبارحكم أصلا ولكنه لا موت .

ولما كانت عاداتهم^٧ تجوز الممكن من كل ما يحذرون منه من
الخلق ، اقتضى الحال سؤالهم : هل أعدوا لما هددوا^٨ به من الخالق^٩ ؟
عدة أم لا ؟ في سياق الاستفهام عن المفاضلة بينه وبين ما وعده^{١٠} المتقون ،
تنبيها على أنه أعلى رتبة من الممكن فانه واقع لاحالة ، وتهكما بهم ، فقال
تعالى : (قل إنا ذلك) أى الأمر العظيم الهول^{١١} الذى / أوعدتموه من
السعير الموصوفة .

^{١٢} ولما كانت عادة العرب فى بيان فضل الشيء دون غيره الإتيان ١٠
بصفة 'أفعل' تنبيها على أن سلب^{١٣} الخير عن مقابله لا يخفى على أحد ،
أو يكون [ذلك -^{١٤}] على طريق التزل وإرخاء العنان ، تنبيها للعاقل على
أنه يكفيه فى الرجوع عن النى طرق احتمال لكون^{١٥} ما هو عليه مفضولا
قال : (خير أم جنة الخلد) أى الإقامة الدائمة (التى وعد المتقون^{١٦})
أى وقع الوعد^{١٧} الصادق المحتم^{١٨} بها ، [بمن وعده هو الوعد -^{١٩}] ، للذين ١٥

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ ومد : لا يأخذه (٣) فى ظ : عبادتهم (٤) فى ظ :
قل (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : تهددوا (٦) من ظ ومد ، وفى
الأصل : وعده (٧) فى ظ : القول (٨ - ٨) فى ظ : ما كان (٩) من ظ ومد ،
وفى الأصل : سبب (١٠) زيد من ظ ومد (١١) من ظ ومد ، وفى الأصل :
ليكن (١٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : بها الوعد (١٣) زيد فى الأصل : لهم ،
ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لحذفها

خافوا فصدقوا بالساعة جاعلين بينهم وبين أهوالها وقاية بما أمرتهم به
الرسول؛ ثم حقق تعالى أمرها تأكيداً للبشارة بقوله: ﴿كانت﴾ أي
تكونت^١ ووجدت بإيجاده سبحانه ﴿لهم جزاء﴾ على تصديقهم وأعمالهم
﴿ومصيراً﴾ [أي مستقراً ومنتهى، وذلك مدح لجزائهم لأنه إذا
كان في محل واسع طيب كان أماله وألذ كما أن العقاب إذا كان في
موضع ضيق شنيع كان أنكى وأوجع^٢]، وهو استفهام تقرير
وتوبيخ لمن كان يعقل فيجوز الممكنات.

ولما ذكر تعالى نعيمهم^٣ بها ذكر، تنعيم^٤ فيها فقال: ﴿لهم فيها﴾
أي^٥ الجنة خاصة لا في غيرها ﴿ما يشاءون﴾ من كل ما تشتهيه أنفسهم^٦
١٠ ﴿تخلدين﴾ لا ينفون عنها حولاً ﴿كان﴾ أي ذلك كله ﴿على ربك﴾
أي المحسن إليك بالإحسان إلى أتباعك ﴿وعدا﴾.

ولما أشار سبحانه إلى إيجاب ذلك على نفسه العظيمة بالتعبير
بدعوى، والوعد، وكان الإنسان لاسيما الكريم مجبولا على عزة النفس،
لا يكاد يسمح بأن يسأل فيما لا يحقق حصوله، قال: ﴿مسؤلاً﴾ أي
١٥ حقيقة بأن يسأل إنجازاً^٧، لأن سألته خليف بأن يجاب سؤاله، وتحقيق
ظنونه وآماله، فالمعنى أنه إذا انضاف^٨ إلى تحميمه الشيء على نفسه

- (١) من ظ و مد، وفي الأصل: تكون (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ
و مد، وفي الأصل: تنعيمهم (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: تنعيمهم.
(٥) سقط من ظ، و ورد في مد بعد الكلمة التالية (٦) من ظ و مد، وفي
الأصل: انفسكم (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: إيجاره (٨) في ظ: بانه.
(٩) من ظ و مد، وفي الأصل: تضاف.

سؤال الموعود به إياه ، أنجزه لا محالة . و هو من وادى " أجيب دعوة
الداع إذا دعان " وفيه حث تعظيم على الدعاء ، و ترجية كبيرة للاجابة ،
كما وعد بذلك سبحانه في " أجيب دعوة الداع " و " ادعوني استجب لكم "
وإن لم ير الداعي الإنجاز^٢ فإن الأمر على ما رواه الإمام أحمد^٣ و البزار^٤
و أبو يعلى^٥ - قال المنذرى^٦ : - بأسانيد جيدة - و الحاكم^٧ و قال : صحيح
الإسناد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم و لا قطيعة رحم إلا أعطاه
الله بها إحدى ثلاث : إما أن يعجل له دعوته ، و إما أن يذخرها له
في الآخرة ، و إما أن يصرف عنه من السوء مثلها ، قالوا : إذن نكثر؟
قال : الله أكثر . و للحاكم^٨ عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال : يدعو الله بالمؤمن يوم القيامة حتى يوقفه بين يديه فيقول :
عبدى ! إني أمرتك أن [] - تدعوني ، و وعدتك أن أستجب لك
' فهل كنت [تدعوني ؟ فيقول : نعم ! يا رب ! فيقول : أما أنك لم تدعني "
بدعوة إلا استجبت " لك ؟ أليس دعوتى يوم كذا و كذا انعم نزل بك
أن أفرج عنك ففرجت عنك ؟ فيقول : نعم ! يا رب ! فيقول : إني عجلتها ١٥

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و في الأصل :
الإنجاز (٣) في مسنده ١٨/٣ (٤) راجع مجمع الزوائد ١٠/ ١٤٨ (٥) راجع
الترغيب و الترهب ٣٢٣ (٦) راجع المستدرک ١/ ٤٩٣ (٧) من مد و المراجع ،
و في الأصل و ظ : تكثر (٨) راجع المستدرک ١/ ٤٩٤ (٩) زيد من ظ و مد
و المستدرک (١٠) العبارة من هنا إلى « استجبت لك » ساقطة من ظ (١١) من
مد و المستدرک ، و في الأصل : تدعوني (١٢) من مد و تلخيص المستدرک ،
و في الأصل و المستدرک : استجيب .

لك في الدنيا، و دعوتى يوم كذا و كذا لغم نزل بك [ان اخرج
عنك - ١] فلم تر فرجا ؟ قال : نعم ا [يارب - ١] ا فيقول : انى ادخرت
لك بها في الجنة كذا و كذا ، ٢ و دعوتى في حاجة أقضيها لك [في - ٢]
يوم كذا و كذا فقضيتها ؟ / فيقول : نعم ا يارب ا فيقول : انى عجلتها لك
ه في الدنيا، و دعوتى يوم كذا و كذا في حاجة أقضيها لك فلم تر قضاءها ؟
فيقول : نعم ا يارب ا فيقول : انى ادخرت لك بها في الجنة كذا
و كذا ، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : فلا يدع * الله دعوة دعا
بها عبده المؤمن إلا بين له إما أن يكون عجل له في الدنيا ، وإما أن
يكون ادخر له في الآخرة ، فيقول المؤمن في ذلك المقام : ياليت لم يكن
١٠ عجل له شيء ٦ من دعائه . و لابن حبان في صحيحه و الحاكم ٧ - و قال :
صحيح الإسناد - ٨ عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه و سلم : لا تعجزوا في الدعاء فانه لن يهلك مع الدعاء أحد .
و للترمذى ٩ و الحاكم ١٠ عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبی صلى الله عليه
و سلم قال : ادعوا الله و أنتم ١١ موقفون بالإجابة . و للبخارى ١٢ و مسلم ١٣

(١) زيد من ظ و مد و المستدرك (٢) العبارة من هنا إلى «في الجنة كذا وكذا»
س ٦ و ٧ ساقطة من المستدرك ثابتة في تلخيصه (٣) زيد من ظ و مد وتلخيص
المستدرك (٤-٤) في ظ : ادخرتها - كذا (٥) من مد و المستدرك ، وفي الأصل
و ظ : فلا يدعوا (٦) من ظ و مد وتلخيص المستدرك ، وفي الأصل : شيئاً ،
وفي المستدرك : في شيء (٧) في المستدرك ٤٩٤/١ (٨) زيدت الواو في الأصل ،
ولم تكن في ظ و مد لحذفها (٩) في الجامع ٤٣١/٢ (١٠) في المستدرك ٤٩٣/١ .
(١١) في ظ . انكم (١٢) في الصحيح ٩٣٨/٢ (١٣) في الصحيح ٣٥٢/٢

و أبي داود^١ و الترمذى^٢ و ابن ماجه^٣ عن ابي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول : دعوت فلم يستجب لى . و فى رواية [لمسلم -^٤] و الترمذى^٥ : لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع باثم أو قطعة رحم ما لم يستعجل^٦ ، قيل : يا رسول الله ! ما الاستعجال ؟ قال : يقول : [قد -^٧] دعوت فلم يستجب لى - فيستحسر^٨ عند ذلك و يدع الدعاء . قال المنذرى^٩ : يستحسر أى "يمل و يعي فيترك" الدعاء - انتهى . و قد فهم من الآية و من الحديث فى استثناء الإثم و قطعة الرحم أن ما لا مانع من سؤاله موعود بإجابته و نواله ، فليدع الإنسان به موقنا بالإجابة .

و لما ذكر لهم حالهم فى الساعة معه سبحانه ، أتبعه ذكر " حالهم ١٠ مع معبوداتهم من دونه ، فقال بالاتفات إلى مظهر العظمة على " قراءة الجماعة : (و يوم) أى قل لهم ما أمرتك به ، و اذكر لهم يوم (نحشرهم) أى المشركين ، بما لنا من العظمة التى نبرزها فى ذلك اليوم ، من القبور ؛ و قرأ أبو جعفر و ابن كثير و يعقوب و حفص عن عاصم بإلياء التحية^{١٢}

(١) فى السنن ١/١٤٨ (٢) فى الجامع ٢/٤١٨ و ٤١٩ (٣) فى السنن ٢٨٢ (٤) زيد من ظ و مد ، و أما الحديث فراجع فى صحيحه ٢/٣٥٢ (٥) فى الجامع ٢/٤٤٦ . (٦) فى ظ و مد : لم يعجل (٧) زيد من ظ و مد و الصحيح (٨) من ظ و مد و الصحيح ، و فى الأصل : نستحسر (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : الترمذى (١٠-١١) من ظ و مد و الترغيب و التهيب ٣٢٦ ، و فى الأصل : يمل و يعي و يترك - كذا (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذكر (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : فى (١٣) راجع نثر المرجان ٤/٦٨٤ .

فيكون الضمير للرب (وما يعبدون) أى من الملائكة و الإنس و الجن
و غيرهم ممن يعقل و ممن لا يعقل : و نه على سفول رتبهم عن ذلك
و عدم أهليتهم بقوله : (من دون الله) أى الملك الأعلى الذى
لا كفوه له ، و ذكرها بلفظ " ما " إشارة إلى أن ناطقها و صامتها جماد
بل عدم بالنسبة إليه سبحانه بما أشار إليه التعبير بالاسم الأعظم الدال
على جميع الكمال ، مع أن " ما " موضوع على العموم للعقلاء و غيرهم
و إن كان أكثر استعماله فى غير العقلاء ؛ و عبر سبحانه بقوله : (فيقول)
بإعادة ضمير الغيبة [بعد التعبير بنون العظمة فى " نحشرو " فى قراءة غير
ابن عامر - ٢] لتقدم الجلالة الشريفة ، تحقيقاً للمراد و تصريحاً به ، و إعلاما
١٠ بأن المراد بالنون العظمة لا ٢ الجمع ، و قرأ ابن عامر بالنون موحدا
الأسلوب : (. اتم) أى أيها المعبودات ابايلاء الهمة الضمير سؤالا
عن المضل ، لأن ضلال العبد معروف لا يسأل عنه (اضلتم) بالقهر
و الخداع و المكر (عبادى هؤلاء) حتى عبدوكم كما فى الآية الأخرى
" ثم / يقول للشكة هؤلاء اياكم كانوا يعبدون " فى أشغالها من الآيات
١٥ كما فى الحديث القدسي : " إني خلقت عبادى حنفاء كلهم فاتحلتهم
الشياطين . (ام) .

/ ٦٨١

ولما كان السؤال - كما مضى - عن الفاعل لا عن الفعل ، كان
لا بد من قوله : (هم) أى باختيار منهم لإهمالهم استعمال ما أعطيتهم
(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : أعاد (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ و مد .
(٤) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فخذتاهما (٥) راجع
معناه فى مسند الإمام أحمد ٤ / ١٦٢ (٦) سقط من ظ .
من (٩٠) ٣٦٠

من قويم العقل و سديد النظر (ضلوا) و أوصل الفعل بدون "عن"
كما في هداة^١ الطريق بدون "إلى" لكثرة الدور، و للإشارة^٢ إلى قوة
الفعل^٣ فقال: (السيل^٤) أى الذى نهجته و نصبت عليه الأدلة القاطعة،
و البراهين الساطعة (قالوا) أى المعبودات الجى منهم و المجاد،^٥ المطيع
و العاصى: (سبحك) أى تنزهت عن أن ينسب إلى غيرك قدرة ه
على فعل من الأفعال .

و لما أتيج^٦ التنزيه أنه لا فضل لغيره سبحانه . عبروا عنه بقولهم :
(ما كان ينبغي) أى يصح و يتصور (لآ أن تتخذ) أى تتكلف
أن نأخذ باختيارنا من غير إرادة منك (من دونك) و كل ما سواك
فهو دونك (من أولياء) أى ينفعوننا ، فانا مفتقرون إلى من ينفعنا ١٠
لحاجتنا و فقرنا ، فكيف ترك^٧ [من -^٧] يده كل شيء [و هو أقرب
إلينا فى كل معنى من معانى الولاية من كل شيء من العلم و القدرة
و غيرهما -^٧] إلى من لا شيء يده ، [و هو أبعد بعيد من كل معنى
من معانى الولاية ، فلو تكلفنا جعله قريبا لم يكن كذلك -^٧] ، و هذه عبارة
صالحة سواء كانت من الصالحين من عبد من الأنبياء و الملائكة أو غيرهم ، ١٥

-
- (١) من ظ و مد ، و فى الأصل : هذه (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل :
الإشارة (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : العقل (٤) سقط من ظ و مد .
(٥) ريدت الواو فى الأصل ، ولم تكن فى ظ و مد فحذفنا (٦) فى ظ : ابيح .
(٧) ريد من ظ و مد (٨) فى ظ و مد .

فان كانت من الصالحين فعناها: ما كان 'ينبغي لنا' ذلك فلم تفعله و أنت أعلم ، كما قال تعالى " ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس - الآية ٢ : و إن كانت من الجمادات فاللعن : ما كنا في حيز من يقدر على شيء من ذلك ، ولكن فعلوه بطرا ؛ و إن كانت من مثل فرعون فاللعن : ما كان لنا هذا ، ولكن هم أنزلونا هذه المنزلة بمجرد دعائنا لهم - كما يقول إبليس - فما كان لنا عليهم من سلطان إلا أن دعوناهم فاستجابوا ، و ذلك لعدم نظرهم في حقائق الأمور ، فآلتي الكلال إلى الله . يومئذ السلم ، ثبت أنهم ليسوا في تلك الرتبة التي أنزلوهم إليها ، و فائدة السؤال مع شمول علمه تعالى تبيكت العابدین و زيادة حيراتهم^١ و أسفهم ، و تعييط المؤمنين إذا سمعوا هذا الجواب ، هذا [مع -^١] ما في حكايته لنا من الموعظة البالغة ، [و قراءة أبي جعفر بالبناء للفعل بضم النون و فتح الحاء واضحة المعنى ، أى يتخذنا أحد آلهة تتولى أموره -^١] .

ولما كان المعنى : إنا ما أضللناهم ، أما إذا قدر من الملائكة ونحوهم ١٥ فواضح ، و أما من غيرهم فان المضل في الحقيقة هو الله . و في الظاهر بطرهم النعمة ، و اتباعهم الشهوات التي قصرت بهم عن إمعان النظر ، و أوقفتهم مع^١ الظواهر ، حسن الاستدراك بقوله : (ولكن) أى

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٢) ٧٩ سورة ٢ (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : و المعنى (٤) راجع سورة ١٤ آية ٢٢ (٥-٥) من ظ و مد ، و في الأصل : الله الى الكل (٦) في ظ : من (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : العابدین (٨) في ظ : حيراتهم (٩) زيد من ظ و مد (١٠) في ظ : في .

ما أضللناهم نحن ؛ وإنما هم ضلوا بارادتك ' لأنك أنت (متعتهم و 'آباءهم)
 في الحياة الدنيا بما تستدرجهم به من لطائف المنن ، و أطلت ' أعمارهم
 في ذلك (حتى نسوا الذكر) الذي لا ينبغي أن يطلق الذكر على غيره ؛
 و هو الإيمان بكل ما أرسلت به سبحانه رسلك ' [برهان ما يعرفه كل عاقل
 من نفسه بما وهبته من غريزة العقل من أنه لا يصح بوجه ان يكون الإله ه
 إلا واحداً ، ما بين العاقل و بين ذكر ذلك إلا سير تأمل ، مع البراعة من
 شوائب المخطوط ، و - *] الحاصل أنك سئيت لهم أسباباً لم يقدرُوا على
 الهداية معها ، فأنت الملك الفعال لما تريد ، لا فعل لأحد سواك (وكانوا)
 في عليك بما قضيت عليهم في الأزل / (قوماً يوزاه) هلكي .

٣٨٢ /

و لما كان هذا أمراً واقعاً لا محالة ، لتفت إليهم مبكراً فقال معبراً ١٠
 بالماضي بعد " قد " المقربة ' المحققة : (فقد كذبوكم) أي المعبودون
 كذبوا العابدين بسبب ' إلقاءهم السلم المقتضى لأنهم لا يستحقون العبادة
 وأنهم يشفعون لكم ' مقهورين مرييين (بما) أي بسبب ما
 (تقولون) أي العبادة من أنهم يستحقون العبادة . و أنهم
 يشفعون لكم ، ' وأنهم أضلوكم ، و في قراءة ابن كثير بالتحثانية المعنى : ١٥
 بما يقول المعبودون من التسبيح لله و الإذعان ، في ادعائكم
 أنهم أضلوكم ' .

(١) من مد ، و في الأصل و ظ : باراك - كذا (٢) في ظ : اطالت (٣) في ظ
 و مد : استلكت - كذا (٤) في مد : وهبت (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ
 و مد ، و في الأصل : القرية (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : قسب (٨) باض
 في الأصل قدر كلمتين ، و العيلة من هنا إلى « يشفعون لكم » من ١٥ ساقطة
 من ظ و مد (٩ - ١٠) في ظ : فانهم (١٠) في ظ و مد : أضلوهم .

ولما تسبب^١ عن إلقائهم السلم وتخليهم عن عدم أنه لا تقع في أيديهم ولا ضرر^٢، قال: ﴿فما يستطيعون^٣﴾ أي المعبودون ﴿صرفاً﴾ أي لشيء من الأشياء عن أحد من الناس، لا أتم ولا غيركم، من عذاب ولا غيره، بوجه حيلة ولا شفاعاة ولا مفاداة ﴿ولا نصراً﴾^٤ بمغالبة، وهو نحو قوله تعالى "فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً".

ولما كان التقدير: فمن يعدل منكم لسماح هذا الوعظ^٥ بوضع العبادة في موضعها شبه ثواباً^٦ جليلاً، عطف عليه ما المقام له فقال: ﴿ومن يظلم منكم﴾ بوضعها في غير موضعها، وباعتقاده في الرسل ما لا ينبغي من أنه لا ينبغي لهم أن يكونوا مثل الناس في أكل ولا طلب معيشة ونحو ذلك ﴿نذقه﴾ [في الدنيا والآخرة، بما لنا من العظمة - ^٧] ﴿عذاباً كبيراً﴾.

ولما أبطل سبحانه ما وصموا به رسوله صلى الله عليه وسلم وذكر ما جزام عليه، وما أعد لهم وله ولا تبعه، ونفى ما زعموه في^٨ معبوداتهم وختمه بتعذيب الظالم، ذكر ما ظللوا فيه من قولهم "ما لهذا الرسول" ونحوه، فبين أن ما جعلوه من ذلك وصمة في حقه هو سنته سبحانه في الرسل من قبله أسوة لنوعهم البشري، وأنبه سره فقال زيادة في

(١) سقط من ظ (٢) في ظ: ضرر (٣) على قراءة الجماعة، وقراءة حفص بالتاء. (٤) زيد في الأصل: أي، ولم تكن الزيادة في ظ ومد فحذفناها (٥) سورة ١٥ آية ٦٦ (٦) في مد: لا (٧) من ظ ومد، وفي الأصل: الوعد (٨) زيد في الأصل: جليلاً، ولم تكن الزيادة في ظ ومد فحذفناها (٩) زيد من ظ ومد. (١٠) سقط من ظ ومد.

التسليّة والتعزية والتأسيّة: ﴿ وما أرسلنا ﴾ بما لنا من العظمة . ولما
 كان المراد العموم . أعراه من الجار فقال : ﴿ قبلك ﴾ أى يا محمد [أحدا - ١]
 ﴿ من المرسلين الآ ﴾ وحالهم ﴿ انهم لياكلون الطعام ﴾ كما يأكل
 ويأكل غيرك من الآدميين ﴿ ويمشون في الأسواق ﴾ كما تفعل ويفعلون
 أى إلا وحالهم الأكل و^٢ المشى لطلب^٣ المعاش كحال سائر الآدميين ، ه
 وهم يفعلون ذلك لما سمعوا من أخبارهم ، وهذا تأكيد من الله تعالى فانهم
 لا ينكذبونه عليه الصلاة والسلام ، ولا يعتقدون فيه نقصا ، وإبطال
 لحجتهم^٤ بما قالوه من ذلك ، وإقامة للحجة على عنادهم ، وأنهم إنما يقولونه
 وأمثاله لما تقدم من رسوخ التكذيب بالساعة في أنفسهم ﴿ وجعلنا ﴾
 أى بالعطاء والمنع بما^٥ لنا من العظمة ﴿ بعضكم لبعض فتنة ﴾ بأن جعلنا ١٠
 هذا نيا وخصصناه بالرسالة ، وهذا ملكا وخصصناه بالدنيا ، وهذا فقيرا
 وحرمانه الدنيا ، ليظهر ما نعلمه من كل من الطاعة والمعصية في عالم
 الغيب للناس في عالم الشهادة ، فنختبر^٦ الفقير بصبره على ما حرم بما أعطيه
 الغنى أو جزعه ، و الملك و من^٧ في معناه من الأشراف بصبرهم على ما^٨
 أعطيه الرسول من الكرامة و البلوغ بالقرب من الله إلى ما [لا - ١] ١٥
 يبلغونه / مع ما هم^٩ فيه من العظمة ، فلأجل ذلك [لم - ١] أعط

٢٨٣ /

- (١) زيد من ظ و مد (٢) زيد في ظ : الشراء و (٣) من ظ و مد ، وفي
 الأصل : بطلب (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : لانهم (هـ) في ظ : حجتهم .
 (٦) في ظ : لا (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : فيختبر (٨) في ظ : ما .
 (٩) سقط من ظ .

رسولى الدنيا ، وجعلته من^١ يختار العبودية والكفاف بطلب المعاش
 فى الاسواق ، لابتليكم فى الطاعة له خالصة ، فانى لو أعطيت الدنيا ، وجعلته
 من يختار الملك ، لاسارع^٢ الاكثر الى اتباعه طمعا فى الدنيا ، وهذا معنى
 ﴿اتصبرون﴾ فانه علة ما قبله ، أى لنعلم^٣ علم شهادة هل^٤ تصبرون فيما
 امتحناكم به أم لا ؟ كما كنا نعلمه علم غيب ، لتقوم عليكم^٥ بذلك الحجة
 فى مجارى عاداتكم ، وفيها مع العلية تهديد بليغ لمن تدبر ، ويجوز أن
 يكون الاستفهام استنفاذا للتهديد .

و لما كان الاختبار^٦ ربما أوهم نقصا فى العلم ، وكان إحسانه سبحانه
 الى جميع الخلق دون إحسانه الى سيدهم وعينهم ، و خلاصتهم وزينهم^٧ :
 ١٠ . محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان أعلمهم بتزييه وتعظيمه ، وكان امتحانهم
 يجعله نيا عبدا مع كونه فى غاية الإكرام له ربما ظنوه إهانة ، نفى ما لعله يومه
 كل من الاستفهام والامتحان فى حق الله سبحانه وحق نبيه صلى الله عليه
 وسلم ، فقال^٨ صارفا وجهه^٩ الخطاب إليه : ﴿وكان ربك﴾ أى المحسن إليك
 إحسانا لم يحسنه الى أحد سواك ، لاسيما يجعلك نيا عبدا ﴿بصيرا﴾

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : بما (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : لتنازع .
 (٣) من مد ، وفى الأصل وظ : ليعلم (٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : وتاهل
 - كذا (٥ - ٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : ليقوم عليك (٦) من ظ ومد ،
 وفى الأصل : الاخبار (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : زمنهم (٨ - ٨) من
 ظ ومد ، وفى الأصل : لصارف اوجه .

بكل شيء فهو عالم بالإنسان قبل الامتحان ، لم يفده ذلك علما لم يكن ،
و هو سبحانه يضع الأمور في حاق^١ مواضعها و إن رنى^٢ غير ذلك ،
فينفى على كل أحد التسليم له في جميع الأمور فانه يجر إلى خير كبير ،
و التدبر لأقواله و أفعاله بحسن الانقياد و التلقى فانه يوصل إلى علم غزير^٣ ،
و ما أراد بابتلائك بهم^٤ و ابتلائهم بك في هذا الأذى الكبير^٥ إلا إعلاء
شأنك و إسفال أمرهم " و اتعلن نباه بعد حين " .

و لما ذكر هذا الابتلاء بعد أن ذكر أول السورة ما هو سبحانه
عليه من العظمة من سعة الملك ، و كثرة الصنائع ، و الإحسان إلى جميع
الخلق ، و كان من حق كل مربيوب أن^٦ يتعرف إلى ربه ، كائنا من
كان ، لاسيما إذا كان بهذه الصفة ، لينال من إحسانه ، و يتعزز به على
أقرانه ، أتبع ذلك أنه كشف الابتلاء عن أنه^٧ لا بصير لهم فقال تعالى :
(و قال) و أظهر في موضع الإضمار الوصف الذي قدم أنه موجب
لعمام فقال : (الذين لا يرجون) أى ليست لهم عقول^٨ لكونهم نسوا^٩
(لقآمانا) فهم^{١٠} لا يعملون عملا يطعمون في إثابتنا لهم^{١١} عليه بعد الموت على
ما يعملون^{١٢} لنا من العظمة التي من رجاها كانت له فسد ، و من أعرض عنها ١٥

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : عاق (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : راين .

(٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : عزيز (٤) سقط من ظ و مد (٥) من ظ

و مد ، وفي الأصل : كثير (٦) في ظ : اذ (٧) في ظ : انهم (٨ - ٨) من ظ

و مد ، وفي الأصل : لانهم سوار (٩) من ظ و مد ، وفي الأصل : هم .

(١٠) من ظ و مد ، وفي الأصل : يعملون .

كانت عليه فهلك ، فصارت لذلك عقولهم تبعاً لشهواتهم ، فصاروا
يتعرفون إلى نجادات سموها أربابهم ، و يقصدونها و يتمسحون بها رجاء
للحال ، و الاتهامك في الضلال ، فذكر الرجاء لهذا الغرض مع أنه يلزمه
عدم الخوف : ﴿لولا﴾ أى هلا^٢ ولم لا^٣ .

٥ و لما كان مرادهم لجهلهم أن يروم كلهم دفعة واحدة ، عبر^٤
بالإنزال فقال : ﴿انزل﴾ [أى على أى وجه كان من أى منزل كان - °]
﴿علينا الملائكة﴾ أى كما أنزلت عليه فيما يزعم ﴿أوبرئ ربنا﴾ بما
له إلينا من الإحسان و ما لنا نحن من العظمة بالقوة بالأموال وغيرها ،
فيأمرنا بما^٦ يريد^٧ من غير حاجة إلى واسطة .

١٠ و لما كان هذا القول بما لا ينبغي لبشر أن يجترئ عليه ، لأن فيه
اعتراضاً على من لا يجد وصف^٨ عظمته ، و لا تدرك مقاصد / حكمته ، قال
مصدراً بحرف التوقع لما^٩ أرشد إليه السياق جواباً لمن كأنه^{١٠} سأل : ما
حالهم في هذا ؟ : ﴿لقد﴾ أى و عزتنا لقد ﴿استكبروا﴾ أى طلبوا
بل أوجدوا الكبر . و لما لم يكن الكبرهم ثمرة في الظاهر ، لأنه لا يعود
١٥ بالضرر على أحد غيرهم ، قال : ﴿فى انفسهم﴾ أى بطلب رؤية الملائكة .

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : نفعاً (٢) فى ظ : يمسحون (٣-٢) تقدم فى
الأصل على «أى هلا» و الترتيب من ظ و مد (٤) - نقط من ظ (٥) زيد من
ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : بما (٧) فى ظ : يريد ، و فى مد : يريد .
(٨) من ظ و مد . و فى الأصل : وهو (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : بما .
(١٠) فى ظ : كان .

و لما كان حاصل أمرهم أنهم طلبوا رتبة النبي الذي واسطته الملك،
 وزادوا عليه رؤية جميع الملائكة الآخذين عن الله، وزادوا
 على ذلك بطلب الرؤية، قال: (وعتو) أى و جاوزوا الحد في
 الاستكبار بما وراه من طلبهم رؤية جميع الملائكة و رؤية الملك الجبار؛
 وزاد في تأكيد هذا المعنى لاقضاء المقام له بقوله: (عتوا كبيراء) •
 و يان أنهم ما قالوا هذا إلا عتوا و ظلما أن ما جاءهم من الآيات التي
 أعظمها القرآن دلهم قطعا بعجزهم عن الإتيان بشيء منه على صدق
 صلى الله عليه و سلم عن الله في كل ما يقوله، و في حسن هذا الاستئناف
 و لحوى هذا السياق دلالة على التعجب من غير [لفظ -] تعجب فالغنى:
 ما أشد استكبارهم و أكبر عتوهم! ثم بين لهم حالهم عند بعض ما طلبوا ١٠
 فقال: (يوم) و ناصبه ما دل عليه "لا بشرى" (يرون الملائكة) أى
 يوم القيامة أو قبله "في الغزوات" أو عند الاحتضار (لا بشرى) أى
 من البشر أصلا (يومئذ للجrimين) أى "الاحد من" قطع ما أمر الله به

(١) تأخر في الأصل عن الملائكة و الترتيب من ظ و مد (٢-٢) في ظ:
 طلب ذلك فطلب - كذا (٣) من ظ و مد، و في الأصل: لحوى (٤) زيد من ظ
 (٧) من و مد (٥) في ظ و مد: أكثر (٦-٦) من ظ و مد، و في الأصل: عتو
 بعد ظ، و في الأصل: ناصية، و في مد: ناصب (٨) زيد بعده في الكشف:
 أى يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى أو يدمونها (٩) زيد في الأصل: في،
 و لم تكن الزيادة في ظ و مد فخذناها (١٠ - ١٠) في ظ: بالغزوات •
 (١١-١١) في ظ: لا احد من •

أن يوصل، و لبيان ذلك أظهر موضع الإضمار ﴿و يقولون﴾ أى فى ذلك الوقت: ﴿حجرا محجورا﴾ أى نطلب منكم ممنوعا، أى مبالغا فى مانعيته^١، ويجوز أن يراد بالمفعول الفاعل، و المضى واحد فى أنهم يريدون أن يكون بينهم وبين الملائكة مانع عظيم يمنعهم منهم، قال أبو عبيدة^٢: وهذا عوذة العرب، يقوله من خاف آخر فى الحرم أو فى شهر حرام إذا لقيه وبينهما ترة^٣، و قال سيويه^٤: يريد البراءة من الأمر و يبعد عن نفسه أمرا، فكأنه قال: أحرم ذلك حراما محرما، و مثل ذلك أن يقول الرجل للرجل: أتفعل كذا و كذا؟ فيقول: حجرا أى سترا و براءة من هذا، فهذا ينتصب على إضمار الفعل . و عبر بالمضارع ١٠ إشارة إلى 'دوام تجديدهم' لهذا القول بعد مفاجأتهم به حال رؤيتهم لهم لعظيم روعتهم منهم، بخلاف ما بعده فانه عبر فيه بالماضى إشارة إلى أنه كائن لا محالة .

ولما كان المرید لإبطال الشيء - لشدة كراهته له - لا يمتنع فى إبطاله بغيره^٥، بل يأتيه بنفسه فيطله^٦، عبر بقوله: ﴿وقدمنا﴾ أى بما لنا ١٥ من العظمة الباهرة فى ذلك اليوم الذى يرون فيه الملائكة سواء كان فى الدنيا أو فى الآخرة ﴿الى ما عملوا من عمل﴾ أى من 'مكارم الأخلاق

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: ما يعنيه - كذا (٢) ذكر قواه فى البحر المحيط ٤٩٢/٦ (٣) من ظ و مد و البحر، وفى الأصل: عادة (٤) من ظ و مد و البحر، وفى الأصل: بره - كذا (٥) فى كتابه ١٦٤/١ (٦-٦) فى ظ: تجديد دوابهم (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: بغير (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: فيطله (٩) من ظ و مد، وفى الأصل: فى .

من الجود و صلة الرحم و الحلم و النجدة في الخير و إغاثة الملهوف
و غيره (لجملته) - لكونه لم يؤسس على الإيمان ، وإنما هو للهوى
و الشيطان - باطلا لا تقع فيه ، و هو معنى (هباء) و هو ما يري في
شعاع الشمس الداخل من الكوة مما يشبه الغبار ، فهو أشبه شيء بالعدم -
لأنه لا تقع له أصلا .

و لما كان الهباء يرى مع السكون منتظما ، فإذا حركته الريح تناثر
و ذهب كل مذهب ، فظم دخوله في حيز العدم مع أنه محسوس ،
قال مبلفا في وصف أعمالهم : (مشوراء) و هو صفة ، / و قيل : مفعول
ثالث لجعل ، أى جعلنا الأعمال جامعة لحقارة الهباء و التناثر .

و لما علم من هذا أن التقدير : فكانوا^١ بحيث أنهم لا قرار لهم إذا^{١٠}
كانت النار مقيلهم ، تلاه بحال أضدادهم فقال : (اصنحب الجنة يومئذ)
أى يوم إذ يرون الملائكة (خير مستقرا) أى مكانا يصلح للاستقرار
[لطيبة - ١٢] ، و يكونون فيه في أكثر أوقاتهم مستقرين على سرر متقابلين
يتحدثون ، إشارة إلى أن منزل أولئك لا يمكن الاستقرار فيه

(١) في ظ : إغاثة (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : لم يوسعن - كذا (٣) من
ظ و مد ، و في الأصل : الهوى (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : بغير (٥) في
ظ : من (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : في (٧) من ظ و مد ، و في الأصل :
الهوى ، و زيد فيه بعده : كالريح ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فخذناها (٨) من
ظ و مد ، و في الأصل : هب (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : لجلنا .
(١٠) من ظ و مد ، و في الأصل : كانوا (١١) من ظ و مد ، و في الأصل :
الاستقرار (١٢) زيد من ظ و مد (١٣) من ظ و مد ، و في الأصل : هولا .

(واحسن مقيلا) أي مكانا يمكن فيه الاستراحة في مثل وقت القيلولة للأسترواح بأزواجهم، والتمتع بما يكون في الخلوات، روى أن وقت الحساب على طوله يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين أول النهار إلى وقت القائلة فيقولون في رياض الجنة حتى يفرغ الناس من الحساب . وعبر بأفضل التفضيل تهكما بهم أو أنه عبر بذلك لما كان الكلام عاما لأحوال الدنيا والآخرة، وهم قاطعون بأنهم في الدنيا أحسن حالا من المؤمنين، لما هم فيه من السعة في المال والكثرة والقوة، [وبلفظ الحسن إشارة إلى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحظة الصور ونحوه .

١٠ ولما كان للكفرة في هذه الدار من العز والقوة - [والضخامة ما يتمتعون منه من مصير حالهم و حال أخصامهم إلى ما ذكر، بين أن الأمر في ذلك اليوم على غير ما نعهده، فقال عاطفا على "يوم يرون" : (ويوم تشقق) [أي تشققا عظيما وإن كان فيه خفاء على البعض - بما أشار إليه حذف تائه -] (السماء بالنجم) [أي -] ١٥ كما تشقق الأرض بالنبات فيخرج من خلال شقوقها، [وأشار إلى جهل من طلبوا نزولهم دفعة واحدة بقوله -] : (ونزل) أي بالتدرج بأمر حتم لا يمكنهم التخلف عنه، بأمر من لا أمر لغيره (الآنكة) الذين طلبوا أن يروم [في حال واحد -] (تنزيلا)

(١) راجع لباب التأويل ٨٠/٥ (٢) في ظ ه و (٣) زيد من ظ ومد .

(٤ - ٤) في ظ : من (٥) في مد : تشقق (٦) بسقط من ظ .

في أيديهم صحائف الأعمال ؛ قال ابن عباس رضى الله عنهما^١ : تشقق
 السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر من في الدنيا من الجن والإنس ،
 ثم تشقق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر من أهل السماء الدنيا وأهل
 الأرض جناً وإنساً ، ثم^٢ كذلك حتى تشقق السماء السابعة ، وأهل كل
 سماء يزيدون^٣ على أهل السماء التي قبلها ، ثم ينزل الكروبيون ثم^٤
 حملة العرش .

ولما كان ذلك اليوم سبباً لانكشاف الأمور ومعرفة أنه لا ملك
 لسواه سبحانه لأنه لا يقضى فيه غيره قال : (الملك يومئذ) أى يوم^٥
 إذ تشقق السماء بالنعام ؛ ثم وصفه الملك بقوله : (الحق) أى الثابت
 معناه ثباتاً لا يمكن زواله ؛ ثم أخبر عنه بقوله : (للرحمن) أى العام^٦ ١٠
 الرحمة في الدارين ، ومن^٧ عموم رحمته وحقيقته ملكه أن يسر قلوب
 أهل وده بتغذيب أهل عداوته الذين عادوهم فيه^٨ لتضييعهم الحق باتباع
 الباطل ، ولولا اتصافه بالرحمة لم يدخل أحد الجنة ، ومعنى التركيب أن
 ملك غيره في ذلك اليوم إنما هو بالاسم الذي تقدم له في الدنيا تسميته
 به فقط ، لاحكم له أصلاً ولا ظاهراً كما كان في الدنيا (وكان) أى ١٥
 ذلك اليوم الذى تظهر فيه الملائكة الذين طلب الكفار رؤيتهم

- (١) راجع العالم بهامش الباب ٨١/٥ (٢) سقط من ظ و مد (٣) من العالم ،
 وفي الأصول : يدورون (٤) من مد و العالم ، وفي الأصل و ظ : تنزل .
 (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : هو (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : حقيقة .
 (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : قيد .

(يوما على الكافرين) أى فقط (عسرا) 'شديد العسر' والاستعار.

و لما كان حاصل حالهم أنهم جانبوا أشرف الخلق الهادى لهم إلى

كل خير، وصاحبوا غيره من يقودهم إلى كل شر، بين 'عسر ذلك

اليوم - الذى إنما أوجب^٢ جرأتهم تكذيبهم^٣ به - بتناهى ندمهم على فعلهم

هذا فقال: (و يوم بعض الظالم) أى لفرط تأسفهم لما يرى / فيه من

الآهوال (على يديه) أى كليهما فيكاد يقطعها أشدة حسرتة وهو

لا يشعر، حال كونه مع هذا الفعل (يقول) أى يحدد فى كل لحظة

قوله: (يَلَيْتَنى اتخذت) أى أرغمت نفسى وكلفتها أن آخذ فى الدنيا

(مع الرسول سيلا) أى عملا واحدا من الأعمال التى دعانى إليها،

١٠ و أطعته طاعة ما، لما انكشف لى فى هذا اليوم من أن [كل -^٤] من

أطاعه و لو لحظة حصلت له سعادة بقدرها، و غص اليد و الانامل

و حرق^٥ اللسان و نحو ذلك كناية عن الغيظ^٦ و الحسرة^٦ لأنها من

روادفها^٧، فتذكر الرادة^٨ دلالة على المردوف فيرتفع الكلام فى طبقة

الفصاحة إلى حد يحد السامع عنده فى نفسه من الروعة و الاستحسان

١٥ ما لا يحدده [عند -^٩] المكتئب عنه .

(١-١) من ظ و مد، وفى الأصل: تشهيدا بعمره (٢) من ظ و مد، وفى

الأصل: من (٣-٣) من ظ و مد، وفى الأصل: جراهم بتكذيبهم (٤) زيد من

ظ و مد (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: عرق (٦-٦) سقط ما بين الرقين

من ظ و مد (٧) فى ظ: روادفها (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: الرادفة .

و لما

و لما تأسف على مجانية الرسول ، تدم على مصادقة غيره بقوله :
 (يؤولي) أى يا هلاكي الذى ليس لى منادم^١ غيره لأنه ليس بحضرتي^٢
 سواء . و لما كان يريد محالا ، عبر بأداته فقال : (ليتنى لم اتخذ فلانا)
 يعنى الذى أضله - يسميه باسمه ، و إنما^٣ كنى عنه و هو سبحانه لا يخاف
 من المناوأة ، و لا يحتاج إلى المدأجة ، إرادة للعموم^٤ و إن كانت الآية ه
 نزلت في شخص^٥ معين (خيلاه) أى صديقا أواقفه في أعماله لما
 علمت من سوء عاقبتها ؛ ثم استأنف قوله الذى يتوقع كل سامع أن
 يقوله : (لقد) أى و الله [لقد - °] (اضلنى عن الذكر) أى عنى
 على طريق القرآن الذى لا ذكر في الحقيقة غيره و صرفنى عنه ، و الجملة
 في موضع العلة لما قبلها (بعد اذ جآنى^٦)^٧ و لم يكن لى منه^٨ مانع يظهر ١٠
 غير إضلاله .

و لما كان التهذير : ثم ها هو قد خذانى أحوج ما كنت إلى نصرته ،
 عطف عليه قوله : (و كان الشيطان) أى كل من كان سببا للضلال
 من عتاة الجن و الإنس (للانسان خذولاه) [أى - °] شديد الخذلان
 يورده ثم يسله إلى أكره ما يكره ، لا ينصره ، و لو أراد لما استطاع ، ١٥
 بل هو في شر من ذلك ، لأن عليه إثم في نفسه و مثل إثم من أضله .
 و لما ذكر سبحانه أقوال الكفار إلى أن ختم بالإضلال عن الذكر ،

-
- (١) من ظ و مد ، وفي الأصل : سلام (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : يحضرنى .
 (٣-٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : ورد في الآية مكنيا لإرادة العموم .
 (٤) في ظ و مد : ظالم (٥) زيد من ظ و مد (٦-٦) في ظ : لم اكن اه .

وكانوا - مع إظهارهم التكذيب به وأنه مفتعل - في غاية الطرب له .
 والاهتزاز به ، والتعجب منه ، والمعرفة بأنه يكون له نبأ ، أشار^١ إلى
 ذلك بقوله ، غاطفا على " وقالوا ما لهذا الرسول " معظما لهذه الشكاية^٢
 منه صلى الله عليه وسلم ، مخوفا لقومه لأن الرسل قبله عليهم الصلاة
 والسلام كانوا إذا شكوا أنزل^٣ بقومهم عذاب الاستئصال : (وقال الرسول)
 يعني محمدا صلى الله عليه وسلم : (يرب) أيها المحسن إلى بأنواع
 الإحسان الذي أعظمه الرسالة ، وعبر بأداة البعد مضما لنفسه مبالغة في
 التضرع (ان قومي) أي قريشا الذين لهم قوة وقيام ومنعة
 (اتخذوا) أي بتكليف أنفسهم ضد ما تجده^٤ (هذا القرآن) أي
 ١٠ المقضى للاجتماع عليه والمبادرة^٥ إليه (مهجورا) أي متروكا ،
 فأشار بصيغة الاقتعال إلى أنهم عاجلوا أنفسهم في تركه علاجا كثيرا^٦ ،
 لما يرون من حسن نظمه ، ويدوقون من / لذيذ معانيه ، ورائق أساليبه ،
 ولطيف عجائبه ، وبديع غرائبه ، كما تعرف به قصة أبي جهل وأبي
 سفيان بن حرب والآخر بن شريق حين كانوا يستمعون لقراءته
 ١٥ ليلا ، كل واحد منهم في مكان لا يعلم به صاحبه ، ثم يجمعهم الطريق
 إذا أصبحوا فيتلاومون^٧ ويتعهدون على أن لا يعودوا ، ثم يعودون

/ ٦٨٧

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : اشارة (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل :
 السكينة (٣) في ظ : نزل (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : الى (٥) من ظ
 و مد ، وفي الأصل : ان (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : اتخذ (٧) في ظ :
 الماعدة (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : كبيرا (٩) من ظ و مد ، وفي
 الأصل : ليتلاومون .

حتى^١ فعلوا ذلك ثلاث ليال ثم أكدوا على أنفسهم العهد حتى تركوا ذلك - كما هو مشهور في السير^٢ .

ولما كان في هذا الكلام معنى الشكاية وشدّة التحرق، و"عظيم التحزن" كما يشير إليه إثبات [هـ ياء -^٣] التي للبعد، على خلاف ما جرت به العادة في نداء الخواص الذين هو أخصهم، والاستفهام عن سبب هجرانهم مع ما لهم إليه من الدواعي، كان كأنه قيل: ذلك بأن من فعله عاداك حسدا لك، وعطف عليه: (وكذلك) أى ومثل ما فعلنا من هذا الفعل العظيم وأنت أعظم الخلق لدينا (جعلنا) [بما لنا من العظمة -^٤] (لكل نبى) أى^٥ من الأنبياء قبلك، رفعة لدرجاتهم (عدوا من المجرمين^٦) الذين طبعناهم على الشغف بقطع ما يقتضى الوصل^٧ ١٠ فأضللناهم بذلك إهانة لهم^٨ فاصبر كما صبروا فاقى سأهدى بك من شئت، وأنصرك على غيرهم، وأكرم قومك من عذاب الاستئصال تشريفا لك^٩ . ولما كان هذا موطن تعلق فيه النفوس متشوقة إلى الهداية بعد هذا الطبع، والنصرة بعد ذلك الجمل، كان كأنه قيل: لا تحزن فلنجعل لك وليا ممن نهديه للإيمان، ولننصرنهم على عدوهم كما فعلنا بمن قبلك، ١٥

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: حين (٢) وقد أسلفنا الإشارة إليه في الأجزاء السابقة (٣-٢) من ظ و مد، وفي الأصل: عظم التخوف (٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من ظ (٦) في ظ: وأضللناهم (٧) زيد في ظ: بذلك (٨-٨) تكرر ما بين الرقيين في الأصل فقط قبل "لكل نبى" - راجع ص ٩ .

بل أعظم حتى نقضى أهمهم من ذلك العجب، ولا يسعهم إلا الخضوع لكم^١
والدخول في ظلال عزمكم، ولما كان ذلك - لكثرة المعادين - أمرا
يحق له الاستبعاد، قال [عاطفا على ما تقديره : ثم نصر إخوانك من
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على من جعلهم أعداءهم ربك الذى
٥ أرسلهم -^٢] : ﴿ وكفى بربك ﴾ أى المحسن إليك ﴿ هاديا ﴾ يهدى بك
من قضى بسعادته^٣ ﴿ ونصيرا ه ﴾ ينصرك على من حكم بشقاوته .

ولما ذكر سبحانه شكايته من هجرانهم^٤ للقرآن، وقرر^٥ عداوتهم
له ونصرته عليهم، أتبع ذلك بما يدل عليه، فقال عاطفا^٦ على ما مضى
من الإشياء فى^٧ الشبه، وأظهر موضع الإضمحار تنبيها^٨ على الوصف الذى
١٠ حملهم على هذا القول : ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ أى غطوا عداوة
وحسدا ما تشهد عقولهم بصحته^٩ من أن القرآن كلام الله لإعجازه لهم
متفرقا، فضلا عن كونه مجتمعا، وغطوا ما وضع لهم من آثاره الظاهرة
الشاهدة بوحديته، وغير ذلك من صفاته العلية : ﴿ لولا ﴾ أى هلا .
ولما كانوا لشدة ضعفهم لا يكادون يسمحون بتسمية القرآن تنزيلا
١٥ فضلا عن^{١٠} أن يسندوا إنزاله إلى الله سبحانه تعالى، بنوا للمفعول فى هذه
الشبهة التى أوردوها قولهم : ﴿ نزل عليه ﴾ ولما عبروا^{١١} بصيغة التفعيل

(١) فى ظ : لك (٢) زيد من ظ ومد (٣) فى ظ : سعادته (٤) فى ظ : هجرانه .
(٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : قدر (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : عاطفا .
(٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : من (٨) من ظ ومد ، وفى الأصل : منها .
(٩-٩) فى ظ : لن (١٠) سقط من ظ (١١) من ظ ومد ، وفى الأصل : عبر .

المشيئة إلى التدرج والتفريق استجلابا للسامع لئلا يعرض عنهم ،
 أشاروا إلى أن / ذلك غير مراد فقالوا : (القرآن) أى المقتضى اسمه
 للجمع ؛ ثم صرحوا بالمراد بقولهم : (جملة) و أكدوا بقولهم :
 (واحدة) أى من أوله إلى آخره بمرة ، ليتحقق أنه من عند الله ،
 ويحول عما توهمه^١ من أنه هو الذى يربته قليلا قليلا ؛ فتعبرهم^٢ بما
 يدل على التفريق أبلغ في^٣ مرادهم ، فانهم أرغبوا السامع في الإقبال على
 كلامهم^٤ بتوطئه على ما يقارب مراده ، ثم أزالوه بالتدرج آتم إزالة ،
 فكان في ذلك من المفاجأة بالروعة والإقنط بما أمل من المقاربة
 ما لم يكن في^٥ أنزل ، - والله أعلم .

ولما كان التقدير : وما له ينزل عليه مفرقا ، وكان للتفريق فوائد ١٠
 جليلة ، أشار سبحانه إلى عظمتها بقوله معبرا^٦ للإشارة إلى ما اشتملت
 عليه من العظمة بأداة البعد : (كذلك ج) أى أنزلناه شيئا فشيئا على
 [هذا الوجه -^٧] العظيم^٨ الذى أنكره (لتثبت به قوادك) بالإغانة^٩
 بتردد الرسل بيننا وبينك ، وبتمكنك وتمكين أتباعك من تفهم المعاني ،
 وتخفيفا^{١٠} للأحكام ، في تحميلها أهل الإسلام ، بالتدرج على حسب ١٥
 المصالح ، ولتناق الحكمة في الناسخ والمنسوخ ، لما رتب^{١١} فيه من المصالح ،

- (١) من ظ و مد ، وفي الأصل : يتوهمه (٢) في ظ : فتعيروه (٣) في ظ : من .
 (٤) في ظ : كلامه (٥) في ظ : بصيرا (٦) زيد من ظ و مد (٧) زيد في
 الأصل : بالوجد ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد ،
 وفي الأصل : بالإعانة (٩) من ظ و مد ، وفي الأصل : تحقيقا (١٠) من ظ
 و مد ، وفي الأصل : ترتيب .

و تسهلا للحفظ لاسيما والامة أمية 'لا تقرأ ولا تكتب'، و تلقينا
 الأجوبة في أوقاتها، و تعظيما^٢ للإعجاز، لأن ما تحدى بنجم منه فعجز
 عنه علم أن العجز عن أكثر منه أولى، فالحاصل أن التفريق أدخل في
 باب الإعجاز و في كل حكمة، فعلم أن هذا الاعتراض فضول
 ٥ و عماراة بما لا طائل تحته^٣ من ضيق الفطن، و قلة الحيلة، و حرج الخطيرة،
 دأب المقطوع المبهوت، لأن المدار الإعجاز،^٤ و أما^٥ كونه جملة
 أو مفرقا فأمر^٦ لا فائدة لهم فيه، و ليست الإشارة محتملة لأن تكون
 للكتب الماضية، لأن نزولها إنما كان منجما كما بينته في سورة النساء
 عن نص التوراة المشير إليه نص كتابنا، لا^٧ كما يتوهمه كثير من الناس،
 ١٠ و لا أصل له إلا كذبة من بعض اليهود شبهوا بها على أهل الإسلام
 فشت^٨ على أكثرهم و شرعوا يتكلفون^٩ لها أجوبة، و اليهود الآن
 معترفون بأن التوراة نزلت في نحو^{١٠} عشرين سنة^{١١} - و الله الموفق .

و لما كان إنزاله مفرقا أحسن، أكد به بقوله عطفا على الفعل الذي
 تعلق به "كذلك" : (و رتلته ترتيلا^{١٢}) أي فرقناه في الإنزال إليك
 ١٥ تقريبا في نصف و عشرين سنة^{١٣} [و -] قال البغوي^{١٤} : قال ابن عباس

(١ - ١) من ظ و مد، و في الأصل : لا يقرأ ولا يكتب (٢) من ظ و مد،
 و في الأصل : تعظيما (٣) في ظ : عنه (٤ - ٤) من مد، و في الأصل : اما، و في
 ظ : فلما (٥) من مد، و في الأصل و ظ : فالامر (٦) سقط من ظ و مد .
 (٧) في ظ : فشكت (٨) في ظ و مد : يتكلفوا (٩ - ٩) من ظ و مد و ما ورد
 في ص ٣٨٣ س ١٤، و في الأصل : عشر سنين (١٠) زيد من ظ و مد (١١) في
 معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ٨٣ / ٥ .

رضى الله عنهما : بيناه بيانا ، [و - ١] الترتيل^٢ : التبيين في ترسل و ثبت - انتهى . وأصله ترتيل الأسنان وهو تفليجها كنور الاقحوان .

ولما كان التقدير : قد بطل^٣ ما أتوا به من هذا الاعتراض ، عطف عليه [قوله] : (ولا ياتونك) أى المشركون (بمثل) أى باعتراض

في إبطال أمرك يخيلون به لعقول الضعفاء بما يجتهدون في تمييقه و تحسينه ه و تدقيقه حتى يصير عديم في غاية الحسن و الرشاقة لفظا و معنى (الا جئتك) أى فى جوابه (بالحق) و من الالف و اللام الدالة على الكمال يُعَرَفُ أن المراد به الثابت الذى لا شىء أثبت منه ، فيرق ما أتوا به لبطلانه ، و يفترض* بعد ذلك الستر فضيحة / تخجل القائل و السامع القابل .

١٠

ولما كان التقدير فى الأصل : بأحق منه ، وإنما عبر بالحق ، لثلاث فهم^٤ أن لا يأتون^٥ به وجها فى الحقيقة ، عطف عليه قوله : (واحسن) أى من مثلهم (تفسيرا^٦) أى كشفا لما غطى الفهم من ذلك الذى خيلوا به و ادعوا أنهم أوصحوا به وجها من وجوه المطاعن ، فجزم أكثر السامعين بحسنه .

١٥

ولما أنتجت هذه الآيات كلها أنهم معاندون لربهم ، وأنهم يريدون بهذه السؤالات ان^٧ يضلوا سبيله ، و يحتقروا مكاتته ، و يهدروا^٨ منزلته ،

(١) زيد من ظ و مد و العالم (٢) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد و العالم فخذناها (٣) فى ظ : ا بطل (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : تعرف . (٥) فى ظ : بفضح (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ و مد : ياتونك (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : انهم (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : يهدوا .

علم قطعا أنه يعمر بهم دارالشقاء، وكان ذلك أدل دليل على أنهم أعمى
الناس عن الطرق^١ المحسوسة، فضلا عن الأمثال المعلومه، و التمثيل^٢
للدارك الغامضة، و أنهم أحقر الناس لأنه لا ينتقص الأفاضل إلا ناقص،
و لا يتكلم الإنسان إلا فيمن هو خير منه، قال معادلا لقوله " اصحب الجنة
٥ يومئذ خير " واصفا لما تقدم أنه أظهره موضع الإضمار من قوله " الذين
كفروا " : (الذين يحشرون) أى يجمعون قهرا ماشين مقلوبين
(على وجوههم) أو^٣ مسحوبين (الى جهنم لا) كما أنهم فى الدنيا
كانوا يعملون ما كأنهم^٤ معه لا يصرون و لا تصرف^٥ لهم فى أنفسهم،
توزم الشياطين أزا، فان الآخرة مرآة الدنيا، مهما عمل هنا رأت^٦
١٠ هناك^٧، كما أن الدنيا مزرعة الآخرة، مهما عمل فيها جنت ثمرته^٨ هناك؛
روى البخارى^٩ عن أنس رضى الله عنهما أن رجلا قال : يا بنى الله! كيف^{١٠}
يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال : أليس الذى أمشاه على الرجلين
فى الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟ قال قتادة^{١١} - يعنى الراوى
عن أنس - : بلى^{١٢} وعزة ربنا .

(١) فى ظ : الطريق (٢) من ظ ومد، وفى الأصل : التفسير (٣) فى ظ : أى .
(٤) من ظ ومد، وفى الأصل : كانوا (٥) من ظ ومد، وفى الأصل :
لايصرف (٦) من ظ ومد، وفى الأصل : دوى (٧) فى ظ : هنالك (٨) فى
ظ : ثمرتها (٩) فى الصحيح ٧٠١ / ٢ (١٠) ليس فى الصحيح (١١) من ظ
ومد و الصحيح، وفى الأصل : القتادة (١٢) من ظ ومد و الصحيح،
وفى الأصل : بلى .

ولما وصف المتعنتين في أمر القرآن بهذا الوصف، استأنف الإخبار بأنهم متصفون بما أزموا^١ به من أن الإتيان بالقرآن مفرداً^٢ وضع للشيء في غير موضعه [فقال] : (أولئك) أى البعداء البغضاء (شر) أى شر الخلق (مكانا واضل سيلا^٣) حيث عموا عن^٤ طريق الجنة التى لا أجلى منها ولا أوسع ، و سلكوا طريق النار التى لا أضيق منها ه ولا أدر ، وعموا عن^٥ أن يزال القرآن نجوما أولى لما تقدم من اللطائف وغيرها بما^٦ لا يحيط به إلا الله تعالى ، و "سيلا" تمييز محول عن الفاعل أصله : ضل^٧ سبلهم ، وإسناد الضلال إليه من الإسناد المجازى .

ولما بين أنهم كذوبه وعادوه ، وأشار بآية الحشر إلى جهنم إلى ١٠ أنه لا يهلكهم بعامة ، عطف^٨ على عامل^٩ ، لتثبت^{١٠} له وتخويفا لهم قوله : (ولقد آتينا) [أى -^{١١}] بما لنا من العظمة (موسى الكتب) كما آتيناك ، بينا فيه الشرائع والسنن والأحكام ، وجعلناه هدى ورحمة ، وأنزلناه إليه منجا في نحو عشرين سنة - يقال : إنها ثمان عشرة - كما أنزلنا إليك هذا القرآن في نيف وعشرين سنة ، كما بينت ذلك^{١٢} في ١٥

(١) من ظ ومد ، وفي الأصل : الزم (٢) من ظ ومد ، وفي الأصل : مفرنا .
(٣) في ظ : من (٤) من ظ ومد ، وفي الأصل : من (٥) من ظ ومد ، وفي الأصل : لا (٦) من ظ ومد ، وفي الأصل : اضل (٧) زيد بعده فى الأصل : عليه ، ولم تكن الزيادة في ظ ومد فحذفنا (٨) من ظ ومد ، وفي الأصل : التثيت - كذا (٩) زيد من ظ ومد (١٠) سقط من ظ .

آخر سورة النساء وغيرها ، على أن أحدا من طالع التوراة لا يقدر على إنكار ذلك ، فانه يئن من نصوصها . وزاد في التسلية بذكر الوزير ، لأن الرد للثنين أبعد ، وفيه إشارة / إلى ' أنه لا ينفع ' في إيمانهم إرسال ملك - كما اقترحوا - ليكون معه نذيرا ، فقال : (وجعلنا) بما لنا من العظمة (معه إياه) ثم بينه بقوله : (هرون) وبين محط الجمل بقوله : (وزيراه) أى معنا فى كل أمر بعشاء به ، وهو مع ذلك نبى ، ولا تنافى بين الوزارة والنبوة .

/ ٦٩

ولما كانت الواو لا ترتب ، فلم يلزم من هذا أن يكون هذا الجمل بعد إزال الكتاب كما هو الواقع ، رتب عليه قوله : (فقلنا) أى بعد جعلنا له وزيراً . ولما كان المقصود هنا من القصة التسلية والتخويف ، ذكر حاشيتها^١ أولها وآخرها ، وهما إلزام الحجة والتدمير ، فقال : (اذهباً الى القوم) أى الذين فيهم قوة وقدرة على ما يعانونه^٢ وهم القبط (الذين كذبوا بآياتنا) أى المرتبة والمسموعة من الانبياء الماضين قبل إتيانكم فى عالم الشهادة ، والمرتبة والمسموعة منكم بعد إتيانكم فى الدنيا . فذهبوا إليهم فكذبوهم فيها^٣ 'أربابهم وأخبرهم' به من الآيات ،

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : لائنين (٢-٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : لانهم لا ينفعهم (٣) من مد ، وفى الأصل و ظ : ارساله (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : بعثنا (٥) سقط من ظ (٦) من مد ، وفى الأصل و ظ : حاشيتها . (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : التدمير (٨) فى ظ و مد : يعانونه (٩) موضعه بياض فى مد (١٠-١٠) من ظ و مد ، وفى الأصل : ادباهم وأخبرهم - كذا .

لما طعنهم عليه من الطبع المهيى لذلك .

ولما كان السياق للانذار بالفرقان ، طوى أمرهم إلا في عذابهم فقال :
(فدمرناهم) أى لذلك (تدميراً) باغراقهم أجمعين على يد موسى
عليه السلام فى البحر ، لم ينبق منهم أحداً مع ما أصبناهم به قبل ذلك
من المصائب ، مع اجتهد موسى عليه السلام فى إحيائهم بالإيمان ، الموجب
لإبقائهم فى الدارين ، عكس ما فعلنا بموسى عليه السلام من إنجائه من
الهلاك بالقائه فى البحر ، وإيقاعه بمن اجتهد فى إعدامه ، وجعلنا لكل
منهما حظاً من بحره " هذا ملح اجاج " هو غطاء جهنم ، " وهذا عذب
فراة " عنصره من الجنة ، فليحذر هؤلاء الذين تدعوهم من مثل ذلك
إن فعلوا مثل فعل أولئك .

١٠

ولما هدد المكذبين ، بأهلاك الأولين ، الذين كانوا أقوى منهم
وأكثر ، وقدم قصة موسى عليه السلام لمناسبة الكتاب فى نفسه أولاً ،
وفى تنجيئه ثانياً ، أتبعه أول الأمم ، لأنهم أول ، ولما فى عذابهم من
الهلول ، ومناسبة ما بينه وبين عذاب القبط ، فقال : (وقوم) أى
ودمرنا قوم (نوح لما كذبوا الرسل) بتكذيبهم نوحاً ، لأن من ١٥
كذب واحداً من الأنبياء بالفعل فقد كذب الكل بالقوة ، لأن

(١) من مد ، وفى الأصل و ظ : لم يبق (٢) فى ظ : احد (٣) من ظ و مد ،
وفى الأصل : انقايه (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : اعذابه (٥) من ظ
و مد ، وفى الأصل : يدعوهم (٦) فى ظ و مد : لتكذيبهم .

المعجزات هي البرهان على صدقهم ، و هي متساوية الأقدام في كونها خوارق ، لا يقدر على معارضتها ، فالتكذيب ' بشيء منها تكذيب بالجميع ' لأنه لا فرق ، و لأنهم كذبوا من مضى من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيما سمعوه من أخبارهم ، [و لأنهم عللوا تكذيبهم بأنه من البشر
 ٥ فلزمهم تكذيب كل رسول من البشر - ٢] .

و لما كان كأنه قيل : بأى شيء دمروا ؟ قال : (اغرقنهم) كما أغرقنا آل فرعون بأعظم مما أغرقناهم به (و جعلنهم) أى قوم نوح في ذلك (للناس ' آية ') أى علامة على قدرتنا على ما نريد من إحداث الماء و غيره ١ و إعدامه ٢ و التصرف في ذلك بكل ما نشاء ، و إنجاء من نريد بما أهلكنا به عدوه (و اعتدنا) أى هيأنا تهية قرية [جدا - ٣]
 و أحضرنا على وجه ضخم شديد تام التقدير ؛ و كان الأصل : لهم ، ولكنه أظهر تعميما و تعليقا للحكم بالوصف فقال : (للظالمين) [أى كلهم - ٣]
 في أى / زمان كانوا ، لأجل ظلمهم بوضعهم الأشياء في غير مواضعها ٤
 (عذابا اليما ج ٥) لاسيما في الآخرة .

/ ٦٩١

١٥ و لما ذكر آخر الأمم المهلكة بعامة ٦ و أولها ، و كان إهلاكها بالماء ، ذكر من بينها من ٧ أهلك بغير ذلك ، إظهارا للقدرة و الاختيار ، و طوى

(١) في ظ : و التكذيب (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : في الجميع (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : فإى (٥) من مد ، و في الأصل و ظ : زيد (٦ - ٦) سقط ما بين ارقين من ط (٧) من مد ، و في الأصل و ظ : موضعها (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : بعامة (٩) في ظ : من .

حرم

خبرهم بغير العذاب لأنه كما مضى في سياق الإنذار فقال : ﴿ و عادا ﴾
 أى و دمرنا عادا بالريح ﴿ و ثمودا ﴾ بالصيغة ^١ ﴿ و اصحب الرس ﴾ أى
 البئر التى هى غير مطوية ^٢ ؛ قال ابن جرير ^٣ : و الرس فى كلام العرب
 كل محفور مثل البئر و القبر و نحو ذلك . أى دمرناهم بالخشف
 ﴿ و قرونا بين ذلك ﴾ أى الامر العظيم المذكور ، و هو بين كل أمتين ه
 من هذه الأمم ﴿ كثيرا ه ﴾ و ناهيك بما يقول فيه العلى الكبير : إنه
 كثير ؛ أسند البغوى ^٤ فى تفسير " امة وسطا " فى البقرة عن أبى سعيد
 الخدرى رضى الله عنه قال : قام فىنا رسول الله صلى الله عليه و سلم
 يوما بعد العصر ، فأتى شينا إلى يوم القيامة إلا ذكره فى مقامه ذلك
 حتى إذا كانت الشمس على رؤس النخل و أطراف الحيطان قال ^٥ : أما
 أنه لم يبق من الدنيا فيما مضى إلا كما بقى من يومكم هذا ، ألا و إن
 هذه الأمة توفى سبعين أمة هى آخرها و أكرمها على الله عز و جل .
 أخرجه الترمذى ^٦ فى الفتن و أحمد ^٧ و الطبرانى - و ابن ماجه ^٨ فى الفتن
 أيضا لكن يعضه ^٩ - و ليس عند واحد منهم اللفظ المقصود من السبعين

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : للصيغة (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل :
 مطرمة - كذا (٣) راجع من تفسيره الجزء ١٩ / ٩ (٤) من ظ و مد ، و فى
 الأصل : بالقصف (٥) تكرر فى الأصل فقط بعد " بين ذلك " (٦-٧) من ظ
 و مد ، و فى الأصل : يقوله (٧) راجع معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ١ / ١٠١ .
 (٨) من المعالم ، و فى الأصول : فقال (٩) فى جامعه ٢ / ٢٦٦ (١٠) فى مسنده
 ٣ / ١٩ و ٦١ (١١) راجع من سننه ص ٢٩٧ (١٢) من ظ و مد ،
 و فى الأصل : بعضه .

أمة، وفي بعض ألفاظهم « وجعلنا نلتفت^١ إلى الشمس هل^٢ بقي منها شيء، وهذا يدل^٣ على أن الذي كان قد بقى من النهار نحو العشر من العشر، وهذا يقتضى إذا اعتبرنا ما مضى لهذه الأمة من الزمان أن يكون الماضى من الدنيا من خلق^٤ آدم عليه السلام في يوم الجمعة^٥ الذي هـ بلى^٦ الستة الأيام التي خلقت فيها السماوات والأرض أكثر من مائة ألف سنة - والله أعلم .

ولما قدم سبحانه أنه يأتي في هذا الكتاب بما هو الحق في جواب أمثالهم، بين أنه فعل بالجميع^٧ نحو من هذا، فقال^٨ تسلياً^٩ لنبه^{١٠} صلى الله عليه وسلم وتأسيساً وبياناً لتشریفه^{١١} بالعفو عن أمته : (وكلا)^{١٢} أى من هذه الأمم^{١٣} (ضربنا)^{١٤} بما لنا من العظمة (له الامثال) حتى وضح له السبيل، وقام - من غير شبهة - الدليل (وكلا تبرنا تقبراً)^{١٥} أى جعلناهم فتاتاً قطعاً بليغة التقطيع^{١٦}، لا يمكن غيرهما^{١٧} أن يصلها ويعيدها إلى ما كانت عليه قبل التفتيت .

(١) من ظ ومد و المراجع، وفي الأصل : يلتفت (٢) من ظ ومد والمراجع، وفي الأصل : هى (٣) فى ظ : الذى دل (٤) من ظ ومد، وفي الأصل : تخلق . (٥-٥) من ظ ومد، وفي الأصل : التى تلى (٦) من ظ ومد، وفي الأصل : ان (٧) من مد، وفي الأصل : فى الجميع، وفي ظ : الجميع امثالهم (٨-٨) من ظ ومد، وفي الأصل : لنبه تسلياً له (٩) من ظ ومد، وفي الأصل : لتشرية . (١٠-١٠) سقط ما بين الرقين من ظ (١١) زيد فى الأصل : وتكبير، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (١٢) من ظ ومد، وفي الأصل : غيرهما . ولا (٩٧) ٣٨٨

ولما ذكر الإهلاك بالماء وبغيره^١، وكان الإهلاك بالماء تارة بالبحر،
وتارة بالإمطار، وختم بالحسف، ذكر الحسف الناشئ^٢ عن الإمطار،
بمجازة النار، مع الغمر بالماء، دلالة على تمام القدرة، وباهر العظمة،
وتذكيرا^٣ بما يرويه كل قليل في سفرهم إلى الأرض المقدسة لمتجرهم،
وافتح القصة باللام المؤذنة بعظيم الاهتمام، مقرونة بحرف التحقيق، إشارة^٤
إلى أنهم لعدم الانتفاع بالآيات كالمكرين للحسوسات، وغير الأسلوب
تنبيها على عظيم الشأن وهذا للسامع فقال: (ولقد اتوا) أى هؤلاء
المكذبون^٥ من قومك، وقال^٦: (على القرية) - وإن كانت مدائن سبعا
/ أو خمسا كما قيل - تحقيرا لشأنها في جنب قدرته سبحانه، وإهانة لمن

٦٩٢ /

يريد عذابه، ودلالة على جمع^٧ الفاحشة لهم حتى^٨ كانوا كأنهم شيء^٩.
واحد كما دل عليه التعبير بمادة «قراء» الدالة على الجمع (التي أمطرت)
[أى -^{١٠}] وقع إمطارها بمن لا يقدر على الإمطار سواء بالحجارة،
ولذا قال: (مطر السوء^{١١}) وهى قرى قوم لوط، ثم خسف بها وغمرت
بما ليس فى الأرض مثله فى أنواع الخبث^{١٢}؛ قال البغوى^{١٣}: كانت خمس
قرى فأهلك الله أربعاً منها ونجت واحدة وهى أصغرهما^{١٤}، وكان أهلها ١٥

- (١) فى ظ: غيره (٢-٣) فى ظ: بالإمطار (٣) من ظ و مد، وفى الأصل:
تذكرا (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: المكذبين (٥) من ظ و مد، وفى
الأصل: قالوا (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: جميع (٧) زيد فى الأصل:
كانهم، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) زيد من ظ و مد (٩) من
ظ و مد، وفى الأصل: الخبيث (١٠) راجع العالم بهامش الباب ٨٤/٥ -
(١١) من العالم، وفى الأصل و ظ: صغيرة، وفى مد: صغر، وفى =

لا يعملون العمل الحثيث .

ولما كانوا يَمرون عليها في أسفارهم ، وكان من حقهم أن يعظوا
بجاهلهم ، فيرجعوا عن ضلالهم ، تسبب عن ذلك استحقاقهم للانكار
الشديد في قوله : ﴿ اظلم يكونوا ﴾ أى بما فى جبنائهم من الاخلاق
العالية ﴿ يرونها ﴾ أى فى أسفارهم إلى الشام ليعتبروا بما حل بأهلها من
عذاب الله فيتوبوا .

ولما كان التقدير : بل رأوها ، أضرب عنه بقوله : ﴿ بل ﴾ أى
لم يكن تكذيبهم بسبب عدم رؤيتها و عدم عليهم بما حل بأهلها ، بل
بسبب أنهم ﴿ كانوا ﴾ يكذبون بالقيامة كأنه لهم طبع .

١٠ ولما كان عود الإنسان إلى ما كان من صحته محبوبا له ، كان
ينبغي لهم لو عقلوا أن يعلقوا رجاءهم بالبعث لأنه ^٥ [لا - ^٤] رجوع
إلى الحياة ^٥ ، فهو كرجوع المريض لاسيما المدنف إلى الصحة ، فلذلك
قال معبرا بالرجاء تنبيها على هذا : ﴿ لا يرجون نشورا ﴾ بعد الموت
ليخافوا الله عز وجل فيخلصوا له فيجازيهم على ذلك ، لأنه استقر فى أنفسهم
١٥ اعتقادهم التكذيب بالآخرة ، واستمروا عليه قرنا بعد قرن حتى ^٦ تمكن
تمكنا ^٦ لا ينفع معه الاعتبار إلا لمن شاء الله .

= البحر المحيط ٤٩٩/٦ : زغر - نقلا عن ابن عباس رضى الله عنه .

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : أهلها (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ : يعقلوا .
(٣) فى ظ : لانهم (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) من ظ و مد ، وفى
الأصل : بالحياة (٦-٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : يمكن تمكيننا .

ولما

ولما أثبت تكذيبهم بالآخرة، عطف عليه تحقيقاً لقوله، مينا أنهم لم يقتصروا^١ على التكذيب بالممكن المحبوب حتى ضموا إليه الاستهزاء بمن لا يمكن أصلاً في العادة أن يكون موضعاً للهزة: (وإذا راوك) أى [مع - ٢] ما يعلمون من صدق حديثك وكرم أفعالك لو لم تأتهم بمعجزة، فكيف وقد أثبتهم بما يهر العقول (ان) أى ما (يتخذونك الهزواً) ه عبر بالمصدر^٢ إشارة إلى مبالغتهم في الاستهزاء مع شدة بعده صلى الله عليه وسلم عن ذلك، يقولون محقرين: (أهذا) و تهكموا مع الإنكار في قولهم: (الذى بعث الله) أى المستجمع لنعوت العظمة (رسولاً) فإخراجهم الكلام في معرض التسليم والإقرار - وهم في غاية الجحود - بالغ الذروة من الاستهزاء، فصار المراد عندهم أن هذا الذى ادعاه ١٠ من الرسالة [بما - ٢] لا يجوز أن يعتقد . ثم استأنفوا معجبين من أنفسهم، مخيلين غيرهم من الالتفات إلى ما يأتى به من المعجزات، قائلين: (ان) أى إنه (كاد) وعرف بأن* وإن، مخففة لنافية باللام فقال: (ليضلنا) أى بما يأتى به من [هذه - ٢] الخوارق التى لا يقدر غيره على مثلها، واجتهاده في إظهار النصيح (عن الهتنا) هذه التى ١٥ سبق إلى عبادتها من هو أفضل منا رأياً وأكثر للأمر تجربة . ولما كانت هذه^٣ العبارة مفهومة لمقاربة^٤ الصرف عن الأصنام ، / فقه بقولهم:

٦٩٣ /

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل: لم يقتصروا (٢) زيد من ظ و مد (٣) في ظ: المصدر (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل: بإخراجهم (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل: ان (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل: لمقابلة .

(لولا ان صبرنا) بما لنا من الاجتماع و التعاضد (عليها) أي على التمسك بعبادتها .

و لما لزم قولهم^١ هذا أن الأصنام تنقى عنهم ، فناه [مهددا -^٢]
 مؤكدا التهديد لفظاعة فعلهم بقوله ، عطفنا على ما تقديره^٣ : فسوف
 ٥ يرون - أو^٤ من يرى منهم - أكثرهم قد رجح عن اعتقاد أن^٥ هذه
 الأصنام آلهة : (و سوف يعلمون) أي في حال لا ينفعهم فيه العمل
 وإن طال مدة الإمهال و التمكين (حين يرون العذاب) أي في الدنيا
 و الآخرة (من اضل سبيلا) هم أو الداعي لهم إلى ترك الأصنام الذي
 ادعوا^٦ لإضلاله بقولهم^٧ " ليضلنا " .

١٠ و لما أخبره تعالى بحقيقة حالهم ، في ابتدائهم و مآلهم ، و كان ذلك
 بما يحزنه صلى الله عليه و سلم لشدة حرصه على رجوعهم ، و لزوم ما
 ينفعهم و اجتناب ما يضرهم ، سلاه^٨ بقوله معجبا من حالهم :
 (أرهيت من اتخذ) أي كلف نفسه أنه أخذ (الله هونه) أي أنهم
 حقروا الإله بأنزاله إلى^٩ رتبة الهوى "فهم لا يعبدون إلا الهوى ، وهو
 ١٥ ميل الشهوة و رمى " النفس إلى الشيء ، لا شبهة لهم أصلا في عبادة
 الأصنام يرجعون عنها إذا جلت ، فهم لا ينفكون عن عبادتها ما دام

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : لقولهم (٢) زيد من ظ و مد .
 (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : تقدم (٤) في ظ : أي (٥) سقط من ظ .
 (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : الدواعي (٧-٧) من ظ و مد ، وفي الأصل :
 ضلاله بقوله (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : تلاه (٩) من ظ و مد ، وفي
 الأصل : على (١٠) العبارة من هنا إلى إذا جلت ، ساقطة من مد (١١) من ظ ،
 وفي الأصل : رامي .

هوام موجوداً^١، فلا يقدر على كفهم عن ذلك إلا القادر على صرف تلك
 الأهواء، وهو الله وحده [و-^٢] هذا كما تقول^٣: فلان اتخذ سميره
 كتابه، أي أنه قصر نفسه على مسامرة الكتاب فلا يسامر غير الكتاب^٤،
 [وقد يشاركه في مسامرة الكتاب غيره، ولو قلت: اتخذ كتابه سميره،
 لانعكس الحال فكان المعنى أنه قصر نفسه على مطالعة السمر ولم
 ينظر في كتاب في وقت السمر -^٥] وقد يشاركه غيره في السمر،
 أو قصر السمر على الكتاب و^٦ الكتاب على السمر كما قصر الطين
 على الخزفة في قولك: اتخذت الطين خزفاً، فالمعنى أن هذا المذموم
 قصر نفسه على تأله^٧ الهوى^٨ فلا صلاح له ولا رشاد^٩ وقد يتأله الهوى
 غيره، ولو قيل: من اتخذ^{١٠} هواه^{١١} إلهه^{١٢}، لكان المعنى أنه قصر هواه على
 الإله^{١٣} فلا غنى له، لأن هواه تابع لأمر الإله، وقد يشاركه في تأله الإله
 غيره؛ قال أبو حيان^{١٤}: والمعنى أنه لم يتخذ إلهاً إلا هواه - انتهى .
 فلو عكس ل قيل: لم يتخذ هوى^{١٥} إلا إلهه^{١٦}، وهو إذا فعل ذلك فقد سلب نفسه
 الهوى فلم يعمل به إلا فيما^{١٧} وافق أمر إلهه^{١٨}، وبما يوضح لك^{١٩}

- (١) فظ: موجود (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، وفي الأصل:
 يقول (٤) في ظ و و (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: أو (٦) من مد، وفي
 الأصل: لا، وفي ظ: فما (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: ما له (٨ - ٩) في
 ظ: فالصلاح له والارشاد (١٠ - ١١) من ظ و مد، وفي الأصل: الله هواه .
 (١٠) زيد في الأصل: على الهوى، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فخذناها .
 (١١) راجع البحر المحيط ٦ / ٥٠١ (١٢) من ظ و مد، وفي الأصل: منها .
 (١٣) في ظ: ذلك .

انعكاس المعنى بالتقديم والتأخير أنك لو قلت : فلان اتخذ عبده أباه ،
 لكان معناه أنه عظم العبد ، ولو قيل : إنه اتخذ أباه عبده ، لكان معناه
 أنه أهان الأب ، وسواء في ذلك إتيانك به هكذا على وزن 'ما في'
 القرآن أو نكرت أحدهما ، فانك لا تجد ذوقك فيه يختلف في أنه إذا قدم
 الحقير شرفه ، وإذا قدم الشريف حقره ، وكذا^٢ لو قلت : اتخذ^٣ إصطبله^٤
 مسجدا أو صديقه أبا أو عكست ، ولو كان التقديم بمجرد العناية من غير
 اختلاف في الدلالة قدم في الجائبة الهوى ، فان السياق والسباق له ،
 وحاصل المعنى أنه اضمحل وصف الإله ، ولم يبق إلا الهوى ، فلو قدم
 الهوى لكان المعنى أنه زال وغلبت^٥ عليه صفة الإله ، ولم يكن النظر
 ١٠ إلا إليه ، ولا الحكم إلا له ، كما في الطين بالنسبة إلى الخزف سواء -
 والله أعلم .

ولما كان لا يقدر على صرف الهوى إلا الله ، تسبب عن شدة حرصه
 على هدام قوله : (أفات تكون) / ولما كان مراده صلى الله عليه وسلم
 حرصا عليهم ورحمة^٦ لهم ردهم عن الغي ولا بد ، عبر بأداة الاستعلاء
 ١٥ في قوله : (عليه وكيلا) أى من قبل الله بحيث يلزمك أن ترده
 عن هواه إلى ما أمر [به : ١٠] الله قسرا ، لست بوكيل ، ولكنك

/ ٦٩٤

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : كان معناه (٢ - ٢) تقدم ما بين الرقين في
 الأصل على « وزن » والترتيب من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل :
 لذا (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : احد (٥) في ظ : اصطبلك (٦) راجع آية ٢٣ .
 (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : غلب (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : له .
 (٩) من ظ و مد ، وفي الأصل : رحمه (١٠) زيد من ظ و مد .

رسول، ليس عليك إلا البلاغ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات .
ولما اتقى الرد عن الهوى قسرا بالوكالة، نفى الرد طوعا بتقيح الضلالة،
فذكر المانع منه بقوله معادلا لما قبله، منكرًا حسبانته^١، لا كونه هو
الحاسب، أو [أنكر -^٢] كونه هو الحاسب، مع ماله من العقل الرزين،
والرأى الرصين، ويكون " تحسب " معطوفا على^٣ " تكون " : هـ
(أم تحسب ان اكثرهم) أى هؤلاء المدعون^٤ (يسمعون) أى سماع
من ينزجر ولو كان غير عاقل كالبهائم (أو يعقلون^٥) ما يرون ولو
لم يكن لهم سمع حتى يطمع^٦ في رجوعهم باختيارهم من غير قسر .
ولما كان هذا الاستفهام مفيدا للنفي، أثبت ما أفهمه بقوله :

(أن) أى ما (هم الا كالانعام) أى فى عدم العقل لعدم الاتقاع ١٠
به (بل هم اضل) أى منها (سيلا) لأنهم لا ينزجرون^٧ بما يسمعون
وهى تنزجر^٨، ولا يشكرون للحسن وهو وليهم، ولا يخافون المسىء
وهو عدوهم، ولا يرغبون فى الثواب، ولا يخافون العقاب، وذلك
لأننا^٩ حجبنا شمس عقولهم بظلال الجبال الشامخة من ضلالهم، ولو آمنوا
لأنقشعت تلك الحجب، وأضاءت أنوار الإيمان، فأبصروا^{١٠} غرائب ١٥
المعاني، وتبدت لهم خفايا الأسرار " ان الذين آمنوا وعملوا الصلحت

(١) فى ظ : احسانه (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد فى الأصل وظ : ما، ولم
تكن الزيادة فى مد لحذفها (٤) فى ظ : المدعون (٥) من ظ و مد، وفى
الأصل : قطع (٦) من ظ و مد، وفى الأصل : لا يزجرون (٧) من ظ و مد،
وفى الأصل : تزجر (٨) من ظ و مد، وفى الأصل : لان (٩) فى ظ : بما بصروا .

يهدىهم ربهم بإيمانهم“ فكما أن الإنسان - وإن كان بصيرا - لا يميز بين المحسوسات ما لم يشرق عليها نور^١ الشمس، فكذلك الإنسان - وإن كان عاقلا ذا بصيرة - لا تدرك بصيرته المعاني المعلومات على ما هي عليه ما لم يشرق عليها نور الإيمان، لأن البصيرة عين الروح كما أن البصر عين الجسد؛ ولما^٢ كان [من المعلوم -^٣] أنهم يسمعون و^٤ يقولون وأن^٥ المنقى إنما هو انتفاعهم بذلك، كان موضع عجب من^٦ صرفهم عن^٧ ذلك، فعقبه سبحانه بتصرفه في الأمور الحسية مثالا^٨ للأُمور المعنوية، ولأن عمله في الباطن ينيره إذا شاء بشمس المعارف كعمله^٩ في الظاهر سواء، دليلا على سلبهم النفع بما أعطاهموه .

١٠ ولما بين جمود المعترضين على دلائل الصانع، و تنامي جهلهم، وفساد طريقهم، و كان المراد من العبد في تعرف ذلك أن ينظر في أفعال سيده بعين الحقيقة نظرا تفنى لديه الإغيار^١، فلا يرى إلا الفاعل المختار، خاطب رأس المخلصين الناظرين هذا النظر، حثا لأهل وده على مثل ذلك، فقال ذاكرا لأنواع من الدلائل الدالة على وجود الصانع، وإحاطة ١٥ عليه، وشمول قدرته، مشيرا إلى أن الناظر في هذا الدليل - لوضوحه في الدلالة على الخالق - كالناظر إلى الخالق، معبرا بوصف الإحسان

(١) من ظ و مد، وفي الأصل : انوار (٢) من ظ و مد، وفي الأصل : لو .
(٣) زيد من ظ و مد (٤) من مد، وفي الأصل و ظ : او (٥ - ٥) من ظ و مد، وفي الأصل : معرفتهم في - كذا (٦) من ظ و مد، وفي الأصل : شيئا لا (٧) في ظ : كعمله (٨) من ظ و مد، وفي الأصل : الاخبار .

تشويقاً إلى إدامة النظر إليه والإقبال عليه: (الم تر) وأشار
إلى عظم المقام وعلو الرتبة بحرف الغاية مع أقرب الخلق منزلة وأعلام
مقاماً فقال: (إلى ربك) أى المحسن / إليك، والأصل: إلى فعله،
و أشار إلى زيادة التعجب من أمره بجعله فى معرض الاستفهام فقال:
(كيف مد الظل) وهو ظله ما منع ملاقة نور الشمس، قال أبو عبيد: هـ
وهو ما تنسخه الشمس وهو بالقداة، والقى ما نسخ الشمس وهو
بعد الزوال. والظل هنا الليل لأنه ظل الأرض الممدود على قريب
من نصف وجهها مدة تحجب نور الشمس بما قابل قرصها من الأرض
حتى امتد بساطه، وضرب فسطاطه، كما حجب ظل ضلالم أنوار عقولهم،
و غلة طباعهم نفوذ أسماعهم (ولو شاء لجعله) أى الظل (ساكناً) ١٠
بإدامة الليل لا تذهب الشمس كما فى الجنة لقوله: و ظل ممدود. وإن
كان بينهما فرق، ولكنه لم يشأ ذلك بل جعله متحركاً بسوق الشمس له.
ولما كان إيجاد النهار بعد إعدامه، وتبيين الظل به غيب إيهامه، أمراً
عظيماً، وإن كان قد هان بكثرة الإلف، أشار إليه بأداة التراخي ومقام
العظمة فقال: (ثم جعلنا) أى بعظمتنا (الشمس عليه دليلاً) أى يدور ١٥
معهما حيثما دارت، فلولاً^١ هى ما ظهر [أن -] لشيء ظلاً، ولولا النور

(١) فى ظ: فى (٢) فى ظ: نفع (٣) راجع أيضاً البحر المحيط ٥/٣٠٦ (٤) من
ظ ومد، وفى الأصل: هو (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: وجهها.
(٦-٧) من ظ ومد، وفى الأصل: فان (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: لام.
(٨) من ظ ومد، وفى الأصل: ولولا (٩) زيد من ظ ومد.

ما عرف الظلام ، و الأشياء تعرف بأضدادها .
 و لما كانت إزالته شيئا فشيئا بعد مدة كذلك من العظمة بمكان .
 قال منها^١ على فضل مدخول^٢ ثم ، و ترتبه متصاعدا في درج الفضل ،
 فما هنا أفضل مما قبله ، و ما قبله أجل مما تقدمه ، تشبيها لتباعد ما بين
 ٥ المراتب الثلاث في الفضل بقباء^٣ ما بين الحوادث في الوقت :
 (ثم قبضته) أى الظل ، و القبض : جمع المنبسط (البناء) أى إلى
 الجهة التى يريدونها ، لا يقدر أحد غيرنا أن يحوله إلى جهة غيرها ؛ قال
 الرازى رحمه الله فى اللوامع : و هذه الإضافة لأن غاية قصر الظل عند
 غاية تعالى الشمس ، و العلو موضع الملائكة و جهة السماء التى فيها أرزاق
 ١٠ العباد ، و منها نزول الغيث و الغياث ، و إليها ترتفع^٤ أيدي الراغبين ،
 و تشخص أبصار الخائفين - انتهى . (قبضا يسيرا) أى هو - مع
 كونه فى القلة بحيث يعسر^٥ إدراكه حق الإدراك - سهل علينا ، و لم نزل
 ننقصه^٦ شيئا فشيئا حتى اضمحل كله ، أو إلا يسيرا ، ثم مددناه أيضا بسير
 الشمس و حجبا ببساط الأرض قليلا قليلا ، ألا فأولا بالجلال و الأبنية
 ١٥ و الأشجار ، ثم^٧ بالروابي^٨ و الآكام و الطراب و ما دون ذلك ، حتى تكامل
 كما كان ، و فى تقديره هكذا من المنافع ما لا يحصى ، و لو قبض لتعطلت
 (١) سقط من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لتباعد (٣) من
 مد ، و فى الأصل و ظ : ترتفع (٤) فى ظ : يسر (٥ - ٥) من ظ و مد ، و فى
 الأصل : لم يزل ينقصه (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل :
 بالروان .

أكثر 'منافع' الناس بالظل و الشمس' جميعا ، فالحاصل أنه يجعل بواطنهم مظلة بحجبها عن أنوار^٢ المعارف فيصرون كالمأشى في الظلام ، و يكون نفوذهم في الأمور الدنيوية كالمأشى بالليل في طرق قد عرفها و دربها بالتكرار ، و حديث على رضى الله عنه في الروح الذى مضى عنه ، و الطيبين للطيبين ، في النور^٣ شاهد حسي لهذا الأمر المعنوى - و الله الموفق . ٥

و لما تضمنت هذه الآية الليل و النهار ، قال مصرحا بها دليلا على الحق ، و إظهارا للنعمة^٤ على الخلق : ﴿ و هو ﴾ أى ربك و وحده ﴿ الذى جعل ﴾ و لما كان ما مضى في الظل أمرا دقيقا يخص به أهله ، و كان أمر الليل و النهار ظاهرا / لكل أحد ، عم فقال : ﴿ لكم أيل ﴾ ٦٩٦ /

أى الذى تكامل به مد الظل ﴿ لباسا ﴾ أى ساترا للأشياء عن^٥ الابصار ١٠ كما يستر اللباس ﴿ و النوم سباتا ﴾ أى [نوما و سكونا و راحة ، عبارة عن كونه موتا أصغر طويلا لما كان من الإحساس - ٧] ، قاطعا عما كان من الشعور و القلب ، دليلا لأهل البصائر على الموت ؛ قال البغوى^٦ و غيره : و أصل السبت القطع . و فى جعله سبحانه كذلك^٧ من الفوائد الدينية و الدنيوية ما لا يعد ، و كذا قوله : ﴿ و جعل النهار نشورا ﴾ أى ١٥

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل : مرافق الناس بالشمس و الظل (٢) زيد فى الأصل : الشمس ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٣) سقط من ظ . (٤) راجع ص ٢٤٦ (٥) فى ظ : لنعمة (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : من . (٧) زيد من ظ و مد (٨) فى العالم - راجع هامش الباب ٨٥/٥ (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : لذلك .

[حياة وحركة وتقلبا -^١] بما أوجد فيه من البقطة المذكورة^٢ بالبعث، المهيمة للقلب، برد ما أعدمه التوم من جميع الحواس، يحكى أن لقمان^٣ قال لابنه: كما تنام فتوقظ فكذلك، تموت فتنشأ^٤. [فآلية من الاحياء: ذكر السبات أولا دليلا على الحركة ثانيا، والنشور ثانيا دليلا على الطيق ه و السكون أولا -^١].

ولما دل على عظمته بتصرفه في المعاني بالإيجاد والإعدام، وختمه بالإماتة والإحياء بأسباب قريبة، أتبعه التصرف في الأعيان بمثل ذلك، دالا على الإماتة والإحياء بأسباب بعيدة، وبدأه بما هو قريب للطائفة من المعاني^٥، وفيه النشر الذي ختم به ما قبله، فقال: ﴿و هو﴾ أى ١٠ وحده ﴿الذى أرسل الريح﴾ فقراءة ابن كثير^٦ بالإفراد لإرادة الجنس، وقراءة غيره بالجمع أدل على الاختيار بكونها تارة صبا و^٨ أخرى دبورا^٩، ومرة شملا وكرة جنوبا وغير ذلك ﴿نشرا^{١٠}﴾ أى تبعث بأرواحها السحاب، كما نشر بالنهار أرواح الأشباح ﴿بين يدي رحمتي﴾ لعباده بالمطر.

١٥ ولما كان السحاب قريبا من الريح في اللطافة، والماء قريبا منها

(١) زيد من ظ ومد (٢) من مد، وفي الأصل و ظ: المذكورة (٣) ذكر قوله في البحر المحيط ٥٠٤/٦ و ٥٠٥ (٤) من البحر، وفي الأصول: كذلك. (٥) من ظ ومد والبحر، وفي الأصل: وتنشر (٦-٧) من ظ ومد، وفي الأصل: بالمعاني (٧) راجع نثر المرجان ٧١٠/٤ و ٧١١ (٨-٩) من ظ ومد، وفي الأصل: تارة وبوإذا (٩) وقراءة عاصم: بشرا - بالباء الواحدة.

ومسما عما تحمله الريح من السحاب « أتبعها به ، ولما كان في إزاله
منه الدلالة على العظمة بإجماده هنالك وإسماكه ثم إزاله في الوقت المراد
و المكان المختار على حسب الحاجة ما لا يخفى ، غير الأسلوب مظهرا للعظمة
قال : ﴿ وانزلنا من السماء ﴾ أي حيث لا نمسك [لاء - '] فيه
غير وسجانه (ماء) ثم أبدل منه يانا للنعمة به فقال : ﴿ طهورا لا ﴾ .
أي طاهرا في نفسه مطهرا غيره ، اسم آلة كالسحور والسنون لما يتسحر
به ويستن به ، ونقل أبو حيان عن سيويه أنه مصدر لتطهر المضاعف
جرى على غير فعله . وأما جعله مبالغة لطاهر فلا يفيد غير أنه بليغ
الطهارة في نفسه لأن قبله قاصر .

ولما كانت هذه الأفعال دالة على البعث لكن بنوع خفاء ، أتبعها ١٠
ثمرة هذا الفعل دليلا واضحا على ذلك ، فقال معبرا بالإحياء لذلك ، معللا
للظهور المراد به البعث عن جميع ما يدنس من ملوحة أو مرارة أو كبرية
ونحو ذلك مما يمنع كمال الانتفاع به : ﴿ لنحيي به ﴾ أي بالماء .

ولما كان المقصود بإحياء الأرض بالنبات إحياء البلاد لإحياء أهلها
قاله : ﴿ بلدة ﴾ ولو كان ملحا أو مرا أو مكبرتا لم تكن فيه قوة الإحياء . ١٥
ولما كره أن يفهم تخصيص البلاد ، أجرى الوصف باعتبار الموضع

(١) زيد من ظ ومد (٢) من ظ ومد ، وفي الأصل : يقسن (٣) راجع البحر
الحيط ٥٠٥/٦ (٤) في ظ : على (٥) من ظ ومد ، وفي الأصل : كان في .
(٦) في ظ ومد : البعد (٧) من ظ ومد ، وفي الأصل : يدانسه (٨) من ظ
ومد ، وفي الأصل : قال (٩) من ظ ومد ، وفي الأصل : يخصص .

ليعم كل مكان فقال: ﴿ميتا﴾ أى بما نحدث فيه من النبات بعد أن كان قد صار هشيماً ثم تراباً، ليكون ذلك آية بينة على قدرتنا على بعث الموق بعد كونهم تراباً .

ولما كان في مقام المظلمة، باظهار القدرة، زاد^١ على كونه آية على البعث باظهار الثبات الذى هو منفعة للرعى منقعة أخرى عظيمة الجدوى في الحفظ من الموت بالشرب كما كانت آية الإحياء حافظة بالآكل فقال: ﴿ونسقيه﴾ أى الماء، وهو^٢ / من أسقاه - مزيد سقاه، وهما لعتان . قال ابن القطاع^٣: سقيتك شراباً وأسقيتك، والله تعالى عباده وأرضه كذلك . ﴿بما خلقنا﴾ أى بعظمتنا .

/ ٦٩٧

١٠ ولما كانت النعمة في إنزال الماء على الأنعام [وأهل البوادي ونحوهم -^٤ أكثر، لأن الطير والوحش تبعد في الطلب فلا تعدم ما تشرب، خصها فقال: ﴿انعاما﴾ وقدم النبات لأن^٥ به حياة الأنعام، والآنعام لأن بها [كآل -^٦] حياة الإنسان، فاذا وجد ما يكفيها من السقي تجزأ هو بأيسر شيء، وأتبع ذلك قوله: ﴿واناسى كثيراً﴾ أى بحفظنا^٧ له في الغدران لأهل البوادي الذين يعدون عن الأنهار والعيون وغيرهم من أردنا، لأنه تعالى لا يسقى جميع الناس على حد سواء، ولكن يصيب

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: راداً (٢) في مد: هذا (٣) في كتاب الأفعال ١٦٢ / ٢ (٤) العبارة من هنا إلى « خصها فقال » ساقطة من مد (٥) زيد من ظ . (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: لانه (٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ و مد، وفي الأصل: لحفظنا .

بالمطر من يشاء، ويصرفه عن يشاء، و يسق بعض الناس من غير ذلك،
 ولذا ينكر^١ المذكورات كما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنها
 أنه قال^٢: "لمن عام بأمطر" من عام، ولكن الله قسم ذلك بين عباده
 على ما يشاء^٣ - وتلا هذه الآية . وقال البغوي^٤: وذكر ابن إسحاق
 وابن جرير ومقاتل وبلغوا به ابن مسعود رضي الله عنه يرفعه قال ليس
 من سنة بأمطر من أخرى، ولكن الله قسم هذه الأرزاق، فجعلها في السماء
 الدنيا في هذا القطر، ينزل منه كل سنة بكيل معلوم^٥ و وزن [معلوم - ^٦]،
 فاذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك إلى غيرهم، وإذا عصوا جميعا
 صرف الله تعالى ذلك إلى القياقي والبحار - انتهى . وكان السر^٧ في ذلك
 أنه كان من حقهم أن يطهروا ظواهرهم وبواطنهم، و يطهروا غيرهم ليناسبوا
 حاله في الطهورية، فلما^٨ تدنسوا بالقاذورات تسبوا في صرفه عنهم .
 ولما ذكر سبحانه أن^٩ من ثمرة إنزال القرآن نجوما لإحياء القلوب
 التي هي أرواح الأرواح، وأتبعه ما لاءمه^{١٠}، إلى أن ختم بما جعله سببا
 لحياة الأشباح، فكان "موضع التوقع" العود إلى ما هو حياة الأرواح،

(١) من مد، وفي الأصل و ظ : انكر (٢) راجع البحر المحيط ٥/٦٠٦ . حيث
 ذكر هذا القول (٣) في البحر : بأقل مطرا (٤-٤) من ظ و مد والبحر، وفي
 الأصل : كما شاء (٥) في المعالم - راجع هامش الباب ٨٦/٥ (٦-٦) من ظ
 و مد والمعالم، وفي الأصل : موزون (٧) زيد من ظ و مد والمعالم (٨) من ظ
 و مد، وفي الأصل : السير (٩) من ظ و مد، وفي الأصل : ولا (١٠) سقط
 من ظ (١١) من ظ و مد، وفي الأصل : الامة (١٢-١٢) من ظ و مد، وفي
 الأصل : موضع التوقع .

قال عاطفاً على متعلق "كذلك لتبعد" منها على فائدة أخرى لتنجيمه
أيضاً : ﴿ ولقد صرفناه ﴾ أي وجهنا القرآن : ﴿ كما قال ابن عباس
رضي الله عنهما ﴾ . إنه المراد منها ، و يؤيده ما بعده خروجها من الثياب ،
و طرقناه طرقات تعني أبواب اللسان ، في معان كثيرة جداً ﴿ بينهم ﴾
• في كل قطر عند كل قوم ﴿ لذكروا ﴾ بالآيات المسبوغة ما ذكرناه
في فطرم من الأدلة العقلية [والمؤيدة - ٦] بالآيات المرتبة [ولو على
أدنى وجوه التذكر المنجية لهم - بما أشار إليه الإدغام - ٦] .

ولما كان القرآن قائداً ولا بد لمن أنصف إلى الإيمان ، دل على
أن المتخلف عنه إنما هو معاند بقوله ٦ : ﴿ فاني ﴾ أي لم يرد ﴿ أكثر الناس ﴾
١٠ أي بعنادهم ﴿ إلا كفوراه ﴾ مصدر ' كفر ' مبالغة فيه .

[و - ٦] لما [كان - ٦] تمتهم بأن ينزل عليه ملك فيكون معه
نذيراً ، ربما أثار في النفس طلب إجابتهم إلى مقترحهم حرصاً على هدايتهم ،
فأولاً [إلى - ٦] أنه لا فائدة في ذلك بأن موازنة هارون لموسى
عليهما السلام لم تغن عن القبط شيئاً ١١ ، وثانياً بأن المدار في وجوب

التصديق للنذير الإتيان بما يعجز ، وكان / ذلك موجوداً في آيات القرآن ، ١٥ / ٦٩٨

(١) راجع البحر المحيط ٦ / ٥٠٦ (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : طرقنا .
(٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : يعي (٤) في ظ : الآيات (٥) في ظ : ذكرنا .
(٦) زيده من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : بتركه (٨) في ظ :
لعنادهم (٩) في ظ : مبالغة (١٠) سقط من ظ .

المصرة في كل زمان و مكان بكل بيان ، فكانت كل آية منه قائمة
 مقام نذير ، قال محيرا إلى أنه إنما ترك ذلك لحكم يعلمها : (ولو شئنا لبعثنا)
 أى بما لنا من العظمة و^١ هوذ الكلمة (في كل قرية نذيرا لـ) أى من
 البشر أو الملائكة أو غيرهم من عبادنا ، كما قسمنا المطر لأن الملك - كما
 قدمنا أول السورة - كله لنا ، ليس [لنا -] شريك يمنع من ذلك •
 بما^٢ له من الحق ، ولا ولد يمنع بما له من الدلة^٣ ، ولكننا لم نفعل لما في
 آيات^٤ القرآن من الكفاية في ذلك ، ولما في اقترادك بالدعوة من
 الشرف لك - و غير ذلك من الحكمة (فلا تطع الكافرين) فيما
 قصدوا من التفتير عن^٥ الدعاء به ، بما يدونه من المقترحات أو^٦ يظهرون
 لك من المداينة ، أو من القلق من صاعد الإنذار ، ويخيلون^٧ أنك لو أقلت^٨
 منه رجوا أن يوافقوك (وجاهدم) أى بالدعاء (به) أى القرآن^٩
 الذى تقدم التحديث^{١٠} عنه في "ولقد صرفناه" بابلاغ آياته مبشرة
 كانت أو منذرة ، والاحتجاج ببراهينه (جهادا كبيرا) جامعا لكل
 المجاهدات الظاهرة والباطنة . لأن في ذلك إقبال^{١١} كثير من الناس
 إليك واجتماعهم عليك ، فيتقوى أمرك ، ويعظم خطبك^{١٢} ، و تضعف^{١٣}

- (١) في ظ : في (٢) زيد من ظ و مد (٣) في ظ : لا (٤) من مد ، وفي الأصل :
 الدالة ، وفي ظ : الدل (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : ذلك من آية (٦) في ظ :
 من (٧) في ظ : و • (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : يجمعون (٩) من ظ
 و مد ، وفي الأصل : بالقرآن (١٠) من ظ و مد ، وفي الأصل : التحدث .
 (١١) من ظ و مد ، وفي الأصل : إقباله (١٢) في ظ : حظك .

شؤكهم، و تنكسر سورتهم :

و لما ذكر تصرف الفرقان^١ و نشره في جميع البلدان، بعد إثارة الرياح و نشر السحاب، و خلط الماء بالتراب، لجمع^٢ النبات و تفرقه، أتبعه - تذكيرا بالنعمة، و تحذيرا من إحلال النعمة - الحزبين^٣ أنواع الماء الذي لا أعظم امتزاجا منه، و جمع كل نوع منها على حدته، و منعه من أن يختلط بالآخر مع اختلاط الكل بالتراب المتصل بعضه ببعض - فقال عائدا إلى أسلوب الغيبة تذكيرا بالإحسان بالعطف [على ضمير الرب، في آية الظل - ٢] : (وهو) أي وحده (الذي مرج البحرين) أي^٤ المائتين الكثيرين الواسعين [بأن - ٢] جعلهما مضطربين كما تشاهدونه^٥ ١٠ من شأن الماء؛ و قال الرازي : خلى بينهما كأنه أرسلهما في^٦ مجاريهما كما ترسل الخيل في المرج، و أصل المرج يدل على ذهاب و مجيء و اضطراب و التباس .

و لما كان الاضطراب موجبا للاختلاط، وكانت^٧ الـ دائرة بين العهد و الجنس، تشوف السامع إلى السؤال عن ذلك، فأجيب بأن المراد ١٥ جنس الماء الحلو^٨ و المالح^٩، لأن البحر في الأصل الماء الكثير، و بانه سبحانه منعهما^{١٠} من الاختلاط، مع الموجب له في العادة، بقدرته الباهرة،

(١) من ظ و مد، وفي الأصل : بجميع (٢) من ظ و مد، وفي الأصل : بنى . (٣) زيد من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) من مد، وفي الأصل : يشاهدون، وفي ظ : يشاهدونه (٦) في ظ و و (٧) في ظ : من (٨ - ٨) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٩) في مد : منعها بهما - كذا .

و عظمت

و عظمت القاهرة، فقال: (هذا عذب) أى حلو سائغ (فرات) أى شديد العذوبة [بالغ الغاية فيها حتى يضرب إلى الحلاوة، لا فرق بين ما كان منه على وجه الأرض وما كان فى بطنها - '] (وهذا ملح) شديد الملوحة (اجاج ع) أى مر محرق بملوحته و مرارته، لا يصلح لسقى ولا شرب، ولعله أشار بأداة القرب فى الموضعين تبييناً على وجود الموضعين، مع شدة المقاربة، لا يلتبس أحدهما بالآخر حتى أنه إذا حفر على شاطئ البحر الملح بالقرب منه جداً خرج الماء عذبا^١ جدا (و جعل) أى الله سبحانه (بينهما برزخا) أى حاجزا / من ٦٩٩ / قدرته مانعا من اختلاطهما .

ولما كانا يلتقيان ولا يختلطان، كان كل منهما^٢ بالاختلاط فى ١٠ صورة الباغي^٣ على الآخر، فأتى سبحانه تقرير النعمة فى^٤ منعها الاختلاط بالكلمة التى جرت عادتهم بقولها عند التعوذ، تشبيها لكل منهما بالتعوذ، ليكون الكلام - مع أنه خبر - محتملا للتعوذ، فيكون من أحسن الاستعارات وأشهدها^٥ على البلاغة فقال: (و حجرا) أى منعاً (محجوراه) أى ممنوعاً من أن يقبل رفعا، كل هذا التأكيد إشارة إلى ١٥ جلالة هذه الآية وإن كانت قد صارت لشدة الألف بها معرضا عنها

-
- (١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: بملوحه - كذا .
 (٣-٣) فى ظ و مد: جدا منه (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: العذب .
 (٥-٥) من ظ و مد، وفى الأصل: فى صورة الاختلاط كالباغى (٦) فى ظ:
 من (٧) فى ظ و مد: أشهرها (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: متبعا .
 (٩) فى ظ: الاله .

إلى الغاية، لتعرف بها قدرته، و تشكر نعمه .

و لما ذكر تعالى قدرته في منع الماء من الاختلاط، أتبعه القدرة

على خلطه^١، لتلايظن أنه ممتنع، تقريراً للفعل بالاختيار، وإطلالاً للقول

بالطبايع، [فقال - ٢] معبراً بالضمير كما تقدمه^٢ حظاً على استحضار^٣

الافعال و الصفات التي تقدمت، لتعرف الحثية التي كرر الضمير لاجلها:

(و هو) أى وحده (الذى خلق من الماء) بخلطه مع الطين (بشرا)

كما تشاهدونه يخلق منه نباتاً و شجراً، و ورقاً و ثمراً^٤ (فجعله) أى

بعد ذلك بالتطوير^٥ في أطوار الخلقة، و التدوير في أدوار البرية (نسباً)

أى ذكرنا ينسب إليه (و صهراً^٦) أى أنثى يصاهر - أى يخاطب - بها

١٠ إلى الذكر، فقسم^٧ هذا الماء بعد التطوير^٨ إلى ذكر و أنثى كما جعل ذلك

الماء قسمين: عذبا و ملحاً، و خلط ماء الذكر بماء الأنثى متى أراد فصور

منه آدمياً، و منعه من ذلك إذا أراد، كما أنه ميز بين العذب و الملح

و يخلط^٩ بينهما إذا أراد بعلمه الشامل و قدرته التامة (و كان ربك)

أى المحسن إليك بارسالك و إنزال هذا الذكر إليك (قديراً^{١٠}) على كل

١٥ شئ. قدرته على ما ذكر من إبداع هذه الأمور المتباعدة من مادة واحدة

(١-١) من ظ و مد، و في الأصل: من خطه (٢) زيد من ظ و مد (٣) من

ظ و مد، و في الأصل: تقدمته (٤) من ظ و مد، و في الأصل: اختلاط .

(٥) في مد: تمراً (٦) في ظ: التطوير (٧) من ظ و مد، و في الأصل: قسم .

(٨) من ظ و مد، و في الأصل: التوير - كذا (٩) من ظ و مد،

و في الأصل: خلط .

فهو يوفق من يشاء فيجعله عذيب المذاق، سهل الأخلاق، ويخذل من يشاء فيجعله سرير^١ الأخلاق كثير الشقاق، أو ملتبس الأخلاق، عريفا في النفاق، فأرغب إلي هذا الرب الشامل القدرة، التام العلم .

ولما أثبت له بهذه الأدلة القدرة على كل شيء، قال معجبا منهم في موضع^٢ الحال من «ربك» عودا إلى تهجين سيرتهم في عبادة غيره، هـ معبرا بالمضارع، إشارة إلى أنهم لو فعلوا ذلك مرة لكان في غاية العجب، فكيف وهو على سبيل التجديد والاستمرار؟ وبصورا لحالهم زيادة في تبشيعها: (ويعبدون) أي الكفرة (من دون) أي ممن^٣ يعلون أنه في الرتبة دون (الله) المستجمع لصفات العظمة، بحيث أنه لا ضير ولا تقع إلا وهو يده .

١٠

ولما كان هذا السباق لتعداد^٤ نعمه سبحانه، وكان الحامل^٥ للإنسان على الإذعان رجاء الإحسان، أو خوف الهوان، وكان رجاء الإحسان^٦ مقبلا به^٧ إلى المحسن في السر^٨ والإعلان، قدم النفع فقال: (ما لا ينفعهم) أي بوجه .

ولما كان الخوف إنما يوجب الإقبال ظاهرا فقط، أتبعه قوله: ١٥

(ولا يضرهم) أي أصلا في / إزالة نعمة من نعم الله [عنهم - ٩]، ٧٠٠ /

- (١) من ظ و مد، وفي الأصل: موثر (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: موقع.
- (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: من (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: لتعدد.
- (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: الحاصل (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ.
- (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: إليه (٨) من ظ و مد، وفي الأصل: الستور.
- (٩) زيد من ظ و مد.

فلا أخف^١ عقلا بمن يترك من يده كل تقع و ضر وهو يتقلب في
نعمه ، في يقطعه و نومه ، و أمسه و يومه ، و يقبل على من لا تقع يده
ولا ضر أصلا ؛ و أظهر في موضع الضمير يانا للوصف الحامل على^٢ ما
لا يفعله^٣ عاقل ، و أفرد تحقيرا لهم فقال : (و كان الكافر) مع عليه
٥ بضعفه و عجزه .

و لما كان الكافر لا يمكن أن يضاف مسلما ما دام كافرا ، و كانت
مضافاته لغيره حاصلة إما بالفعل أو بالقوة ، عدت مصارمته لغيره عدما ،
فكانت مصارمته^٤ خاصة بأولياء الله ، و كان ذلك أشد لئمه ، دل عليه
بتقديم الجار فقال : (على ربه) أى المحسن إليه [لا غيره -^٥] (ظهوره)
١٠ معينا لشياطين الإنس و الجن على أولياء الله ، و التعبير بـ « على » دال على
أنه - [و -^٦] إن كان مهينا في نفسه حقيرا - فاعل فعل العالى على الشيء
القوى الغليظ الغالب له ، المعين عليه ، من قولهم : ظهر الأرض^٧ - لما
علا منها و غلظ ، و أمر ظاهر لك ، أى غالب ، و الظاهر : القوى و المعين ،
و ذلك لأنه يجعل لما يعبد من الأوثان نصيبا مما تفرده^٨ الله بخلقها ، ثم
١٥ يجعل لها أيضا بعض ما كان سماه الله ، و يعاند أولياء الله من الأنبياء
و غيرهم ، و ينصب لهم المكاييد و الحروب ، و يؤذيهم بالقول و الفعل ، مع
عليه بأن الله معهم لما يشاهدونه من خرقه لهم العوائد ، فكان هذا فعل من

(١) من ظ ، و فى الأصل و مد : استخف - كذا (٢-٢) فى ظ : من لا يفعله ، و فى
مد : ما يفعله (٣-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٤) زيد من ظ و مد .
(٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : افرده .

لا يعبأ بالشئ " لقد استكبروا في انفسهم و عتوا عتوا كبيرا " ،
 " ان لا تعلموا على الله " و هو في الحقيقة تهكم بالكفار ، لانهم يفعلون
 ما يلزم عليه هذا اللازم الذى لا يدور فى خلد عاقل .

و لما كان التقدير تسلية له صلى الله عليه وسلم : فالزم ما تأمرك
 به و لا يزد هتك بردم عمام فيه ، فانا ما أرسلناك عليهم وكيلا ، عطف م
 عليه قوله : (و ما أرسلناك) أى بما لنا من العظمة .

و لما كان سياق السورة للانذار ، لما ذكر فيها من سوء 'مقالمهم' ،
 و قبح أفعالهم ، حسن التعبير ' فى البشارة بما يدل ' على كثرة الفعل ،
 و يفهم كثرة ' المفعول ، بشارة بكثرة المطيع ، و فى النذارة بما يقتضى
 أن يكون ' صفة لازمة فقال : (الا مبشرا) أى لكل من يؤمن (و نذيرا) ١٠
 لكل من يعصى .

و لما وقع جوابهم عن ' قولهم " لو لا انزل اليه ملك " و كان قد
 بقى قولهم " او يلقى اليه كنز " أشير إلى مزيد الاهتمام [بجوابه - ٧]
 بابرازه فى صورة الجواب لمن كأنه قال : ما ذا يقال لهم إذا تظاهروا
 و طعنوا فى الرسالة بما تقدم ' و غيره ؟ فقال : (قل) أى لهم يا أكرم الخلق ١٥
 حقيقة ، و أعد لهم طريقة ١٠ محتجا عليهم بازالة ما يكون موصفا للثمة ١ :

(١) فى ظ : ثر (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : للتعبير (٣) فى ظ : دل .
 (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : كرة (٥) فى مد : تكون (٦) فى ظ : من .
 (٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : كان (٩) من ظ و مد ،
 وفى الأصل : يقدم (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد .

(مَا اسْتَلْكُم عَلَيْهِ) أى على الإبلاغ بالبشارة والنبذارة (من اجر) لتتهموني أنى^١ أدعوكم لأجله، أو تقولوا: لو لا ألقى إليه كنز لغنى به عن ذلك، فكأنه يقول: الاقتصار عن^٢ التوسع فى المال إنما يكره لمن يسأل^٣ الناس، وليس هذا من شئى قبل النبوة فكيف بما بعدهما؟ فلا غرض لى حيثن^٤ إلا تفعم^٥: ثم أكد هذا المعنى بقوله، مستثنيا لأن الاستثناء معيار العموم / : (الا من) أى إلا، أجر من (شَاء ان يتخذ) أى يكلف نفسه ويخاله هواه ويجعل له (الى ربه سيلا) فانه إذا اهتدى بهداية ربه كان لى مثل أجره، لا تفعم لى من جهتم إلا هذا، فإن سميت هذا أجرا فهو مطلوبى. ولا مرية ١٠ فى أنه لا ينقص أحدا شيئا من دنايه، فلا ضرر على أحد فى طى الدنيا عى، فأفاد هذا قائدين: إحداهما أنه لا طمع له أصلا فى شىء. ينقصهم^٦، والثانية إظهار الشفقة البالغة بأنه يعتد بمنفعتهم الموصلة لهم إلى ربهم ثوابا لنفسه.

ولما كان المقصود ردهم^٧ عن عنادهم، وكان ذلك فى غاية الصعوبة، ١٥ وكان هذا الكلام لا يرد متعتهم - وهم^٨ الأغلب - الذين تخشى غائلتهم،

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: ان (٢) فى ظ و مد: على (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: ليسال (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: لا (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: أحدهما (٦) سقط من: ظ و مد (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: ينفعهم (٨) فى ظ: يردهم (٩) فى ظ: هو.

عطف على " قل " قوله : (وتوكل) أى أظهر العجز والضعف واستسلم واعتمد في أمرك [كله -^١] ، ولا سيما في مواجهتهم بالإندار ، وفي ردهم عن عنادهم^٢ .

ولما كان الوكيل يحمل عن الموكل ثقل ما أظهر له عجزه فيه^٣ ويقوم بأعبائه حتى يضير كفى يحمل عن آخر عينا محسوسة لا يصير^٤ له^٥ عليه شيء منها أصلا ، عبر بحرف الاستعلاء تمثيلا لذلك^٦ فقال : (على الحى) ولا يصح التوكل عليه إلا بلزوم طاعته والإعراض عما سواها .

ولما كان الأحياء من المخلوق يموتون ، بين أن حياته ليست كالحياة غيره فقال : (الذى لا يموت) أى فلا ضياع لمن^٧ توكل عليه أصلا ، ١٠ بل هو المتولى لمصالحه في حياته وبعد مماته ، ولا تلتفت^٨ إلى ما سواه بوجه فانه هالك (ونسج بمحمد) أى تزهه عن كل قصص مثبته له كل كمال . ولما كان المسلم ربما وقع في فكره أن من سلاه إما غير قادر على نصره ، أو غير عالم بذنوب خصمه ، وكان السياق للشكاية من^٩ إعراض المبلغين عن القرآن ، وما يتبع ذلك من الأذى ، أشار بالعطف ١٥ على غير مذكور إلى أن التقدير : فكفى به لك نصيرا ، وعطف عليه :

- (١) زيد من ظ ومد (٢) في ظ : عبادتهم (٣) من ظ ومد ، وفي الأصل : منه (٤) سقط من مد (٥) في ظ : بذلك (٦) في ظ ومد : على من (٧-٧) من مد ، وفي الأصل : فلا يلتفت ، وفي ظ : ولا يلتفت (٨) من ظ ومد ، وفي الأصل : عن (٩) سقط من ظ .

(وكنى) وعين الفاعل وحققه بادغال الجار عليه فقال:
 (به بذنوب عباده) أى وكل ما سوام عباده (خيرا) لا يخفى عليه
 شئ منها وإن دق؛ ثم وصفه بما يقتضى أنه - مع ما له من عظيم القدرة
 بالملك والاختراع - متصف بالآناة وشمول العلم وحسن التدبير
 ٥ [ليتأتى به المتوكل عليه -] قال: (الذى خلق السموات والأرض)
 أى على عظيمهما (وما بينهما) من الفضاء والعناصر والعباد وأعمالهم
 من الذنوب وغيرها "الإيمل من خلق" وقوله: (فى ستة أيام)
 تعجيب للنفى الجاهل، وتدريب للفظن العالم فى الحلم والآناة
 والصبر على عباد الله فى دعوتهم إلى الله، وتذكير بما له من عظيم
 ١٠ القدرة وما يلزمها من شمول العلم، والمراد بقدار ستة من أيامنا، فإن
 الأيام ما حدثت إلا بعد خلق الشمس، والإقرار بأن تخصيص هذا
 العبد لداعى حكمة عظيمة، وكذا جميع أفعاله وإن كنا لا ندرك ذلك،
 هو الإيمان، وجعل الله الجمعة عبدا للسليمن لأن الخلق اجتمع فيه بخلق
 آدم عليه السلام [فيه -] فى آخر / ساعة .

/ ٧٠٢

١٥ ولما كان تدبير هذا الملك أمرا باهرا، أشار إليه بأداة التراخي
 فقال: (ثم استوى على العرش) أى شرع فى التدبير لهذا الملك

(١) زيد من ظ ومد (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: الفاعل - كذا .
 (٣) من مد، وفى الأصل: للنفى، وفى ظ: للنفى (٤) من ظ ومد، وفى
 الأصل: تدرب (٥) من مد، وفى الأصل وظ: الحكم (٦) من ظ ومد، وفى
 الأصل: يلزمها (٧) فى ظ: تخلق (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: بهاءه .

الذى

الذى اخترعه وأوجده، وم وذوهم [من جملة - '] كما يفعل
الملوك في ممالكهم^٢، لا غفلة عنده^٣ عن شيء أصلا، ولا تحدث فيه ذرة من
ذات أو معنى إلا بخلق جديد منه سبحانه، ردا على من يقول من اليهود
وغيرهم: إن ذلك إنما هو بما دبر في الأزل من الأسباب^٤، وأنه الآن
لا فضل له .

٥

ولما كان المصطفى إذا علم بعضيان من يعصيه وهو قادر عليه
لم يمهله، أشار إلى أنه على غير ذلك، حاضا على الرفق، بقوله: (الرحمن)
أى الذى سبقت رحمته غضبه، وهو يحسن إلى من يكفره، فضلا عن
غيره، فأجدر عباده بالتخلق بهذا الخلق رسله، والحاصل أنه أبداع هذا
الكون وأخذ في تديره بعموم الرحمة في إحسانه لمن يسمعه يسيبه^٦ .
بالنسبة له^٧ إلى الولد، ويكذبه^٨ فى أنه^٩ يعيده كما بدأه، وهو سبحانه
قادر على الانتقام منه بخلاف^{١٠} ملوك الدنيا فانهم لا يرحون من يعصيه
مع عجزهم .

ولما كان العلم لازما لللك، سبب عن ذلك قوله على طريق
التجريد: (فصل به) أى بسبب سؤالك إياه (خيرا) عن^{١١} ١٥

(١) زيد من ظ ومد (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: ممالكهم (٣) سقط
من ظ (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: الاشياء (٥) من ظ ومد، وفى
الأصل: الى (٦) فى مد: يشبه - كذا (٧) فى ظ: الى (٨-٩) من ظ
ومد، وفى الأصل: بانه (٩) زيد فى ظ: ملك (١٠) فى ظ: على .

هذه الأمور وكل أمر تريده لينخبرك^١ بحقيقة أمره ابتداءً وحالا ومآلا،
فلا يضيق صدرك بسبب هؤلاء المدعويين، فأنه ما أرسلك إليهم
إلا وهو عالم بهم، فسيعلى كعبك عليهم، ويحسن لك العاقبة.

ولما ذكر إحسانه إليهم، وإنعامه عليهم، ذكر ما أبدوه من كفرهم
في موضع شكرهم فقال^٢: (واذا قيل لهم) أى هؤلاء الذين يتقلبون
في نعمه، ويغذونهم بفضله وكرمه، من أى قائل كان: (اسجدوا)
أى اخضعوا بالصلاة وغيرها (للرحمن)^٣ الذى لا نعمة لكم إلا منه
(قالوا) قول عال متكبر كما تقدم فى معنى "ظهيرا": (وما الرحمن)
متجاهلين عن معرفته فضلا عن كفر نعمته معبرين^٤ بأداة ما لا يعقل^٥؛
١٠ [وقال ابن العربى: إنهم إنما عبروا بذلك إشارة إلى جهلهم الصفة،
دون الموصوف - °]. ثم عجبوا من أمره بذلك منكرين عليه، بقولهم:
(انسجد لما تأمرنا) فعبروا عنه - بعد التجاهل فى أمره والإنكار على
الداعى إليه - أيضا بأداة ما لا يعقل (وزادهم) هذا الأمر الواضح
المقتضى للاقبال والسكون شكرا للنعم وطمعا فى الزيادة (فتورا^٦)
١٥ لما عندهم من الحرارة الشيطانية التى تؤزهم أزا، فلا نفرة توازى هذه
النفرة، ولا ذم^٧ أبلغ منه.

ولما ذكر حال النذير الذى ابتداءً به السورة فى دعائه إلى الرحمن

(١) فى ظ: لينخبرك (٢) سقط من ظ (٣) زيد فى الأصل: أى، ولم تكن
الزيادة فى ظ ومد لحذفها (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: معتبرين (٥) زيد
من ظ ومد (٦-٧) من ظ ومد، وفى الأصل: لازم.

الذى لو لم يدع إلى عبادته لإلراحانيته لكفى ، فكيف بكل صفة ' جمال و جلال ' ، فأنكروه ، اقتضى الحال أن^٢ يوصل به إثباته بإثبات ما هم عالمون به من آثار رحانيته . ففصل ما أجل بعد ذكر حال النذير ، ثم من الملك ، مصدرأ له بوصف الحق الذى جعله مطلع السورة راداً لما تضمن إنكارهم من قبه فقال : (تَبْرِك) أى ثبت ثباتاً لا نظير له ه (الذى جعل فى السماء) التى قدم أنه اخترعها (بروجاً) وهى اثنا عشر برجاً ، [هى - ٢] للكواكب ، السيارة / كالمنازل [لأهلها - ٢] ، سميت بذلك لظهورها ، وبنى عليها أمر الأرض ، دبر بها فصولها ، وأحكم بها معاش أهلها .

٧٠٣ /

ولما كانت البروج على ما تعهد لا تصلح إلا بالنور^٣ ، ذكره معبراً ١٠ بلفظ السراج فقال : (و جعل فيها) أى البروج (سراجاً) أى شمساً ، وقرأ حمزة و الكسائى^٤ بصيغة الجمع للتنبيه على عظمتها فى ذلك ، بحيث أنه أعظم من ألوف ألوف من السراج^٥ ، فهو قائم مقام الوصف كما قال فى الذى بعده : (وقرأ منيراً) أى - بتنقلها فيها وبغير ذلك

(١-١) من ظ ومد ، وفى الأصل : جمال و كمال و جلال (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : بان (٣) زيد من ظ ومد (٤) فى ظ : الكواكب (٥) سقط من ظ . (٦-٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : دبرها (٧) زيد فى الأصل : جعله ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفنا (٨) راجع ثر المرجان ٧٢١/٤ (٩) زيد فى الأصل : فقال ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفنا (١٠) من ظ ومد ، وفى الأصل : السراج (١١) فى ظ : ثم .

من أحوالهما - التدبير -، أى أن العلم بوجوبه^١ لا شك فيه، فكيف يشك عاقل في وجوده^٢ أو في رحابته^٣ بهذا العالم العظيم المتقن الصنع الظاهر فيه أمر الرحانية .

ولما ذكر الآيتين، ذكر ما هما^٤ آياته فقال: (وهو الذى جعل اليل) ٥
 أى الذى آيته القمر (و النهار) الذى آيته الشمس (خلفة) أى ذوى حالة معروفة في الاختلاف، فيأتى هذا خلف ذاك، بضد ما له من الأوصاف، ويقوم مقامه في كثير من المرادات، والأشياء المقدرات، ويعلم قدر التسامح فيها، ومن فاته شيء من هذا قضاء في ذاك؛ قال ابن جرير^٥: والعرب تقول: خلف هذا من كذا خلفه، وذلك إذا جاء شيء مكان شيء ذهب قبله . وفي القاموس^٦ أن الحلف والخلفة - بالكسر: المختلف . فعلى هذا يكون التقدير: جعلهما مختلفين في النور والظلام، والحر والبرد، وغير ذلك من الأحكام . وقال الرازى في اللوامع: يقال: الأمر بينهم خلفه، أى نوبة، كل واحد يخلف صاحبه، والقوم خلفه، أى مختلفون .

١٥ ولما كان الذى لا يتنفع بالشيء كالعادم لذلك الشيء، خص الجعل بالمجتنى للثمرة فقال: (لمن اراد ان يذكر) أى يحصل له تذكر ولو على أدنى الوجوه - بما دل عليه الإدغام في قراءة الجماعة^٧ بفتح الذال

(١) في ظ: بوجوه (٢-٢) في ظ: ١- في روحانيته (٣) في ظ: سمي (٤) راجع من تفسيره الجزء ١٩ / ١٩ (٥) ١٣٢ / ٣ (٦) من ظ ومد والقاموس، وفي الأصل: الحلف (٧) راجع ثر المرجان ٧٢٢ / ٤ .

و الكاف مشددتين^١، لما يدل^٢ عليه عقله من أن التغير على هذه الهيئة العظيمة لا يكون بدون مغير قادر عظيم القدرة مختار، فيؤديه تذكره إلى الإيمان إن كان كفورا، وقراءة^٣ حمزة بالتخفيف من الذكر تشير إلى أن ما يدلان عليه من تمام القدرة وشمول العلم الدال قطعاً على الوحداية على غاية من الظهور، لا يحتاج إلى فكر، بل تحصل بأدنى التفات هـ
(أو اراد شكوراه) أى شكرا بليغا عظيما لنعم الله لتحمله بإرادته [تلك - ٤]
على الشكر إن كان مؤمنا، بسبب ما أنعم به ربه من الإتيان بكل منهما بعد هجوم الآخر لاجتماع ثمراته، ولو جعل أحدهما دائما لفاتت مصالح الآخر، ولحصلت السآمة به، والملل منه، والتواني في الأمور المقدرة بالآوقات، والكسل وقر العزم^٥ الذى إنما يثيره لتداركها دخول وقت ١٠
آخر، وغير ذلك من الأمور التى أحكمها العلى الكبير .

ولما ذكر عباده الذين خذلهم بتسليط الشيطان عليهم [فصاروا حزب الشيطان - ٤]، ولم يضيفهم إلى اسم من أسمائه، إيذانا باهاتهم لهوانهم عنده، وهم / الذين صرح بهم قوله أول السورة "نذيرا" وختم بالتذكر والشكر إشارة إلى عباده الذين أخلصهم لنفسه، وأشار إليهم ١٥
سابقا بتخصيص الوصف بالفرقان، فأتبع ذلك ذكرهم، فقال عاطفا على جملة الكلام فى قوله "وإذا قيل لهم" [لكنه - ٤] رفعهم بالابتداء

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: المشددتين (٢) فى ظ: يدل (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: قرا (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ: اخر (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: العموم .

تشریفاً لهم : ﴿ وعباد ﴾ و يجوز أن يقال و لعله أحسن : إله سبحانه
لما وصف الكفار في هذه السورة بما وصفهم به من الغفظة و الغلظة
على النبي صلى الله عليه وسلم ، و عداوتهم له ، و مظاهرتهم على خالقهم ،
و نحو ذلك من جلافتهم ، و ختم بالتذکر^١ و الشکر ، و كان التقدير :
٥ فعباد الشيطان لا يتذكرون^٢ و لا يشكرون ، لما لهم من القسوة ، عطف على
هذا المقدر أضدادهم ، و اصفاهم بأضداد أوصافهم ، مبشراً لهم بضد
جزائهم ، فقال : [وعباد - ٣] ﴿ الرحمن ﴾ فأضافهم إليه رغبة لهم و إن كان
كل الخلق عباده ، و أضافهم إلى [صفة - ٣] وصف الرحمة الأبلغ الذي
أنكره أولئك تبشيراً لهم ؛ ثم وصفهم بضد ما وصف به المتكبرين
١٠ عن السجود^٤ ، إشارة إلى أنهم تخلقوا^٥ من هذه الصفة التي أضيفوا إليها
بأمر كبير^٦ ، فقال : ﴿ الذين يمشون ﴾ و قال : ﴿ على الارض ﴾^٧
تذكيراً بما هم منه و ما يصيرون إليه ، و حثاً على السعي في معالي الاخلاق
للترقي عنه ؛ و عبر عن حالهم بالمصدر مبالغة في اتصافهم بمدلوله حتى
كانوا إياه ، فقال : ﴿ هونا ﴾ أي^٨ ذوى هون ، أي لين و رفق و سكينه
١٥ و وقار و إخبات و تواضع ، لا يؤذون أحداً و لا يفخرون ، رحمة لأنفسهم
و غيرهم ، غير متابعين ما^٩ هم فيه^٩ من الحرارة الشيطانية ، فبرأوا من

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : بالتذكير (٢) في ظ : لا يذكر
(٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : السجود (٥) من ظ و مد ،
وفي الأصل : يخلقوا (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : كثير (٧) زيد في ظ : أي .
(٨) في مد : أو (٩ - ٩) من ظ و مد ، وفي الأصل : نهم .

حظوظ الشيطان، لأن من كان من الأرض وإليها يعود لا يليق به^١ إلا ذلك، والاحسن أن يجعل هذا خبر "العباد"، ويكون "اولئك يحجزون الغرفة"، استثناء متشوقاً إليه تشوف^٢ المستنجد إلى النتيجة .

ولما ذكر ما أثمره لهم العلم من الفعل في أنفسهم، أتبعه ما أنتجه الحلم^٣ من القول لغيرهم فقال: ﴿واذا﴾ دون "إن" لفضاء العادة بتحقيق ه مدخولها، ولم يقل: و الذين - كسبية المعطوفات، لأن الخصلتين كشىء واحد من حيث رجوعهما^٤ إلى التواضع ﴿خاطبهم﴾ خطاباً ما، بجهل أو غيره [و-^٥] في وقت ما ﴿الجهلون﴾ أى الذين يفعلون^٦ ما يخالف العلم والحكمة ﴿قالوا سلماً﴾ أى ما فيه سلامة من كل سوء، وليس المراد التحية - نقل ذلك سيوي^٧ عن أبى الخطاب، قال: لأن^٨ الآية ١٠ فيما زعم مكية، ولم يؤمر^٩ المسلمون يومئذ أن يسلبوا على المشركين، ولكنه على قولك: تسلم^{١٠} لا خير بيننا وبينكم ولا شراً - انتهى . فلا حاجة إلى ادعاء نسخها بآية القتال ولا غيرها، لأن الإغضاء عن^{١١} السفهاء

- (١) فى ظ : بها (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : متشرفاً (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : تشرف (٤) تقدم فى الأصل على ه فى أنفسهم ،، والترتيب من ظ و مد (٥) فى ظ : الحكم (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : القضا (٧) فى ظ : رجوعهم (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : يفتنون . (١٠) راجع كتابه ١ / ١٦٣ و ١٦٤ (١١) فى ظ و مد : ان (١٢) من ظ و مد و الكتاب ، وفى الأصل : لم تومن (١٣) من ظ و مد و الكتاب ، وفى الأصل : اسلمها (١٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : ولا (١٥) فى ظ : من .

وترك المقابلة مستحسن في الأدب و المروءة و الشريعة، و أسلم للعرض
و الورع، و كأنه أطلق الخطاب إعلاما بأن أكثر قول الجاهل الجهل .
و لما ذكر ما بينهم و بين الخلق من القول و الفعل، و كان الغالب
على ذلك أن يكون جلوة نهارا، ذكر ما بينهم و بين خالقهم من ذلك
٧٠٥ / ٥ خلوة ليلا، و ذكر هذه المعطوفات / التي هي صفات بالواو، تنبئها على
أن كل واحدة منها تستقل بالقصد لعظم خطرهما، و كبر أثرهما، فقال :
(و الذين يبيتون) 'من البيوتة : أن يدركك الليل نمت أو لم تم، و هي
خلاف الظلول'؛ و أفاد الاختصاص بتقديم (لربهم) أى المحسن إليهم
برحمانيته، 'يحيون الليل' رحمة لأنفسهم، و شكرا لفضله .

١٠ و لما كان السجود أشد أركان الصلاة تقريبا إلى الله، لكونه أنهى
الخضوع [مع أنه الذى أباه الجاهلون، قدمه لذلك و ليعلم بادئ بدء أن
القيام فى الصلاة - ٢] فقال : (سجدا) و أتبعه ما هو تلوه فى المشقة
تحقيقا لأن السجود على حقيقته فيتمحص الفعلان للصلاة، فقال :
(و قياما) أى و لم يفعلوا فعل الجاهلين من التكبر عن السجود، بل
١٥ كانوا - كما قال الحسن رحمه الله - : نهارهم فى خشوع، و ليالهم فى خضوع .
و لما ذكر تهذيبهم لأنفسهم للخلق و الخالق، أشار إلى أنه لا إعجاب
عندهم، بل هم وجلون، و أن الحامل لهم على ذلك الإيمان بالآخرة التى
(١ - ١) وقع ما بين الرقين فى الأصل موضع « يحيون الليل »، و الترتيب
من ظ و مد (٢ - ٢) وقع ما بين الرقين فى الأصل موضع « من البيوتة
خلاف الظلول »، و الترتيب من ظ و مد (٣) زيد من ظ و مد.

كذب

كذب بها الجاهلون "يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون"
 و قدموا الدعاء بالنجاة اهتماما بديره المفسدة ، و إشعارا بأنهم مستحقون
 لذلك و إن اجتهدوا ، لتقصيرهم عن أن يقدروه سبحانه حق قدره^١ فقال :
 ﴿والذين يقولون ربنا﴾ أى^٢ أيها المحسن إلينا ﴿أصرف عنا عذاب جهنم^٣﴾
 الذى أحاط [بنا - ٢] لاستحقاقنا إياه إلا أن يتداركنا عفوك و رحمتك ، ه
 بما توقعنا له^٤ من لقاء من يؤذينا بطلاقة الوجه ، لا بالنجهم ، ثم علل
 سؤالهم^٥ بقولهم : ﴿ان عذابها كان﴾ أى كونا جبلت عليه ﴿غراما^٦﴾
 أى هلاكاً و خسرانا ملحا محيطا بمن تعلق به^٧ مذلا له^٨ ، دائما بمن غرى
 به ، لازما له^٩ لا ينفك عنه و نحن كنا نيسر^{١٠} على من آذانا .

و لما ثبت لها هذا الوصف ، أتبع قوله : ﴿انها سآمت﴾ أى تناهت^{١٠}
 هى [فى - ٢] كل ما يحصل منه سوء^{١١} ، وهى فى معنى بنست^{١٢} فى جميع
 المدام (مستقرا) أى من جهة موضع استقرار (ومقاماه) أى
 موضع إقامة .

و لما ذكر أفعالهم و أقوالهم فيما بينهم و بين الخلق و قدمه ، و الخالق
 و آخره ، لأن وجوبه يكون [بعد - ٢] ذلك ، ذكر أحوالهم فى ١٥

- (١) و من هنا سقطت صفحات من مد (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ .
 (٤ - ٤) فى ظ : و فقا اليه (٥) فى ظ : بسؤالهم (٦ - ٦) من ظ ، وفى الأصل :
 بدلالة - كذا (٧) فى ظ : نشير (٨) من ظ ، وفى الأصل : تناهب (٩) من ظ ،
 وفى الأصل : شر (١٠) من ظ ، وفى الأصل : ينسب (١١) فى ظ : اجمع .

أموالهم، نظرا إلى قول الكفرة "أو يلقي إليه كنز" وهداية إلى طريق
الغنى لأنه ما عالى من اقتصد، فقال: ﴿والذين إذا انفقوا﴾ أى للخلق
أو الخالق فى واجب أو مستحب ﴿لم يسرفوا﴾ أى يجاوزوا الحد فى
النفقة بالتبذير، فيضيعوا الأموال^٢ فى غير حقها فيكونوا^٣ إخوان الشياطين
الذين هم من النار ففعلهم فعلها ﴿ولم يقتصروا﴾ أى يضيقوا فيضيعوا
الحقوق؛ ثم بين العدل بقوله: ﴿وكان﴾ أى إنفاقهم ﴿بين ذلك﴾
أى الفعل الذى يجب لإبعاده .

ولما علم أن ما بين الطرفين المذمومين يكون عدلا^٤، صرح به
فى قوله: ﴿قواما﴾ أى عدلا سواء بين الخلقين المذمومين: الإفراط
١٠. و التفریط، تخلقا^٥ بصفة قوله تعالى "ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا
فى الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء" وهذه صفة أصحاب محمد
- صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم - كانوا لا يأكلون / طعاما^٦ للتنعم واللذة^٧
ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة، بل [كانوا -^٨] يأكلون ما يسد الجوعة،
ويعين على العبادة، ويلبسون ما يستر العورة، ويسكن^٩ من الحر والقر^{١٠}؛

/ ٧٠٦

(١) من ظ ، وفى الاصل : لأن (٢) من ظ ، وفى الأصل «و» (٣) من ظ ،
وفى الاصل : الأول (٤) من ظ ، وفى الأصل : فيكون (٥) سقط من ظ .
(٦) فى ظ : عادلا (٧) زيد فى الأصل : بهذه، ولم تكن الزيادة فى ظ لتحذفها.
(٨) راجع سورة ٤٢ آية ٢٧ (٩ - ٩) من ظ و العالم بهامش الباب ٥ / ٨٩ ،
وفى الأصل : للتلذذ و النعم (١٠) زيد من ظ و العالم (١١) من ظ و العالم ،
وفى الأصل : لكن (١٢) من ظ و العالم ، وفى الأصل : العر .

قال

(١٠٦)

٤٢٤

قال عمر رضى الله عنه: كفى سرفاً أن لا يشتهى الرجل شيئاً إلا اشتراه فأكله.
ولما ذكر ما تحلوا به من أصول الطاعات، بما لهم من العدل
و الإحسان بالأفعال و الأقوال، فى الأبدان و الأموال، أتبعه ما تحلوا
عنه من أمهات المعاصى التى هى الفحشاء و المنكر، فقال: (و الذين لا يدعون)
رحمة لأنفسهم و استعمالاً للعدل (مع الله) أى الذى اختص بصفات •
الكمال (الها) و كلمة «مع»، وإن أفهمت أنه غير، لكن لما كانوا
يتعنتون حتى أنهم يتعرضون بتعديد^٢ الأسماء كما مر فى [آخر -^١]
سبحان و الحجر، قال تعالى قطعاً لتعنتهم: (آخر) أى دعاء جلينا
بالعبادة له، و لا خفياً بالرياء، فيكونوا كمن^٣ أرسلت عليهم الشياطين
فأزتهم^٤ أزا .

ولما نفى عنهم ما يوجب قتل أنفسهم بخسارتهم إياها، أتبعه قتل
غيرهم فقال^٥: (و لا يقتلون) أى بما^٦ تدعو إليه الحدة (النفس) أى
رحمة للخلق و طاعة للخالق . و لما كان من الانفس ما لحرمة له، بين
المراد بقوله: (الذى حرم الله) أى قتلها، أى منع منعاً عظيماً المملك^٧
الأعلى - الذى لا كفوء له - من^٨ قتلها (الا بالحق) [أى -^٩] بأن تعمل ١٥
ما يبيع قتلها .

(١) من ظ و المعالم، و فى الأصل: شرفاً (٢) من المعالم، و فى الأصل و ظ:
رجل (٣) فى ظ: بتعديل (٤) زيد من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: لمن .
(٦) فى ظ: وازتهم (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ: ما (٩ - ٩) سقط ما بين
الرقمين من ظ .

ولما ذكر القتل الجلى، أتبعه الحنفى بتضييع نسب الولد، فقال :
 (ولا يزنون ج) أى رحمة لما قد يحدث من ولد، إبقاء على نسبه^١،
 ورحمة للزنى بها ولاقاربها أن تنتهك حرمتهم، مع رحمته لنفسه،
 على أن الزنا جارٍ أيضا إلى القتل و الفتن، وفيه التسبب^٢ لإيجاد^٣ نفس
 ٥ بالباطل كما أن القتل^٤ تسبب إلى إعدامها بذلك، وقد روى فى الصحيح^٥
 عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : أى الذنب أعظم - وفى رواية^٦ : أكبر - عند الله ؟ قال : أن
 تدعو الله ندا وهو خلقك، قال : ثم أى ؟ قال : أن تقتل ولدك مخافة
 أن يطعم معك، قال : ثم أى ؟ قال : أن تزنى بحليلة جارك، فأزل الله
 ١٠ تصديق ذلك «و الذين لا يدعون مع الله الها^٧ اخره - الآية. وقد استشكل
 تصديق الآية للخبر من حيث أن الذى فيه قتل خاص وزنا خاص،
 والتقيد بكونه أكبر، والذى فيها مطلق القتل والزنا من غير تعرض
 لعظم^٨، ولا إشكال لأنها نطقت بتعظيم ذلك من سبعة أوجه : الأول :
 الاعتراض بين المبتدأ الذى هو "وعباد" وما عطف عليه، والخبر
 ١٥ الذى هو "اولئك يجزون" على أحد الرايين^٩ بذكر جزاء هذه الأشياء
 (١) من ظ، وفى الأصل : نسبه (٢) زيد فى الأصل : أيضا، ولم تكن الزيادة
 فى ظ لحذفها (٣) من ظ، وفى الأصل : بإيجاد (٤) من ظ، وفى الأصل :
 القاتل أيضا (٥) راجع ٦٤٣/٢ وقد وردت الرواية فى العديد من المناسبات.
 (٦) راجع ٧٠١/٢ و ١٠١٤ (٧) من ظ، وفى الأصل : الى عظم (٨) من
 ظ، وفى الأصل : الروايتين .

الثلاثة خاصة ، وذلك دال على مزيد الاهتمام^١ الدال على الإعظام . الثاني :
الإشارة بأداة البعد^٢ - في قوله : ﴿ ومن يفعل ذلك ﴾ أى الفعل العظيم
القبح - مع قرب المذكورات ، فدل على أن البعد في رتبها . الثالث : التعبير
باللقب^٣ مع المصدر المزيد الدال على زيادة المعنى في قوله : ﴿ يلقى أثاما ﴾

دون ' يائمه ' أو يلقى إثمًا أو جزء إثمه . الرابع : التقييد بالمضاعفة في هـ

٧٠٧ /

قوله مستأنفا : ﴿ يضعف ﴾ [أى بأسهل أمر - °] (له العذاب) / جزء

ما أتبع نفسه هواها بما فيه من الحرارة الشيطانية - هذا في قراءة^٤

[ابن عامر و أبى بكر عن - °] عاصم بالرفع^٥ و هو بدل ' يلقى ' ، في

قراءة الجماعة ، لأنها تؤولان إلى معنى واحد ، ومضاعفة العذاب - والله

أعلم - إتيان بعضه في أثر بعض بلا انقطاع كما كان يضاعف سيئته كذلك ، ١٠

وقراءة ابن كثير و أبى جعفر و ابن عامر و يعقوب بالتشديد تفيد مطلق

التعظيم للتضعيف ، وقراءة الباقيين بالمفاعلة تقتضيه بالنسبة إلى من يبارى

آخر فيه فهو أبلغ . [الخامس - °] : التهويل بقوله : ﴿ يوم القيمة ﴾

الذى هو أهول من غيره بما لا يقايس . السادس : الإخبار بالخلود الذى

هو أول درجاته أن يكون مكثا طويلا ، فقال [عاطفا في القراءتين على ١٥

' يضعف ' - °] : ﴿ ويخلد فيه ﴾ . السابع : التصريح بقوله : ﴿ مهانا طويلا ﴾

ولعله للاحتراز عما يجوز من أن بعض عصاة هذه الأمة - الذين يريد الله

(١) زيدت الواو في ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : الفعل (٣) من ظ ، وفي

الأصل : بالمعنى (٤) من ظ ، وفي الأصل : أى (٥) زيد من ظ (٦) راجع أيضا

نثر المرجان ٧٢٦/٤ (٧) من ظ ، وفي الأصل : يليق (٨) من ظ ، وفي الأصل : بما .

(٩) سقط من ظ (١٠) من ظ ، وفي الأصل : يريدون .

تغذيتهم - يعلمون أنهم ينجون ويدخلون الجنة، فكون إقامتهم - مع العلم بالمآل - ليست على وجه الإهانة، فلما عظم الأمر من هذه الأوجه، علم أن كلا من هذه الذنوب كبير، و'إذا كان الأعم كبيراً، كان الأخص المذكور أعظم من مطلق الأعم، لأنه زاد عليه بما صار به خاصاً، ثبت بهذا أنها كبار، وأن قتل الولد والزنا بجيلة الجار أكبر لما ذكر، فوضح وجه تصديق الآية للخبر، ولا يقال: إن الإشارة ترجع إلى المجموع^٢، فالتحويل خاص بمن ارتكب مجموع هذه الذنوب لأننا نقول: السياق يأباه، لأن تكرار^٢ لا، أفاد - كما حققه الرضى^٤ - ورود النفي على وقوع الحاصل الثلاث حال الاجتماع^٥ والافتراق، ١٠ فالمنع: لا يوقعون شيئاً منها، فكان معنى "ومن يفعل ذلك": ومن يفعل شيئاً من ذلك - ليرد الإثبات على ما ورد عليه النفي، فيحصل التناسب، وأما عدم منافاة الآية للترتيب فن وجهين: الأول أن الأصل في التقديم الاهتمام بما سبقت له الآية، وهو التنفير المفيد للتغليظ، فيكون كل واحد منها^٦ أعلى مما بعده. الثاني أن الواو لا تنافيه، وقد وقعت الأفعال مرتبة في الذكر كما رتب في الحديث بـ "ثم"، فيكون مراداً بها الترتيب - والله الهادي.

ولما أتم سبحانه تهديد الفجار، على هذه الأوزار، أتبعه ترغيب الأبرار،

(١) في ظ: او (٢-٢) من ظ، وفي الأصل: للمجموع (٣) في ظ: تكرير.
(٤) في ظ: القاضى (٥) في ظ: الانتفاع (٦) سقط من ظ (٧) في ظ: منها.

في الإقبال ' على الله ' العزيز الغفار ، قال : (إلا من تاب) أى
رجع إلى الله عن شيء مما كان فيه من هذه النقائص (وامن)
أى أوجد الأساس الذى لا يثبت ' عمل بدونه [وهو الإيمان - ٢] ، أو أكد
وجوده (وعمل) . ولما كان الرجوع عنه أغلظ ، [أكد - ٢]
قال : (وعمل صالحا) أى مؤسسا على أساس الإيمان ؛ ثم زاد في هـ
الترغيب بالإتيان بالفاء ربطا للجزاء بالشرط دليلا على أنه سيده فقال :
(فاولئك) أى العالو الميزة (يدل الله) وذكر الاسم الأعظم تعظيما
للأمر [و - ٢] [إشارة إلى أنه سبحانه لا منازع له (سيئاتهم حسنت)
أى بدمهم على تلك السيئات ، لكونها ما كانت حسنات فيكتب لهم
ثوابها بجزءهم الصادق على فعلها لو استقبلوا من أمرهم [ما - ٢] استدبروا ، ١٠
بمحيث إذا رأى أحدهم تبديل سيئاته / بالحسنات تسمى لو كانت سيئاته أكثر
وورد أن بعضهم يقول : رب ! إن لى سيئات ما رأيتها - رواه مسلم
في أواخر الإيمان من ' صحيحه ' عن أبى ذر رضى الله عنه [رفعه - ٢] .
ولما كان هذا أمرا لم تجر العادة بمثله ، أخبر أنه صفته تعالى ألا
وأبدا ، قال مكررا للاسم الأعظم ' لتلا يقيد غفرانه شيء ' مما مضى : ١٥
(وكان الله) أى الذى له الجلال والإكرام على الإطلاق (غفورا)

(١ - ١) فى ظ : الى (٢) من ظ ، وفى الأصل : لانت (٣) زيد من ظ .
(٤) فى ظ : اعظم (٥) من ظ ، وفى الأصل : ثوابا (٦) من ظ ، وفى الأصل :
حتى (٧) فى ظ : ما راتها (٨) من ظ ، وفى الأصل : فى (٩) ١ / ١٠٦ .
(١٠ - ١) فى ظ : لتلا يقصد غفرانه بشئ .

أى ستورا لذنوب كل من تاب بهذا الشرط (رحيماء) له بأن يعامله بالإكرام كما يعامل المرحوم فيعطيه مكان كل سيئة حسنة؛ روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن هذه الآية نزلت في أهل الشرك، لما نزل صدرها قال أهل مكة: قد عدلنا بالله، وقتلنا النفس التى حرم الله، ه و أتينا الفواحش، فأنزل الله "الا من تاب - إلى : رحيماء"؛ و روى عنه أيضا أنه قال: هذه مكية نسختها آية مدنية التى فى سورة النساء . أى على تقدير كونها عامة فى المشرك وغيره؛ و روى عنه أنه قال فى آية النساء : نزلت فى آخر ما نزل، ولم يفسخها شيء . و قد تقدم فى سورة النساء الجواب عن هذا، وكذا ما رواه البخارى عنه فى التفسير: ١٠. إن ناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا و أكثروا [وزنوا و أكثروا -]، فأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا: إن الذى تقول و تدعو إليه لحسن لو نخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل "والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الأبالحق ولا يزنون" و نزل "يعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله" . و لما أشعرت الفاء ١٥ بالتسبيب^٨، و دل تأكيد الفعل بالمصدر على الاحتياج^٩ إلى عمل كثير

(١) راجع كتاب التفسير: ٧٠٢ / ٢ (٢) من ظ و الصحيح كتاب التفسير ٧٠١ / ٢، وفى الأصل: كما (٣) ومن هنا استأنفت نسخة مد (٤) راجع الصحيح كتاب التفسير ٧٠١ / ٢ (٥) سورة الزمر ٧١٠ / ٢ و ٧١١: (٦) زيد من ظ و مد و الصحيح (٧) من مد و الصحيح، وفى الأصل و ظ: علمنا (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: بالتسبيب (٩) من ظ و مد، وفى الأصل: الاحتياج.

ربما جل^١ عن طوق البشر^٢، وأشار إلى الطريق له بالوصفين^٣ العظيمين،
أتبع ذلك بيان^٤ الطريق إليه بما أجرى من العادة فقال: (ومن تاب)
أى عن المصية كفرًا كانت أو ما دونه (وعمل) تصديقًا
لادعائه التوبة .

ولما كان في سياق الترغيب، أعراه من التأكيد فقال: (صالحًا) هـ
ولو كان كل من نيت^٥ وعمله ضعيفًا، و^٦ رغب سبحانه في ذلك بقوله
معلمًا أنه يصل إلى الله: (فانه يتوب) أى يرجع واصلًا (إلى الله)
أى الذى له صفات الكمال، فهو يقبل التوبة عن عباده، ويغفر عن
السيئات (متاباه) أى رجوعًا عظيمًا جدًا بأن يرغب الله في الأعمال الصالحة،
فلا يزال كل يوم في زيادة في نيت^٥ وعمله، فيخف ما كان عليه ثقلًا، ١٠
ويتيسر له ما كان عسيرًا، ويسهل عليه ما كان صعبًا، كما تقدم في "ان
الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم" ولا يزال كذلك
حتى يحبه فيكون سمع^٧ الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده
التي^٨ يبطش بها، ورجله التي^٩ يمشي بها، بأن يوقه للخير، فلا يسمع
إلا ما يرضيه، وهكذا، ومن أجراه على ظاهره فعليه لعة الله، لمخالفته ١٥
إجماع المسلمين .

ولما وصف عباده سبحانه بأنهم تحلوا بأصول الفضائل، / وتخلوا ٧٠٩/

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: حمل (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: البشر .
(٣) في ظ: بالوضعين (٤) في ظ: ببيان (٥) في ظ: او (٦) من ظ ومد،
وفي الأصل: الذى .

عن أمهات الرذائل ، و رغب في التوبة ، لأن الإنسان لعجزه لا ينفك
 عن النقص ، وكان قد مدحهم بند الأولى^١ بن صفاتهم بالحلم عن الجهل
 مدحهم قبل الأخرى من أمداحهم وعقب تركهم الزنا بالإعراض أصلاً
 عن اللغو الذي هو أعظم مقدمات الزنا فقال : (والذين لا يشهدون)
 ٥ أي يحضرون انحرافاً مع^٢ الهوى كما تفعل النار التي الشيطان منها
 (الزور^٣) أي القول المنحرف عن الصدق كذباً كأن أو مقارباً له
 فضلاً عن أن يتفوهوا^٤ به ويقروا عليه ، قال ابن جرير^٥ : وأصل
 الزور تحسين الشيء و وصفه بخلاف صفته حتى يخيل إلى من يسمعه^٦
 أو يراه أنه بخلاف ما هو به^٧ فهو تمويه الباطل بما يوم أنه حق^٨
 ١٠ و الشرك قد يدخل في ذلك لأنه محسن لاهله حتى ظنوا أنه حق وهو
 باطل ، و يدخل فيه الغنا لأنه أيضاً ما يحسن بترجييع الصوت حتى يستحلى
 سامعه سماعه ، و الكذب أيضاً يدخل فيه بتحسين صاحبه إياه حتى
 يظن أنه حق - و عطف عليه ما هو أعم منه فقال : (واذا مروا باللغو)
 أي الذي ينبغي أن يطرح و يبتل سواء كان من وادي الكذب أو
 ١٥ البعث الذي لا يجدي ؛ قال ابن جرير^٩ : وهو في^{١٠} كلام العرب كل كلام
 (١) من ظ ومد ، وفي الأصل : الاول (٢) من ظ ومد ، وفي الأصل : عن .
 (٣) في ظ : يتفوهوا (٤) راجع من تفسيره الجزء ١٩ / ٢٩ (٥) من ظ ومد
 و التفسير ، وفي الأصل : سمعه (٦-٧) ليس ما بين الرقيين في التفسير (٧) من
 ظ ومد و التفسير ، وفي الأصل : من .

أو فعل باطل لا حقيقة له ولا أصل، أو ما يستقبح . (مرؤا كراماه) أي أمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر، إن تعلق بهم أمر أو نهى، بإشارة أو عبارة، على حسب ما يروونه^١ نافعا، أو معرضين إن كان لا يصلح شيء [من ذلك -^٢] لإثارة مفسدة أعظم^٣ من ذلك أو نحوه، رحمة لأنفسهم وغيرهم، وأما حضورهم لذلك وسكوتهم^٤ فلا، لأن النظارة إلى كل ما لم تسوغه الشريعة^٥ هم شركاء فاعليه في الإثم لأن حضورهم ونظرهم دليل الرضا به، وسبب لوجوده والزيادة فيه .

ولما ذكر وصفهم الذي فاقوا^٦ به، أشار إلى وصف الجهلة الذي سفلوا به، فقال: (والذين إذا ذكروا) أي ذكرهم غيرهم كانوا من كان، لأنهم يعرفون الحق بنفسه لا بقائله (بأيت ربهم) أي الذي ١٠ وقهم لتذكر إحسانه إليهم في حسن تربيته لهم بالاعتبار بالآيات المرئية والمسوعة (لم يخروا) أي لم يفعلوا فعل الساططين [المستغلين -^٧] (عليها) الساترين لها؛ ثم زاد في بيان إعراضهم وصددهم عنها فقال منها على أن المنق القيد لا المقيد، وهو الحرور، بل هو موجود غير منق بصفة السمع والبصر: (صما وعمياناه) أي كما يفعل المنافقون والكفار ١٥ في الإقبال عليها [سماعا -^٨] واعتبارا، والإعراض عنها تغطية لما عرفوا من حقيقتها، وسترا لما رأوا من نورها، فعل من لا يسمع ولا يبصر كما تقدم

(١) في ظ: يريدونه (٢) زيد من ظ ومد (٣) في ظ ومد: اكبر (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: شكوتهم (٥-٥) في ظ ومد: يسوغه الشرع (٦) في ظ ومد: فارقوا (٧) في ظ ومد: حقيقتها .

عن أبي جهل وأبي سفيان والأخنس بن شريق، وذلك وصف
لعباد الرحمن بفعل ضد هذا، أي أنهم يسقطون عند سماعها ويكفون
عليها، يسقط سماع متفجع بسمعه، بصير متفجع بصره وبصيرته، سجدا
يكون كما تقدم في أول أوصافهم [وإن لم يبلغوا أعلى درجات
البصيرة - بما أشارت إليه المبالغة بزيادة النون جمع العمى - ٢] .

وما ذكر هذه الحصلة المثمرة، لما يلي الحصلة الأولى، ختم بما ينتج
الصفة الأولى . فقال مؤذنا بأن إمامة الدين ينبغي أن تطلب / ويرغب
فيها: (و الذين يقولون) علما منهم بعد اتصافهم بجميع ما مضى أنهم
أهل للإمامة: (ربنا هب لنا من أزواجنا) اللاتي قرنتها بنا كما فعلته
١٠ لنيك صلى الله عليه وسلم، فدحت زوجته في كلامك القديم، وجعلت
مدحها يتلى على تعاقب الأزمان والسنين (وذريتنا قرة) ولما كان
المتقون - الذين يفعلون الطاعة [و- ٢] يسرون بها - قليلا في جنب العاصين،
أتى بجمع القلة [ونكر - ٢] فقال: (اعين) أي من الأعمال أو من
العمال يأتمون بنا، لأن الأقربين أولى بالمعروف، ولا شيء أسر للؤمنين
١٥ ولا أقر لعينه من أن يرى حبيبه يطيع الله، فاطلبوا إلا أن يطاع الله
فقر أعينهم، فمنه إمام أن تكون مثلها في: رأيت منك أسدا،
وإما أن تكون على بابها، وتكون القرة هي الأعمال، أي هب لنا منهم
(١) في ظ: الأخنس - خطأ (٢- ٢) في ظ: عدهم عمدا - كذا (٣) زيد
من ظ ومد (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: الثمرة (٥) في ظ:
ياترون - كذا (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: فاما .

أعمالا صالحة فجعلوا أعمال من يعز عليهم هبة لهم، [وأصل القرة البرد
لأن العرب تنأذى بالحر و تستروح إلى البرد، فجعل ذلك كناية عن
السرور - '] (واجعلنا) [أى - '] إيانا وإياهم (للثقتين) أى عامة
من الأقارب والأجانب .

ولما كان المطلوب من المسلمين الاجتماع في الطاعة حتى تكون ه
الكلمة في ' المتابعة واحدة، أشاروا إلى ذلك بتوحيد الإمام وإن كان
المراد الجنس^٢، فقالوا: (اماما) أى فكون علماء محبتين متواضعين
كما هو شأن إمامة التقوى في إفاضة التواضع والسكينة، لنحوز^٣ الأجر
العظيم، إذ الإنسان له أجره وأجر من اهتدى به فعمل بعمله^٤
من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل^٥ بها إلى ١٠
يوم القيامة،^٦ وعكسه^٧ .

ولما وصف سبحانه عباده المؤمنين بضد أوصاف الكافرين من
الرفق والسكينة، والتواضع والحلم والطمأنينة والشكر لربهم والرغبة
إليه [والرغبة - '] منه . وقال الرازي: فوصف مشيهم وخطابهم
واتصايتهم له ودعائهم ونفقاتهم ونزاهتهم وتيقظهم وانتباههم وصدقهم^٨
ومحبتهم ونصحهم . تشوف السامع إلى ما لهم عنده بعد المعرفة بما

- (١) زيد من ظ ومد (٢) في ظ: من (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: للجنس .
(٤) من ظ ومد، وفي الأصل: فيكون (٥) زيد في ظ: الجنس (٦) من ظ
ومد، وفي الأصل: ليجوز (٧) في ظ: بعمله (٨) في ظ: يعمل (٩-١٠) سقط
ما بين الرقيين من ظ ومد .

للكافرين ، فابتدأ الخبر عن ذلك بتعظيم شأنهم فقال : (أولئك) أى
 العالو^١ الرتبة ، العظيمو المنزل^٢ . ولما كان المقصود [إنما -^٣] هو الجزاء ،
 بنى للفعول قوله : (يمجزون) أى فضلا من الله على ما وقهم له من
 هذه الأعمال الزاكية ، والأحوال الصافية (الفرقة) أى التى هى علوها
 ٥ . واتساعها وطيبها^٤ لا غرفة غيرها ، لأنها منتهى الطلب ، وغاية الأرب ،
 لا^٥ يفتنون عنها حولا ، ولا يريدون بها بدلا ، وهى كل بناء عال مرتفع^٦ ،
 والظاهر أن المراد بها الجنس .

ولما كانت القُرْب^٧ فى غاية التعب لمنافاتها لشهوات^٨ النفس
 وهواها وطبع البدن ، رغب فيها بأن جعلها سببا لهذا الجزاء فقال :
 ١٠ (بما صبروا) أى أوقعوا الصبر على أمر رهم ومرارة غربتهم بين
 الجاهلين فى أفعالهم وأقوالهم وأحوالهم ، وغير ذلك من معاني جلالهم .
 ولما كان المنزل لا يطيب إلا بالكرامة والسلامة ، قال : (ويلقون)
 أى يجعلهم الله لائقين بأيسر أمر^٩ ، وعلى قراءة حمزة^{١٠} والكسائى وأبو
 بكر عن^{١١} " عاصم بالتخفيف " و" البناء للفاعل " و" الأمر واضح

(١) فى ظ : العالون (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : المشتركة (٣) زيد من ظ
 ومد (٤) فى ظ : وطيبها - كذا (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : مالم (٦-٦) وقع
 ما بين الرقين فى الأصل بعد « الفرقة » والترتيب من ظ ومد (٧) من ظ ومد ،
 وفى الأصل : القرب (٨) من ظ ومد ، وفى الأصل : كشهوات (٩) راجع
 نثر المرجان ٤/ ٧٣٣ (١٠) فى ظ « و » (١١-١١) سقط ما بين الرقين من ظ
 ومد (١٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : على .

(فيها تحية) أى دعاء بالحياة من بعضهم لبعض، و من الملائكة الذين لا يرد دعاؤهم، ولا يمتري في إخبارهم، لأنهم عن الله يتفقون، وذلك على وجه الإكرام و الإعظام مكان ما أمأهم عباد الشيطان (وسلماء) أى من الله و من الملائكة و غيرهم، و سلامة من كل آفة مكان ما أصابهم بالمصائب .

و لما كان هذا ناطقا بدوام حياتهم سالمين بصرحهم، و بعظيم شرفهم ٥ / ٧١١
بلازمه، دل على أنهم لا يبرحون^١ عنه بقوله: (تخلدين فيها) أى الفرقة مكان ما أزعمهم من ديارهم حتى هاجروا؛ و دل على علو أمرها، و عظيم قدرها، بابرار مدحها فيه^٢ مظهر التعجب فقال: (حسنت) أى ما أحسنها^٣
(مستقرا) أى موضع استقرار (و مقامه) أى موضع إقامة .

و لما ثبت أمر^٤ الرحانية، فظهر أمر الرحمن و ما عليه عباده من ١٠
الدعاء الذى هو الخضوع و الإخلاص، و ختم^٥ أوصافهم الحسنة^٦ بالدعاء حقيقة الدال على الإخلاص فى الخضوع، و ذكر حسن جزائهم و كرم منقلبهم، أمر التنذير أن يقول لعباد الشيطان الذين تكبروا عن السجود للرحمن، و عن الاعتراف و الإيمان، ليرجموا عن العصيان، و يزداد المؤمنون فى الطاعات^٧ و الإيمان^٨: إن ربه لا يعتد بمن لا يدعوه، فن ١٥
ترك^٩ دعاءه^{١٠} فليرتقب العذاب الدائم، فقال: (قل ما يعجزوا) أى يعتد

(١) من ظ و مد، وفى الأصل لا يرجون (٢) فى ظ: من (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: أحسنت (٤) سقط من ظ (هـ - هـ) من ظ و مد، وفى الأصل: أعمالهم الصالحة (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: الطاعة (٦ - ٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: قول .

و يالى و يجعلكم من يد به في موضع التبعة الآن - على أن دماء نافية
 (بكم) أى أيها الكافرون (ربى) أى المحسن إلى و إليكم برحانيته،
 المخصص 'لى بالإحسان' برحيبته، وإنما خصه بالإضافة لاعتراؤه دونهم
 (لولا دعاؤكم) أى نداؤكم له في وقت شدائدكم الذى أنتم تبادونون
 ه إليه فيه خضوعا له به لينجيكم، فاذا قطع ذلك أنقذكم مما أنتم فيه، معاملة
 لكم معاملة من يالى بالإحسان و يعتد به و يراعيه و لولا دعاؤه إياكم
 لتعبوه رحمة لكم لتزكوا أنفسكم و تصفوا أعمالكم و لا تكونوا خطبا
 للنار (فقد كذبتم) أى قسب عن ذلك لسوء طباعكم ضد ما كان
 ينبغي لكم من الشكر و الخير بأن عقبتكم بالإنجاء و حققتم و قرنتم التأكيد
 ١٠ بالرحمان بعد رحمتكم بالبيان مع ضعفكم و عجزكم، و تركتم ذلك الدعاء له
 و عبدتم الأوثان، و ادعيتم له الولد^١ و غيره من البهتان، أو ما يعتد بكم
 شيئا من الاعتداد لولا دعاؤكم إياه وقت الشدائد، فهو يعتد بكم لأجله
 نوع اعتداه، و هو المدة التى ضربها لكم في الدنيا لا غيرها، بسبب
 أنكم [قد - ه] كذبتم، أو ما يصنع بكم لولا دعاؤه إياكم إلى طاعته،
 ١٥ لأنكم قد كذبتم، فكنتم شرا من البهائم، فدعاكم قسب عن دعائه
 إياكم أنكم فاجأتهم الداعى بالكذب، و الحاصل أنه ليس فيكم الآن
 (١ - ١) من ظ و مد، و في الأصل : أى الاحسان (٢) في ظ : بما (٣) في ظ :
 أى (٤) في ظ و مد : طبائعكم (٥) في مد : قربتم (٦) سقط من ظ (٧ - ٧) من
 ظ و مد، و في الأصل : الولد له (٨) زيد من ظ و مد (٩) من مد، و في
 الاصل : دعاء، و في ظ : دعاؤكم.

ما يصلح أن يعتد^١ بكم لاجله إلا الدعاء، لأنكم مكذبون ، وإنما قلت :
والآن، لأن^٢ " ما " [لا -] تدخل إلا على مضارع بمعنى الحال، عكس
" لا " (فسوف) أى تسبب عن تكذيبكم أنه يجازيكم على ذلك،
ولكنه منع قوته وقدرته واختياره لا يعاجلكم، بل (يكون) جزاء
هذا التكذيب عند انقضاء ما ضربه لكم من الآجال، وكل بعيد^٣ عندكم ه
قريب^٤ عنده، وكل آت قريب، فتهيأوا واعتدوا لذلك اليوم (لزما ٥)
أى لازما لكم لزوما عظيما لا انفكاك له عنكم بحال، وهذا تنبيه على
ضعفهم وعجزهم^٦، وذلمهم وقهرهم، لأن الملزوم لا يكون إلا كذلك^٧،
فأسرهم يوم بدر من أفراد هذا التهديد، فقد انطبق آخر السورة على
أولها بالإنذار بالفرقان، لمن^٨ أنكر حقيقة الرحمن - والله ولى التوفيق ١٠
بالإيمان^٩ .

(١) زيد فى الأصل : به ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) سقط من
ظ (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : يعتد (٥) تكرر فى
الأصل فقط (٦-٧) فى ظ : ضعفكم وعجزكم (٧) من مد ، وفى الأصل وظ :
لذلك (٨) فى ظ : من (٩) يرجى رد مدارك التنزيل إلى أنوار التنزيل فيما تقدم .

خاتمة الطبع

لقد تم - و الحمد لله - طبع الجزء الثالث عشر من تفسير "نظم الدرر في تناسب الآيات و السور" للشيخ العلامة برهان الدين أبي الحسن إبراهيم ابن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى، يوم الجمعة الخامس من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٩٨ هـ = الحادى عشر من آب سنة ١٩٧٨ م، تحت إشراف مدير الدائرة و سكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين أحمد، قاضى المحكمة العليا سابقا - بارك الله جهوده، و ضاعف له أجوره .

و تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخى الفاضل محمد عمران الأعظمى الأنصارى العمرى (أفضل العلماء - جامعة مدراس)، و قام بقراءة تجميعاته مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضى محمد عطاء الله النفشبندى القادري (كامل الجامعة النظامية) - حفظها الله .

و اهتم بتنقيحه و إنهائه خادم العلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة - كان الله له و لوالديه .

و يليه الجزء الرابع عشر بإذن الله و مشيئته مستهلا بسورة الشعراء .
و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أب ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه، و هو المسئول لحسن الخاتمة، و نصلى و نسلم على من علم فوائده الخير و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المستمسك بحبل الله المتين

المفتى محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية